الحركات الباطنية في العالم الإسلامي

عقائدها وحكم الإسلام فيها

تأليف

الدكتور محمد أحمد الخطيب
كلية الشريعة / الجامعة الأردنية

مكتبة الأقصى عمان - الأردن

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

الطبعة الثانية
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

نشر وتوزيع :

مكتبة الأقصى
لصاحبها : أحمد الخطيب
عمان - الأردن - شارع الأمير محمد
بناية مسجد احمد قارة
هاتف : ٢٥٦٥٢ - ص.ب ٧٧٨١



دار عالم الكتب للنشر والتوزيع
العليا - الشارع العام - ت ٤٦٣١٣٣٦/٤٦٣١٧٢٢/٤٦٥١٦٨٩
ص.ب ٦٤٦٠ الرياض ١١٤٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ
بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ
نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً
وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ[1] فَٱسْتَمْتَعْتُم
بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ
وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ[2] ﴿٦٩﴾

---

١ ـــ الخلاق : الكذب على الدين / تفسير إبن كثير جـ ٤ ص ١١٣ .

٢ ـــ سورة التوبة آية ٦٧ ـــ ٦٩ .

المُقَدِّمَـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

لقد كانت الباطنية وما زالت مصدر خطر على الإسلام والمسلمين منذ أن وجدت ، بعد أن أدرك أعداء الاسلام أن مواجهتهم للمسلمين وجهاً لوجه لن يجد شيئاً في تحقيق أهدافهم والوصول الى مآربهم ، ولذلك كانت الباطنية بعقائدها وفتنها نتيجة لاتجاه جديد في الكيد للإسلام والمسلمين عن طريق التدثر باسمه والتستر بحب آل البيت ، وهي فكرة خبيثة ماكرة حاكها ودبرها عبدالله بن سبأ اليهودي ، الذي تظاهر بالاسلام وعمل من خلال ذلك على نفث سمومه ، وبث مؤامراته بين المسلمين ، فادعى الموالاة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وذريته ، وحرض على قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم أعلن أن عليا هو وصي رسول الله ﷺ وخليفته من بعده ، حتى وصل في نهاية الأمر الى الزعم بتجسد الألوهية في علي بن أبي طالب .

ومن خلال هذه الأباطيل والمؤامرات ، استطاع ابن سبأ أن يمهد لتلاميذه ولكل من يريد الكيد للاسلام والمسلمين ، طريقاً خبيثاً سار فيه دعاة الباطنية بعد ذلك .

وكان من تلامذة هذا اليهودي الحاقد ، أبو الخطاب ، الذي يعد من أخطر الباطنيين العاملين على تطوير عقائد الباطنية ووسائل عملها ، فتخرج من حركته زعماء الباطنية وأهمهم : محمد بن اسماعيل ، وميمون القداح ، والمفضل الجعفي ، فكان ابن اسماعيل والقداح المؤسسين الرئيسين لفرقة الاسماعيلية الباطنية الخطيرة ، التي أخرجت للعالم الاسلامي ألواناً مختلفة من العقائد الباطلة والفتن والمؤامرات

والثورات ، اتجهت جميعها في اتجاه واحد هو تشكيك وافساد عقائد المسلمين بكل وسيلة . **أما الجعفي فكان استاذ ابن نصير مؤسس الفرقة النصيرية ، التي جعلت عليا إلها من دون الله ، وأصبحت بؤرة فساد في جسم المجتمع الاسلامي .**

ورغم اختلاف هذه الحركات في بعض العقائد والأفكار ، إلا أنها إجتمعت على شيء واحد هو محاربة الاسلام ، وافساد عقائده ، وارتكاب الكبائر واباحة الأعراض وهتكها ، وسفك الدماء ، والسطو على الأموال ، ارواء لأحقادهم الدفينة ضد الاسلام ، واشباعاً لغرائزهم الحيوانية .

وقد تصدى لهؤلاء المنحرفين المفسدين معاصروهم ، من أئمة المسلمين وعلمائهم وفضحوا عقائدهم وأهدافهم ، ونقلوا صورة أمينة عن خبثهم ومكرهم الى الأجيال القادمة ، فكتب الطبري وابن كثير وابن تيمية والشهرستاني وابن حزم وابن الأثير والمقريزى وغير هؤلاء من الذين كتبوا عن هذه الحقبة من تاريخ العالم الاسلامي ، حتى بانت صورتهم واضحة عند المسلمين ، تمثل صورة حاقدة على الاسلام ، مدمرة لكل القيم والفضائل .

وبقيت هذه الصورة ثابتة في أذهان المسلمين ، ولم يكن أحد يتوقع أن يأتي يوم يجهل فيه المسلمون حقيقة هذه الحركات ، وتتغير فيه مفاهيمهم حولها ، فاذا بالكثير من المسلمين ــ جهلاً منهم ــ ، ينظر بعين الود الى هذه الحركات ، على أساس أنها من جملة المذاهب الفقهية ، واذا ببعض هذه الحركات قد أصبحت مع الأسف ــ تتولى مقاليد الأمور في بعض البلاد الاسلامية .

بل اضحت بعض هذه الحركات ــ في مثل هذه البلاد ــ ، نموذجاً يقتدى به ويدعى اليه ، فيلقن تاريخ القرامطة والحشاشين للنشىء الجديد ، على أنه تاريخ يعتز به ، ومثل يفتخر به .

ولقد استرعى انتباهي في اطلاعاتي المحدودة بين ثنايا الكتب المعاصرة ، أن أحدا لم يتناول بالتقييم الاسلامي الواضح عقائد الحركات الباطنية الموجودة في بلاد المسلمين إلا نادراً ، وهذا يعني ندرة بحث هذا الموضوع في المكتبة الاسلامية رغم خطورته .

وإذا وجدنا أحد هذه الكتب ، فإننا نجد كاتبه قد قام بدراسة مختصرة وسريعة لاحدى هذه الحركات ، دون الالتفات الى الحركات الأخرى .

وإذا نظرنا من ناحية أخرى لوجدنا أن بعض المؤرخين المعاصرين ، قاموا مشكورين فجمعوا عقائد وتاريخ هذه الحركات ، دون أي تدخل أو تعليق واضح على هذا التاريخ أو هذه العقائد ، وإذا وجد هناك أي تعليق فانه يمر سريعاً ، كما نرى في كتب الاستاذين محمد كامل حسين ، والدكتور عبدالرحمن بدوى ، اللذين — رغم ذلك — قد سدا بكتبهما القيمة فراغاً كبيراً في المكتبة العربية والاسلامية .

ولعل الأمر الخطير الذي لم يلتفت إليه الكثير ، محاولة دعاة الباطنية المحدثين ، نشر أفكار الباطنية بطريقة ماكرة وأسلوب خبيث ، وذلك بنشر كتب الباطنية القديمة على أنها كتب من التراث ، أو بتشويه الحقائق والكذب على التاريخ ، كما هو حاصل في الكتب التي يحققها أو يكتبها : مصطفى غالب ، وعارف تامر ، وأسعد علي .

لذا رأيت من واجبي أن أكتب عن هذه الحركات ، موضحاً ومقيماً قدر استطاعتي عقائد وتاريخ هذه الحركات ، فكان موضوع أطروحة الدكتوراة المقدمة مني عن (الحركات الباطنية في العالم الاسلامي) ، وأقصد بذلك حركات الشيعة الغلاة ، التي تواجدت في الماضي بالعالم الاسلامي ، واتخذت التشيع ستاراً تخفي وراءه اعتقاداتها وأهدافها ، ودعت الى الظاهر والباطن في عقائدها ، وقالت بألوهية أئمتها ، وكان لها اثار سيئة على المجتمع الاسلامي ، وأعني أيضاً تلك الامتدادات الباطنية لهذه الحركات ، والتي لا تزال موجودة في بلاد المسلمين .

وقد ركزت في رسالتي هذه على نقطتين هامتين ، الأولى : تتبع مصادر الفكر الباطني ، والبحث عن أصله ، لايضاح الأساس الذي اعتمدت عليه الباطنية ، ولاثبات أنه كان غريباً عن عقائد الاسلام ومبادئه . والثانية : نقل صورة واضحة وأمينة للعقائد الباطنية التي تؤمن بها هذه الحركات ، وتخفيها عن المخالفين لمبادئها وأفكارها .

وهذا لا يعني أني قد أغفلت تاريخ هذه الحركات ، فالتاريخ هو الصورة الحية والمعبرة عن مبادىء أي أمة أو فرقة ، ولا يمكن أن تتضح عقيدة أية أمة بغير الاستعانة بالتاريخ ، فعن طريقه يمكننا أن نحكم حكماً عادلاً على صحة المبادىء والعقائد التي تؤمن بها الأمة ، وتعمل بمقتضاها ، فيدون من خلال ذلك تاريخها ، لذا فقد بحثت كل فرقة من الفرق الباطنية تاريخياً ، قبل أن أبحثها عقائدياً .

وقد قسمت هذه الرسالة إلى أربعة أبواب ، يسبقها تمهيد عن (التأويل الباطني ، أصله وكيفية وصوله إلى العالم الاسلامي) ، وفي الباب الرابع أفردت فصلا عن أثر هذه الحركات سياسياً واجتماعياً وفكرياً ، وبعد ذلك الخاتمة فيكون الهيكل العام للرسالة على الشكل التالي :

التمهيد : التأويل الباطني ، أصله وكيفية وصوله الى العالم الاسلامي : وهي دراسة تتحدث عن بداية نشأة الباطنية ، والمصادر التي أخذت منها ، والفلسفة والأفكار التي تقوم عليها ، وتتكون من أربعة أقسام :

١ ـــ نشأة الباطنية وأفكارها .

٢ ـــ التأويل الباطني ، أصله وكيفية وصوله إلى العالم الاسلامي .

٣ ـــ مصادر الفكر الباطني .

٤ ـــ التقية حقيقتها وأصلها الباطني .

وبهذه يتكون لدى القارىء فكرة رئيسية عن الباطنية ، قبل الدخول في أقسامها .

الباب الأول : الاسماعيلية والأصول الباطنية التي قامت عليها ، وأهم الحركات التي نشأت عنها ، وتطورها .

ويحوي هذا الباب ستة فصول هي :

الفصل الأول : نبذة عن نشأة الاسماعيلية ، والانقسامات التي حدثت فيها وتطورها .

وأعرض فيه تاريخاً موجزاً للاسماعيلية منذ نشأتها وحتى اليوم ، وبيان كافة الانقسامات والتطورات التي حدثت في داخلها .

الفصل الثاني : الجانب الباطني في عقائد الاسماعيليين .

ويحوي عرضاً مفصلاً لكافة العقائد التي تؤمن بها الاسماعيلية ، والتي لا يجوز عندهم البوح بها لغير أهلها ، ويتكون هذا الفصل من ستة أقسام وهي كالتالي :

١ ــ عقيدتهم في الألوهية والتوحيد .

٢ ــ عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة .

٣ ــ عقيدتهم في الولاية وأئمة الستر وأئمة القيامة وعصمتهم .

٤ ــ عقيدتهم في اليوم الاخر والبعث والحساب والجنة والنار .

٥ ــ طريقتهم في الدعوة وتنظيم الدعاة .

٦ ــ التأويلات الباطنية لأركان الاسلام وغيرها .

الفصل الثالث : نبذة عن القرامطة ، نشأتهم وعلاقتهم بالاسماعيلية .

وأتحدث فيه عن نشأة القرامطة وعلاقتهم بالاسماعيلية ، وعن أعمالهم الاجرامية التي قاموا بها ضد المسلمين .

الفصل الرابع : عقائد القرامطة .

وهو تفصيل لمبادىء القرامطة ، التي ساروا عليها ، والتي لا تختلف في جوهرها عن مبادىء الاسماعيلية ويتكون هذا الفصل من أربعة أقسام :

١ ــ عقيدتهم في الألوهية والتوحيد .

٢ ــ عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة .

٣ ــ تنظيمهم الدعوة على تسع مراحل .

٤ ــ شيوعية المال والنساء عندهم .

الفصل الخامس : نبذة عن اخوان الصفاء ، ظهورهم وصلتهم بالاسماعيلية وأعرض فيه نبذة عن هذه الجماعة ، والتي كانت اسماً من جملة الأسماء التي تختفي وراءها الاسماعيلية بثوبها الباطني .

الفصل السادس : الجانب الباطني في رسائل اخوان الصفاء .

وأتحدث فيه عن العقائد التي جاءت في رسائل اخوان الصفاء ، وأقارنها بعقائد الاسماعيلية ، لأوضح الصلة الوثيقة بين الطرفين . ويتكون هذا الفصل من أربعة أقسام :

١ — نظرتهم إلى الألوهية والتوحيد .
٢ — نظرتهم الى الأنبياء والرسل .
٣ — نظرتهم إلى الأمور الغيبية .
٤ — أثر الفلسفة في عقائدهم .

الباب الثاني :الدروز والأصول الباطنية التي قام عليها مذهبهم . ويتكون هذا الباب من فصلين اثنين .

الفصل الأول : نبذة عن نشأة الدروز وعلاقتهم بالاسماعيلية .

وهو بحث لا بد منه لدراسة الدروز ، وأتحدث فيه عن بداية الدروز ، وأهم دعاتهم ، وعلاقتهم بالاسماعيلية بوجه عام ، والحاكم بأمر الله بوجه خاص ، والتطورات التي حدثت على مذهبهم .

الفصل الثاني : الجانب الباطني في عقائد الدروز .

ويحوي أبحاثاً مفصلة عن عقائدهم الباطنية التي يكتمونها عن عامة الناس وحكم الاسلام فيها ، وهو مقسم الى اثني عشر بحثاً :

١ — دعوى ألوهية الحاكم عندهم ، ونظرتهم للاهوت والناسوت .
٢ — عقيدتهم في تناسخ الأوراح .

٣ ـــ عقيدتهم في اليوم الاخر والثواب والعقاب .

٤ ـــ عقيدتهم في الحدود الخمسة .

٥ ـــ اسقاطهم أركان الاسلام .

٦ ـــ العقال والجهال ونظام الخلوات عندهم .

٧ ـــ تسترهم على عقائدهم .

٨ ـــ عقيدتهم في الأنبياء .

٩ ـــ شريعتهم في الأحوال الشخصية .

١٠ ـــ موقفهم من الأديان والفرق الأخرى .

١١ــ رسائلهم وكتبهم المقدسة .

١٢ــ حكم الاسلام فيهم وفي معاملتهم .

الباب الثالث :النصيرية والأصول الباطنية التي قامت عليها .

ويتكون من أربعة فصول هي :

الفصل الأول : نبذة عن نشأة النصيرية وأشهر دعاتها وأهم طوائفها وأتحدث فيه عن تاريخ الفرقة النصيرية منذ ظهورها وحتى اليوم ، وعن زعماءها الذين قامت هذه الفرقة على أفكارهم ومبادئهم الخبيثة .

الفصل الثاني : الجانب الباطني في عقائد النصيرين .

ويتضمن هذا الفصل عشرة أقسام وهي :

١ ـــ دعوى ألوهية علي عند النصيريين .

٢ ـــ عقيدتهم في الثواب والعقاب .

٣ ـــ تعظيمهم لسلمان الفارسي والأيتام الخمسة ، وحبهم لابن ملجم قاتل علي ، وموقفهم من الصحابة الآخرين .

٤ ـــ المراتب والدرجات عند النصيرية .

٥ ـــ تعظيمهم للخمر ولشجرة العنب ، ونظرتهم إلى الأنثى .

٦ ـــ مراسيم وطقوس الدخول في عقيدة النصيرية .

٧ ـــ تسترهم على عقائدهم .

٨ ـــ نظرتهم للفرائض والعبادات الاسلامية .

٩ ـــ نماذج من كتبهم وقداساتهم وأعيادهم وأثر النصرانية في ذلك .

١٠ ـــ حكم الاسلام في النصيرية .

الفصل الثالث : مقارنة بين عقائد الاسماعيلية والدروز والنصيرية .

وهي مقارنة بين جميع العقائد التي مرت عند كل هذه الفرق ، وأوجه الشبه الكثيرة بينها ، ونقاط الاختلاف القليلة بين عقائدها ، وهذا يدل على وحدة المصدر والهدف أيضا .

الباب الرابع : أثر الحركات الباطنية في واقع العالم الاسلامي .

وهذا الباب يتكون من دراسة مدعومة بالوقائع التاريخية القديمة والحديثة ، عن الآثار الخطيرة التي أوجدتها الحركات الباطنية في المجتمع الاسلامي في كثير من الأمور ، ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : أثرها في الناحية الفكرية .

الفصل الثاني : أثرها في الناحية الاجتماعية .

الفصل الثالث : أثرها في الناحية السياسية .

الخاتمة : وأتحدث فيها عن أهم النتائج التي وصلت اليها ، وكذلك عن حكم الاسلام في كافة هذه الفرق ، وحكم معاملتهم ، وواجب المسلمين نحوهم ، وكذلك واجب دعاة الاسلام في التعريف بخطر هؤلاء .

وأما بالنسبة للمراجع والمصادر ، فقد اهتممت بكل ما كتب عن هذه الحركات مطبوعاً أو مخطوطاً ، قديماً أو حديثاً ، كما أنني حاولت جاهداً أن انقل عقائد هذه الحركات من مصادرها الأصلية ، لتكوين صورة صادقة وأمينة عن عقائدها .

وأخيرا ... فهذا الجهد معرض للخطأ والصواب ، وحسبي بذلك أني قد بذلت جهدي وأفرغت وسعي في البحث والتقصي خدمة للاسلام وتوضيحاً للمسلمين ، فان أكن قد أصبت فذلك فضل من الله ، وان أخطأت فحسبي بذلك نيتي ومقصدي .

وفي ختام هذه المقدمة ، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل ، وعظيم الامتنان والتقدير لفضيلة الاستاذ الشيخ زيد بن عبدالعزيز الفياض ، لما غمرني به من رعاية وتوجيه كان له أكبر الأثر في اخراج هذه الرسالة ، فجزاه الله كل خير . كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من مد يد العون والمساعدة على اتمام هذا العمل .

وختاماً أدعو الله سبحانه وتعالى ، أن يتقبل عملي هذا ، وان ينفع به ، وأن يوفق الجميع لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة .

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. محمد الخطيب

التمهيـــــد

التأويل الباطني
أصله ، وكيفية وصوله الى العالم الاسلامي

وفيه أربعة أقسام :

١ ــ نشأة الباطنية وأفكارها .
٢ ــ التأويل الباطني ، أصله وكيفية وصوله إلى العالم الاسلامي .
٣ ــ مصادر الفكر الباطني .
٤ ــ التقية ، حقيقتها وأصلها الباطني .



١ ـ نشأة الباطنية وأفكارها :

الباطن : اسم من أسماء الله عز وجل ، كما جاء في قوله تعالى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن »[١] ، ومعناه لغة : المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم .[٢] .

أي : هو الباطن بحقيقة ذاته ، إذ تعجز العقول والحواس بمقتضى تكوينها عن إدراك حقيقته جل وعلا ، لأن الحواس والعقول صغيرة محدودة ، والله سبحانه وتعالى كبير لا حد له[٣] وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال (أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الأخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء)[٤] .

« وقيل ان معناه : علم السرائر والخفيات ، وقيل أيضاً : هو العالم بكل ما بطن ، يقال : بطنت الأمر اذا عرفت باطنه ، والباطني هو الرجل الذي يكتم اعتقاده فلا يظهره الا لمن يثق به ، وقيل : هو المخصص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها ، وقيل : هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا ، فلفظ الباطني يدل اذن على ثلاثة معان »[٥] .

وكما يقول أبو حامد الغزالي : ان الباطنية انما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر ، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية ، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز واشارات الى حقائق معينة[٦] .

---

١ ـ سورة الحديد آية ٣ .
٢ ـ أنظر لسان العرب جـ ١٣ ص ٥٤ .
٣ ـ العقيدة الاسلامية/عبد الرحمن حبنكة ص ١٥٩ .
٤ ـ البخاري ١٨٣/٦ ، ومسلم كتاب الذكر والدعاء ٧٨/٨ ومسند أحمد ٤٠٤/٢ .
٥ ـ المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ص ١٩٤ جـ ٢ .
٦ ـ فضائح الباطنية/أبو حامد الغزالي ص ١١ .

أما الأصل التاريخي للباطنية ، فالواقع أن مؤرخي الفرق مختلفون في أصلها ومصدرها ، فمنهم من يرجعها الى المجوس[١] ، ومنهم من ينسبها الى الصابئة بحران[٢] ، الا أن هذا الاختلاف سرعان ما يزول عندما نعرف أن الأصول التي تعتمد عليها الباطنية بكل فرقها وطوائفها نابعة من الفلسفة اليونانية التي غذت بأفكارها الكثير من هذه الفرق .

على أن الباحث في نشأة الباطنية في العالم الاسلامي ، لا بد أن يلم بنشأة الشيعة ، لأن التشيع كان ثوبا يتستر وراءه كل من يريد أن يبذر الفتن ضد الاسلام والمسلمين ، ومأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الاسلام بادخال تعاليم أبائه وأجداده من يهودية ونصرانية وهندوسية وأفلاطونية .

كما أن المتتبع لتطور عقائد الشيعة ، والتي بدأت بفكرة الدفاع عن حق آل البيت في الخلافة ، الى اتخاذ هذا البيت الكريم وسيلة لنشر مذاهب دينية خاصة تهدف الى أغراض سياسية[٣] ، يجزم أن وراء هذه التطورات يداً خبيثة سوداء تحيك في الظلام مؤامرة ضد عقائد الاسلام .

« والراجح ــ تاريخيا ــ أن اليهودية الموتورة التي لا تستطيع الانتقام بحد الحسام ، لجأت الى الحيلة والمؤامرة لايجاد الفرقة بين المسلمين ليضربوا بعضهم ببعض »[٤] ، حيث تقدم عبدالله بن سبأ أو ابن السوداء ذلك الحبر اليهودي الذي تظاهر باعتناق الاسلام ، وحاول أن يظهر بمظهر المشفق على الحياة الاسلامية ، فاستطاع من خلال ذلك أن يجذب اليه الذين زعموا في تصرفات عثمان خروجا عن منهج سلفيه ، وكان دور ابن سبأ أن ينشر هذه الأمور في شكل يلفت النظر ويثير النفوس على عثمان ، وفي هذا الجو تمكن هذا اليهودي الذي تدثر بالاسلام أن يوحي اليهم بمؤاخذة عثمان أو انتقاصه[٥] .

---

١ ــ الفرق بين الفرق/البغدادي ص ٢٨٤ ــ ودائرة المعارف/ للشيخ محمد حسين الأعلمي جـ ٤ ص ٩٨ .
٢ ــ خطط الشام/محمد كرد علي جـ ٦ ص ٢٥١ .
٣ ــ انظر كتاب حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والادبية/د. محمد جابر عبد العال ص ٤ ، ٥ .
٤ ــ المصدر السابق ص ٥ .
٥ ــ أنظر حركات الشيعة المتطرفين/د. محمد جابر عبد العال ص ٥/ وموسوعة التاريخ الاسلامي/د. احمد شلبي جـ ٢ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

لهذا فان ابن سبأ ، كان رأس كل الفتن والاضطرابات التي حاقت بالمجتمع الاسلامي ، ويقول الدكتور أحمد شلبي في معرض كلامه عن إبن سبأ : « أن زعامة ضالة بدأت هذا الشوط هي عبدالله بن سبأ أو شخص ما أطلق عليه هذا الاسم ، وأن مريدين كثيرين أخذوا عنه هذا الضلال وساروا فيه أزمنة طويلة وأشواطا واسعة ، فالاسم لا يهمنا ، ولكن يهمنا أن شخصا قام بالدور الذي نسب الى عبدالله بن سبأ »[١] .

والى جانب هذه الفتنة السياسية ضد عثمان ، كانت تحاك فتنة أشد خطرا ، وهي محاولة هدم الاسلام من الداخل ، « وذلك عن طريق ابتداع مناهج الباطنية في تأويل الشريعة على نحو يفضي الى نسخها والاستعاضة عنها بخليط عجيب من الحكمة ، يجمع بين خرافات الفرس ووثنية الاغريق وعقائد اليهود الذين حرفوا دينهم من قبل »[٢] .

لهذا لم تلبث أن ظهرت تلك العقائد اليهودية المطعمة بالوثنية الفارسية والاغريقية ، بعد صبغها بصبغة اسلامية خادعة ، كفكرة النور المحمدي ، وعصمة الأئمة ومعجزاتهم ، وتقديس الأئمة ، والغيبة والرجعة ، والحلول ، وتجسيد الالوهية ، والتأويل والتشبيه[٣] ، وغير ذلك من الأفكار والعقائد .

وهذه الافكار والاعتقادات ليست جديدة ، فهي أفكار جاء بها بعض علماء اليهود من قبل وأولوا التوراة على أسس الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، وقالت بها أيضا طائفة يهودية هي طائفة (القبالة)[٤] ، والتي شوهت التوراة وحرفتها عن طريق التأويل وادعت الجمع بين التأويل الباطني وادعاء الكشف عن الغيب وأسرار الحروف وغير ذلك من التلفيق الواضح بين فلسفة الاغريق والافلاطونية الحديثة ورواسب من عقائد الفرس ، وهذا الاتجاه التلفيقي كان واضحا في مجتمعات الفلاسفة في اليونان والاسكندرية ، وهي التي كانت تعرف بجمعيات أهل العرفان أو (الجمعيات

---

١ — موسوعة التاريخ الاسلامي/د. احمد شلبي ص ١٤٦ جـ ٢ ، والمهدية في الاسلام منذ اقدم العصور حتى اليوم/سعد محمد حسن ص ٩٢ .
٢ — دراسات في الفلسفة الاسلامية/د. محمود قاسم ص ٢٥٤ .
٣ — انظر نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام/د. علي النشار جـ ١ ص ٤٧ ، وتاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ١٨ ، ودراسات في الفلسفة الاسلامية/د. محمود قاسم ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
٤ — دراسات في الفلسفة الاسلامية/د. محمود قاسم ص ٢٥٦ ، والكلمة مشتقة من (القبالة) وتطلق على التأويل الخفي للتوراة . انظر المعجم الفلسفي/جميل صليبا جـ ٢ .

الغنوصية)[1] ، « الذين يرون أن علمهم الباطن هو العرفان ، الذي يهبط على قلوبهم اشراقا أو وحيا دون واسطة ودون معلم ، وهذه الجمعيات السرية وجدت منذ زمن بعيد ، وحاولت نسخ الأديان الموحى بها من يهودية ومسيحية واسلام عن طريق ضرب بعضها ببعض ، ثم ضربها جميعا ببعض الآراء الفلسفية لفتح الطريق أمام ما يسمونه الدين العالمي الذي تحدث عنه الحلاج والكتاني وابن عربي : وهو في ظنهم دين يقوم على الاشراق والكشف ، وهو يرجع عند بعض هؤلاء الى نوع أصيل من الالحاد ، لانه يبدأ بخلع طابع القداسة على بعض أفراد البشر ، ثم يغلو في تقديسهم ، حتى يسهل على العامة قبول فكرة حلول الله فيهم ، كما حدث في المسيحية ، وكما حاول تحقيقه بعض من ادعوا التصوف في الاسلام ، وكما انتهى اليه صاحب القيامة الكبرى (الحسن بن الصباح) في قلعة (آلموت) عندما نادى بنسخ الاسلام وأعلن ألوهيته »[2] .

ومما لا ريب فيه أن المخطط اليهودي قد استغل كثيرا أبناء الشعوب التي اعتنقت الاسلام ولم يرسخ ايمانها بعد ، فأخذ يوحي للسذج من هؤلاء الناس بالظلم المزعوم الذي حاق بعلي لعدم استخلافه ، فركزوا على ناحية مهمة أرادوا بها اقحام العقائد الهدامة في نفوس المسلمين وهو ايهام السذج من الناس بعلم علي للغيب ، وتجسد الله — جل وعلا — فيه ، فوضعوا لهذه الغاية الاحاديث الموضوعة[3] والاقوال المأثورة عن علي ، ومن تلك الأقوال التي نسبوها لعلي « فاسألوني قبل أن تفقدوني ، فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تهدي مائة ، وتضل مائة ، الا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ، ومن يقتل من أهلها قتلا ومن يموت موتا »[4] .

ولم يكن مجيء عبدالله بن سبأ لعلي بن أبي طالب وقوله له « أنت ، أنت »[5] مجرد صدفة ، ولكنها حلقة من حلقات المؤامرة التي أرادت احياء العقائد الوثنية

---

١ — نسبة الى (الغنوص) وهي كلمة يونانية معناها المعرفة ، ثم أخذت بعد معنى اصطلاحيا ، هو محاولة التوصل الى المعارف العليا بنوع من الكشف . العقيدة والشريعة في الاسلام/تعليقات المترجمين ص ٢٥ .

٢ — دراسات في الفلسفة الاسلامية/د. محمود قاسم ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

٣ — نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام/د. علي النشار ص ٤٧ .

٤ — دراسات في الفلسفة الاسلامية/د. محمود قاسم ص ٤٧ .

٥ — الملل والنحل/الشهرستاني جـ ٢ ص ١١ .

أتباعه يأتون عليا بعد ذلك ويقولون له : « أنت هو » فقال لهم : ومن هو ؟ فقالوا : أنت الله ، فثار علي وأمر مولاه قنبر بحرقهم في النار[1] .

والظاهر من روايات اخرى أن عليا أراد أيضا أن يحرق معهم رأس الفتنة ابن سبأ ، ولكن الناس صاحوا بعلي : يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو الى حكم أهل البيت والبراءة من أعدائك[2] . ويدلنا هذا على مقدار تمكن ابن سبأ من عامة الناس وسيطرته على عقولهم حتى أصبحوا أشد المدافعين عنه .

وبقي ابن سبأ في طريقه الحاقد حتى بعد مقتل علي رضي الله عنه ، فلم يعترف بمقتله ، بل اعتبر ذلك غيبة سيغيبها علي ثم يرجع[3] ، فوضع بذلك فكرة الرجعة اليهودية ، وقال للذي جاءه ينعي عليا : كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض ويملأها عدلا كما ملئت جورا[4] . ولم يكتف بهذا الزعم بل نجده يقرر حلول الجزء الالهي في علي ويقول : بأنه سيجيء بالسحاب ، وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه أو تبسمه ، وسينزل بعد ذلك الى الأرض فيملؤها عدلا[5] .

واستمر تلامذة ابن سبأ في نفث سمومهم ، فنجدهم يحملون تلك السموم مع ابن علي محمد بن الحنفية ، فادعى المختار بن أبي عبيد الثقفي أنه الامام بعد أبيه ، لأن ابن الحنيفة حمل راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسموا (الكيسانية)[6] . وبدأ من خلال هذا الادعاء يبث أفكاره الضالة التي توارثها عن ابن سبأ ، فقال بـ (البداء) ، وهو الظهور بعد الخفاء ، أي أن تكون الحكمة قد ظهرت ولم تكن ظاهرة من قبل ، وهذا يستلزم البداء ، وسبق الجهل على الله سبحانه وتعالى وزعم بعد ذلك أن جبرائيل يأتيه بالوحي من عند الله[7] عز وجل، وقال بتناسخ

---

١ — الفصل في الملل والاهواء والنحل/ابن حزم جـ ٤ ص ١٨٦ .
٢ — الفرق بين الفرق/البغدادي ص ٢٣٤ ، وفرق الشيعة/النوبختي ص ١٩ .
٣ — فرق الشيعة/النوبختي ص ٢٠/والفصل في الملل والاهواء والنحل/ابن حزم جـ ٤ ص ١٧٩ .
٤ — فرق الشيعة/النوبختي ص ٢٠ ، والفصل في الملل/ابن حزم جـ ٤ ص ١٨٠ .
٥ — الملل والنحل/الشهر ستاني جـ ٢ ص ١١ .
٦ — فرق الشيعة/النوبختي ص ٢٠ .
٧ — فرق الشيعة / النوبختي ص ٢١ .

الأرواح[1] ، وبالرجعة[2] ، وبأن الدين طاعة رجل ، حتى حملهم هذا الاعتقاد على تأويل الشريعة ، فاعتبروا أن طاعتهم لذلك الرجل تبطل الصوم والحج والصلاة وغيرها من الفرائض[3] .

وهذه الادعاءات جعلت ابن الحنيفة يتبرأ منه ومن ضلالاته[4] ، وكان ذلك سببا لهزيمة المختار أمام الامويين .

ولما مات ابن الحنيفة ، ظهر أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ، زعيما للشيعة الغلاة ، فاعتبر العلوم السرية والباطنية هي جوهر الامامة ، لأن لكل ظاهر باطنا ولكل شخص روحا ، ولكل تنزيل تأويلا ، ولكل مثال في العالم حقيقة[5] . وكان أبو هاشم هو البادىء في اسباغ الأسرار على أرقام معينة ومنها الرقم (١٢) ، والذي كان شرطا اشترطه على من استخلفه من بعده (محمد بن علي بن عبدالله بن العباس) بأن يكون دعاته الى الثورة على الأمويين بهذا العدد لتنجح الثورة[6] .

وبموت أبي هاشم سنة ٩٧ هـ انفسح المجال لشيعة الكوفة التي كانت معروفة بأنها مركز الأديان المتعددة والمذاهب المختلفة[7] أن يطوروا هذه البواكير التي وضعها ابن سبأ وعبدالله بن محمد بن الحنفية . ومن هذه البواكير انطلق (بيان بن سمعان) فأعلن ألوهية علي بن أبي طالب[8] ، ولكنه زعم بعد ذلك أن هذا الجزء الالهي الذي كان في علي انتقل اليه بنوع من التناسخ ، ومن هنا فقد أخذ سر الامامة وهو العلم الالهي السري ، لذلك فهو — كما يزعم — المشار اليه في القرآن الكريم « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين »[9] فصار جديرا بأن ينسخ شريعة محمد ﷺ[10] .

---

١ — تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ١٩ .
٢ — فرق الشيعة/النوبختي ص ٣٧ .
٣ — الملل والنحل/الشهر ستاني جـ ١ ص ١٩٦ على الهامش .
٤ — مقدمة ابن خلدون ص ٣٥١ ، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٩ م .
٥ — الملل والنحل/الشهر ستاني جـ ١ ص ٢٠١ على الهامش .
٦ — الفكر الشيعي والنزعات الصوفية/د. كامل مصطفى الشيبي ص ٢٥ .
٧ — موسوعة التاريخ الاسلامي/د. احمد شلبي جـ ٢ ص ١٤٧ .
٨ — الملل والنحل جـ ١ ص ٢٠٤ على الهامش .
٩ — سورة آل عمران آية ١٣٨ .
١٠ — الفصل في الملل والاهواء والنحل/ابن حزم جـ ٤ ص ١٨٥ ، وانظر ايضا الفكر الشيعي والنزعات الصوفية/د. كامل الشيبي ص ٢٥ .

وكان في أثناء وجود (بيان) زميل له يؤازره في أفكاره الضاله هو (المغيرة بن سعيد العجلي) ، والذي أظهر العلوم والأسرار الخفية الموجودة في الرقم(٧) فجعله عددا لاصحابه الذين خرج بهم وسماهم ــ الوصفاء[١] ــ ، حتى أنه جعل عليا في مصاف الأنبياء ومفضلا على بقية الأنبياء والقادر على احياء الموتى[٢] . وكانت خاتمة المغيرة وزميله بيان الحرق بالنار في يوم واحد على يد والي الكوفة خالد بن عبدالله القسرى[٣] .

وظهر بعدهما أبو منصور العجلي والذي تنسب اليه فرقة (المنصورية) فرفع أئمة الشيعة جميعهم الى مصاف الالهة ، وجعل من نفسه نبيا[٤] . وزعم أنه قد عرج به الى السماء وأن الله سبحانه وتعالى مسح بيده على رأسه وقال : ــ يا بني بلغ عني ــ وأنزله بعد ذلك الى الأرض فهو (الكسف) الساقط من السماء ، وهو الذي قال الله فيه « وان يروا كسفا من السماء ساقطا »[٥] .

وجاء أبو الخطاب الأسدى ليسير في أفكار الغلو شوطا كبيرا ورئيسيا ، فقد كان أستاذا لكل أصحاب الفرق الباطنية بعد ذلك ، فقد كان أستاذا للمفضل الجعفي والذي كان وراء محمد بن نصير في أفكاره الضالة والتي أسس عليها فرقته النصيرية . وكان أيضا أستاذا لاسماعيل بن جعفر ولابنه محمد ، وزميلا مخلصا لميمون القداح وابنه ، الذين بلوروا بشكل فعال انطلاق الحركة الباطنية بثوبها (الاسماعيلي) التي انبثقت منها اكثر الحركات الباطنية الاخرى كالقرامطة والدروز واخوان الصفا والحشاشين ، وعندما يتحدث النوبختي عن الاسماعيلية لا يصفهم الا بالخطابية[٦] لارتباط الاثنتين معا في الأفكار والأهداف .

---

١ ــ تاريخ الطبري جـ ٧ ص ١٢٩ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف ٦٦ ، والكامل في التاريخ/جـ ٥ ص ٢٠٨ .

٢ ــ الملل والنحل/الشهر ستاني جـ ٢ ص ١٣ ، وحركات الشيعة المتطرفين/محمد جابر عبد العال ص ٣٧ .

٣ ــ تاريخ الطبري جـ ٧ ص ١٢٩ .

٤ ــ مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٧٤ ، والفرق بين الفرق/البغدادي ص ٢٤٣ .

٥ ــ الملل والنحل/الشهر ستاني جـ ٢ ص ١٥ على الهامش ، والفصل في الملل/ابن حزم جـ ٤ ص ١٨٥ ، والمهدية في الاسلام/سعد محمد حسن ص ٧٩ ، وفرق الشيعة للنوبختي ص ٣٤ ، ٣٥ .

٦ ــ انظر فرق الشيعة/النوبختي ص ٥٩ .

ومن الطبيعي أن يلتصق أبو الخطاب بأحد من تزعم الشيعة بإمامتهم وهو جعفر بن محمد الملقب بـ (الصادق) ، حيث حاول أن يتقرب منه ليعلن من خلال ذلك أفكاره الضالة ، وأراد أن يمثل مع جعفر الصادق نفس الدور الذي مثله من قبل بالنسبة لعلي بن أبي طالب ، عبدالله بن سبأ ورهطه[1] . ولما علم الصادق بأفكاره أعلن براءته منه ولعنه ، وأمر أصحابه بالبراءة منه ، بل وبالغ في ذلك[2] .

وتقوم أفكار الخطابية ، على أن الله عز وجل هو (محمد) وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة ، ظهر في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وانما أظهر نفسه بالانسانية والبشرية لكي يكون لخلقه به أنس ولا يستوحشوا به ، فقد أظهر نفسه للناس بشكله النوراني فلم يقروا به وأنكروه ، وظهر لهم من باب النبوة والرسالة فأنكروه ، فلما ظهر لهم من باب الامامة (أي بشخص علي وذريته) قبلوه ، فظاهر الله عندهم الامامة ومن يحملون هذا اللقب ، وباطنه الله الذي معناه (محمد)[3] .

ولذلك فقد اعتبروا أبا الخطاب نبيا مرسلا ، أرسله جعفر بصفة الامام أو كما يزعمون الاله ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ ، وأحلوا على هذا الأساس المحارم من الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وتركوا الزكاة والصلاة والصيام والحج وأباحوا الشهوات بعضهم لبعض .وقالوا من سأله أخوه ليشهد له على مخالفيه فليصدقه ويشهد له فان ذلك فرض عليه وواجب[4] .

وزعموا أن الفرائض هي أسماء رجال ونساء ، فمن عرف أسماء الأبواب والأيتام والنقباء والمصطفين وغيرهم ، وعرف كذلك أن الباب هو سلمان ، واليتيم الكبير المقداد ، واليتيم الصغير أبو ذر ، فهو مؤمن ممتحن موضوع عنه جميع الشرائع ، ومحلل له جميع ما حرم الله في كتابه وعلى لسان نبيه ، فالمحرمات عندهم أسماء رجال

---

١ ــ دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية/د. موسى لقبال ص ٢٠٠ .

٢ ــ الملل والنحل/الشهر ستاني جـ ٢ ص ١٥ ، ١٦ على الهامش ، وكتاب المقالات والفرق/للقمي ص ١٨٨ وهي من تعليقات المحقق الدكتور محمد جواد مشكور .

٣ ــ أنظر كتاب المقالات والفرق/للقمي ص ٥٦ .

٤ ــ المصدر السابق ص ٥٧/وفرق الشيعة/للنوبختي ص ٣٧ ، ٣٨ .

ونساء أيضا من أهل الجحود والانكار ، وقد فرض الله الصلاة والزكاة وباقي الفرائض على هذه الأسماء أهل الجحود والانكار فهي عليهم كالآصار والأغلال عقوبة لهم ، وأباحواالفروج كلها وأبطلوا النكاح والطلاق ، واعتبروا أن لهما معنى باطنياً لا يعرفه الا المؤمن ، ولهذا فقد اعتبروا المرأة بمنزلة الريحانة النابتة تقلعها اذا اشتهيت ، فاذا شممتها حبيت بها أخاك المؤمن[1] .

وينبغي أن نذكر هنا أن أبا الخطاب وأتباعه تعلموا الشعوذة وعلم النجوم والكيمياء حتى يستطيعوا أن يحتالوا على الناس ، فكانوا يحتالون على كل قوم بما يتفق مع ميولهم ، وأما أمام عامة الناس فكانوا يحاولون أن يظهروا الزهد والورع[2] .

وجعلوا لقبول الانسان في مذهبهم امتحانا طويلا ، أوله أن يشرب الخمر على أنها حلال ، وأن يعرف باطن الصلاة وباقي الفرائض ، وآخره (المؤاساة) ، وهي أن يجعل أستاذه الخطابي شريكا له في جميع ما يملكه من مال ونساء ، فيخرج له الخطابي أهله أو (وعاءه) من زوجة وبنت وأخت فيطأهم الممتحن ، ويخرج له الممتحن كذلك كل ما يملكه من زوجة أو بنت أو أخت فيطأهم الخطابي ، وهكذا يصبح هذا الممتحن أخا مؤمنا[3] ؟!

ومن مزاعمهم ايضا القول بالتناسخ ، فزعموا أن أرواح من جحد وأنكر أمرهم تكون في الحيوانات من قردة وخنازير ، وفي الجماذات من حجارة أو حديد ، وتأولوا قوله تعالى « قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة »[4] ، أما أرواحهم فلا تنتقل الى أي شيء من هذه الأشياء وانما لها سبعة أبدان أخرى تكون أقمصة لها ، فكلما تركت قميصا لبست قميصا آخر حتى القميص السابع وعندها ينكشف الغطاء عنه[5] .

---

١ ــ المقالات والفرق/للقمي ص ٥٧ ، ٥٨ ، وفرق الشيعة للنوبختي ص ٣٨ .

٢ ــ أنظر الكامل في التاريخ/ابن الاثير جـ ٨ ص ٢٩ .

٣ ــ المقالات والفرق/للقمي ص ٥٨ ، ٥٩ .

٤ ــ سورة الاسراء آية ٥٠ ، ٥١ .

٥ ــ المصدر السابق ص ٥٩ .

وقد كانت نهاية أبي الخطاب وأتباعه على يد والي الكوفة عيسى بن موسى ، حيث اجتمعوا في مسجد الكوفة وحاولوا قتل الوالي وجنوده ، فقتل اكثرهم ، ثم أتي بأبي الخطاب الى الوالي حيث قتله على شاطىء الفرات(١) .

وكما ذكرنا سابقا ، فان أبا الخطاب هو أحد شيوخ المفضل الجعفي الذي كان أستاذا لابن نصير ولا يزال مقدسا عند النصيريين الى الآن ، ومن يدقق النظر في اعتقادات الخطابية يجد أن غالبية اعتقاداتها قد نقلت نقلا حرفيا الى النصيرية ، فقد أخذت النصيرية جميع تلك الاعتقادات من تحليل وتحريم وتناسخ ووطء النساء وجعلتها اعتقادات خاصة بها(٢) ، وهذا يؤيد قولنا ان الباطنية منذ نشأتها على يد عبدالله بن سبأ كان جميع أتباعها يسيرون على نفس الهدف والغاية التي رسمها لهم أعداء الاسلام وعلى رأسهم أحبار اليهود .

ولقد كانت الاسماعيلية أيضا حلقة أخرى من حلقات الاتصال الرئيسية التي أوجدها أبو الخطاب وباقي حركات الغلو السابقة(٣) . فنجد أتباع أبي الخطاب يلجأون بعد مقتله الى الاسماعيلية مبايعين محمد بن اسماعيل بالامامة(٤) ، ذلك التلميذ المخلص لأبي الخطاب ، والذي إدعى أتباعه بأنه بعث برسالة جديدة وشريعة جديدة(٥) ، تعتمد على التأويل والعلم الباطني .

وكان كل ذلك في محاولة لاسباغ المظهر العلمي(٦) على العقيدة الباطنية الجديدة ، ولاظهارها بمظهر الحركة الاصلاحية التي تنادى بالاصلاح الشامل(٧) لكل أجزاء المجتمع . وامعانا في هذه الطريق الخطرة نظمت العقيدة الاسماعلية لتناسب كل المستويات العقلية في المجتمع ، وتتفق مع اعتقادات جميع الناس ، بحيث تتغير

---

١ ــ فرق الشيعة/النوبختي ص ٥٩ ــ ٦٠ .
٢ ــ أنظر الباب الثالث من هذه الرسالة في موضوع اعتقادات النصيرية .
٣ ــ انظر الفكر الشيعي والنزعات الصوفية/د. كامل الشيبي ص ٢٩ .
٤ ــ فرق الشيعة/النوبختي ص ٦٠ ، ٦١ .
٥ ــ الملل والنحل/الشهر ستاني جـ٢ ص ٢٨ ، ٣٢ على الهامش .
٦ ــ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية/د. كامل الشيبي ص ٣٠ .
٧ ــ تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٣٢ .

الواجبات المنوطة بالمريد كلما ارتفع في فهمه للأسرار الدينية[1] ، ولا تبقي في أعلى مراتبها من الأصول الايمانية الواجبة في الاسلام الا هيكلا خاويا وبناء متداعيا ، لأن هدف الاسماعيلية في النهاية هو هدم كل عقيدة واقعية محددة[2] .

والحقيقة أن ما نجده عند هذه الفرق ــ وبالأخص الاسماعيلية ــ من تصور للدين بأنه معرفة الله معرفة عقلية ، ومن تقسيم الناس طبقات بحسب درجاتهم في المعرفة[3] ، ثم ما نجده من قولهم بنظرية الفيض الافلاطونية[4] ، التي تقوم على المظاهر الدورية للعقل الكلي ، فتبدأ بسلسلة أولها ادم وينتظم فيها نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وتختتم باسماعيل وابنه محمد ويليه مباشرة المهدي الذي يأتي برسالة جديدة تعد من حيث هي مظهراً من المظاهر الدورية أكمل وأعظم مما سبقها ، بل تفوق رسالات من سبقه حتى رسالة النبي محمد ﷺ ، وهذا التطبيق لفكرة المهدية يهدم احدى دعائم الاسلام الأساسية ، ويمحو كذلك صفة أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ــ ، وما للشريعة التي أرسله الله بها من قيمة[5] .

وتحت هذه العناوين والشعارات خرجت هذه الحركة وغيرها من حركات الغلو تروج لهذه المبادىء الهادمة للاسلام المقوضة لأركانه ، هادفين من وراء ذلك أن يعودوا بالبشرية الى غياهب الظلام التي كانت تعيش بها قبل الاسلام ، فاحتالوا لذلك بالقول بالباطن والعلوم السرية وغير ذلك من تلك الألفاظ الغامضة التي أحاطوها بجو من الأسرار وأساليب المكر والمراوغة ، لعلهم يستطيعون بذلك أن يعيدوا مجدهم المندثر ؟!

---

١ ــ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية/د. كامل الشيبي ص ٢٠ ، وتاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٣٢ .

٢ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام/أجناس جولد تسيهر ص ٢٤٠ .

٣ ــ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري/آدم متز جـ ٢ ص ٧٧ .

٤ ــ وهي نظرية قال بها أفلاطون وتقول بفيض الكائنات على مراتب متدرجة من مبدأ واحد ، كما يفيض النور عن الشمس ، والحرارة عن النار .
انظر المعجم الفلفي/مجمع اللغة العربية/القاهرة ص ١٠٥ ، ١٠٧ .

٥ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام/أجناس جولد تسيهر ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

٢ ــ التأويل الباطني ، أصله وكيفية وصوله الى العالم الاسلامي :

« التأويل مشتق من الأول وهو الرجوع يقال آل اليه أي أرجعه ، وعند علماء اللاهوت تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزيا أو مجازيا يكشف عن معانيها ، فالشريعة كما يقول بعضهم مشتملة على ظاهر وباطن لاختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق ، فكان لا بد من اخراج النص من دلالته الظاهرية الى دلالته الباطنية بطريق التأويل ، فالظاهر هو الصور والأمثال المضروبة للمعاني ، والباطن هو المعاني الخفية التي لا تتجلى الا لأهل البرهان ، فالتأويل ــ في نظرهم ــ هو الطريقة المؤدية الى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها »[١] .

والتأويل هو احدى الوسائل الرئيسية التي اتخذتها الحركات الباطنية لجعل عقائدها شرعية وصحيحة ــ على حسب زعمهم ــ ، فكان بالنسبة اليهم أداة صالحة لإيهام الناس أن أرائها متفقة مع نصوص القرآن الكريم .

حتى صارت تلك الحركات ترى في هذا التحوير للمعنى الظاهري السبيل الوحيد لتفهم القرآن ، وبذلك أهملوا التفسير الصحيح ، بل صارت أحكام القرآن في رأي أتباعها غير واجبة الاتباع[٢] . وهم في تأويلهم للقرآن يعتقدون بأن هناك وراء المعنى الحرفي للآيات ــ وهو معنى لا أهمية له في نظرهم ــ حقائق فلسفية تستخلص بالتفسير المجازي ، ولكي يضفوا على هذا التفسير الباطني مسحة شرعية زعموا بأن محمدا ــ ﷺ ــ أفضى لوصيه علي بالمعنى الباطني لآيات القرآن[٣] ، وأن هذا المعنى لا يلقن الا عن طريق التعليم من الامام أو من معلم ينيبه . ويعتقدون أيضا أن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار ، والبواطن والأغوار ، وقنع بظواهرها ، كان تحت الآصار والأغلال ، وأرادوا بالأغلال التكليفات الشرعية ، لأن من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه[٤] .

١ ــ المعجم الفلسفي/د. جميل صليبا جـ ١ ص ٢٣٤ .
٢ ــ دائرة المعارف الاسلامية/مجلد ٤ ص ٥٢٣ .
٣ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام/جولد تسيهر ص ١٥٦ .
٤ ــ فضائح الباطنية/أبو حامد الغزالي ص ١١ ، ١٢ .

والواقع أن استعمال وجوه التأويل الكثيرة يمكن أن ترد الى أشياع الافلاطونية الحديثة ، وبخاصة فيلون اليهودي ، وأوريجانوس النصراني ، « وهذا المزيج (أي الافلاطونية الحديثة) ملفق من فلسفة فيثاغورس وافلاطون وأرسطو ، وأضيف اليه شيء من الفلسفة الهندية »[١] .

وقد تنبه اليهود الى المذاهب الفلسفية التي انتشرت في العالم القديم ، والتي زعزعت أسس الروايات الدينية عندهم ، ولهذا حاولوا أمرين :

١ ــ اقامة أدلة فلسفية على صحة الدين عموما .

٢ ــ تأويل الروايات الدينية بشكل لا يخالف الفلسفة .

وعلى هذا الأساس نشأ في اليهود الاسكندرانيين نفر اتجهوا هذا الاتجاه في التلفيق ، ثم جاء فيلون اليهودي الاسكندراني فنظم آراء المتفلسفين من قومه ، ولكنه لم يستطع أن يخلص تلك الآراء من شوائب التلفيق ولا أن يضمها في نظام واحد أو أن يستر ما فيها من التناقض[٢] .

ويدور أكثر تفلسف فيلون حول شرح التوراة شرحا رمزيا ، فحواء مثلا كناية عن (الحس) والحية كناية عن (اللذة) ، ولقد نفى عن الله جميع الصفات التي وصفته بها التوراة ، فالله في نظره لا يمكن أن يتصل بالعالم ، ولهذا خلق أولا الكلمة وهي في نظر فيلون (الابن الأول لله) ، أما العالم فهو الابن الثاني لله ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ ، وبما أن الانسان لا يستطيع أن يتصل بالله مباشرة ، فقد جعل الله الكلمة والملائكة شفعاء للبشر في توسلهم اليه[٣] .

وبسبب هذه الفلسفة ظهر عند اليهود طائفة (القبالية) نسبة الى (القبالة) وهو كتاب فيه التأويل الخفي للتوراة ، وأهم مسائله هي سرية التعاليم وامكان فك رموز التوراة ، وكذلك رمزية الأعداد والحروف[٤] .

---

١ ــ تاريخ الفكر العربي/د. عمر فروخ ص ١٣٠ .

٢ ــ تاريخ الفكر العربي/د. عمر فروخ ص ١٣١ .

٣ ــ المصدر السابق ص ١٣١ ، ١٣٢ .

٤ ــ المعجم الفلسفي/د. جميل صليبا جـ ٢ ص .

ومن هذا المنطلق وعلى طريقه ظهر أيضا (أوريجانوس) النصراني تلميذ فيلون ، والذي كان أول من عمل على تفسير الانجيل تفسيرا رمزيا سيرا على طريق فيلون والفلسفة الافلاطونية الحديثة ، وكل مدقق في هذا التفسير يرى أحيانا في أبسط المسائل أو في أوضح النصائح معنى دقيقا خفيا[١] . .

وهكذا استطاع أحفاد (فيلون) عبدالله بن سبأ وتلاميذه ، « أن يورثوا الاسلام تركه فيلون اليهودي »[٢] ، وذلك في محاولتهم تفسير القرآن تفسيرا رمزيا بعيدا كل البعد عن معناه الحقيقي ، ليستطيعوا أن يسيروا في مؤامرتهم نحو الهدف المنشود ، وطبقوا في سبيل ذلك مبادىء الفلسفة الافلاطونية الحديثة على أكثر عقائد وشرائع الاسلام ، وأوهموا الانسان العادي أن في فهمه الباطني لشرائع الاسلام ارتقاء الى المعرفة والسمو .

وكان تأويل ابن سبأ لقوله تعالى « ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد »[٣] وقوله : اني لأعجب ممن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد[٤] ، أول تأويل لمعاني القرآن الكريم ، فوضع بذلك هذا المذهب الباطني بما فيه من قول بالرجعة[٥] والذي نشأ عليه مذهب التناسخ وقالت به باقي حركات الغلو الأخرى . وهذا يعني أن عبدالله بن سبأ حاول أن يوجد نفس العوامل الشبيهة التي أدت الى تحريف وتأويل التوراة والانجيل من قبل على غرار ما فعل فيلون وطائفة القبالية . فكان نشره لمبدأ الوصاية بمعنى أن عليا وصي محمد ــ ﷺ ــ من جملة هذه العوامل التي أراد أن تتحقق ، لذا نجده ينادي بعد ذلك بحلول جزء الهي في علي وذريته ، وهو المذهب الذي يرجع الى المؤثرات اليهودية والمسيحية المأخوذة عن الفلسفة الافلاطونية .

---

١ ــ دائرة المعارف/المعلم بطرس البستاني جـ ٤ ص ٦٣٩ .

٢ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام/أجناس جولد تسيهر ص ١٥٦ .

٣ ــ سورة القصص آية ٨٥ .

٤ ــ تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٨ .

٥ ــ فرق الشيعة/النوبختي ص ١٩ ، ٢٠ .

ونستطيع أن نقول بعد ذكر هذه العوامل ، أن الذين جاؤوا بعد ابن سبأ ابتداء من المختار وانتهاء بأبي الخطاب كانوا يسيرون على نفس الدرب الذي وضعه لهم ابن سبأ في تحريف وتأويل شرائع الاسلام . وليس مستغربا بعد ذلك أن تسير الباطنية الاسماعيلية على نفس هذه الطريقة المؤدية الى تطبيق الفلسفة الافلاطونية الحديثة على من يريد الاندماج بها .

فكما أن مذهب الافلاطونية الحديثة يصبو الى التجرد من الحجب الجثمانية ويعود بالانسان الى الوطن السماوي ، وطن النفس الكلية ، فكذلك يجب على من يريد الاندماج في سلك الاسماعيلية أن يزيح عن بصره الحجب المادية التي تغشى الشريعة . وذلك بأن يرتقي الى معرفة تتناهى في السمو والدقة وأن يسمو الى عالم الروحانية المحضة ، لأن الشريعة عندهم ما هي الا واسطة تهذيبية ووسيلة تربوية ، ذات قيمة نسبية وأهمية عرضية وقتية ، وهي تصلح لقوم لم يكتمل نضجهم بعد[1] .

وتبين الحادثة التالية مدى تفسير الاسماعيلية للشريعة تفسيرا مجازيا وتحللهم من قيودها ، وهي أن اسماعيل الذي تنسب اليه الفرقة أنكر امامته خصومه من الامامية الاثنى عشرية لوقوعه في محظور وهو أنه كان يتناول الخمر ، فأصبح غير اهل لأن يلي الامامة ، فرد عليهم مريدوه : ان الله اجتبى شخصا للامامة واصطفاه منذ مولده لتقلد هذا المنصب الخطير في المستقبل ، وطهره من الذنوب والأوزار وأفقده القدرة على اتيانها ، فتحريم الخمر لم ير فيه اسماعيل ومن ثم مريدوه من الاسماعيلية الا معنى مجازيا ، وطبقوا ذلك على الأحكام والفرائض الأخرى كالصيام والحج وغيرها . ويستلخص من نظريتهم هذه ، أنهم تحللوا من كل النواميس الخلقية وأباحوا كل محظور[2] .

ومن الآيات القرآنية التي اتخذتها الباطنية في تفسيرها الرمزي وسيلة لنشر مبادئها قوله تعالى « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا[3] » ، فزعموا أن

---

١ ـ العقيدة والشريعة في الاسلام/جولد تسيهر ص ٢٤١ .
٢ ـ المصدر السابق ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .
٣ ـ سورة نوح آية ١٠ ـ ١٢ .

قوله تعالى « فقلت استغفروا ربكم » أي اسألوه أن يطلعكم على أسرار المذهب الباطني ، وقوله « يرسل السماء عليكم مدرارا » بأن السماء هي الامام ، والماء المدرار العلم ينصب من الامام اليهم ، ومعنى « يمددكم بأموال وبنين » أن الأموال هي العلم والبنين هم المستجيبون ، ومعنى « ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » أن الجنات هي الدعوة السرية أو الباطنية ، والأنهار هي العلم الباطني . وكذلك فسر الباطنية قوله تعالى « كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين »[١] ، أن الشيطان هو (عمر بن الخطاب) ، والانسان هو (أبو بكر الصديق) ، ومعنى أكفر لا تؤمن بامامة على بن أبي طالب . وفسروا أيضا قوله تعالى « الشمس والقمر بحسبان »[٢] أن الشمس والقمر هما الحسن والحسين ، وأن ابليس وآدم المشهوران في القرآن هما أبو بكر وعلي ، اذ أمر أبو بكر بالسجود لعلي فأبى واستكبر[٣] .

اذن فقد كان التأويل والتفسير الباطني للقرآن تنفيذاً واضحاً لتعاليم الفلسفات الغنوصية أو العرفانية ومنها الافلاطونية الحديثة ، التي دخلت الى العالم الاسلامي عن طريق اليهودية متدثرة برداء التشيع لآل البيت ، في مؤامرة خبيثة أرادوا بها تشويه نقاء ووضوح عقائد وشرائع الاسلام بتلك التفسيرات والتأويلات الباطنية المريبة التي تدخل الانسان في ظلمات لا يخرج منها .

وهذه التأويلات لا تمت الى الاسلام بصلة ، وان كان قائلوها يسمون بأسماء اسلامية[٤] ، يقول تعالى « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الألباب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب »[٥] ، فالله سبحانه وتعالى أخبرنا أن الذين في قلوبهم ضلال

١ — سورة الحشر آية ١٦ .
٢ — سورة الرحمن آية ٥ .
٣ — تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٤٣٦ .
٤ — من تعليق الاستاذ احمد شاكر على التأويل في : دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٤ ص ٥٢٤ .
٥ — سورة آل عمران آية ٧ ، ٨ .

وخروج عن الحق الى الباطل ، انما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه الى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها ابتغاء الفتنة لاضلال أتباعهم ايهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن ، وقد روى الامام أحمد عن عائشة (١) قالت : قرأ رسول الله ﷺ : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات » الى قوله « أولوا الالباب » فقال : « فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » وهي رواية البخاري (٢) فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم (٣) » .

فالاسلام دين واضح سهل ، لا رموز فيه ولا ألغاز ، ورسول الله ﷺ قد ترك المسلمين على المحجة الواضحة ، ليلها كنهارها ، فكل من حاد عن هذه السبيل ، فانما أعرض عن الصراط المستقيم ، وتفرقت به السبل ، حتى خرج بعضهم عن طريق الاسلام . ومن ذهب هذا المذهب أو قريباً منه فلا يمكن أن يعد من المسلمين ، ولا أن ينسب قوله الى أقوال أهل الاسلام (٤) .

---

١ — مسند الامام احمد جـ ٦ ص ٤٨ .

٢ — صحيح البخاري كتاب التفسير جـ ٨ ص ٣٤٣ .

٣ — تفسير ابن كثير / تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا ، مطابع الشعب مجلد ٢ ص ٤ — ٦ .

٤ — من تعليق الأستاذ احمد شاكر على التأويل ، دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٤ ص ٥٢٥ .

٣ ـ مصادر الفكر الباطني :

لقد كان تأثير الفكر الباطني الموجود في اليهودية والنصرانية واضحاً في الحركات الباطنية التي ظهرت في العالم الاسلامي ، وهذه المؤثرات جاءت كنتيجة مباشرة للبذور التي بذرها عدد من اليهود وغيرهم من أتباع الملل الأخرى بتظاهرهم باعتناق الاسلام ، ليدخلوا من خلال ذلك الأفكار المسمومة والغريبة في عقائد المسلمين ، فكانت فكرة التشيع لعلي وآل البيت ستاراً ينطلقون منه لتحقيق أهدافهم .

وقد ترك هذا أثره في مفكري تلك الحركات الباطنية التي ظهرت بعد ذلك مما جعلهم يبحثون عن مصدر هذه الأفكار الأصلي ، فوجدوا ضالتهم في الفلسفة اليونانية بما فيها الافلاطونية الحديثة ، وكانت النزعة الباطنية التي تميزت به هذه الفلسفات دافعاً قوياً لأخذ المزيد من أفكارها .

وكان لترجمة المؤلفات الفلسفية اليونانية وانتشارها في القرن التاسع الميلادي أثر واسع في تبلور فكر هذه الحركات (١) ، حيث كانت مدينة الاسكندرية أهم المراكز لدراسة فلسفة اليونان ولاهوتهم ، لكنها لم تكن المركز الوحيد ، ففي شمال سوريا تركزت هذه الدراسة في انطاكية وحران والرها وقنسرين ، وفي العراق الأعلى نشطت في نصيبين ورأس العين (٢) .

وهكذا نشأت في الأسكندرية مذاهب فلسفية كثيرة : الفيثاغورية المتأخرة أو (الحديثة) والافلاطونية المهودة ، والافلاطونية المتأخرة أو (الحديثة) المعروفة بالمذهب الاسكندراني ، وكل هذه المذاهب وسواها مما نشأ في الاسكندرية غلب عليها الاصطباغ بالدين ووضع العقائد الدينية الشرقية في تعابير الفلسفة اليونانية قدر الامكان (٣) .

١ ـ تاريخ الفلسفة الاسلامية / د. ماجد فخري ص ٧١ .
٢ ـ تاريخ الفلسفة الاسلامية/ د. ماجد فخري ص ٢٤ .
٣ ـ تاريخ الفكر العربي / د. عمر فروخ ص ١٥٢ .

ومع أن الأثر الفلسفي الافلاطوني كان له أثر رئيسي في الفكر الباطني بالعالم الاسلامي ، إلا أن للمؤثرات الباطنية الأخرى الموجودة عند من يسمون بالعرفانيين أثر لا يستهان به في أفكار هذه الحركات الباطنية كالصابئة ، والثنوية ، والمانوية ، والديصانية ، والهرمسية ، وغيرهم ، والذين يمكن أن نعرفهم باسم الباطنيين القدماء لكثرة ما في مذاهبهم من الأسرار والاعتقادات والرموز .

وكذلك ينبغي أن نذكر أن هذه المذاهب نفسها كانت من قبل وليدة الفلسفات الشرقية القديمة القائمة على العلوم السرية وتنظيم الجمعيات السرية (١) .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان اهتمام الباطنيين بالمذهب الفيثاغوري النتيجة المباشرة للمؤثرات الاسكندرانية والاغريقية وغيرها مما ذكر ، فالنزعة الباطنية التي تميزت بها الفلسفة الفيثاغورية انسجمت مع ميولهم (٢) . ولذلك فقد وجدت الفيثاغورية الحديثة أكبر تلامذة لها لدى الكثيرين من غلاة الشيعة فكان لفكرة الأعداد والحروف مكان واضح في أفكارهم ولدى طوائفهم المختلفة ، والتي تعتبر الحروف رموزا ترمز الى أعداد ، والأعداد ترمز الى حروف ، كما اعتبرت للحروف خصائص خاصة ، وأفكار الميم والسين والعين لدى الغلاة هي من جملة هذه الأفكار (٣) .

ومن هنا فان عرض هذه المؤثرات والافكار يوضح لنا مصادر الفكر الباطني الرئيسية والتي أثرت بدورها على اليهودية والنصرانية وانتقلت بعد ذلك الى العالم الاسلامي . ويمكننا القول أن المذهب الاسكندراني (٤) الذي انتشر في الاسكندرية بين القرن الثالث (ق . م) والقرن الثالث (ب . م) وانبثقت عنه الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، والذي يقوم على خصائص معينة أهمها : الدقة في التفكير ، والغموض في المعاني ، والتعبير عن الحقائق بالرموز والاشارات (٥) ، له أهمية رئيسية في تاريخ الباطنية بالعالم الاسلامي ، اذ كان جل اعتماد رجالها في افكارهم الباطنية على

---

١ ـــ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري / آدم متز جـ ٢ ص ١٩ ، ٢٠ .
٢ ـــ تاريخ الفلسفة الاسلامية / د. ماجد فخري ص ٢٢٥ .
٣ ـــ هيراقليطس ـــ فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي / د. علي النشار ورفاقه ص ٣٠٦ ، ٣٠٩ .
٤ ـــ لقب يطلق على الفلسفة والحضارة اليونانية التي انتشرت في الاسكندرية .
٥ ـــ المعجم الفلسفي / د. جميل صليبا جـ ١ ص ٨٠ .

فيلسوفها المعروف (أفلوطين) ، والتي تتلخص أراؤه فيما يلي :

١ ـــ الله : في رأي أفلوطين أنه كائن مطلق بسيط لا يدركه الوصف لأنه فوق الادراك .

٢ ـــ الفيض والعالم : وقف افلوطين أمام مشكلة هي (خلق العالم) ، ورأى أن القول بقدم العالم على ما قال أرسطو يقود الى الكفر ، وان القول بخلق العالم حسب ما وردت به الروايات الدينية مناقض للفلسفة ، فأراد أن يلفق مذهباً لا يثير به رجال الدين ولا يخالف الفلسفة في الظاهر فتبنى رأي أفلاطون في الفيض بعد أن خرج من نطاق الفلسفة الى نطاق الدين ، فقال : ان الوجود الأول هو الله ، وان الله يتأمل ذاته فيعقل بذلك نفسه (أي يعلم أنه موجود) حينئذ يفيض أو يصدر عنه كائن واحد هو (العقل) الأول ، هذا العقل هو صورة الله ولكنه ليس الله نفسه . ويعود هذا العقل الأول فيتأمل ذاته فيصدر عنه كائن آخر هو (النفس الكلية) التي تملأ العالم ، وترجع النفس الكلية بالتأمل في العقل الأول فيفيض منها كوائن متعددة هي نفوس الكواكب ... ثم يستمر الفيض فيصدر عن كل كائن كائنات اخر أقل شبها بالعقل الأول المطلق (البريء من المادة) واكثر صلة بالمحسوسات ، حتى تفيض الهيولى ، وهي ادنى دركات الفيض لانها مادة مطلقة فوضى لا صورة لها البتة ، وهكذا نلاحظ أن الفيض انما هو ـــ تسوية ـــ بين الروايات الدينية في خلق العالم وبين الرأي الفلسفي ورأي أرسطو على الأخص .

٣ ـــ النفس : النفس الكلية (التي صدرت عن العقل الأول الصادر عن الله مباشرة) تملأ العالم وتبعث في نشاطه ، وتظهر النفس الكلية في كل كائن حي . أما نسبة النفس الكلية الى النفوس الجزئية (نفوس البشر والنبات والحيوان) فقد ضرب عليها أفلوطين الأمثال فقال مثلا : ان النفس الكلية كنور الشمس المشرق على غرف متعددة ، ففي كل غرفة جزء من نور الشمس نفسه ، ولكنه ليس نور الشمس كله .

٤ ــ أما اتصال النفوس الجزئية بأجسامها فيرجع عند أفلوطين الى هبوط النفس من الملأ الأعلى الى الأجسام التي في الأرض ، فاذا اتصلت النفس بجسد انساني خضعت لشرور وعيوب كثيرة (تأتيها من قبل اتصالها بالمادة) والنفس تحاول دائماً أن ترجع إلى مصدرها الأول ، فاذا سلكت في جسدها سلوكاً كاملا رجعت إلى مقامها الأول في الملأ الأعلى ، والا تقلبت من جديد في أجسام بشر آخرين أو أجسام حيوانات أو أجسام سماوية حتى تتطهر تماماً وتصبح خليقة بالرجوع إلى عالمها الأول .

٥ ــ الاشراق والمعرفة : وهو ورود المعرفة على النفس مباشرة من الملأ الأعلى من غير أن تتطلبها النفس ، وهذا النوع من المعرفة هو المعرفة الصحيحة (١) .

وقد جاء بعد افلوطين تلاميذ له وأنصار لمذهبه ، أمثال كلمنت واوريجانوس ، فكان لهؤلاء الأثر الواضح في امتداد أفكار الافلاطونية الحديثة الى عقائد الأمم الأخرى مثل الصابئة ، والثنوية ، والمانوية وغيرهم . وهؤلاء يعرفون بأهل العرفان أو (العرفانيون والغنوصيون (٢)) ، ويطلق هذا الاسم على المذهب الذي انتشر في القرنين الثاني والثالث للميلاد وخلاصته : العلم بأسرار الحقائق الدينية ، لأن العرفاني هو الذي لا يقنع بظاهر الحقائق الدينية بل يغوص في باطنها لمعرفة أسرارها (٣) .

وهذا المذهب الفلسفي رافق نشأة النصرانية ، وبلغ ذروته في القرن الثالث للميلاد (٤) ، وكان له أثر واضح في عقائد الكثير من فرق ورجال النصرانية ، وخاصة في الذين حاولوا أن يتستروا بالنصرانية كالمرقيون أتباع مرقيون (٥) .

ومع أن الكنيسة النصرانية حاولت أن تقاوم هذا المذهب وأفكاره وترد عليه ، إلا أن النصرانية عادت وأخذت كثيراً من العناصر الغنوصية ، حتى أن الدارسين

---

١ ــ تاريخ الفكر العربي / د. عمر فروخ ص ١٣٢ ــ ١٣٤ .
٢ ــ اسم مشتق من الكلمة اليونانية غنوص Gnosis ــ بمعنى المعرفة ــ
٣ ــ المعجم الفلسفي / د. جميل صليبا جـ ٢ ص ٧٢ .
٤ ــ تاريخ الفكر العربي / د. عمر فروخ ص ١٤٢ .
٥ ــ الفهرست / ابن النديم ص ٤٧٤ .
وتاريخ الفكر العربي ص ١٤٢ .

الذين يريدون ألا يكون بين النصرانية والغنوصية صلة لا يستطيعون أن ينكروا أن عدداً من أقوال المسيح نفسه والمروية عندهم في الأناجيل يمكن أن يجري تأويلها رمزيا يقرب النصرانية من الغنوصية ، ولا شك أن العناصر الغنوصية أكثر ظهوراً في أقوال بولس وفي أقوال غيره من رجال الكنيسة الأولين (١) . ومما يدل على الأثر البالغ للغنوصية في النصرانية النظام المعقد الذي أصطبغت به ولم يكن في طبيعتها الأولى يوم نشأت في بيئتها الآسيوية ، حتى أن بعض الغنوصيين النصارى يقولون : أن الخلاص لا يتم الا بطريق الحكمة وهي ثلاث مراتب أولها : مرتبة العارفين وخلاصهم بالحكمة ، وثانيهما مرتبة المؤمنين وخلاصهم بالايمان ، وثالثهما مرتبة الجهال وهم هالكون لا محالة (٢) .

وينبغي أن نذكر في هذا المجال العرفانيون اليهود ، وعلى رأسهم فيلون اليهودي ، « الذي يعد من أكبر ممثلي النزعة إلى التأويل ، وقد دفعه إلى اتخاذ هذا المذهب الحملة التي قام بها المفكرون اليونانيون على ما في التوراة من قصص وأساطير ساذجة أو غير معقولة ــ على حدزعمهم ــ : مثل برج بابل ، والحية التي أغرت حواء في الجنة ، وغضب الله ، وأحلام يوسف . فاضطر فيلون إلى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه المواضع تأويلا باطنيا . ورأى أن التأويل الباطني هو روح النص المقدس ، وأن التفسير بالمعنى الحرفي للنص سيؤدي إلى الكفر (٣) » .

ومن فيلون انتقلت طريقة التأويل الباطني إلى النصرانية ،وخصوصاً أوريجانوس ،الذي تأثر باستاذيه فيلون وأفلوطين ، وكان أوريجانوس يزعم أن الكتاب المقدس يفسر على ثلاثة أوجه :

١ ــ الرجل البسيط يكفيه جسد الكتاب المقدس .

٢ ــ والرجل المتقدم في الفهم يدرك روح هذا الكتاب .

---

١ ــ تاريخ الفكر العربي / د. عمر فروخ ص ١٤٣ .

٢ ــ ألمعجم الفلسفي / د. جميل صليبا جـ ٢ ص ٧٢ .
وتاريخ الفكر العربي / د. عمر فروخ ص ١٤٣ .

٣ ــ مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوى جـ ٢ ص ١١ ، ١٢ .

٣ ـــ والكامل من الرجال هو الذي يفهم بالناموس النفساني الذي يطلع على الغيب ، وذلك أن اوريجانوس تحت وطأة هجمات المنكرين اليونانيين ، اضطر إلى الاقرار بأن في التوراة استحالات (١) .

ومن هذا العرض التاريخي الموجز لمنهج التأويل الباطني عند اليونان واليهود والنصارى ، لا يسع الباحث إلا أن يتساءل : كيف وصل التأثير اليهودي والمسيحي الباطني إلى أصحاب مذهب التأويل بالباطن في العالم الاسلامي ؟

والجواب على هذا السؤال يرجعنا إلى ابن سبأ اليهودي ، الذي تكاد معظم المصادر التاريخية تجمع على أنه كان من الأشخاص الرئيسيين الذين أوصلوا هذه المؤثرات إلى العالم الاسلامي ، وخاصة أنه من اليهود المقيمين في اليمن الذين امتزجت ديانتهم فيها بالنصرانية . ويؤكد ذلك ما أورده الدكتور عبد الرحمن بدوى نقلا عن فريد ليندر ـــ أحد المستشرقين ـــ الذي انتهى إلى القول بأن مزاعم ابن سبأ بانكاره موت علي رضى الله عنه ، وانه سيرجع من السحاب ما هي إلا أفكار ترجع إلى يهود اليمن وإلى ما يقوله يهود الفلاشا في الحبشة بالذات ، وهي يهودية شديدة التأثر بالنصرانية الحبشية ، فهم يستعملون نفس الكتاب المقدس ، ولغة الكتاب المقدس سواء عند اليهود والنصارى في الحبشة ، والكتب الموجودة عند الفلاشا ، عدا الكتاب المقدس ، حافلة بالأخبار المنتزعة من العهد الجديد ومستمدة مراراً من النصارى مباشرة . وهنا يقرر فريد ليندر أن عقائد الباطنية مأخوذة عن اليهود وما تأثرت به من مذاهب أجنبية أخرى (٢) . وبالاضافة لذلك فان للنقاش المسيحي حول شخصية (يسوع) ، ولتلك النصرانية المفلسفة التي ناقشت طبيعة (المسيح وعيسى) لاهوته وناسوته . وهي التي اختط منهاجه منها أوريجانوس . كان لذلك دون ريب أكبر الأثر في القول بحلول الجزء الالهي في أئمة الشيعة ، ولا شك كذلك في أن ابن السوداء هو الذي نقل هذه النظرية من النصرانية المفلسفة ، وزعمها في علي وذريته (٣) .

---

١ ـــ مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوى جـ ٢ ص ١٣ .

٢ ـــ مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوى جـ ٢ ص ٢٠ ، ٢٨ ، ٢٩ .

٣ ـــ المهدية في الاسلام منذ أقدم العصور وحتى اليوم / سعد محمد حسن ص ٧٩ .

وكذلك كان للنظرية الفلسفية التي تقول بالرجعة أثر لا شك فيه في أصحاب الحركات الباطنية ، وهذه النظرية أيضا في جملتها معتقد يهودي حين اتخذوا من قصة (عزير) حيث أماته الله مائة عام ثم بعثه مبررا للقول بها ، وقد دخل هذا المعتقد أيضا البيئة الاسلامية على يد عبدالله بن سبأ اليهودي حينما زعم برجوع محمد ﷺ [1] . وهذا المعتقد مهد الطريق لأصحاب الفكر الباطني للقول بنظرية التناسخ والمأخوذة أصلا من الفلسفة اليونانية والديانة الهندوكية ، التي تزعم أن لكل الكائنات دورات متعاقبة لا نهاية لها .

والتناسخ عند الهندوس يقوم على انتقال النفس من جسد توفي حديثاً إلى جسد ولد حديثاً ، سواء أكان الجسدان جسدي انسانين أو جسد إنسان وجسد حيوان . والسعادة والشقاء اللذان يلقاهما الانسان عادة في الحياة مرتبان على ما كان قد أسلفه الانسان (يوم كانت نفسه في جسد آخر ، في زمن سابق) وجزاء على ذلك . على أن تقلب النفس العاقلة في الأجساد المختلفة مزعج لها ، اذ هو في الحقيقة حال من الشقاء ، من أجل ذلك يحاول الهندوسي أن يتخلص من التناسخ (من الرجوع إلى الحياة مرة بعد مرة) ليبقى في عالم من العدم لا يشعر فيه بشيء ولا بنفسه [2] .

أما نظرة فلاسفة اليونان إلى التناسخ ، فقد كان (أبنقليس) يرى أن الحياة الحقيقية هي الوجود الالهي المتسامي فوق عالم المادة . أما حياتنا الدنيا فهي عقاب لنا (على ما كنا قد أسلفنا من قبل ــ في دور سابق من حياتنا ــ من السيئات)[3] .

غير أن افلاطون يرى أن النفوس الجزئية ــ أي نفوس البشر ــ المتصلة بالنفس الكلية ، تتأمل دائماً في الألوهية ، فاذا اتفق أن « نفساً » منها غفلت عن تأملها ابتعدت عن الألوهية ، ولا تزال تبتعد حتى تسقط من الملأ الأعلى على الأرض ثم تدخل في جسد ، فاذا مات الجسد رجعت النفس إلى مقرها (بعد أن تكون قد عوقبت على غفلتها بتقلبها في جسد ما)[4] .

---

١ ــ المهدية في الاسلام / سعد محمد حسن ص ٣٨ .
٢ ــ تاريخ الفكر العربي / د. عمر فروخ ص ٤٨ .
٣ ــ المصدر السابق ص ٨٠ .
٤ ــ المصدر السابق ص ١٠٢ .

ومما يذكر أن جميع الطوائف الباطنية تؤمن بالتناسخ إما بين الانسان والانسان كما تقول به الاسماعيلية والدرزية ، أو بين الانسان والحيوان كما تقول به النصيرية ، ويضاف إلى ذلك أن الدروز يؤمنون أيضا بنظرية المعرفة أو (التذكر) والمأخوذة عن افلاطون التي تقول « أن النفس حينما تكون في الملأ الأعلى تكون مطلعة على الصور المثلى جميعها ، فاذا هبطت واتصلت بالجسد نسيت ما كانت قد عرفته ، ولكن كلما وقع نظر الانسان على شيء تذكرت نفسه ، وأنها كانت قد رأت مثل صورة هذا الشيء في الملأ الأعلى » (١) .

وبجانب هذه الفلسفات والأديان التي أخذت عنها الباطنية ، كانت هناك مذاهب دينية تحارب الاسلام أيضا أشد محاربة ، ومن هذه المذاهب : الصابئة ، وقد كان موطن الصابئة في حران ، وعاش فيها الصابئة حتى دخول الاسلام ، وما زالت بقاياهم في العراق حتى الآن ، وقد نسب الصابئة إلى أغازيموس وهرمس (٢) واعتبروا هرمس النبي ادريس عليه السلام ، وقالوا ان للعالم ناظرا حكيما ، مقدساً عن سمات الحدثان ، والناس عاجزة عن معرفة جلاله معرفة مباشرة ، فنلجأ إلى المتوسطات المقربين إليه ، وهؤلاء المتوسطات هم الروحانيون (٣) .

وكما ذكرنا من قبل فان جميع هذه الفرق والاعتقادات يطلق عليها اسم العرفانية أو الغنوصية ، وكلها رغم التفاوت بينها إلا أنها تجمعها خصائص معينة تعم جميع هذه الفرق ، وأهم هذه الخصائص القول بتجسد الاله والاعتقاد بالطقوس والأسرار وبالعدد سبعة باعتبار أنه يمثل آخر الفيوضات ، أما تجسد الاله فجميع الفرق الغنوصية تؤمن باله مخلص يهبط من السماء لتخليص البشر من شرور الحياة ، ويسير على الطريق الذي سار فيه البشر ثم يموت وينهض من الموت ، وفي الفرق العرفانية كذلك عدد عظيم من الطقوس الشكلية في الملابس والمطاعم والسلوك ، ويلحق بهذه

---

١ ــ تاريخ الفكر العربي / د. عمر فروخ ص ١٠٢ .

٢ ــ هرمس هو الاسم الذي أطلقه اليونان على الاله المصري (تحوت) ، وسماه الافلاطنيون المحدثون هرمس المثلث العظمة ، ويطلق اسم الهرسية على جملة من النظريات التي ترق إلى كتب مصرية قديمة تسمى بكتب (طاط) المثلث العظمة . انظر المعجم الفلسفي / د. جميل صليبا جـ ٢ ص ٥١٩ .

٣ ــ الفهرست / ابن النديم ص ٤٤٢ ، ٤٤٥ ونشأة الفكر الفلسفي في الاسلام / د. علي سامي النشار جـ ١ ص ١٠٣ .

الطقـــــوس أسرار دينية ورموز دالة على معان مطوية عن غيرهم ، أما الاعتقاد بالعدد سبعة فهم جميعاً يعتقدون أنه يمثل أخر الفيوضات أو القوى السبعة والمتمثلة بالكواكب السبعة التي تدبر العالم وتؤثر فيه ، وهذه الفرق جميعها لها طقوس معينة للقبول بسلكها تسمى (الاجتباء) ، لأن هذه الفرق تدين بالباطنية ، ومن أجل ذلك لا يباح بأمور العقيدة إلا للمجتبين الذين قبلهم رؤساء الفرقة وصرحوا لهم بالأسرار بمقادير مختلفة باختلاف سن هؤلاء المقبولين وباختلاف قدرتهم على فهم وجوه العقيدة (١) .

وقد أثرت الغنوصية في عدة طوائف باطنية ظهرت بالعالم الاسلامي ، وكان للافلاطونية الحديثة ـــ غنوص ـــ تتمثل فيه كل صفات المذاهب الغنوصية ، وقد تلاقى هذا الغنوص مع غيره من غنوصات مختلفة مما ذكرنا ـــ ، وحاولت أن تنفذ إلى أعماق الحياة الاسلامية فدخلت في الحديث ، وقد عدد الباحثون المحدثون أحاديث قدسية ، وضعت بعد عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، وفيها تلك الصبغة الافلاطونية المحدثة مثل قولهم « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أكرم علي منك ، بك آخذ ، وبك أعطي ، وبك أثيب ، وبك أعاقب (٢) هذا الحديث اعتبر قدسيا ، بينما كان غنوصيون هم الذين أنطقوا افلوطين بلسان النبي ﷺ (٣) .

والاسماعيلية من الفرق الباطنية التي استقت أفكارها من الغنوصية ، « فالتوحيد في نظرها ليس لله وإنما هو للعقل الفعال والمبدع الأول ، فهو الواسطة بين الله وبين عباده ويأتون بحديث قدسي موضوع يقول فيه الله مخاطباً العقل : أنت فتقي ورتقي ، والمشرق مني على خلقي ، بك آخذ حقي ، بك أنجز وعدى ، فوعزتي وجلالي ، لا أصل من يجحدك ، ولا يعرفني من أنكرك ، فأنت مني بلا تبعيض ، وأنا فيك بلا حلول ، وفي منتهى لطائف العقول (٤) .

---

١ ـــ تاريخ الفكر العربي / د. عمر فروخ ص ١٤٤ ، ١٤٥ بتصرف وايجاز .

٢ ـــ حديث موضوع / انظر كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس لاسماعيل بن محمد العجلوني جـ ١ ص ٢٣٧ ـــ ٢٦٣ .

٣ ـــ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام / د. على النشار جـ ١ ص ٨١ ، ٨٢ .

٤ ـــ أربع رسائل اسماعيلية / تحقيق عارف تامر ـــ رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس ، لشهاب الدين أبو فراس ص ١٧ .

ومن هذا الاعتقاد الغنوصي تقدس الاسماعيلية أئمتها أيما تقديس ، لأن الامام في نظرهم هو العقل ، والعبادة والتقديس والمعاد متجهة إليه . والاسماعيلية مليئة بالطقوس والأسرار الباطنية ولها طريقة خاصة ودستور معين لدخول المجتبين في الدعوة (١) ، وكل هذه الاعتقادات والأفكار ترجعنا إلى خصائص واعتقادات الفرق الغنوصية وخصوصاً الافلاطوينة الحديثة وأفكارها التي سربت إلى عقائد اليهود والنصارى .

ولا يفوتني في هذا المجال أن أذكر أن هذه الاعتقادات تؤمن بها جميع الفرق الباطنية الموجودة الآن في العالم الاسلامي وأخص بالذكر الدرزية والنصيرية ، فهاتان الفرقتان تؤمنان بنظرية الفيض الافلاطوينة ، فالدروز يزعمون أن الههم (الحاكم) فاض عنه العقل وهو حمزة بن علي مؤسس هذه الفرقة ، أما النصيرية فتزعم أن الاله وهو علي بن أبي طالب ــ تعالى الله عن ذلك ــ قد فاض عنه الاسم والباب ، وهما محمد ﷺ وسلمان الفارسي . وبالاضافة إلى ذلك فهم يؤمنون بتجسد الاله ، وبالطقوس والأسرار الواضحة في عقائدهم (٢) .

ونستطيع أن نقرر بعد هذا العرض ، أن مصادر الفكر الباطني لدى هذه الحركات ليست من الاسلام في شيء ، وإنما هي أفكار دخيلة على عقائد الاسلام تستر أصحابها بها ، هادفين من وراء ذلك هدم المجتمع الاسلامي بعقائد وأساطير حطمها الاسلام ، فلم يجدوا أمامهم إلا هذه الطرق ، التي تدل على الحقد الدفين في قلوبهم ونفوسهم على هذا الدين وأهله . وتحت لواء هذه الفرق والحركات التي اتخذ دعاتها الاسلام ستارا لاخفاء اغراضهم ، روجت الدعاية السرية مبادىء باطنية غنوصية هادمة للاسلام مقوضة لأركانه ؟! .

---

١ ــ انظر أربع رسائل اسماعيلية / الرسالة الثالثة ــ الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ــ للطيبي ص ٤٩ .

٢ ــ انظر الأبواب الثلاثة القادمة عن الاسماعيلية والدرزية والنصيرية .

٤ ـــ التقية ، حقيقتها وأصلها الباطني :

التقية بالفتح ثم بالكسر ، لغة : الخوف والحذر والكتمان ، واصطلاحا : ترك فرائض الدين في حالة الاكراه أو التهديد بالايذاء . وهي إحدى عقائد الشيعة الرئيسية على اختلاف طوائفها ، فالشيعي لا يستطيع أن يخفي مذهبه ويكتم عقيدته فحسب ، بل يجب عليه أن يفعل ذلك وان يبالغ في الاخفاء والكتمان ، فأصبحت هذه العقيدة صفتهم المميزة وسمة مألوفة في سيرهم (١) .

وقد آمنت الشيعة بهذه العقيدة ، حتى تستطيع أن تحرك قواها عبر الدعاية الخفية المستترة ، فكثرت أسرارها العقائدية التي لا يجوز البوح بها للاخرين ، فاستعان بها دعاة التشيع وجعلوها مبدأ من مبادئهم الأساسية مستهدفين من وراء ذلك عدم افشاء أسرارهم ليوهموا الناس أنها مقدسة ؟! .

ومع أن الشيعة يعتمدون في عقيدتهم هذه على تأويل الآية الكريمة : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير » (٢) . إلا أن الاصول التي يعتمد عليها دعاة التشيع في عقائدهم وخاصة الغلاة منهم ، تظهر أن اصول التقية كما يتصورها هؤلاء مستقاة من عقائد وفلسفات غريبة عن الاسلام وأصوله .

ولقد كان أفلاطون أحد هؤلاء الفلاسفة ، الذين كانوا يعتمدون على السرية التامة في اظهار أفكارهم الحقيقية ، فقد كان يورد فكرة واحدة بعبارات مختلفة ويجعل لكل واحدة معاني مختلفة أو متناقضة ، وخاصة عند كلامه عن المسائل الالهية فانه يذكر أنه من المستحيل كشفها لكل الناس لان النور الذي يفيض من هذه الحقيقة يبهر أعين العامة ، ولا يمكن إلا لنخبة الأفاضل أن يمعنوا فيه النظر اذا استكملوا شروطاً بعددها .

---

١ ـــ انظر لسان العرب مجلد ١٥ ص ٤٠٢ ، ودائرة المعارف / محمد حسين الأعلمي جـ ١٤ ص ١١٣ ، ودائرة المعارف الاسلامية مجلد (٥) ص ٤١٩ ، ٤٢١ .
والعقيدة والشريعة في الاسلام / جولد تسيهر ص ٢٠١ .

٢ ـــ سورة آل عمران آية ٢٨ .

والظاهر أن افلاطون كان يقتدي بكهنة مصر وبعض من سبقه من الفلاسفة باتخاذه تعليمين سريا وجهرياً ، فالأول كان للداخلين في مذهبه وكان يعلمهم اياه شفاها لا كتابة ولا يكتم عنهم شيئاً ، والثاني للعامة كان يعلمهم اياه كتابه (١) .

وقد أنشأ (أمونيوس) سنة ٢٣١ م مدرسة للحكمة في مكان يدعى ليسيوم ، فكان قبل الظهر يعلم أصدقاءه من الطلبة بطريقة فلسفية وكانت تلك الدروس تسمى خصوصية ، وكان عند المساء يعلم جمعاً غفيراً ويشرح لهم أمورا أعم فكانت تلك الدروس تسمى عمومية (٢) .

والسرية في العقائد وعدم اظهارها أمام العامة ، كانت معروفة أيضا في الهندوسية ، فكتاب (الأوبانيشاد) ــ المقدس عندهم ــ « اعتبرت مـواده مـن القدسية بحيث لا يجوز ترديدها بحضوَر الطبقات الدنيا ، باعتبارها أسرارا خاصة لا يمكن أن تباح أمام هؤلاء »(٣).

أما فيلون اليهودي ، فقد كان فهمه للتأويل الباطني ، له علاقة بفهمه للحقيقة الخافية في الأسرار ، « فالحقيقة ــ في نظره ــ لا ينبغي الافضاء بها الا لعدد صغير وبحذر وحيطة ، فان آذان العامة الجهلاء بهذه الناحية لا تقدر على مسعها واحتوائها ، ومن ثم ليس للحكيم أن يكشف الحجاب عن الحقيقة لكل أحد ، بل انه ليعرف كيف يكذب أحياناً في هذا السبيل ، مدفوعاً بالتقوى والرحمة وحب الانسانية ؟! (٤) » .

والفرق الغنوصية المنبثقة عن الأفكار الافلاطونية الحديثة مثل المانوية والديصانية والصابئة ، كانت تقوم أيضا على طقوس وأسرار دينية ورموز دالة على معان مطوية عن غير الغنوصيين ، وتدين هذه الفرق كذلك بالباطنية وكتمان أمور

١ ــ دائرة المعارف / المعلم بطرس البستاني جـ ٤ ص ٦٥ ، ٦٦ .
٢ ــ المصدر السابق جـ ٣ ص ٧٦ .
٣ ــ حكمة الأديان الحية / جوزيف كاير ص ١١٢ .
٤ ــ الآراء الدينية والفلسفية لـ (فيلون الاسكندري) / أميل بريهن ص ١٤ .

العقيدة ، من أجل ذلك لم يكن يباح بأمور العقيدة إلا للمجتبين ، أما غير هؤلاء فكان اسمهم (السماعين) أي المنتسبين إلى الفرقة والمكتفين بسماع ما فيها من أمور الدين الظاهر من غير اطلاع على أسرار العقيدة (١) .

بعد هذا الاستعراض التاريخي لعقيدة الكتمان والسرية الموجودة عند الأمم الأخرى ، نستطيع أن نتبين هدف دعاة التشيع في جعلهم التقية عقيدة واجبة على كل من دخل في مذاهبهم ، لذلك نجدهم يحاولون جاهدين أن يظهروا لأئمتهم علم باطني أوحاه جبريل للنبي ﷺ ، وأسره عليه الصلاة والسلام إلى علي بن أبي طالب وتناقلته الأئمة من بعده إلى بعضهم البعض (٢) « وهذا العلم الباطني يشمل ـــ على حد زعمهم ـــ حقائق الدين وكافة حوادث العالم ، فعلي لم يعرف المعنى الحقيقي للقرآن الخفي عن الفهم العادي فحسب ، ولكنه ألم أيضا بكل ما سوف يحدث حتى يوم القيامة ، وعرف كل فتنة كانت إلى ذلك الوقت ، ومن أجل ذلك فالايمان بهذا العلم الباطني ـــ الذي خص به علي ـــ قد أتاح للشيعة أن يصنفوا طائفة من المؤلفات الدينية الغريبة ، زاعمين أنها تشمل على هذا الوحي الخفي ـــ وقد انتقل علم علي برواية خفية ، تناقلها الأئمة الذين تبعوه ، فهم يتلقون الوحي ولا يستطيعون أن يعلنوا سوى الحق وهم أيضا السلطة العليا المفردة التي بيدها التعليم والهداية ونشر الفرائض والأحكام الالهية والنبوية وتأويلها (٣) » .

ولكن رغم هذا التبرير الملفق من قبل القائلين بالتقية ، إلا أن بعض مفكريهم قد أكدوا أن أسيادهـــم الروحيين في علومهم الباطنية هم أرسطو وافلاطون وفيثاغورس ، وهذا ينقض قولهم الأول في زعمهم أن هناك علماً باطنياً لدى أئمتهم توارثوه عن النبي ﷺ عن طريق علي ابن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ ، يقول عبدالله النجار (الكاتب الدرزي المعاصر) : « الباطنية مذهب خفي اتخذه أصحابه وقاء من نقمة الحانقين والغوغاء وطوروه على معان خصت بها فئة مختارة من العارفين ، شرعه اليونانيون القدماء ، وحصروا أسراره بالمطلعين من النبهاء ، فهو

---

١ ـــ تاريخ الفكر العربي / عمر فروخ ص ١٤٤ .

٢ ـــ مؤمن الطاق / الشيخ محمد حسين المظفر ص ٥٢ .

٣ ـــ العقيدة والشريعة في الاسلام / جولد تسيهر ص ٢١٢ .

منسوب الى أرسطو وافلاطون وأتباع فيثاغورس . من هذه المصادر الثلاثة انحدر المذهب الى الدروز الذين يعتبرون هؤلاء الفلاسفة أسيادهم الروحيين ، فطبقوه على التعاليم الاسلامية ، ثم حاطوه بالحذر والكتمان حتى اليوم ، كما أنه استهوى سواهم من الفرق الباطنية في الاسلام المتفتحة للتيارات الفلسفية . انه في الأصل اجتهاد فلسفي لادراك الحقيقة الالهية ، وتجريد للروح من سطحية المعتقد الديني ؟! وشوق صوفي للدنو من معرفة الله ، استعمل أتباعه ألفاظا واصطلاحات خاصة لا يفهم مؤداها الا المؤتمنون على الأسرار حفاظا على سلامتهم من أهل السنة ؟! فيما يذهبون اليه ، وتسهيلا لبثه دون استثارة من يخالفهم فيه »[1] .

ويزعم دعاة الباطنية أن جعفر الصادق هو أول من أظهر هذه العقيدة وأمر أتباعه بها ، لذلك فقد امتلأت كتبهم بالكثير من الروايات المزعومة عن جعفر في وجوب هذا المعتقد ، مع أن المصادر غير الشيعية تنفي هذه الصفة عن جعفر الملقب فيها (بالصادق) .

وقد جاءت روايات كثيرة في كتبهم عن كيفية أخذهم بالتقية ، فقد روي أن سليمان بن جرير — احد دعاتهم — هو الذي قال لأصحابه : ان أئمة الشيعة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معها من أئمتهم على كذب أبدا ، وهما القول بالبداء واجازة التقية ، فأما البداء فان أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ويكون ، والإخبار فيما يكون في غد ، وقالوا لشيعتهم انه سيكون في غد وفي غابر الايام كذا وكذا ، فان جاء ذلك الشيء على ما قالوه لهم : ألم نعلمكم أن هذا يكون ، فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء ، وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت . وان لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا انه يكون على ما قالوا ، قالوا لشيعتهم : بدا الله في ذلك فلم يكن . وأما التقية فانه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف وأبواب ، فأجابوهم فيها ، وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوهم وكتبوه ودونوه ، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد وتفاوت الأوقات ، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدةأجوبة مختلفة

---

١ — مذهب الدروز والتوحيد/عبدالله النجار ص ٢٨ .

متضادة ، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة ، فلما وقفوا على ذلك منهم سألوهم عنه ، وأنكروه عليهم ، وقالوا : من أين جاء هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك ؟ فقالت لهم أئمتهم : انما أجبنا بهذا للتقية ، ولنا أن نجيب كيف شئنا ، لأن ذلك الينا ، ونحن أعلم بما يصلحكم وما فيه بقاؤنا وبقاؤكم ، وكف عدونا وعدوكم عنا وعنكم ، فمتى يظهر من هؤلاء كذب ؟ ومتى يعرف حق من باطل ؟ [1].

وقد كانت التقية سببا في خروج كثير من الناس على أئمتهم من الشيعة ، فقد جاء في أحد الروايات أن أحد رجالهم (عمر بن رياح) زعم أنه سأل أبا جعفر (محمد بن جعفر) عن مسألة فأجابه بجواب ، ثم عاد اليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه بخلاف الجواب الأول ، فقال لأبي جعفر : هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي ، فقال له : ان جوابنا ربما خرج على وجه التقية ، فشك في أمره وامامته ، فلقي رجلا من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له : اني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ، ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف جوابه الأول ، فقلت له : لم فعلت هذا ؟ فقلت : فعلته للتقية ، وقد علم الله أني ما سألته الا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به ومثوله والعمل به ، فلا وجه لاتيانه اياى ، وهذه حالي ، فقال له محمد بن قيس : فلعله حضرك من اتقاه ، فقال : ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري ، ولكن جوابيه جميعا خرجا على وجه التبخيت ، ولم يحفظ ما أجاب به ، فرجع عن امامته ، وقال لا يكون اماما من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال ، ولا يكون اماما من يفتي بتقية بغير ما يجب عند الله ، ولا يسع الامام الا الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [2] .

هذا وتعتمد الشيعة على اختلاف طوائفها ، أقوالا منسوبة لأئمتهم ، وخاصة لجعفر الصادق تحض على التقية وكتمان الأسرار ، وتدل على أن لديهم علوما باطنية

---

١ — فرق الشيعة/النوبختي ص ٥٥ ــ ٥٦ ، والمقالات والفرق/القمي ص ٧٨ ، ٧٩ .
٢ — فرق الشيعة/النوبختي ص ٥٢ ، ٥٣ ، والمقالات الفرق/للقمي ص ٧٤ ، ٧٥ .

لا يعلمها غيرهم ، فهذا أحد الذين يزعمون أنه من أئمتهم وهو الامام الرابع (علي زين العابدين) ينسبون إليه قوله :

« ورب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا »[1] .

أما الاقوال المنسوبة لجعفر الصادق فهي كثيرة في التأكيد على وجوب هذا المعتقد ، من هذا قوله : « من لا تقيـة له لا دين له ــ والتقية ديني ودين آبائي ــ ومن أذاع لنا سرا أذاقه الله برد الحديد ــ وأمرنا سر مستور في سر ، وسر مستسر ، وسر لا يفيده الا سر ، وسر على سر مقنع بسر »[2] .

وقد عمد دعاة الباطنية الى كتابة بعض الرسائل الملفقة على لسان أئمتهم لاظهار مشروعية السرية والكتمان ، وهذا أحد مشايخهم المحدثين ينشر رسالة عن حياة (شيطان الطاق محمد بن علي بن النعمان المعروف بباطنيته) ، فيأتي بأقوال ووصايا مزعومه له أوصاه بها جعفر الصادق تحض على السرية والتقية ، معتبرا اياها حجة المؤمن التي لولاها ما عبد الله[3] .

ويستدل أصحاب التقية على مبدئهم بأقوال موضوعة ، وأفعال مزعومة عن رسول الله ﷺ وصحابته ــ رضوان الله عليهم ــ ، فهم يزعمـون أن النبي ﷺ قد بث علي بن أبي طالب وبعض صحابته علوما وأسرارا خفية ، أخفاها عن بقية صحابته لأنهم ليسوا أهلا لذلك ، « والغرض من ذلك ــ على حد زعمهم ــ اخفاء أسرار الله تعالى عن غير أهلها ، لأنها ما زالت كذلك مخفية عن غير أهلها ، مودعة عند أهلها »[4] .

أما أهل الأسرار الربانية ، الذين خصهم رسول الله ﷺ بالعلوم الباطنية ، فهم قلة ، ومن هؤلاء سلمان الفارسي الذي يعتبر عند دعاة الباطنية صاحب السر العظيم ، ويلفقون لذلك حديثا على لسان النبي ﷺ وهو يخاطب أبا ذر بقوله :

---

١ ــ تاريخ العلويين/محمد أمين غالب الطويل ص ٢٤٩ .

٢ ــ أنظر عقائد الامامية/محمد رضا المظفر ص ٨٤ ، وكتاب أربع رسائل اسماعيلية/عارف تامر ص ٣٤ ، وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار/شيخ محمد حيدر املي ص ٣٣ .

٣ ــ انظر كتاب مؤمن الطاق/محمد الحسين المظفر ص ٥٠ ــ ٥٢ .

٤ ــ كتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار/شيخ سيد حيدر املي ص ٢٥ ، ٢٦ .

« لو علم أبو ذر ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره » ، ومنهم أيضا أبو ذر الغفاري ، وأويس القرني اللذين اطلعا على أسرار الله تعالى كشفا وذوقا[١] .

ويؤول أصحاب هذا المذهب قوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها »[٢] . بأنه أمر من الله بوجوب اخفاء أسراره وتأديتها الى أهلها ، لأن هذا السر لا زال كذلك مستورا مخفيا مودعا عند أهله مضنونا به على غيرهم[٣] .

وعليه فان من اليسير علينا أن نتصور — كما قال جولد تسيهر — : أي مدرسة للمخاتلة والغدر تنطوي عليها تعاليم مبدأ التقية[٤] ، فقد أوجدت في بيئة التشيع نظرية خلقية أفردتهم بصفة بارزة هي المكر والمراوغة .

أما محاولات دعاة التشيع ابعاد هذه الحقائق عن مبدئهم هذا ، فهو في الواقع مداراة عن الحقيقة الساطعة ، فهم يزعمون أن التقية عندهم ليس معناها أن تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب ، كما أنه ليس معناها أيضا أن تجعل الدين وأحكامه سرا من الأسرار التي لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به[٥] .

ويبررون قصة عمر بن رياح مع محمد بن جعفر بأنها تماثل اجابة جعفر الصادق لأحد رجاله عندما سأله عن غسل القدمين في الوضوء ، فأجابه بالايجاب ، ولم يكن جوابه بذلك الا تقية لخوفه من هارون الرشيد الذي كان يترصده وينظر ما يخفي[٦] .

ولكن النصوص الواردة في هذا المجال — والتي ذكرناها سابقا — تنفي بشكل قاطع كل هذه الادعاءات ، فالتقية عند جميع طوائفهم « واجبة ، من تركها فقد خرج عن دينه وخالف الله تعالى ورسوله والأئمة »[٧] . لأنه بذلك قد باح بالسر لغير أهله .

---

١ — المصدر السابق ص ٢٧ .
٢ — سورة النساء آية ٥٨ .
٣ — كتاب جامع الأسرار ص ٢٢٦ .
٤ — العقيدة والشريعة/جولد تسيهر ص ٢٠٣ .
٥ — عقائد الامامية/محمد رضا المظفر ص ٨٥ .
٦ — المقالات والفرق/للقمي ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ من تعليقات المحقق الدكتور محمد جواد مشكور على موضوع التقية .
٧ — كتاب جامع الاسرار ومنبع الانوار/شيخ سيد حيدر أملي ص ٢٢٧ .

أما موقف الاسلام من معتقدهم هذا ، فهو الرفض البات بأن يكون الاسلام سرا من الأسرار ، « لأنه دين ظاهر لا باطن فيه ، وجهر لا سر تحته ، وكل من ادعى أن النبي ﷺ خص أحدا من الناس بعلم كتمه عن جمهور صحابته فقد كذب على رسول الله ، فانه عليه الصلاة والسلام لم يكتم من الشريعة كلمة ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة أو عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه الصلاة والسلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم اليه ولو كتمهم شيئا لما بلغ كما أمر »[1] .

كما أن عليا رضي الله عنه كان ينكر أن يكون رسول الله ﷺ قد خصه بشيء من علوم وأسرار ، ففي رواية الشعبي عن أبي جحيفة قال : سألنا علي رضي الله عنه ، هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء بعد القرآن ، قال : لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، الا فهم يؤتيه الله عز وجل رجلا في القرآن ، أو ما في الصحيفة ، قلت : وما الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر[2] . وفي رواية ابراهيم التيمي عن أبيه أن علي رضي الله عنه قام خطيبا فقال : من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه الا كتاب الله وهذه الصحيفة ، صحيفة فيها أسنان الابل وأشياء من الجراحات فقد كذب[3] .

أما ادعاءاتهم في تفسيرهم لقوله تعالى في سورة المائدة « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء .... » فهو تعد على الحق ، واخراج عن أصل المعنى ، وتفسير هذه الآية الصحيح : هو أن يكون المؤمن بين الكفار وحيدا أو في حكم الوحيد ، والكفار لهم الغلبة والكثرة فمباح له أن يتقيهم حتى يجعل الله له منهم مخرجا ، ولا تكون التقية بأن يدخل معهم في انتهاك محرم ، أو استحلال محرم ، بل التقية بالقول والكلام[4] .

---

١ ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل/ابن حزم جـ ٢ ص ١١٦ .
٢ ــ مسند الامام احمد/طبعة المكتب الاسلامي ــ بيروت مجلد ١ ص ٧١ .
٣ ــ المصدر السابق مجلد ١ ص ٨١ .
٤ ــ دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٥ ص ٤٢٣ ــ من تعليق الاستاذ احمد شاكر على التقية .

فالتقية التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية ، انما هي تقية من الكفار لا من غيرهم[1] ، واذا كان الرجل ــ المتقي ــ في قوم كفار[2] . وليس كما تصوره أخبارهم بأن (الكتمان جهادنا) ، ويعنون بذلك جهاد أصحاب المذاهب الأخرى من المسلمين أولا وقبل كل شيء[3] .

ومما يرد على قولهم في نسبة التقية الى الأنبياء ومنهم النبي ﷺ قوله تعالى لنبيه[4] : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس »[5] فتبليغ الرسالة واظهارها أمر من الله وواجب على نبيه عليه الصلاة والسلام وصحابته وكل من تبعه الى يوم الدين .

كما أن التقية التي يؤمنون بها ، تخالف بوضوح فهم المسلمين لها ، فهي في نظر الباطنيين تدل على حجب الأسرار الربانية والحقائق الالهية عن جمهور عامة الناس ، لأن هؤلاء أقل ادراكا من معرفة هذه الخفايا والأسرار ، لذا قالوا بالتقية حتى يستطيعوا أن يخفوا هذه الأسرار ــ كما يزعمون ــ عن أهلها .

والحقيقة أن غرضهم من ذلك أولا وأخرا ، تضليل عامة الناس عن حقيقة معتقدهم تسهيلا لبثه بينهم دون استثارة أحد منهم ، وبالتالي يكونون في مأمن من أهل الاسلام ، بتظاهرهم به .

---

١ ــ تفسير الطبري بتحقيق احمد ومحمود شاكر مجلد ٦ ص ٣١٦ .

٢ ــ تفسير الفخر الرازي جـ ٨ ص ١٤ .

٣ ــ دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٥ ص ٤٢٢ .

٤ ــ سورة المائد آية ٦٧ .

٥ ــ روح المعاني/الألوسي جـ ٣ ص ١١٠ .

الباب الأول

الاسماعيلية والأصول الباطنية التي قامت عليها وأهم الحركات التي نشأت عنها وتطورها

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : نبذة عن نشأة الاسماعيلية ، والانقسامات التي حدثت فيها وتطورها .

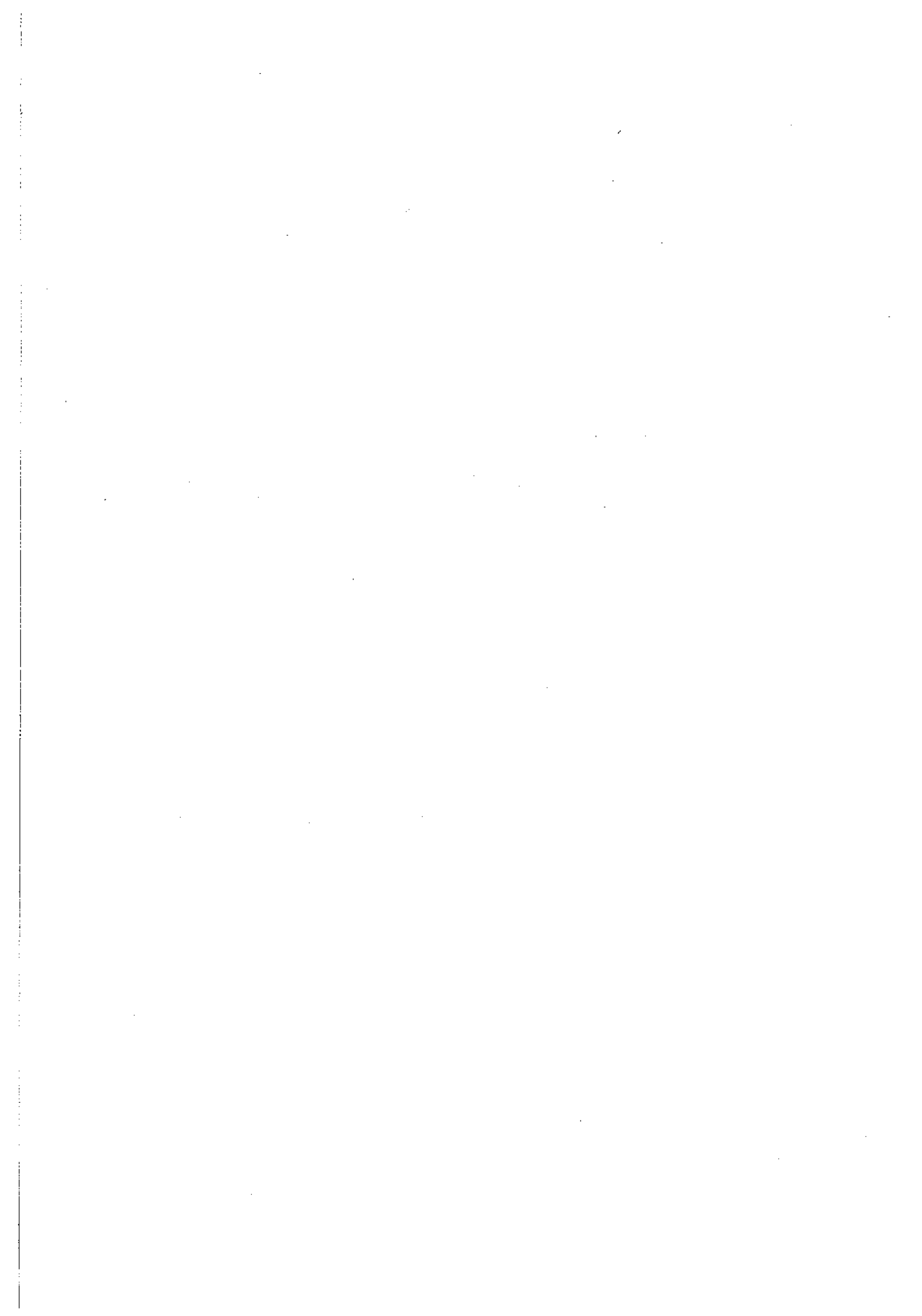
الفصل الثاني : الجانب الباطني في عقائد الاسماعيليين .

الفصل الثالث : القرامطة .

الفصل الرابع : عقائد القرامطة .

الفصل الخامس : إخوان الصفاء وخلان الوفاء .

الفصل السادس : الجانب الباطني في رسائل إخوان الصفاء .



الفصل الأول

نبذة عن نشأة الاسماعيلية ، والانقسامات التي حدثت فيها ، وتطورها

تقدم القول فيما سبق عن كيفية ظهور الاسماعيلية[1] ، حيث ذكرنا أن الاسماعيلية فرقة من فرق الشيعة ، سميت بهذا الاسم نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، حينما انقسمت الشيعة على نفسها بعد وفاة جعفر الصادق ، اذ تبعت جماعة موسى الكاظم بن جعفر وسميت بالامامية الاثنى عشرية ، وصدقت أخرى ادعاءات أتباع اسماعيل وابنه محمد بحقهما في وراثة الامامة عن جعفر . مع أن اسماعيل كان قد توفي قبل وفاة أبيه بخمس سنين سنة ١٤٣ هـ ، وأراد جعفر أن يؤكد وفاة ابنه بأقوال شهود عديدين ، فكتب محضرا بذلك وأشهد عليه والي المدينة[2] .

ويظهر أن جعفراً أراد من ذلك أن يمنع الغلاة من الشيعة ، الزعم بعدم موته ، ولكن احتياطات جعفر لم تعط النتائج التي يريدها ، اذ انقسم أتباعه بعد ذلك الى ثلاث فرق :

الأولى : قالت بامامة موسى الكاظم وعرفوا بالاثنى عشرية .

الثانية : قالت انها منتظرة لاسماعيل[3] ، لأن اسماعيل لم يمت ، ولكنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس[4] .

---

١ ـــ أنظر نشأة الباطنية وأفكارها في التمهيد .
٢ ـــ أنظر الفصل في الملل والأهواء والنحل/الشهر ستاني جـ ٢ ص ٥ ـــ على الهامش ـــ .
٣ ـــ الفرق بين الفرق/البغدادي ص ٦٣ .
٤ ـــ الفصل في الملل/الشهر ستاني جـ ٢ ص ٥ .

الثالثة : قالت أن جعفرا نصب ابنه اسماعيل للامامة بعده ، فلما مات اسماعيل في حياة أبيه ، علمنا أنه انما نصب اسماعيل للدلالة على امامة ابنه محمد بن اسماعيل[1] ، فالنص لا يرجع قهقرى ، والفائدة في النص بقاء الامامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره ، وهؤلاء يقال لهم المباركية[2] . نسبة الى مولى لاسماعيل اسمه المبارك .

ويطلق على الاسماعيلية عدة ألقاب وأسماء ، منها الباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر ، ومنها السبعية لاعتقادهم أن أدوار الامامة سبعة ، فمحمد بن اسماعيل انتهى دور الامامة له ، اذ كان هو السابع من محمد ﷺ ، وأدوار الامامة سبعة سبعة عندهم ، فأكبرهم يثبتون له منصب النبوة ، وأن ذلك يستمر في نسبه وعقبه[3] .

والحقيقة أن جذور الاسماعيلية نجدها في شخصيتين قياديتين خطيرتين ، شخصية اسماعيل بن جعفر ، وشخصية أبي الخطاب[4] ، اللذين سعيا معا لتأسيس حركة تتخذ من التشيع طريقا سهلا للخروج عن تعاليم الاسلام وهدمها .

ومما يؤكد هذا ، أن جعفرا قد كذب أبا الخطاب وتبرأ من جميع أعماله وأقواله . ويعزز ذلك أيضا أن القمي والنوبختي[5] ــ وهما من مؤرخي الفرق عند الشيعة ــ قد ربطا بين الخطابية والاسماعيلية ، واعتبرا الاسماعيلية امتدادا للخطابية في عقائدها وأفكارها .

حتى ان أبا الخطاب لما مات تحول أتباعه الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وأعلنوا ولاءهم له ، فكانت فرقة الاسماعيلية هي الخطابية نفسها[6] .

---

١ ــ الفرق بين الفرق/البغدادي ص ٦٣ .
٢ ــ مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٠١ ــ والفصل في الملل/الشهر ستاني جـ ٢ ص ٥ .
٣ ــ فضائح الباطنية/الغزالي ص ١١ ، ١٢ .
٤ ــ هو محمد بن أبي زينب الذي سبق ذكره في التمهيد .
٥ ــ المقالات والفرق/القمي ص ٥٩ ، وفرق الشيعة/النوبختي ص ٦١ .
٦ ــ أصول الاسماعيلية/برنارد لويس ــ نقلا عن الكشي ص ٧١ .

ويبدو أن هناك أسبابا أخرى جعلت جعفرا يتبرأ من أبي الخطاب وأتباعه ، منها الصلة الوثيقة بين اسماعيل وكثير من الغلاة أمثال أبي الخطاب والمفضل بن عمر الجعفي ، وهذا هو الذي جعل جعفر يعلن براءته من اسماعيل ويقول : « اسماعيل ليس مني ولكنه شيطان في صورة انسان »(١) . وقد أورد الكشي(٢) عن عنبسة قوله أيضا : « كنت مع جعفر بن محمد بباب الخليفة أبي جعفر المنصور بالحيرة حين أتي ببسام(٣) ، واسماعيل بن جعفر بن محمد ، فأدخلا على أبي جعفر ، فأخرج بسام مقتولا ، وأخرج اسماعيل بن جعفر بن محمد ، فرفع جعفر رأسه اليه وقال : أفعلتها يا فاسق ؟ أبشر بالنار » .

ويضاف الى ذلك ما ذكره الكشي في كلامه على المفضل بن عمرو الجعفي(٤) أخبارا تنبيء على ما يظهر من صلة وثيقة بين اسماعيل والخطابيين ، وتبين حنق جعفر على أولئك الذين أضلوا ولده وزجوه في المروق والأخطار ، قال جعفر للمفضل : يا كافر يا مشرك مالك ولابني ؟ ثم قال : ما تريد الى ابني ، أتريد أن تقتله(٥) ؟

من هذا كله نستطيع أن ندرك مدى خطورة الحركة الخطابية ، التي أوجدت لها تلامذة مخلصين انبثقت منهم جميع الفرق الباطنية بعد ذلك ، ويؤكد هذا ــ كما سنرى ــ العلاقة القوية بين اسماعيل وابنه محمد من جهة ، وميمون القداح وابنه عبدالله تابعي أبي الخطاب من جهة أخرى ، المؤسسين الحقيقيين للاسماعيلية .

لذا نجد أن تلامذة أبي الخطاب بعد هلاكه يتجهون في اتجاهين ، فميمون القداح وابنه عبدالله اتبعا المبارك في القول بامامة محمد بن اسماعيل ، وأسسا بناء على ذلك الطائفة الاسماعيلية ، التي أخرجت القرامطة والدروز والحشاشين .

---

١ ــ اصول الاسماعيلية/برنارد لويس ص ٨٠ ، نقلا عن الجويني أحد مؤلفي الشيعة .

٢ ــ المصدر السابق ــ نقلا عن الكشي ص ٨٠ .

٣ ــ صراف بالكوفة ميوله شيعية .

٤ ــ كان المفضل صرافا في الكوفة ، وكان من أتباع جعفر البارزين ، ناصر أبا الخطاب ثم أوجد فرقة صغيرة باسمه بعد قتل أبو الخطاب ، وكان رغم طرد جعفر اياه ، يدعو الى امامة ابنه اسماعيل من بعده ، ثم عاد الى الشيعة الاثنى عشرية ، وكان من اساتذة محمد بن نصير النميري الذي اوجد الفرقة النصيرية .

٥ ــ اصول الاسماعيلية/برنارد لويس ص ٨١ .

أما المفضل الجعفي فقد تظاهر بالعودة الى فرقة موسى الكاظم حيث عمل فيها على بث أفكار أستاذه أبي الخطاب ، فتبلور عن ذلك ظهور النصيرية .

ويمكننا القول الان بعد هذا العرض ، أن أهم شخصيات الطائفة الاسماعيلية بعد وفاة جعفر هم : محمد بن اسماعيل ، وميمون القداح وابنه عبدالله .

وقد أضطر محمد بن اسماعيل الى ترك مسقط رأسه في المدينة المنورة ، وهاجر الى خوزستان (جنوب غربي ايران) ثم تركها الى بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين) ، ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك[1] .

هذا عن محمد بن اسماعيل ، أما القداح وابنه ، فقد وردت عنهما كثير من الروايات التاريخية حول حقيقة أمرهما ، منها ما أورده ابن النديم نقلا عن ابن رزام[2] أن ميمون كان يعرف بالقداح ، وكان من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الأهواز ، واليه تنسب الفرقة المعروفة بالميمونية ، التي أظهرت أتباع أبي الخطاب ، وزعمت أن العمل بظواهر الكتاب والسنة حرام ، وجحدت المعاد[3] ، وكان هو وابنه ديصانيين ، وكان ابنه عبدالله يظهر الشعوذة ، ويذكر أن الأرض تطوى له فيمضي الى أين أحب في أقرب مدة ، وكان يخبر بالأحداث الكائنات في البلدان الشاسعة ، وكان له مرتبون في مواضع يرغبهم ويحسن اليهم ويعاونونه على نواميسه ، ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة الى الموضع الذي فيه بيت عبدالله فيخبر من حضر بما يكون ، ثم هرب بعد ذلك الى سلمية بقرب حمص ، واشترى هناك ضياعا وبث الدعاة الى سواد الكوفة ، فأجابه من هذا الموضع رجل يعرف بحمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر كان في متنه وساقه ، وكان قرمط هذا أكار أبقار في القرية المعروفة بـ (قس بهرام) وكان داهية .

---

١ ــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ١٤ .

٢ ــ الفهرست/ابن النديم ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

٣ ــ انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية/الدهلوى ص ١٧ .

ولكن ابن الأثير يقول : ان عبدالله بن ميمون علم أن هناك رجلا في نواحي الكرخ وأصبهان يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بـ (دندان) يتولى تلك المواضع ، وله نيابة عظيمة ، يبغض العرب ويجمع مساوئهم ، فسار اليه القداح ، فأشار عليه أن لا يظهر ما في نفسه ، انما يكتمه ، ويظهر التشيع والطعن على الصحابة ، فان الطعن فيهم طعن في الشريعة ، فعن طريقهم وصلت الى من بعدهم ، فاستحسن قوله وأعطاه مالا عظيما ينفقه على الدعاة الى هذا المذهب ، ويقول ابن الأثير أيضا : ان لميمون القداح كتابا اسمه (الميزان في نصرة الزندقة)[1] .

أما المقريزي فيأتي برواية أخرى تقول : ان ميمون القداح كان له مذهب في الغلو ، وكان له ابن يسمى بـ (عبدالله) كان عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب ، وقد وضع سبع دعوات يتدرج الانسان فيها حتى ينحل عن الأديان كلها ويصير معطلا اباحيا لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ، حتى اشتهر وصار له دعاة فجاء الى البصرة فعرف أمرة ففر منها الى سلمية ، فولد له بها ابن اسمه أحمد ، فلما مات قام من بعده ابنه أحمد وبعث بالحسين الأهوازى داعيته الى العراق ، فلقي أحمد بن الأشعث المعروف بقرمط في سواد الكوفة ودعاه الى مذهبه فأجابه ، والى قرمط تنسب القرامطة ، وولد لأحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ، الحسين ومحمد المعروف بأبي الشلعلع ، فلما مات أحمد خلفه الحسين في الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه أبو الشلعلع ، وكان لاحمد بن عبدالله ولد اسمه سعيد فصار تحت حجر عمه ، وبعث أبو الشلعلع بداعيين الى المغرب وهما أبو عبدالله وأخوه العباس فنزلا في البربر ودعوها ، واشتهر سعيد بسلمية بعد موت عمه وكثر ماله فطلبه السلطان ، ففر من سلمية الى مصر يريد المغرب ، وكان على مصر عيسى النوشري فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بسلجماسة في زي التجار ، فبعث المعتضد من بغداد في طلبه ، فأخذ وحبس حتى أخرجه أبو عبدالله الشيعي من محبسه ، فتسمى حينئذ بعبيد الله وتكنى بأبي محمد ، وتلقب بالمهدي ، وصار اماما علويا من ولد محمد بن اسماعيل ، وانما هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح[2] .

---

١ ــ الكامل في التاريخ/ابن الأثير جـ ٨ ص ٢٨ ، ٢٩ .
٢ ــ خطط المقريزى جـ ٢ ص ١٥٠ .

ويحاول بعض المستشرقين انكار التشكيك في نسب آل عبيدالله المهدي ، ومن هؤلاء (ايفانوف) ، الذي يعتبر شخصية عبدالله بن ميمون القداح اسطورة نمت واستفحلت واتخذت علما لدعوة الحادية عظيمة ، ويرى أن عبدالله هذا لم يكن سوى رمز للامامة الاسماعيلية ، وأن مؤامرته المزعومة لم تكن سوى رمز لنشاط الحركة الشيعية[1] . « وقد يستطيع ايفانوف أن يحملنا على الشك في هذا النسب ، فلنفرض معه أن هذه القصة أسطورة ، وأن حكام بني عبيدالله لا يمتون بأي صلة الى القداح ، ولكن ما الدليل على أنهم من الناحية الأخرى يتصلون في نسبهم بآل البيت ، وأنهم حقا من ولد محمد بن اسماعيل ؟ »[2] .

ولكن رغم هذا الانكار في نسب عبيدالله المهدي الى القداح ، الا أن هناك مصادر هامة وأساسية لا نستطيع تجاهلها وهي المصادر الاسماعيلية ، تقر بوجود القداح وابنه ، وتعتبر لأسرة القداح الفضل في قيادة الحركة الاسماعيلية في دورها الأول وهو دور الستر ، فقد قدمت لها خدمات لا يزال التاريخ الاسماعيلي يذكرها بالفخر والاعجاب[3] . فميمون القداح عند هذه المصادر كان باب الأبواب ، ومن الطبيعي أن يبقى مرافقا للامام في حله وترحاله[4] .

الا أن بعض المصادر الاسماعيلية الأخرى تنفي المزاعم السابقة وتعتقد أن محمد بن اسماعيل اتخذ اسما مستعارا هو (ميمون القداح) لتضليل العباسيين ، وكان يدعو الى امام مستور اسمه (محمد بن اسماعيل) أي نفسه ، وقد خفي هذا الأمر على أقرب المقربين اليه ، حتى دعاته المخلصون لم يكونوا يعلمون شيئا من هذه القصة ؟![5]

وقبل أن نتقدم للبحث في نقطة أخرى ، لا بد أن نتحدث عن اعتقاد خاص بالاسماعيلية والباطنية عموما ، له علاقة مباشرة بموضوع نسب العبيديين الى القداح ويعطي مزيدا من الوضوح حوله ، وهو الأبوة الروحانية أو النكاح الروحاني[6] ،

١ ــ انظر تلخيصا لاقوال ايفانوف في كتاب قلعة ألموت/لعمر أبو النصر ص ٦٥ ــ ٧٠ .
٢ ــ قلعة ألموت/عمر أبو النصر ص ٧٢ .
٣ ــ الحركات الباطنية في الاسلام/مصطفى غالب ص ٧٩ .
٤ ــ تاريخ الدعوة الاسماعيلية/مصطفى غالب ص ١٤٧ .
٥ ــ القرامطة/عارف تامر ص ٤٧ ، ٤٨ .
٦ ــ وهي عقيدة عند النصيريين أيضا .

ويتحدث برنارد لويس حول هذا الاعتقاد فيقول : ان الحركة الباطنية بمالها من ميول غنوصية قوية وبتعويلها الشديد على النواحي الباطنية للأشياء دون المادية الظاهرية منها ، بلغت بسهولة ، وبشكل طبيعي حدا اعتبرت فيه العلاقة بين الأب وابنه — وهي تتصل بالبدن التافه الزائل وحده — أقل أهمية وحقيقة من العلاقة الروحانية بين المعلم والتلميذ المنبعثة من النفس الخالدة ، وينتج عن هذه العقيدة أن التلميذ أحرى بأن يكون الابن هو الوارث الحقيقي من النسل الطبيعي للانسان ، ويأتي برنارد لويس على صحة ذلك برواية عن رشيد الدين المؤرخ الفارسي : بأن جعفرا أرسل حفيده محمد بن اسماعيل في صحبة أبي شاكر ميمون الديصاني المعروف بميمون القداح ، الى طبرستان ، وبعد وفاة جعفر أودع ميمون القداح ولده عبدالله إلى محمد بن اسماعيل قائلا : ان الأبوة الجسمانية تكون من ولادة الطفل المادية ليس غير ، بينما تكون الأبوة الروحانية من ملازمة شخص أخر معين ، فنقول أن فلانا ابن فلان لأنه تخرج عليه ، أفلا يكون الذي يتلقى العلم والمعرفة اللتين هما جوهر الحياة الروحانية من رجل اخر هو ابنه الحقيقي ؟ فأنا مثلا أنجبني جعفر بن محمد روحانيا ، ثم أصبحت بما كشف لي من أسرار العلم أهلا لأن أنتسب اليه وأن أعتبر نفسي ابنه ، والخلاصة فانه أنهى كلامه بقوله : عبدالله هو ابن محمد بن اسماعيل ووارثه الذي لا يتقدم عليه أحد ، وقد أودعه اياى لأنشئه وأعصمه من مكائد أعدائه ، ولما بلغ عبدالله السابعة عشرة من عمره نادى ميمون القداح بامامته ، ولم يعترض الشيعة على ذلك[1] .

ومهما يكن من شك في حقيقة نسب العبيديين ، فانه يكفي سرد بعض الحوادث التاريخية ، التي تؤكد أن الاسماعيليين أنفسهم أخذوا يشكون في نسب هؤلاء الذين يدعون الامامة ، بل وفي بعض الأحيان ينكرون علنا نسبهم الى آل البيت . « وهذا هو السبب الأول في خروج القرامطة عن طاعة عبيدالله المهـدي » فالقرامطة استطاعوا أن يعرفوا اسم الامام وقابلهم الرجل صاحب هذا الاسم وبارك حركتهم ، ولما عادوا اليه مرة أخرى وجدوا شخصا آخر يحمل نفس الاسم وأشار اليه من حوله بأنه الامام ، فشك زعماء القرامطة في الامام وفي الدعوة نفسها ، وحاربوا

١ — اصول الاسماعيلية/برنارد لويس ص ٨٦ ، ٨٩ .

عبيدالله ونهبوا أمواله وقتلوا عائلته ، ودعوا الى أنفسهم . وهذا ما حدث أيضا لأبي عبدالله الشيعي الذي مكن للاسماعيلية بين قبيلة كتامة ، فانه قبل سفره الى بلاد المغرب زار الامام بسلمية ، فقابله شخص على أنه الامام ، ولكن بعد ظهور المهدي بالمغرب رأى أبو عبدالله الشيعي أن المهدي ليس هو الامام الذي قابله بسلمية ، وتطرق الشك في نفسه الى درجة أن أفضى بذلك الى أخيه أبي العباس وبعض رؤساء كتامة ، وكادت تحدث ثورة لو لم يبادر المهدي بقتل أبي عبدالله الشيعي وأخيه أبي العباس[1] . ووصل الأمر بأتباع الاسماعيلية بعد ذلك أن قام الحسن الأعصم القرمطي ــ أحد زعماء القرامطة ــ خطيبا على منابر دمشق ليعلن أن المعز لدين الله من سلالة القداح ، وأن القداح وأسرته كانوا كالقرامطة يدعون للأئمة المستورين[2] .

ومما يذكر في هذا المجال ، أن مؤرخي الاسماعيلية يحلو لهم دائما أن يتحدثوا عن هذه الفترة من تاريخ أئمتهم ، وهي الفترة التي تعرف عندهم (بدور الستر) ، أي الفترة التي أضطر فيها الأئمة الى الاستتار خوفا من بطش أعدائهم ــ ابتداء من محمد بن اسماعيل وانتهاء بعبيد الله ــ فكل مؤرخ من مؤرخي الاسماعيلية تناول الحديث عن هذه الفترة بما يبدو له ، بحيث جاء حديثهم مضطربا أشد الاضطراب ، مختلفا أشد الاختلاف ، فهم مختلفون في عدد أئمة هذه الفترة ، وهم مختلفون أيضا في أسماء هؤلاء الأئمة ، جعل بعضهم الأئمة ثلاثة ، وقال بعضهم بل خمسة ، وقال بعضهم بل سبعة[3] . وأعتقد أن هذا الاضطراب التاريخي عند الاسماعيلية يمكن أن يضاف الى جملة الشبهات المحيطة في نسب العبيديين .

هذا عن نسب أئمة الاسماعيليين ، أما عن محاولاتهم لتأسيس دولة لهم ، فقد كثرت محاولاتهم في هذا المجال . ولعل أول حركة اسماعيلية ناجحة خلال هذه الفترة هي التي قامت ببلاد اليمن ، « فقد كان أحد أئمتهم وهو الحسين بن أحمد بن عبدالله يتحين الفرص لنشر دعوته ، وقد رأى أن اليمن والمغرب هما خير البلاد التي

---

١ ــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ٢٥ ، ٢٦ .

٢ ــ تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٧٨ .

٣ ــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ١٥ .

يمكن أن يستجيب أهلها ، والتي يجوز للدعوة أن تنتشر بين ظهرانيهم ، وذلك لبعدهما عن أنظار الخلفاء العباسيين من جهة ، ثم لامكان تأثر أهلهما بهذه الدعوة من جهة أخرى ، وكان الحسين بن فرج بن حوشب من كبار شيعته خير من يتوسم فيه للقيام بهذا الأمر ، وكان أن قدم الى العراق خلال ذلك علي بن الفضل الخنفري ، فرأى من تشيعه وبكائه فوق قبر علي ما يضمن نجاح الدعوة ان هو ضمه الى الحسن بن فرج ، ولهذا تمكن من استمالته وتكليفه بالقيام بالدعوة مع الحسن بن فرج للامام الاسماعيلي المنتظر »[1] .

وكما أورد القاضي النعمان فان امامهم الحسين بن أحمد قد زودهما ببعض التوصيات ، أهمها : التبشير بالمهدي ، ولزوم الصلاة والصوم والتقشف ، وايهام الناس بأن لكل ظاهر باطنا ، وأن له أناسا يعلمونه الا أن الوقت لم يحن بعد لاعلانه ، ومما قاله : ان لقيت من هو ألحن بالحجة منك ، فانغمس له في الباطن ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : تقطع الكلام ، وتريه أن تحت ما تريد الجواب به باطنا لا يمكنك ذكره[2] .

وقد لقب الحسن بن فرج بالمنصور ، وعرف بمنصور اليمن ، واستطاع ان يجمع حوله عددا كبيرا من قبائل اليمن ، وان يفتح باسمه عدداً من القلاع والحصون باليمن ، واستطاع بذلك أن يؤسس باسم الامام الاسماعيلي (المنتظر) أول دولة اسماعيلية في التاريخ .

أما علي بن الفضل ، فقد أمعن في احكام خطته ، « فتظاهر بالزهد والتقشف وكثرة الصوم والصلاة والتعبد ليلا ونهارا في بطون الأودية ، حتى تمكن من استجلاب قلوب الرعاع من أهل (يافع) اليه ، وكان عندما يأتونه بالطعام لا يأكل الا يسيرا ، كما رفض السكنى معهم في رؤوس الجبال بادىء الأمر ، وأخيرا أجابهم الى طلبهم بعد أن شرط عليهم أن يعاهدوه على عدم مخالفة أمره . وأبدى في سيرته

---

١ ـــ تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن/احمد حسين شرف الدين ص ٨١ .
٢ ـــ افتتاح الدعوة/القاضي النعمان ص ١٢ ، وتاريخ الفكر الاسلامي في اليمن/أحمد شرف الدين ص ٨٢ .

معهم مزيدا من الصلاح والعدل مما جعل الأهالي يقدسونه أعظم تقديس ويجمعون اليه الزكوات من كل الجهات المجاورة ، ثم بدأ بعد ذلك بالتوسع في المدن المجاورة حوله ، حتى قوي وصلب عوده ، فأظهر حينئذ أفكاره وعقائده الالحادية ، فقد أعلن الكفر وأحل جميع المحرمات ، وخرب الكثير من المساجد ، ثم ادعى النبوة ، وأحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات ، ولما احتل مدينة الجند صعد المنبر وقال الأبيات المشهورة — كما يذكرها البهاء الجندي —:

خذى الدف يا هذه واضربي	وغني هزارك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم	وجاء نبي بني يعرب
أحل البنات مع الأمهات	ومن فضله زاد حل الصبي
لكل نبي مضى شرعة	وهذى شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلا	ة وحط الصيام ولم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضي	وان صوّموا فكلي واشربي
ولا تمنعي نفسك المعزبين من	الأقربين مع الأجنبي
فمن أين حللت للأبعدين	وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن أسسه	وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر الاكماء السماء	حلال فقدست من مذهب

وعندما احتل صنعاء — كما يروي البهاء الجندي أيضا في السلوك —: حصل المطر ، فأمر بسد الميازيب التي ينزل فيها الماء من سطوح الجامع ، ثم أطلع النساء اللاتي سبين من صنعاء وغيرها ، وصعد المنارة وأمر بالقائهن في الماء ، فمن أعجبته اجتذبها الى المنارة وافتضها ، حتى افتض عددا من العذارى . ويقول أيضا : أن ابن الفضل انهمك في تحليل محرمات الشريعة واباحته محظوراتها ، وعمرّ دارا واسعة يجمع فيها غالب من تابعه نساء ورجالا متزينين متطيبين ، ثم توقد الشموع بينهم ساعة ثم تطفأ ، ويضع كل واحد من الرجال يده على أي امرأة ويقع عليها ولو كانت من محارمه . وبقي ابن الفضل يعيث فسادا حتى مات مسموما سنة ٣٠٣ هـ ، مما جعل القبائل اليمنية تهاجم عاصمته (المذيخرة) وتهزم أتباعه »[1] .

١ — تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن/احمد شرف الدين ٨٥ — ٩١ .

ويبدو أن نشاط صاحبه ابن حوشب امتد الى خارج اليمن ، فقد كان يرسل الدعاة باسم الامام الاسماعيلي في مختلف البلاد ، فكان من الدعاة الذين بعث بهم ابن حوشب الى بلاد المغرب الداعي ابو سفيان والداعي الحلواني ، غير أنهما توفيا بعد قليل . فلما وصل نبأ موتهما الى ابن حوشب عهد الى أبي عبدالله الشيعي القيام بالدعوة الى الاسماعيلية هناك ، ليتمم ما بدأه الحلواني وأبو سفيان من بث الاسماعيلية بين رجال القبائل المغربية باسم المهدي المنتظر ، واستطاع أبو عبدالله الشيعي أن يكتسب تأييد قبيلة كتامة ، اذ بايعة شيوخها على الدفاع عنه وعن امامه ، وأن يأتمروا بأمره في دينهم ودنياهم ، فاستطاع بذلك أن يؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب بعد أن أرسل في طلب عبيدالله المهدي .

وخلال هذه السنوات التي استطاع دعاة الاسماعيلية فيها النجاح في تأسيس دولة باليمن ، قامت حركة اسماعيلية أخرى في سواد الكوفة والبحرين ، عرفت في التاريخ باسم القرامطة ، كانت مصدر الفتن والويلات التي حلت بالعالم الاسلامي في ذلك الحين ، حيث طبقت جميع مفاهيم الاسماعيلية الاجتماعية والسياسية والعقائدية بكل حذافيرها .

وقد كان أول تحرك للقرامطة في سواد الكوفة سنة ٢٧٨ هـ ، وكما يروي المؤرخون : فان ابتداء أمرهم كان على يد أحد دعاة الاسماعيلية ويسمى الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بـ (زكرويه) ، الذي استطاع أن يستميل أحد دهاة تلك المنطقة المقلب بـ (حمدان قرمط) الى مذهبه ، فلقي من قرمط تجاوبا سريعا لكل ما كان يلقيه اليه من عقائد وأفكار ، وكان قيامه بحركته سنة ٢٧٨ هـ تأكيدا قويا على ايمانه الراسخ بهذه العقائد ، فدعا الى امام من آل البيت هو المهدي الذي يملأ الأرض بعدله ، وزعم أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في اليوم ، فاستجاب له جمع كثير ، وكان يأخذ من كل واحد من أتباعه دينارا للامام ، وجعل عليهم اثنى عشر نقيا سماهم الحواريين ، ولما علم عامل الناحية بأمره قبض عليه وحبسه ، ففر من سجنه في ظلام الليل بمساعدة جارية للعامل ، واختفى حينا ،

فازداد أنصاره فتنة به وقالوا رفع الى السماء ، ثم ظهر في ناحية اخرى من الكوفة ، وعكف على بث دعوته فيها ، مما أكثر أنصاره بها[1] .

وفي ذلك الحين أيضا ، اجتاحت دعوة القرامطة أنحاء البحرين ، والتف القرامطة حول زعيم لهم يسمى الحسن بن بهرام ويعرف بأبي سعيد الجنابي ، فاجتمع اليه جمع غفير من القرامطة والأعراب ، استطاع بهم أن يهاجم (هجر) عاصمة البحرين سنة ٢٨٧ هـ ويحتلها ، ويجعلها عاصمة له[2] . وبذلك تجرد القرامطة بعدئذ للبطش بقوافل الحجاج ، فدخلوا مكة أثناء موسم الحج ، وانتزعوا الحجر الأسود وحملوه الى عاصمتهم هجر ، بعد أن ذبحوا الألوف من الحجاج وزرعوا الرعب والخوف في حجاج بيت الله العظيم .

غير أن القرامطة بعد ذلك ، تألبوا على الامام الاسماعيلي في سلمية ، فخلعوا طاعته وجعلوا الدعوة لزعمائهم دون أئمة الاسماعيلية ، بل شاءوا القضاء على أئمة الاسماعيلية ، فهجموا على سلمية ، واقتحموا دور أئمة الاسماعيلية ، وسلبوا كثيرا من أموالهم وقتلوا بعض أفراد الأسرة ، وكان الامام الاسماعيلي اذ ذاك هو عبيدالله المهدي ، الذي جاءت اليه الأنباء بنوايا القرامطة ، فهرب مع بعض أفراد أسرته من سلمية الى الرملة ، وعلم القرامطة بفراره فتبعوه الى الرملة يريدون قتله ومن معه وسلب أمواله ومتاعه ، فاضطر عبيدالله الى الفرار مرة أخرى الى الفسطاط بمصر ، حيث أقام عدة أسابيع رحل بعدها الى شمال أفريقيا ، بعدما أنفذ أبو عبدالله الشيعي الرسل اليه يدعوه للحضور اليها[3] ، وكما ذكرنا من قبل فان سبب انقلاب القرامطة على عبيدالله هو شكهم الذي وصل الى درجة اليقين في نسب عبيدالله وأسرته الى آل البيت .

---

١ ـــ انظر الكامل في التاريخ/ابن الأثير حـ ٧ ص ٤٤٤ ـــ والبداية والنهاية/ابن كثير جـ ١١ ص ٦١ ، وتاريخ الجمعيات السرية/محمد عبدالله عنان ص ٣٣ .

٢ ـــ القرامطة/ميكال دى خويه ص ٤٢ ـــ وتاريخ الجمعيات السرية/محمد عنان ص ٣٦ .

٣ ـــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ٢٣ ، ٢٤ ـــ وتاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٥٣ ، ٥٦ .

وفي المغرب أظهر عبيدالله نفسه ، وخرج من ستره ، وأعلن امامته ودعوته بعد أن كانتا في ستر وخفاء ، وبذلك دخل تاريخ الاسماعيلية في دور جديد عرف بـ (دور الظهور) ، بعدما أعلن عبيدالله قيام الدولة العبيدية سنة ٢٩٧ هـ . وقد حاول عبيدالله وبمساعدة دعاته أن يحل في قلوب الناس أسمى مكانة ، فأخذوا يذيعون بين الناس عنه كثيرا من الصفات التي تحوطه بهالة من التقديس ، حتى أن بعضهم كان يقول للناس : هو المهدي ابن رسول الله ﷺ ، وحجة الله على خلقه ، وبعضهم يقول : هو رسول الله وحجة الله ، بل هو (الله الخالق الرازق) تعالى الله عما يقول الظالمون[١] .

وقد أنتهز أصحاب القلوب المريضة تلك الفرصة ، فمدحوه مدحا وصل الى حد الكفر والشرك ، ومع ذلك فقد أجازه وأعطى قائله الجوائز ، من ذلك ما مدحه به أحد الشعراء بقوله :

« حل برقادة المسيح ... حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصفى ... حل بها الكبش والذبيح
حل بها الله ذو المعالي ... وكل شيء سواه ريح »[٢]

ويروي ابن الأثير أن عبيدالله وأتباعه حاولوا ارغام الناس على اعتناق العقيدة الاسماعيلية : فقد جاء رجل يعرف بالشريف ، ومعه الدعاة ، وأحضروا الناس بالعنف والشدة ، ودعوهم الى مذهبهم ، فمن أجاب أحسن اليه ، ومن أبى حبس ، فلم يدخل في مذهبهم الا بعض الناس ، وهم قليل ، وقتل كثير ممن لا يوافقهم على قولهم[٣] .

وقد بلغ من غلو دعاة عبيدالله وفي تقديسهم له ، أن صيغة اليمين عندهم على المستجيب لم تكن باسم من أسماء الله ، وانما كانت باسم المهدي ونصها (وحق عالم الغيب والشهادة مولانا الذي برقادة) ، وهي صيغة لا تتضمن الغلو فقط ،

---

١ ــ الروضتين في أخبار الدولتين/المقدسي جـ ١ ص ٢٠١ ــ وتاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٢٧ .
٢ ــ تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ــ ودور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية/د. موسى لقبال ص ٣٢٨ .
٣ ــ الكامل في التاريخ/ابن الأثير جـ ٨ ص ٤٩ .

وانما هي كفر صريح ، لأن فيها اشراكا للمخلوق ، مع الخالق ، في احدى خصائصه ، وهي معرفة الغيب »[1] .

وبقي عبيدالله مستوليا على زمام الأمور في دولته حتى مات سنة ٣٢٢ هـ ، فأسند الحكم الى القائم بأمر الله ، ثم الى المنصور بالله سنة ٣٣٤ هـ ، وبعد ذلك الى المعز لدين الله سنة ٣٤١ هـ ، الذي استطاع أن يفتح مصر سنة ٣٥٨ هـ ويجعلها عاصمة لملكه ، وبذلك حقق الحلم الذي كان يراود حكام بنو عبيد في الاتجاه نحو المشرق . وقد خلف المعز العزيز بالله سنة ٣٦٥ هـ ، ثم الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٦ هـ ، الذي ناصر مذهبا انشق عن الاسماعيلية سنة ٤٠٨ هـ ، عرف بالدرزية[2] أعلنه بعض دعاة الاسماعيليين الفرس الذين نادوا بألوهية الحاكم بأمر الله ، وكان على رأسهم حمزة بن علي الزوزني .

وقد قتل الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ ، فتولى الحكم بعده الظاهر ، فخلفه المستنصر بالله سنة ٤٢٧ هـ ، وقد انقسمت الاسماعيلية بعد وفاته سنة ٤٨٧ هـ الى فرقتين ، وكان هذا الانقسام من أخطر الانشقاقات التي حدثت داخل الاسماعيلية ، اذ صار له انعكاس خطير على مجريات تاريخ الاسماعيلية وعقائدها .

وكانت بداية هذا الانشقاق بعد وفاة المستنصر مباشرة ، بعدما أعلن وزيره الأفضل بن بدر الجمالي الأرمني استخلاف المستعلي بن المستنصر ـــ وكان طفلا صغيرا ـــ وهو ابن أخت الوزير ، الأمر الذي ترتب عليه رفض عدد كبير من الدعاة ومن أتباع المذهب الاسماعيلي مبايعة المستعلي ، وعدم الاعتراف باقامته ، ومن ثم المناداة بامامة ابنه الكبير نزار ، الذي كان المستنصر قد نص على أن يتولى الحكم بعده . وبذلك انقسمت الفرقة الاسماعيلية الى فرقتين : الاسماعيلية النزارية المعروفة بالاغاخانية ، والاسماعيلية المستعلية المعروفة بالبهرة في الهند ، والطيبة في اليمن[3] .

---

١ ـــ دور كتامه في تاريخ الخلافة الفاطمية/د. موسى لقبال ص ٤١ .

٢ ـــ أنظر الباب الثاني من هذه الرسالة عن الدروز وعقائدهم .

٣ ـــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ٤١ ، ٤٢ .

أما الاسماعيلية المستعلية ، فهؤلاء هم اسماعيلية مصر واليمن وبعض بلاد الشام ــ في ذلك الوقت ــ ، الذين ساروا وراء المستعلي ، والذي ما لبث أن مات سنة ٤٩٥ هـ ، فخلفه الآمر بأحكام الله وعمره خمس سنوات ، غير أنه قتل بعدما بلغ العشرين من عمره على يد أحد أتباع الحسن بن الصباح الموالي للفرقة الثانية (النزارية) ، وذلك سنة ٥٢٤ هـ .

وكان مقتل الآمر بأحكام الله بداية تطور جديد في تاريخ الاسماعيلية ، ذلك أن الآمر بأحكام الله لم ينجب ولدا يتولى الأمر بعده ، فعين عمه الحافظ عبد المجيد بن المستنصر اماما بالنيابة أو (اماما مستودعا) ، ولكن سرعان ما دعا الحافظ لنفسه بالامامة الكاملة ، وقد تولى الأمر بعده الظافر سنة ٥٤٤ هـ ، ثم الفائز سنة ٥٤٩ هـ ، وأخيرا العاضد سنة ٥٥٥ هـ ، الذي انتهت الدولة الفاطمية في عهده ، بعد أن أعلن صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ نهاية تلك الدولة ، وبذلك قضي على هذا الفرع من المستعلية .

هكذا كان أمر الاسماعيلية المستعلية في مصر ، ولكن كان للاسماعيلية المستعلية شأن آخر في اليمن في عهد الصليحيين[1] ، الذين لم يعترفوا بامامة عبد المجيد ، وزعموا أن احدى زوجات الآمر بأحكام الله المقتول كانت حاملا ووضعت طفلا ذكرا اسمه الطيب بن الآمر ، فالامامة اذن لهذا الطفل ، الذي خاف عليه أحد الدعاة فأخفاه عن الحافظ وأرسله الى الملكة الحرة أروى الصليحية باليمن ، وهذه الملكة أخفته وجعلت نفسها كفيلة ونائبة عنه في تولي شؤون الدعوة الاسماعيلية ، ومنذ ذلك الحين لم يقدم لنا التاريخ ذكرا للائمة المستورين الذين جاؤا من عقب الطيب المختفي ؟!

---

١ ــ نسبة الى علي بن محمد الصليحي ، الذي استطاع بعد موت ابن الفضل وبالتحديد سنة ٤٣٩ هـ أن يعيد تأسيس دولة اسماعيلية اخرى باليمن عرفت بالدولة الصليحية ، وقد خلف الصليحي ابنه مكرم سنة ٤٥٩ هـ ، ولكنه ما لبث أن اصيب بالفالج فقامت زوجته أروى الملقبة بالملكة الحرة بتدبير أمر هذه الدولة ، وفي عهدها زعم أن الطيب قد اختفى عندها .
أنظر تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن/أحمد شرف الدين ص ٩٢ ــ ٩٩ .

وقد انقرضت الدولة الصليحية في سنة ٥١١ هـ ، ولم يقم أتباع الدعوة الطيبية بأي نشاط سياسي بعد ذلك ، وكما يقول الدكتور محمد كامل حسين : فان أتباع هذه الدعوة ركنوا الى التجارة وعاشوا في محيط خاص بهم ، وكان كثير منهم يتخذ التقية فلا يظهر اسماعيليته ، بالرغم من وجود داعية لهم ينوب عن امامهم المستور في تصريف أمورهم الدينية ، وقد هيأت التجارة التقليدية بين اليمن والهند فرصة لنشر الدعوة الاسماعيلية الطيبية في الهند ، ولا سيما في ولاية جوجرات جنوب بومباي ، وأقبل جماعة من الهندوس على اعتناق هذه الدعوة حتى كثر عددهم هناك ، وعرفوا باسم (البهرة) ، وكلمة البهرة كلمة هندية قديمة معناها التاجر[١] .

ولكن الدعوة الطيبية انقسمت في القرن العاشر الهجري الى فرقتين : فرقة البهرة الداودية ، وفرقة البهرة السليمانية ، ويرجع هذا الانقسام الى الخلاف على من يتولى مرتبة الداعي المطلق للطائفة ، فالفرقة الداوودية تنسب الى الداعي قطب شاه داوود برهان الدين ، وهو الداعي السابع والعشرون من سلسلة دعاة الفرقة المستعلية الطيبية المتوفي سنة ١٠٢١ هـ ، والفرقة السليمانية تنسب الى الداعي سليمان بن حسن الذي أبى أتباعه الاعتراف بداوود ، واعترفوا بسليمان سنة ١٠٠٥ هـ داعية لهم . على أن مركز دعوة الفرقة الداوودية انتقل من اليمن الى الهند في القرن العاشر الهجري ، وداعيتهم الآن هو طاهر سيف الدين ، ويعد الداعي الحادي والخمسين من سلسلة دعاة الدعوة الطيبية ويقيم في مدينة بومباي ، وكذلك داعي الفرقة السليمانية علي بن حسين الذي يقيم في اليمن[٢] .

وطائفة البهرة بفرعيها يحترفون التجارة وخاصة تجارة الحديد وأدوات العمارة ، ولا يزيد عددهم في العالم على مائتي ألف نسمة نراهم متفرقين في بلاد الهند وبالباكستان وعدن ، وفي جبال حراز باليمن طائفة منهم يطلق عليهم الان القرامطة أو الباطنية ولا يعرف عدهم تماما . وهم جميعا يقدسون داعيهم المطلق تقديسا تاما

---

١ ــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ٥١ .

٢ ــ المصدر السابق ص ٥١ ، ٥٢ ــ وانظر تاريخ الدعوة الاسماعيلية/مصطفى غالب في الصفحات الأخيرة ــ جدول رقم (٣) لدعاة الطيبية .

ويطيعونه طاعة عمياء ، وقد استطاع الانجليز أن يستميلوا الى جانبهم دعاة البهرة ، فهذا اخر دعاتهم طاهر سيف الدين أعطاه الانجليز نفوذا ضخما في الهند ، وتركوا له سلطة مطلقة على أتباعه ، حتى انه كان باستطاعته أن يحرم الموتى من الدفن في مدافن الطائفة ، وأن ينبش قبور المخالفين له ، بل وأن يستولي على ما يتركه الميت من أموال ، وأعلن كذلك فرض ضرائب عجيبة على أتباعه ، وقد انشق بسبب ذلك عن طاعته عدد من أفراد طائفته ومن هؤلاء : علي ابن ابراهيم الذي كون فرقته (العلوية) ، ومنهم فرقة (الناجوشية) الذين يقيمون في ولاية باردوا بالهند ، وهذه الفرقة كانوا في الأصل من براهمة الهند ، ثم اعتنقوا الاسماعيلية الطيبية ، ولذلك نراهم يتبعون في معيشتهم نفس التقاليد التي عند البراهمة ومنها عدم أكل اللحوم[1] .

هذا عن الاسماعيلية المستعلية ، أما الاسماعيلية النزارية ، فقد كان لهم شأن خطير ودور كبير في مناطق فارس والشام على يد أحد دعاة الاسماعيلية وهو (الحسن إبن الصباح) الذي استطاع أن يمهد الأمور في فارس للمناداة بامامة نزار بن المستنصر ، فأطلق عليهم اسم النزارية .

وقد اتخذ ابن الصباح مبدأ القتل وسيلة لتحقيق أهدافه ، فكان عهده مصدر الفتن والاضطراب في كثير من بقاع العالم الاسلامي . كما أنه ابتدع نظرية جديدة هي نظرية الامام قائم القيامة المختفي والدعوة اليه ، بعدما زعم أن ابنا لنزار استطاع الهرب الى قلعة الموت ، حيث أخفاه الحسن بن الصباح ولن يظهر الا في الوقت المناسب .

وكان نظام الفدائيين الذي ابتدعه الصباح ، من أهم الأمور التي يتميز بها عهده ، فقد كان يأمر أتباعه باغتيال كل من يقف في طريقه أو يخاصمه ، حتى استطاع أن يمتلك قلعة آلموت (جنوبي بحر قزوين) ، وأن يؤسس بها دولة الاسماعيلية في ايران ، التي عرفت في التاريخ بأسماء متعددة مثل : الاسماعيلية ، والباطنية ، والحشاشين ، والفداوية .

---

١ ـــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ٥٨ ، ٥٩ .

والروايات التي تروي قصة سقوط قلعة آلموت في يد الاسماعيلية لا تختلف فيم بينها كثيرا ، فرواية ابن الأثير والجويني تقول : ان الحسن كان يطوف على الناس فيضلهم ، فلما رأى قلعة آلموت ، واختبر أهل تلك النواحي ، فأقام عندهم ، وطمع في اغوائهم ، ودعاهم في السر ، وأظهر الزهد ، فتبعه أكثرهم ، والعلوي صاحب القلعة حسن الظن فيه ، يجلس اليه يتبرك به ، فلما أحكم الحسن أمره ، دخل يوما على العلوي بالقلعة ، فقال له ابن الصباح : أخرج من هذه القلعة ، فتبسم العلوي ، وظنه يمزح ، فأمر ابن الصباح بعض أصحابه باخراج العلوي ، فأخرجوه الى بلد أخرى وأعطوه ماله ، وبذلك ملك القلعة[1] .

وهناك رواية أخرى تؤيد رواية ابن الأثير والجويني ، ولكن توحي بعملية التدليس والمكر التي استعملها ابن الصباح مع صاحب القلعة ، فصاحب كتاب (دبستان مذاهب) يروي : أن الصباح كان يدخل القلعة متنكرا ، وأنه جرت له في بعض الأيام مع مستحفظها العلوي مناظرة حول صحة عقد بيع وقع فيه تدليس ، وكان الصباح يرى فساد مثل هذا العقد ، والعلوي لا يرى فيه بأسا ، عندئذ طلب الصباح من العلوي أن يبيعه من الأرض مقدار ما يمكن أن يحتوى عليه جلد بقرة لقاء ثمن معز ، فقبل العلوي ، وهنا عمد الصباح الى جلد بقرة وفرقه شرائح رفيعة جدا ، ووصلها جميعا بعضها ببعض ومدها فأحاطت القلعة جميعا ، فأسقط في يد العلوي واضطر الى قبول هذا البيع المدلس[2] .

ومما يذكر ، أن جهود الحسن قد تركزت خلال عهده ، على تكوين مجتمعات اسماعيلية بحتة تستقر في أماكن حصينة ، يستطيعون منها الانقضاض على خصومهم من أهل السنة ، لذا أصبح لديه المئات من القلاع والحصون ، ولم يقتصر على ذلك فقط ، وانما تعداه الى بناء القلاع أيضا ، فكان اذا وجد جبلا حصينا بنى عليه قلعة وسير اليها الماء .

---

١ ــ الكامل في التاريخ/ابن الأثير جـ ١٠ ص ٣١٧ ــ ورواية الجويني في تاريخه مترجمة عن الفارسية في كتاب دولة الاسماعيلية في ايران/د. محمد السعيد جمال الدين ص ١٨٩ .

٢ ــ فرقة النزارية/د. السيد محمد العزاوي ، نقلا عن كتاب دبستان مذاهب .

« وبالاضافة لما تمنحه هذه الحصون والقلاع من حماية وأمن للمقيمين بها ، فان لها أهمية أخرى ، اذ استطاع المقيمون بها السيطرة على البريد والأخبار ، وكانت هذه القلاع أيضا تمتاز بمواقع يسهل الانقضاض منها على القرى المجاورة ، وبهذه السيطرة استطاعوا أن يقطعوا السبل ، كما استطاعوا أن يلقوا الاضطراب في الحياة الاقتصادية بأن فرضوا على أموال الناس وأملاكهم الضرائب ، وكان لهم على أمير كل أقليم أتاوة تحمل اليهم ، كما كانت هذه القلاع محطات للبريد ومراكز ينبعث منها الدعاة والمغيرون والفدائيون ، وتحفظ فيها الذخائر والمؤن وأموال الزكاة ، ويقيم فيها الجنود »[1] .

ويحدثنا التاريخ أن الحسن بن الصباح دخل في خدمة (ملكشاه) السلطان السلجوقي ، عندما كان وزيره الرجل الشهير (نظام الملك) ، وأنه بلغ في بلاط السلطان المرتبة التي تخوله أن يضطلع بالأمور الخطيرة ، الى أن بدأ نظام الملك يشك في نواياه ، مما حمله على طرده من خدمة ملكشاه والتخلص منه ، وأغلب الظن أن الصباح كانت له أطماع أخرى معينة من دخوله في خدمة ملكشاه ، فلعله كان يطمع في كسبه الى صفوف الاسماعيلية ، الا أن تخلص نظام الملك منه قد أفسد عليه تدبيره .

وقد اتبعت النزارية طرقا غريبة للاستيلاء على عقول تابعيها ، واستمالة قلوب الناس اليها ، عن طريق النظام الذي ابتدعه ابن الصباح في اقامة الجنان لأتباعه (الفداوية) .

وكما يروي السائح الايطالي (ماركو بولو) الذي مر بهم في ذلك الوقت ، فان تفاصيل ذلك : أن يأخذ شيخ الجبل (وهو لقب الحسن بن الصباح في قلعة الموت) الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين ، فينشئهم تنشئة خاصة ، ثم يأتي بهم ويخدرهم بمخدر خاص يقال أنه الحشيشة[2] ، ويدخلهم

---

١ ــ فرقة النزارية / د. السيد محمد العزاوى ص ٩٩ ، ١٠٠ .

٢ ــ ولهذا السبب يطلق عليهم لقب (الحشاشين) .

بعد ذلك في حدائق غناء مليئة بالملذات والكواعب الحسان ، ويطلقهم فيها ليتمتعوا بكل ما احتوت ، ثم يعيدهم الى حضرته ، ويطلب اليهم بعدما يفيقون أن يغتالوا من يريده شيخ الجبل من أعدائه ، وجزاؤهم على ذلك الخلود في الجنة التي ذاقوا نعيمها ، فيكون في ذلك ما يدفعهم الى انفاذ ارادة زعيمهم(١) .

لذا فقد تميز عهد الحشاشين بسفك الدماء والارهاب ، حتى أصبح الناس يخشونهم ، وخاصة الحكام والوزراء . « بل نجدهم في فترة من الفترات يحاولون أن يغتالوا صلاح الدين الأيوبي ، ولكن محاولتهم باءت بالفشل »(٢) .

ولو حللنا قوائم الاغتيالات التي سجلها المؤرخون يتضح لنا أن الحشاشين قصدوا به طوائف معينة بهدف ايجاد فراغ سياسي وفكري باغتيالهم ، وأهم هذه الطوائف : الخلفاء والأمراء والقواد والوزراء ، وكذلك القضاة والفقهاء والوعاظ ومن في حكمهم ممن كان في مقدورهم دائما أن يوجهوا مشاعر الناس ويؤلبوهم ضدهم . ويضاف الى هذه الفئات أيضا : الذين عرفوا شيئا من الدعوة الاسماعيلية ، أو دخلوا فيها ثم ارتدوا عنها(٣) .

ولعل الأمر المهم ، والذي ينبغي أن يذكر في هذا المقام ، هو محاولة ابن الصباح تطبيق البرنامج الاقتصادي الحقيقي للطائفة الاسماعيلية ، وكما طبقه القرامطة ، وهو برنامج أقرب ما يكون الى الشيوعية منه الى شيء اخر . ومما يؤكد ذلك ما نقله الدكتور العزاوى عن المؤرخ الفارسي رشيد الدين : أن المزدكية لما رأوا للاسماعيلية ظهورا وشوكة أبدوا رغبتهم في الدخول فيها ، وكان للحسن بن الصباح حسن ظن بهم ، فأرسل اليهم أحد دعاته ، الذي أقام فيهم الى أن مات سنة ٥١٢ هـ ، فخلفه عليهم ولداه ، ولكنهما نسيا اعتقادهما في سبيل المال والجاه ، وخالفا حكم ابن الصباح(٤) . والمزدكية مذهب قديم قريب مما طبقة ابن الصباح

---

١ ـــ انظر : تاريخ الشعوب الاسلامية/بروكلمان ص ٢٨٢ ـــ وتاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ١٧٠ ، وفرقة النزارية/د. السيد العزاوى ص ١١٢ ، ومواقف حاسمة في تاريخ الاسلام/محمد عنان ص ٢٧٧ .

٢ ـــ تاريخ الشعوب الاسلامية/بروكلمان ص ٣٥٤ .

٣ ـــ انظر قائمة بهذه الاغتيالات في كتاب فرقة النزارية/د. السيد العزاوى ص ١٠٤ ـــ ١٠٨ .

٤ ـــ فرقة النزارية/د. السيد العزاوى ص ١٠٨ .

في آلموت ، وهي تقوم على تناول اللذات ، والانعكاف على بلوغ الشهوات [١] .

ويؤيد ذلك أيضا ، ما أذاعه أحد خلفاء ابن الصباح (الحسن بن محمد بن كيابزرك) على الناس في قلعة آلموت ، بان إمامهم قد فتح باب رحمته وأبواب رأفته بان رفع عنهم آصار الشريعة وأوزارها ورسومها [٢] ، لأن النبي ﷺ قال : كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته ، فالامام هو المسؤول الأول عن أتباعه ، وهو الذي يتحمل بدلهم الحساب يوم القيامة ، إن أطاعوه اطاعة تامة واعتقدوا امامته على هذا النحو ، وبذلك طرح خليفة ابن الصباح عن الناس جميع التكاليف الدينية [٣]؟! .

وقد هلك ابن الصباح سنة ٥١٨ هـ ، فخلفه (كيابزرك أميد) حتى سنة ٥٣٢ هـ ، فعهد إلى إبنه (محمد بن كيابزرك) الذي مات سنة ٥٥٧ هـ ، فجاء بعده ابنه الحسن الثاني بن محمد ــ الذي سبق ذكره ــ فحاول أن يمحو جميع فرائض الاسلام ، وأن يشيع الاباحية المطلقة في النساء والمال وشرب الخمر ، ليزعم بعد ذلك أنه هو الامام المختفي من نسل نزار بن المستنصر بالله ، وقد بقي هذا على سدة الحكم حتى مات سنة ٥٦١ هـ ، فخلفه ابنه محمد الثاني بن الحسن الثاني ، الذي ظل على مبادىء أبيه إلى سنة ٦٠٧ هـ حينما مات ، فتولى الأمر بعده ابنه الحسن الثالث ، الذي بدأ سياسة جديدة ، فأعاد القيام بالفرائض الشرعية ، وأمر ببناء المساجد ، وإقامة الأذان للصلاة ، وراسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وطعن في الحسن بن الصباح وكل من تولى بعده ، وأمر بحرق كتبهم ، وأرسل أمه وزوجته إلى الحج [٤] .

ولكن هذه السياسة لم تعجب أتباع الباطنية ، اذ قتل الحسن الثالث على يد أحد الحشاشين ، الذين رأوا في أفعاله خروجا على تعاليم ابن الصباح ، وبذلك رجع

---

١ ــ الفهرست / ابن النديم ص ٤٧٩ .

٢ ــ دولة الاسماعيلية في ايران / د. محمد السعيد جمال الدين ص ٢١٣ ، ٢١٤ ــ نقلا عن الجويني في تاريخه جهانكشاى .

٣ ــ طائفة الاسماعيلية / د. محمد كامل حسين ص ٨١ .

٤ ــ أنظر بتفصيل أكثر في كتاب طائفة الاسماعيلية / د. محمد كامل حسين ص ٨٢ ، ٨٣ .

الحشاشون إلى سابق عهدهم في الالحاد والاباحية ، وزرع الخوف والفتن بين الناس ، حتى جاء هولاكو على رأس جيوش المغول فاجتاح قلاع وحصون الحشاشين وعلى رأسها آلموت ، التي دخلها سنة ٦٥٤ هـ ، وقتل ركن الدين خورشاه آخر أئمة الاسماعيلية النزارية في آلموت ، وبذلك قضي على هذه الدولة التي كانت مصدراً للالحاد والفتنة .

وتزعم النزارية أن شمس الدين بن ركن الدين استطاع الهرب من هولاكو إلى أذربيجان ، حيث تقلد امامتهم بعد ذلك (١) . ولكن بعد موته انقسمت النزارية إلى فريقين ، فالفريق الذي كان يعيش في تلك الناحية نادوا بامامة (محمد شاه) ، واعترفوا به وامامة الأئمة من نسله حتى انقطعت سلسلتهم في منتصف القرن العاشر الهجري بعد موت اخر امام لهم من هذا الفرع واسمه طاهر شاه الثالث سنة ٩٥٠ هـ ، وأتباعه موجودون إلى الان بقرب الحدود الروسية الايرانية ، ويلقبون بـ (جون دهرمية) أو (المؤمنية) ، وكذلك في مصياف والقدموس بسورية (٢) .

أما الفرع الثاني ، فيزعم أن الامام بعد شمس الدين هو قاسم شاه ، وأن محمد شاه قد اغتصب الامامة (٣) . ويقيم غالبية أتباع هذا الفرع في الهند ويعرفون بـ (البارسيين) ، « وكان أتباع الاسماعيلية في الهند قبل سقوط دولتهم في آلموت لهم شيء من السيطرة على اقليم السند ، حتى قام السلطان محمد الغورى بغزوهم وفتح بلادهم ، وأسس في الهند حكماً إسلامياً ، حيث قام بعد ذلك بالبحث عن الاسماعيلية وقتلهم ، فاضطر الاسماعيلية إلى التقية ، وهربوا داخل بلاد الهند الواسعة ، وبقي الأمر كذلك حتى وفدت أفواج الهاربين من آلموت وباقي القلاع إلى الهند ، فالتقوا بالاسماعيلية هناك ، الذين كانوا متأثرين بالعقائد والتقاليد الهندوكية ، فكان من نتيجة هذا اللقاء ، أن كون الاسماعيلية النزارية في الهند عقائد هي مزيج

---

١ — طائفة الاسماعيلية / د. محمد كامل حسين ص ٧٧ .
٢ — المصدر السابق ص ٨٦ ، ٨٧
وتاريخ الدعوة الاسماعيلية / مصطفى غالب ص ٢٨١ .
٣ — تاريخ الدعوة الاسماعيلية / مصطفى غالب ص ٢٨٠ .

من عقائد الاسماعيلية والعقائد الهندوكية والتصوف الفارسي والهندي ، وهنا يجب أن يشار إلى حقيقة هامة ، هي أن عدداً كبيراً من شيوخ المتصرفة في فارس والهند الذين يطلق عليهم لقب (بير) كانوا متأثرين تأثرا تاما بعقائد الاسماعيلية ، بل منهم من كان تحت سلطان الأئمة الاسماعيلية »[1] .

وقد استمرت الاسماعيلية النزارية في الهند على ولائهم لامامة نسل قاسم شاه ، ولكن منذ عهد أحد أئمتهم وهو شاه حسن علي الملقب (بشاهان أغاخان الأول) سنة ١٢٣٣ هـ ، بدأ الاسماعيليون وخاصة امامهم بالتعاون الفعلي مع الاستعمار الانجليزي في الهند ، فقد كان امام الاسماعيلية (اغاخان الأول) رجل السلام والمحبة بين الانجليز وأتباعه ، لذلك فقد منحته بريطانيا لقب (صاحب السمو) ، وفتحت أبواب المستعمرات الانجليزية — الذين يدين أهلها بالاسلام — له ولأتباعه ، فأرسل الاسماعيليون دعاتهم الى أقطار أفريقيا وآسيا مثل : بورما وسيلان وكينيا وزنجبار وأوغندا ، ليشككوا الناس بدينهم وعقيدته[2] .

وقد توطدت العلاقة أكثر بين الاسماعيليين والانجليز في عهد أغاخان الثالث ، حين صار هذا وسيطا بين الحلفاء وألمانيا ، مما جعل بريطانيا تأمر باطلاق أحد عشر مدفعا تحية لأغاخان عند مقدمه للحفلات الرسمية ، وكان أغاخان معروفا بالترف الزائد ، فقد تزوج أربع مرات باحتفلات أسطورية ، منها زواجه من الأميرة الايطالية (ثريا ما جليانو) سنة ١٩٠٨ م ، التي أنجبت له ولي عهده علي خان ، وعندما أحتفل بيوبيله الذهبي عام ١٩٣٦ م ، قدم له أتباعه هدية ذلك بأن وزنوه ذهبا ؟! وكان هذا الامام الأمير يعد من أغنى أغنياء العالم ، اذ قدر ايراده بعشرة ملايين دولار ، وقدرت مجموعة الجواهر التي يملكها بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار ؟! وكان أوامره التي أصدرها لأتباعه ، أن أمر نساء الاسماعيليين بنزع الحجاب ، لأنه يتعارض والعقائد الاسماعيلية[3] .

---

١ — طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ٨٩ .
٢ — أنظر بتفصيل طويل عن حياة أغاخان الأول ومن تبعه من أئمة في كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٣٢١ — ٣٢٦ .
٣ — أنظر أيضاً وبتفصيل أكثر في تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٣٣٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٦ .

ويكفي أن ننهي حديثنا عن أغاخان ، بأن نورد ما قاله جولد تسيهر عنه ، لتتضح حقيقة هذه الشخصية للقارىء الكريم : « وهو رجل دنيوي المظهر الى حد كبير ، ومشبع بأفكار الثقافة العصرية ، لذا كان من الطبيعي أن يخصص موارده للانفاق على رحلاته العديدة ، وهو ممن يؤيدون سيادة الانجليز على الهند ، تلك السيادة التي يراها نعمة للشعوب الهندية ، وفي حركة (السواراجي) أصدر لمسلمي الهند بيانا قصد به أيضا غير المسلمين ممن يدينون بالديانات الأخرى ، أثبت فيه أن رغبة الهنود في الاستقلال هي رغبة طائشة حمقاء ، ونزعة متهوسة ، سابقة لأوانها ، ثم بين ضرورة الحكم الانجليزي ونفعه ، كعامل من عوامل الاتحاد والتوفيق بين طوائف السكان ذوي الميول المتعارضة »[1] .

وننتقل بعد الاسماعيلية النزارية التي وجدت في فارس ، الى أتباع لهم في بلاد الشام ، الذين كان لهم كذلك دور خطير في تاريخ هذه البلاد ، « وقد قويت شوكة اسماعيلية الشام بعد أن وفد عليهم أحد دعاة الاسماعيلية واسمه (بهرام) ، فاستطاع أن يستولي على قلعة بانياس (جنوب غربي دمشق) ، وبذلك تحقق حلم الاسماعيلية في الشام بامتلاك قلعة منيعة يثبون منها الى غيرها من القلاع والحصون ، وبعد مقتل بهرام في موقعة مع الدروز سنة ٥٣٢ هـ ، استلم الدعوة الداعي اسماعيل ، الذي استطاع أن يتودد للأمراء ورجال الحكم ومنهم المردغاني ، حتى أن هذا الداعي استطاع أن يولي أحد أتباعه وهو أبو الوفاء وظيفة قاضي قضاة دمشق ، ولم تكن تولية أبي الوفاء على قضاء دمشق الا حلقة من سلسلة تدبيرات خاصة للوصول الى فرض سلطان الاسماعيلية في دمشق بمساعدة الصليبيين[2] » ، وكان المردغاني قد راسل الصليبيين سرا على أن يسلمهم دمشق مقابل أن يسلمه الصليبيون صور ، وقد قبل الصليبيون ذلك ، وقرروا أن يتم ذلك باغلاق أبواب الجامع على الناس يوم الجمعة فلا يمكنوا أحدا من الخروج منه ليجيء الافرنج ويملكوا البلاد ، فبلغ الأمر أمير دمشق

---

١ ـ العقيدة والشريعة/جولد تسيهر ص ٢٤٦ .

٢ ـ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ٩٧ .

فاستدعى المردغاني وقتله ، ثم نادى بالناس بقتل أتباعه . ولما تمت هذه الحادثة بدمشق ، خاف اسماعيل داعية الاسماعيلية في قلعة بانياس أن يثور به وبمن معه الناس ، فراسل الصليبيين وبذل لهم تسليم بانياس لهم ، والانتقال الى بلادهم[1] .

هذا وقد ازدادت قوة الاسماعيلية في الشام بظهور أحد دعاتهم الدهاة وهو (راشد الدين سنان) ، الذي استطاع أن يؤسس فرقة حشاشين اخرى ، على غرار ما فعله الحسن بن الصباح في قلعة ألموت ، وكان ذلك سنة ٥٥٨ هـ ، بعد استيلائه على قلعة مصياف ، التي جعل منها قاعدة لحشاشيه ينطلقون منها لبث الرعب بين الناس ، ولكن سنان ما لبث أن اعلن بعد ذلك أنه الامام ، ومن نسل الأئمة ، بالاضافة الى قوله بتناسخ الأرواح ، « وكانت كتاباته وأحاديثه ورسائله ، وخطبه وعلاقاته مع الصليبيين كثيرة ، مما حمل الكثيرين على الاعتقاد بأنه ترك الاسماعيلية متقربا من النصارى والنصرانية ، أو أنه أنشأ عقيدة قريبة منها »[2] . لذا نجده يقف موقفا معاديا تجاه نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ، اللذين أرادا توحيد العالم الاسلامي ضد الصليبيين ، ويحاول مرارا قتل صلاح الدين ، مما أضطر صلاح الدين الى قتاله حتى تم الصلح بينه وبينهم سنة ٥٧٢ هـ[3] .

« وعندما مات سنان ، خلفه عدد من الدعاة ، عادوا واتجهوا في ولائهم الى أئمة قلعة آلموت ، وبقي الأمر على هذه الحال حتى سنة ٦٥٤ هـ ، حينما سلموا للمغول بعض حصونهم بعد اجتياحهم بلاد الشام ، ولكن موقعة عين جالوت بقيادة بيبرس سنة ٦٥٧ هـ ، وانتصاره فيها على المغول ، غيرت مجرى الأحداث ، فقد أعلن الاسماعيليون ولاءهم لبيبرس وقبلوا دفع الجزية له ، وأصبح له الحق أيضا في أن يولي عليهم من يشاء من الدعاة ، فعين سنة ٦٦٩ هـ الداعي صارم الدين بن سالمة داعية على قلعة القدموس وقلعة الرصافة . ولكن صارم الدين حاول أن يتمرد على بيبرس سنة ٦٧٠ هـ ، فألقي القبض عليه ، وعادت القلاع الاسماعيلية للخضوع لبيبرس . واسماعيلية الشام لا يزالون يعيشون في سورية الى الآن ، وبالذات في سلمية

---

١ ــ العقيدة والشريعة / جولد تسيهر ص ٢٤٦ .
٢ ــ قلعة آلموت / عمر أبو النصر ص ١٦٢ .
٣ ــ أنظر تفصيل ذلك في الكامل في التاريخ / ابن الأثير جـ ١١ ص ٤٣٦ .

والقدموس ومصياف وبانياس ، وينقسمون الى فريقين : فريق يدعوا للأئمة النزاريين من نسل قاسم شاه ، وفريق آخر يدعو للأئمة من نسل محمد شاه »(١) .

ومما هو جدير بالملاحظة ، أن الاسماعيليين منذ سنة ١٢٣٣ هـ ، يحاولون الامتداد والدعوة لمذهبهم على حساب الاسلام في كثير من البلاد التي يجهل أهلها تعاليم الاسلام الصحيحة ، وكل هذا كان بتشجيع من الدول الاستعمارية وخاصة بريطانيا ، الذين رأوا في الاسماعيلية وسيلة توقف خطر الاسلام عنهم . لذلك نرى الاسماعيلية تتوغل في بلاد أفريقية وآسيوية عديدة أهمها : كينيا وأوغندا وسيلان وبورما ، مفتتحة في سبيل ذلك المراكز الضخمة في دار السلام عاصمة كينيا ، وفي كمبالا عاصمة أوغندا .

وفي السنوات الأخيرة ، امتد نشاطهم كذلك الى الولايات الامريكية ، حيث افتتحوا لهم مراكز ضخمة تدل على مآربهم وأهدافهم المريبة ، لان هذا تم بعد الاقبال الجماهيري من الزنوج على الاسلام .

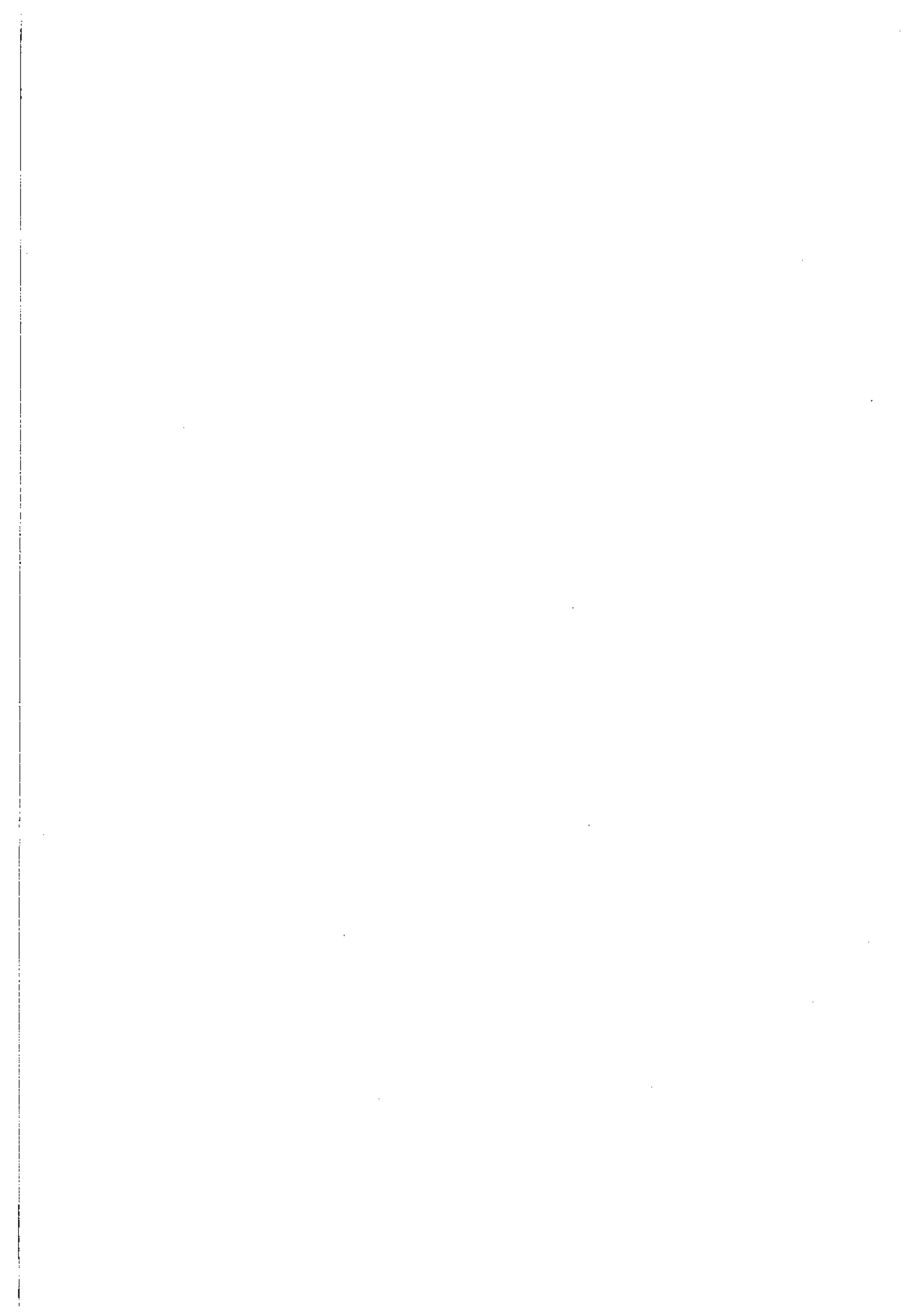
ويلاحظ أيضاً أن الدعاية للاسماعيلية وأفكارها أخذ ينتشر في الآونة الأخيرة في البلاد العربية على يد عدد من دعاتهم وأهمهم : مصطفى غالب وعارف تامر ، اللذين ما فتئا يكتبان عن الاسماعيلية وعقائدها وحركاتها ، بمساعدة عدد من دور النشر اللبنانية ، مستغلين جهل القارىء المسلم بحقيقة هذه الحركات ، لذا امتلأت الأسواق العربية بالكتب البراقة المريبة ــ من تأليف هذين المؤلفين وغيرهما ــ التي تتحدث عن الاسماعيليين بصفتهم أصحاب الفكر الذي حمى الاسلام ، ووقف سدا منيعا أمام أعدائه ؟! حتى وصل الأمر بهذين المؤلفين أن يصدرا الكتب المدافعة عن حركتي القرامطة والحشاشين (٢) ، وجعلها في مصاف الحركات الثورية التي أرادت انشاء المجتمع الاشتراكي المثالي ؟! .

---

١ ــ طائفة الاسماعيلية / د. محمد كامل حسين ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

٢ ــ راجع لمصطفى غالب الكتب التالية :
تاريخ الدعوة الاسماعيلية / والحركات الباطنية في الاسلام / والقرامطة / والحسن بن الصباح .
وكذلك لعارف تامر : القرامطة / وتحقيق كتاب الهفت والأظلة .

والآن ، بعد أن بحثنا في تاريخ الاسماعيلية منذ نشأتها وحتى الان ، علينا أن نلم بعقائدها الأساسية التي تستند عليها في تاريخها الطويل ، وأعتقد أن القارىء الكريم استطاع أن يتبين معالم هذه العقيدة ، فتاريخ أي حركة انما هو في الواقع صورة صادقة وحية عن عقائدها وأفكارها الحقيقية .



الفصل الثاني

الجانب الباطني في عقائد الاسماعيليين

١ ـــ عقيدتهم في الألوهية والتوحيد :

تذهب الاسماعيلية في عقائدها دائماً الى النفي المطلق للصفات عن الله ، وانكار أية صفة عنه سبحانه من التي وصف بها نفسه في القرآن الكريم ، لأنه تعالى ـــ كما يزعمون ـــ فوق متناول العقل ، والعقل عاجز عن ادراك كنهه ، فنفي الصفات عن الله اعتقاد أساسي في التوحيد عند الاسماعيلية ، لان ثباتها ـــ حسب زعمهم ـــ يعني عدم التوحيد[١] . ولهذا نرى الحامدي[٢] ينفي جميع الصفات الالهية عن الله سبحانه : « فلا يقال عليه حي ، ولا قادر ، ولا عالم ، ولا عاقل ، ولا كامل ، ولا تام ، ولا فاعل ، لأنه مبدع الحي القادر العالم التام الكامل الفاعل ، ولا يقال له ذات لأن كل ذات حامله للصفات .... »[٣] .

والاسماعيليون يزعمون أن جميع الأسماء والصفات الالهية ، انما تليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ، ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية[٤] . فأسماء الله الحسنى التي ذكرت في القرآن الكريم ما هي الا اشارة الى حدوده الروحانية العلوية

---

١ ـــ تاج العقائد ومعدن الفوائد/علي بن محمد الوليد ص ٢٨ .

٢ ـــ أحد دعاة الاسماعيلية وكتابها في اليمن ، توفي سنة ٥٥٢ هـ .

٣ ـــ كنز الولد/ابراهيم الحامدي ص ١٣ و ١٤ .

٤ ـــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق د. محمد كامل حسين ـــ من تعليقه ص ٨٩ .

والجسمانية السفلية ، ويؤولون قوله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها »[1] ، بأن المقصود بالأسماء هم الحدود ، أي تطلبون الوصول الى توحيد الله من جهتهم[2] . ذلك أن الاسماعيلية تزعم أن الله لم يخلق العالم خلقا مباشرا ، وانما أبدع الله تعالى (الكاف) واخترع (النون) ، وأن من الكاف والنون أقام الله العالم العلوي والعالم السفلي[3] .

فتوحيد الله الصحيح عندهم — كما يزعمون — : هو معرفة حدوده ، وسلب الالهية عنه له تجريده ، وسلب الأسماء والصفات عنه له تنزيهه[4] ، لأن الاثبات الحقيقي لهذه الصفات والأسماء على الله يعني شركة بينه وبين سائر الموجودات[5] .

واستنادا الى ما سبق ، فان معرفة الله عند الاسماعيليين تقوم على اعتبارين : **الأول** : تجريد الله وتنزيهه عن أسمائه وصفاته ، **والثاني** : أن توحيده يعني معرفة حدوده .

ونظرية الابداع التي تقول بها الاسماعيلية ، تتفق تمام الاتفاق مع الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، وبالذات مع نظرية الفيض عند أفلوطين ، مع أن بعض كتاب الاسماعيلية كالكرماني وغيره ، يحلوا لهم أن يبدلوا كلمة الفيض بكلمة الابداع[6] ، بتعليلات فلسفية لا تغير في جوهر المعنى شيئا .

والاسماعيلية بعد أن تجرد الله عز وجل من جميع أسمائه وصفاته ، تحولها الى أول مبدع أبدعه الله تعالى — وهو كما يزعمون — : (العقل الأول) ، ويصف الكرماني هذا المبدع بقوله : اذا كان الله عريا عن كل صفة ، فان صفات الكمال

---

١ — سورة الأعراف آية ١٨٠ .
٢ — ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ٩٠ .
٣ — المصدر السابق ص ٩٢ .
٤ — كنز الولد/الحامدي ص ١١ .
٥ — الافحام لأفئدة الباطنية الطغام/يحيى العلوي ص ١٢ .
٦ — انظر راحة العقل/للكرماني ص ١٧١ — ١٧٣ .

موجودة في أول مبدع أبدعه ، فهو ـــ أي المبدع ـــ الحق والحقيقة ، وهو الوجود الأول ، وهو الوحدة ، وهو الواحد ، وهو الأزل ، وهو الأزلي ، وهو العقل الأول ، وهو المعقول الأول ، وهو العلم ، وهو العالم الأول ، وهو القدرة ، وهو القادر الأول ، وهو الحياة ، وهو الحي الأول[1] .

فالواحد ـــ كما يزعمون ـــ أبدع بأمر من مشيئته أول (سابق) فهو اذن العقل الأول والحجاب المفضل ، وظهر عنه التالي مخترعا من نوره ، ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما ، فالفيض الأول هو أصل الايجاد ، وهو المبدأ واليه المعاد[2] .

ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى خاطب العقل بعد خلقه بقوله : أنت فتقي ورتقي ، والمشرف مني على خلقي ، بك آخذ حقي ، وبك أنجز وعدي ، فوعزتي وجلالي ، لا أصل من يجحدك ، ولا يعرفني من أنكرك ، فأنت مني بلا تبعيض ، وأنا فيك بلا حلول ، وفي منتهى لطائف العقول[3] .

وواضح بعد هذا أن العقل الأول أو السابق ـــ عند الاسماعيليين ـــ محل لجميع الصفات والأسماء الالهية ، فهو عندهم الاله ممثلا في مظاهره الخارجية ، ولما كانت الصلاة لا يمكن أن تؤدى لكائن لا يدرك فهي تؤدى في رأيهم لمظهره الخارجي ، أي العقل الذي أصبح بذلك الاله الحقيقي عندهم ، وبما أنه ليس في مقدور الانسان أن يصل الى معرفة ذات الله ، وانما يعرف العقل وحده ، لهذا يسمي الاسماعيلية العقل : الحجاب أو المحل ، أو الصلة[4] .

والعقل الأول أو المبدع الأول هو الذي رمز اليه تعالى بـ (القلم) في الآية الكريمة (ن والقلم وما يسطرون)[5] ، وعلى هذا فالقلم هو الخالق المصور ، وهو الذي أبدع النفس الكلية التي رمز اليها القرآن بـ (اللوح المحفوظ) ،

---

١ ـــ انظر راحة العقل/للكرماني ص ١٨٩ .
٢ ـــ أربع رسائل اسماعيلية/عارف تامر (الرسالة الأولى : مطالع الشموس في معرفة النفوس ، لشهاب الدين) ص ١٩ .
٣ ـــ المصدر السابق ص ١٧ .
٤ ـــ دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٣ ص ٣٨١ .
٥ ـــ سورة القلم آية (١) .

ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي ، الا أن العقل كان أسبق الى توحيد الله وأفضل فسمي بـ (السابق) وسميت النفس بـ (التالي) ، وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية ، من جماد وحيوان ونبات وانسان ، وما في السموات من نجوم وكواكب[1] . لذلك نجد شهاب الدين يبدأ رسالته بقوله : الحمد لله الذي ظهر لخلقه ، واحتجب عن خلقه بخلقه ، وأبدع بأمره الكريم وسره العظيم ، السابق الأول ، ثم اخترع منه التالي الثاني فصبغ جوهرهما بنور وحدته ، وجعلهما أصلين للخلق والدين ببديع قدرته[2] .

فالخالق عند الاسماعيلية اذن هو العقل الكلي والنفس الكلية ، واذا ذكر الله عندهم فالمقصود هو العقل الكلي ، فاذا عرفنا ذلك استطعنا أن نتبين سبب الاهتمام الكلي لدعاة الاسماعيلية في هذا الموضوع ، وما ذلك الا لاثبات فضل حدين من حدود الدين ـــ عندهم ـــ هما حد النبي ، وحد الوصي أو الامام ، وأن هذين الحدين في العالم السفلي يقابلان حدين شريفين هما أعلى الحدود في العالم العلوي وهما حد القلم أو السابق أو العقل الكلي ، وحد اللوح أو التالي أو النفس الكلية ، وأن النبي والوصي في عالم الدين يوجدان هذا الدين كما أوجد السابق أو التالي عالم الأمر كله ، اذ عنهما يصدر الوجود ، وهذان الحدان هما المشار اليهما (بالكاف والنون) ، وأن الناطق أو (النبي) ومن قام مقامه من وصي أو امام يتصف بكل الصفات التي للعقل الكلي ، وأن أسماء الله الحسنى هي أسماء العقل الكلي أو السابق فهي اذن تنطبق على الناطق أو الامام[3] . فالامام الاسماعيلي اذن هو ممثل العقل الكلي ، فهو الواحد ، الأحد ، الفرد الصمد ، وعلى ضوء ذلك قال ابن هانىء الأندلسي الشاعر في مدح المعز لدين الله العبيدي :

« ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

ويقول :

ندعوه منتقما عزيـــزا قادرا   غفار موبقة الذنوب صفوحا »[4]

---

١ ـــ الثائر الحميري الحسن بن الصباح/مصطفى غالب ص ١٠٢ ، وطائفة الاسماعيلية/محمد كامل حسين ص ١٥٨ .
٢ ـــ أربع رسائل اسماعيلية/عارف تامر (الرسالة الأولى : مطالع الشموس في معرفة النفوس) لشهاب الدين ص ١١ .
٣ ـــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ٩٨ .
٤ ـــ تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٤٨ .

ويقول شاعر آخر :

هذا أمير المؤمـنين بمجـلس أبصرت فيه الوحـي والتنزيـلا

واذا تمثـل راكبـاً في موكـب عاينت تحت ركابـه جبريـلا »[1]

ومما يذكر أن نظرية المثل والممثول التي تقول بها الاسماعيلية تقوم على أن الحدود الروحـانية العلوية ، يوجد لها ممثول في الصور الجسمانية السفلية ، وهذه النظرية نظرية فلسفية قديمة ذكرها افلاطون مرارا في كتبه[2] .

واذا طبقنا نظرية المثل والممثول على حدود الاسماعيليين ، يكون في العالم الأرضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية وتتصف وتسمى بأسمائها ، لأن الله سبحانه وتعالى المنزه عن الأسماء والصفات ، أقام العالمين العلوى والسفلي بعشرة حدود كاملة : خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية ، فالحدود الجسمانية أو الأرضية هم : النبي والوحي والامام والحجة والداعي ، يقابل كلا منهم في العالم العلوى : السابق والتالي والجد والفتح والخيال ، وقد استندوا في ذلك الى تأويل قوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء[3] » فزعموا أن المقصود بـ (الوحي) في الآية الكريمة هو رتبة (الجد) ، وأما (الحجاب) فهو رتبة (الفتح) ، (ويرسل رسولا) رتبة (الخيال)[4] .

وبالاضافة الى النفس الكلية بصفتها المنبعث الأول عن العقل الكلي ، فان الاسماعيلية تعتقد بوجود انبعاث ثان عن العقل الكلي هو الهيولى والصورة أو (عالم المادة والأرض) ، ويطلقون على الموجود الأول أو المنبعث الأول ـــ

---

١ ـــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ١٥٩ .

٢ ـــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ١٠٧ .

٣ ـــ سورة الشورى آية ٥١ .

٤ ـــ الحركات الباطنية في الاسلام/مصطفى غالب ص ١١٧ ، ١١٨ .

أي النفس الكلية ـــ : العقل القائم بالفعل ، وعلى الموجود الثاني ـــ أي الهيولى ـــ : العقل القائم بالقوة[1] .

ويزعمون أن حركات العالم المادية تأتي من الأول بواسطة الثاني ، وروحانياته تكون من السابق ـــ أي العقل الكلي ـــ بواسطة التالي ـــ أي النفس الكلية ـــ[2] . وباختصار : فان الجوهرية أو الروحانية الموجودة في الانسان تأتي اليه من العقل القائم بالفعل ، وصورته وشكله وتركيبه يأتي من الهيولى أو العقل القائم بالقوة .

ومن اعتقاداتهم أيضا في النفس الكلية ، زعمهم بانبثاق سبعة عقول قائمة بالفعل عنه ، وجود كل واحد منهم عن الأخر ، لا فرق بينهم في الحياة والقوة والقدرة والكمال الا برتبة السبق في الانبعاث ، وهذه العقول في العالم العلوي يقابلها في العالم السفلي أئمة سبعة .

ويزعمون أن موجودات هذا العالم من نبات ومعادن وحيوان وانسان ، كان نتيجة اتصال الأفلاك والكواكب (وهم الأباء) ، مع الأركان أو (العناصر) التي هي (الأمهات) ، وكانت النتيجة توالد كل هذه الموجودات الأرضية ، وكان أخر المواليد وزبدتها وصفوتها وخلاصتها هو الشخص البشري أو الانسان . ويرون أن الأفلاك والكواكب اضافة الى الأركان قد انبعثتا من العقل القائم بالقوة أو (الهيولى) .

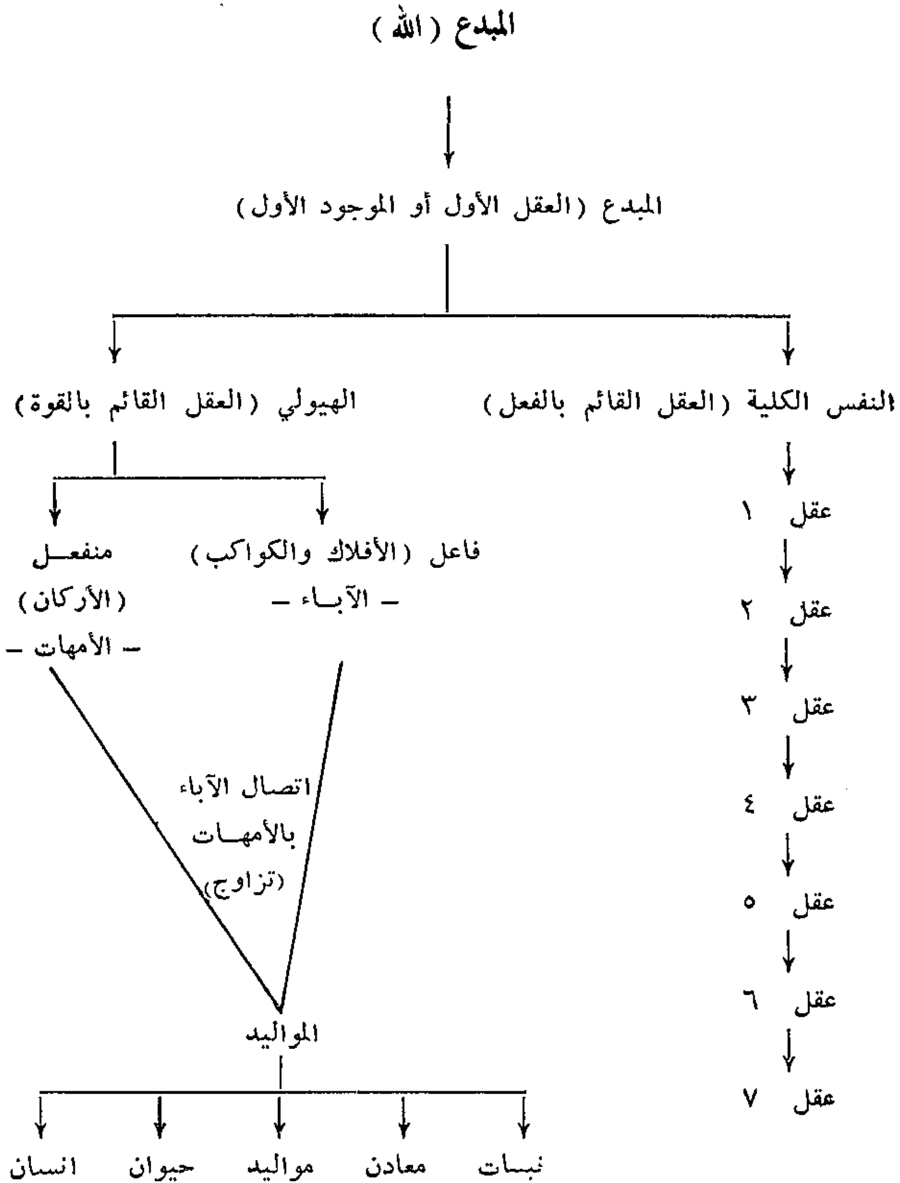
وعلى أساس معتقدهم في انبعاث العقول السبعة عن النفس الكلية ، فهم يزعمون أن هذا العالم له دورات متعاقبة تقوم على مبدأ الرقم (سبعة) ، وكل دور له نطقاء أو (أنبياء) سبعة ، وأسس أو (أوصياء) سبعة ، وأئمة سبعة . فاذا انتهى

---

١ ـــ هذه النظرية مأخوذة أيضاً عن الفلسفة اليونانية وقال بها أرسطو ، وتقوم : على أن الشيء قبل أن يتحقق وجوده في العقل يكون في مرحلة الاستعداد لهذا الوجود ، وهو الذي يسمى (الوجود بالقوة) ، ومثال ذلك : الطفل أو الصبي الصغير فأنه وهو في طفولته يكون رجلا بالقوة ، أي له الاستعداد لكي يكون رجلا بعد ذلك ، واذا وصل الطفل الى مرحلة الرجولة أصبح رجلا بالفعل ، وكذلك الحبة فانها وهي ما زالت حبة تكون شجرة بالقوة ، فاذا نبتت ونمت وترعرعت أصبحت شجرة بالفعل .

٢ ـــ أربع رسائل اسماعيلية/عارف تامر ـــ (الرسالة الأولى : مطالع الشموس في معرفة النفوس) لشهاب الدين ص ٢٠ .

كيفية تسلسل الموجودات
عند الاسماعيليين في
عالم العقول



أو تم دور العقل السابع والأخير ، أتى من بعده دور جديد متمثل بناطق أو (نبي) جديد يدعو الى شريعة جديدة ينسخ بها شريعة النبي الذي كان قبله ، ولهذا فهم يزعمون أن « (محمد بن اسماعيل) مؤسس فرقتهم هو الناطق الجديد الذي افتتح دورا جديدا في دورات هذا العالم هو دور القيامة ، بعد أن انتهى الدور السابق ، والذي بدأ به (محمد ﷺ) وأساسه علي بن أبي طالب ، وتم بـ (اسماعيل بن جعفر) ، وسينتهي الدور الجديد بظهور قائم القيامة .

ولقد قابل الاسماعيليون مراتب العقول التي قالوا بها بمراتب الدعوة الاسماعيلية ، وبالأفلاك والكواكب الموجودة في السماء ، وطابقوها على الشكل التالي :

١ ــ العقل الأول أو المبدع الأول

يقابل الفلك الأعلى ، ويقابل الناطق ، وله رتبة التنزيل .

٢ ــ العقل الثاني أو الموجود الثاني

يقابل الفلك الثاني ، ويقابل الأساس ، وله رتبة التأويل .

٣ ــ العقل الثالث

يقابل (فلك زحل) ويقابل الامام ، وله رتبة الأمر .

٤ ــ العقل الرابع

يقابل (فلك المشترى) ويقابل الباب ، وله رتبة فصل الخطاب .

٥ ــ العقل الخامس

يقابل (فلك المريخ) ويقابل الحجة ، وله رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا .

٦ ــ العقل السادس

يقابل (الشمس) ويقابل داعي البلاغ ، وله رتبة الاحتجاج .

٧ ــ العقل السابع

يقابل (فلك الزهرة) ويقابل الداعي المطلق ، وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية .

٨ ــ العقل الثامن

يقابل (فلك عطارد) ويقابل الداعي المحدود ، وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة .

٩ ــ العقل التاسع

يقابل (القمر) ويقابل المأذون المطلق ، وله رتبة أخذ العهد والميثاق .

١٠ ــ العقل العاشر

يقابل (ما دون فلك القمر) ، ويقابل المأذون المحدود أو المكاسر أو المكالب ، وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة[١] .

والحقيقة أن الذين يدرسون الاسماعيلية يستطيعون أن يدركوا مدى تأثر العقائد الاسماعيلية بالفلسفة اليونانية الشرقية والغربية ، فالفيثاغوريون الذين جعلوا كل الأعداد أصولا لعقيدتهم ، جاءت الاسماعيلية لتصبغها بالصبغة الاسلامية على حسب العقيدة الاسماعيلية ، ومن ثم ظهرت عندهم عقائد في الأعداد وما يقابلها من أصول دينية[٢] . ونظرية الفيض الافلاطونية أيضا من أوضح الأمثلة على اقتباس الاسماعيليين منها ، فاذا قرأنا نظرية مراتب الموجودات عند الاسماعيلية نجد أنفسنا أمام نظرية الفيض في الفلسفة الافلاطونية الحديثة .

ولم يقف دعاة الاسماعيلية عند هذا الحد فقط ، بل عملوا على التوفيق بين الصليب (شعار النصرانية) ، وبين الشهادة (شعار الاسلام) ، ليصلوا بنفس

---

١ ــ أنظر مذاهب الاسلاميين/د. عبد الرحمن بدوي جـ ٢ ص ٢٦٧ ، والثائر الحميري الحسن بن الصباح/مصطفى غالب ص ١١٣ .

٢ ــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ١٧٤ .

الوقت الى التوفيق بينهم وبين الحدود العلوية الاسماعيلية ، وكل هذا من أجل هدفهم الرئيسي وهو محو الأديان جميعها ، وايجاد دين عالمي واحد يقوم على مبادىء هادمة للقيم والأخلاق التي جاءت من أجلها الأديان السماوية ، وهذا التوفيق بين الصليب والشهادة من جملة ذلك ، ونجده في قول السجستاني وهو يحاول أن يوفق بينهما اذ يقول :

« ان الشهادة مبنية على النفي والاثبات ، فالابتداء بالنفي والانتهاء الى الاثبات ، وكذلك الصليب خشبتان : خشبة ثابتة لذاتها ، وخشبة أخرى ليس لها ثبات الا بثبات الأخرى . والشهادة أربع كلمات ، كذلك الصليب له أربعة أطراف ، فالطرف الذي هو ثابت في الأرض ، منزلته منزلة صاحب التأويل الذي تستقر عليه نفوس المرتادين ، فالطرف الذي يقابله علوا في الجو ، منزلته منزلة صاحب التأييد الذي عليه تستقر نفوس المؤيدين ، والطرفان اللذان في الوسط يمنة ويسرة دليل على التالي والناطق ، اللذين أحدهما صاحب التركيب والأخر صاحب التأليف ، أحدهما مقابل الآخر ، والطرف القائم دليل على السابق الممد لجميع الحروف ، والشهادة سبعة فصول ، كذلك الصليب أربع زوايا وثلاث نهايات . وللزوايا الأربع والنهايات الثلاث دليل على الأئمة السبعة في أدوارهم ، كما دلت الفصول السبعة في الشهادة على أئمة دور ناطقنا عليه السلام . وكل طرف منها له ثلاثة أطراف ، تكون الجملة اثنى عشر ، كذلك الشهادة اثنا عشر حرفا ..... وكما أن الشهادة انما تكمل عند اقترانها بمحمد صلى الله عليه وآله ، كذلك الصليب انما شرف بعد أن وجد عليه صاحب ذلك الدور[1] » .

ومما لا شك فيه أن هذا المنهج الباطني سلاح ذو حدين ، فهو اما أن يتجه الى تثبيت المذهب الاسماعيلي ، واما الى محاولة القضاء على الاسلام كله . ومعتقدهم في الألوهية والتوحيد من هذا القبيل ، « فظاهره التوحيد الخالص لله ، وباطنه الكفر المحض والانسلال عن ربقة الدين »[2] .

---

١ ـ كتاب الينابيع/السجستاني ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

٢ ـ الافحام لأفئدة الباطنية الطغام/يحيى العلوي ص ٣٨ .

وقد تبين لنا أن الاسماعيلية تعتقد بوجود الهين صانعين لهذا العالم ، أحدهما علة لوجود الأخر ، وهما السابق والتالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي .

وهذا الاعتقاد من المقالات الموجبة للتفكير ، يقول أبو حامد الغزالي : أما القول بالهين فكفر صريح لا يتوقف فيه ، لأنهم عرفوا أننا نعتقد أن للعالم صانعا واحدا قادرا عالما مريدا متكلما سميعا بصيرا حيا ، ليس كمثله شيء ... فمن رأها كفرا فهو كافر لا محالة[1] . وكما نعلم فان الدعوة الأولى التي دعا اليها رسول الله ﷺ هي التوحيد وعدم الاشراك مع الله إلهاً آخر ،ولا شك أن اعتقاد الاسماعيلية يعني اشراك آلهة أخرى مع الله ، وهذا يدل على هدم الركن الأساسي في الاسلام .

---

١ ـــ فضائح الباطنية/أبو حامد الغزالي ص ١٥١ .

٢ ـ عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة :

الوحي عند الاسماعيلية بعيد كل البعد عن الحقائق والأخبار التي وردتنا عن رسول الله ﷺ لأنه قائم على اعتقادهم بأن العقل وليس الله هو مدبر هذا الكون وهو مرسل الوحي الى الأنبياء ، وعلى هذا فهم يزعمون أن الوحي هو : « ما قبلته نفس الرسول من العقل ، وقبله العقل من أمر باريه »[١] والنبي عندهم عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق ـ بواسطة التالي ـ قوة قدسية صافية[٢] . وينبغي على النبي ـ كما يزعمون ـ قبل أن يصل الى مرتبة النبوة أن يمر بمرتبة الولي أو (الولاية) ، لأنه يجمع في نفسه الصفات الثلاث : الولاية والنبوة والرسالة[٣] .

وزعموا أن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ، ولا اتصل بهم الوحي ، الا عن طريق الحدود الروحانية وهي (الجد ، والفتح ، والخيال) ، فالسابق يوحي الى التالي ، الذي يوحي بدوره الى الجد وهو ـ اسرافيل ـ ، فيبلغه الى الفتح وهو ـ ميكائيل ـ ، الذي أبلغه الى الخيال ـ جبرائيل ـ، فيوحيه جبرائيل الى الناطق الحي الذي يكون يمثل في دوره دور السابق[٤] .

ويستدلون على ذلك بحديث ينسبونه الى النبي ﷺ « انني أخذ الوحي عن جبرائيل ، وجبرائيل يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن اللوح ، واللوح يأخذه عن القلم » فصار التأييد يتصل بالنطقاء من خمسة حدود علوية ، ويتصل عنهم للمستجيبين ، بواسطة خمسة حدود سفلية[٥] .

واستنادا الى ذلك ، فالوحي وبالتالي القرآن مستمد من سلسلة الحدود العلوية التي أولها السابق (العقل الأول) ، لذلك فالقرآن ليس كلام الله ، لكنه في نفس

---

١ ـ تاج العقائد ومعدن الفوائد/علي بن محمد الوليد ص ٤٧ .
٢ ـ فضائح الباطنية/أبو حامد الغزالي .
٣ ـ مذاهب الاسلاميين/د. عبد الرحمن بدوي جـ ٢ ص ٢٩٤ .
٤ ـ كنز الولد/الحامدي ـ من تعليقات المحقق ص ٧٦ ـ والثائر الحميري الحسن بن الصباح/لمصطفى غالب ص ١١٨ ـ وتاريخ الدعوة الاسماعيلية/مصطفى غالب ص ٥٤ .
٥ ـ أساس التأويل/القاضي النعمان ص ٧٠ .

الوقت ليس كلام رجل يطلقه كما يشاء ، وهكذا فالقرآن والنبوة عموما ، ليس سوى جزء أو مرحلة من استمرار السابق والتالي لتدبير العالم بشطريه المادي والروحي ، والقرآن نتيجة الوحي الهابط من سلسلة العقول على النبي ، لكن الوحي مستمر ، والأدوار مستمرة متابينة ، فلا غرابة اذن أن يقوم ناطق كل دور بنسخ شريعة سابقة . من هنا فليس ما يمنع من انتظار القائم صاحب الدور السابع ، ليقوم بنسخ الشرائع جميعا بما فيها الشريعة التي تتمثل بالقرآن ، والشريعة تتطور على يد الامام الذي يكشف باطنها بعد أن يعلن النبي ظاهرها ، وهذه مرحلة تسبق مرحلة النسخ على يد الناطق التالي ، والامام لا بد منه في كل عصر ، وهو معصوم يرجع اليه في كل العلوم ، وعصمته تعادل عصمة النبي ، وهو يرث الوحي عن النبي[١] .

والناطق السابع الذي نسخ شريعة الاسلام في نظر الاسماعيليين هو (محمد بن اسماعيل) ، فهو ناسخ ، وفاتح لعهد جديد ، وهو صاحب شريعة عطلت بقيامها ظاهر شريعة محمد (ﷺ)[٢] . وهو أيضا كما يقول الحامدي : « متمم شريعته وموفيها حقوقها وحدودها ، وهو السابع من الرسل »[٣] .

وقد سمى الاسماعيليون الأنبياء بالنطقاء ، لأن النطق كما قالوا : قسمان ، أحدهما ما يتميز به الانسان عن البهائم وهو النطق عما في الدنيا ، والاخر النطق عما في الدار الاخرة المتميز به أهل التأييد الذين يتكلمون عما وراء الحجاب[٤] .

ومن ناحية أخرى ، فقد استنكر الاسماعيليون ما ذهب اليه أهل السنة في تفسيرهم الطاهري لقصص الأنبياء ومعجزاتهم ، وعملوا على تأويلها بما لا يتفق في كثير ولا قليل مع ما هو معروف ، اذ ادعى الاسماعيليون أن تفسيرات المفسرين الظاهرية تعرض الأنبياء الى رميهم بارتكاب المعاصي . كما أنهم ادعوا أن المعجزات ليست خاصة بالأنبياء فقط ، وانما تصح أيضا من الأوصياء والأئمة والحدود ، ومعجزة هؤلاء هي علوم الباطن التي اختصوا بها دون غيرهم من البشر[٥] .

---

١ ــ أنظر بتفصيل أكثر كتاب الاسماعيليون في المرحلة القرمطية/سامي العياش ص ١٦٩ .
٢ ــ مذاهب الاسلاميين/د. عبد الرحمن بدوي جـ ٢ ص ٢٩٣ .
٣ ــ كنز الولد/الحامدي ص ٢١١ .
٤ ــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ١٣٥ .
٥ ــ أنظر كتاب ديوان المؤيد في الدين/تحقيق محمد كامل حسين ص ١٣٦ .

أما بصدد تأويلاتهم لقصص الأنبياء ومعجزاتهم ، فجميعها تدور في فلك واحد بأن تجعل هذه القصص والمعجزات رموزا لأشياء لا يفهمها الا أهل الباطن ، ومن أمثلة ذلك : قصة ادم وخروجه من الجنة بسبب أكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها ، فقد أنكرت الاسماعيلية هذا التفسير ، وزعمت أن له تأويلا باطنا ، وهو أن ادم لم يكن أول الخلق ، وانما كان قبله عالم عاش بينهم آدم ، وأن ادم هذا كان له حجة هو الذي رمز اليه في القرآن الكريم بحواء ، أي أن حواء عندهم لم تكن أنثى وليست بزوجة ادم ، انما كانت أقرب الدعاة الى آدم ، وأن آدم وحواء كانا ينعمان في دعوة الامام الذي كان قبل ادم ، وهي دعوة اسماعيلية عبر الله عنها بالجنة ، فتطلع ادم الى مرتبة دينية أعلى من مرتبته ، فأخرجه الامام من الدعوة ، ولكن ادم عاد اليها بعد ان تاب الامام عليه . وكذلك أولوا ما جاء عن ابراهيم الخليل عليه السلام في القرآن الكريم : « فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون »[1] فالكواكب المذكورة في الآيات الكريمة هم الدعاة الذين أخذ عنهم ابراهيم علوم الدعوة الاسماعيلية ، حتى انتهى ما عندهم ، فاتجه الى الأخذ عن حجة النبي الذي كان قبله ، فلما أتى على جميع ما عنده من العلوم طلب العلم عن النبي نفسه حتى هيأه النبي أن يحل محله بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى[2] . ومن أمثلة ذلك أيضا : أن ثعبان موسى معناه عندهم حجته ، ومعنى أن المسيح لا أب له أنه لم يأخذ العلم عن امام ، وأن احياءه الموتى اشارة الى علمه الذي يهدي به ، ونبع الماء بين أصابع النبي ﷺ اشارة الى كثرة علمه[3] .

واذا بحثنا عن السبب الذي من أجله اتجهوا الى تأويل قصص الأنبياء هذا الاتجاه ، نجد أن من عقائدهم ما أطلقوا عليه (نظرية الدور) ، وتتلخص هذه النظرية في أن الحياة تتجدد ، وهي مقسمة الى فترات ست ، وعلى رأس كل فترة

---

١ ــ سورة الأنعام آية ٧٦ ــ ٧٨ .

٢ ــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

٣ ــ الافحام لأفئدة الباطنية الطغام/يحيى العلوي ص ٢٠ .

نبي ، وبين كل نبي وأخر أئمة يخلفون النبي في شؤون دينهم ، وأن ما يحدث في فترة من هذه الفترات يحدث ما يشبهه تماما في الفترات الأخرى ، فما حدث في عصر ادم عليه السلام هو نفس ما حدث في عصر ابراهيم وفي عصر نوح وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ولذلك كانت صفات هؤلاء الأنبياء واحدة بحيث تسطيع أن تقول مثلا : ان موسى هو ادم عصره ، وهو نوح عصره ، وعيسى عصره ، وأن الأئمة الذين خلفوا الأنبياء في مرتبة واحدة أيضا وصفات واحدة ، ونتيجة ذلك أن امام العصر وهو وارث الأنبياء جميعا وكل من سبقه من الأئمة ، فهو صاحب كل صفات الأنبياء والأئمة السابقين[1] .

ولعل تأويلات الاسماعيلية عن قصص الأنبياء ومعجزاتهم ، تجعلنا نتفهم قول علمائنا عنهم ، أنهم يبطلون المعجزات وينكرون النبوات ، فالاسماعيلية في مزاعمها السابقة ، يكذبون بتأويلاتهم الملتوية للقرآن الكريم في قصصه عن الأنبياء ، وبالتالي يجردون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كل معجزة مادية ظاهرة ظهرت عنهم ، لأن التأويل الذي يقولون به ما هو الا بدعة تحايلوها للتستر على حقيقة اعتقاداتهم الالحادية .

والامر المهم الآخر في اعتقادهم بالنبوة ، زعمهم أن الناطق الاخير كان (محمد بن اسماعيل) ، ومما لا شك فيه أن اعتقادهم هذا من الاعتقادات التي يكفر قائلها ، لأنها تنكر عقيدة ثابتة عند المسلمين ، وهو أن محمد بن عبدالله صلوات الله عليه خاتم النبيين والمرسلين .

---

١ ـــ طائفة الاسماعيلية/محمد كامل حسين ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

٣ ــ عقيدتهم في الولاية وأئمة الستر وأئمة القيامة وعصمتهم :

الامامة هي المحور الأساسي الذي تدور عليه كل العقائد الاسماعيلية ، لأن ولاية الامام هي الركن الأساسي لجميع أركان الدين ــ حسب زعمهم ــ .

ويعتقد الاسماعيليون أن للاسلام دعائم سبع ، « بغيرها لا يكون الانسان مسلما مؤمنا ، أولها الولاية ، ثم الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد »[١] . حتى أنهم جعلوا الولاية ، ماسك الجميع ورابطه والمانع من اختلاله ، فاذا بطلت من الدين ولاية الوصي والأئمة بطلت الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد ، وعاد الدين جاهلية ، فالولاية من الدين العمدة[٢] .

وينسبون الى علي بن أبي طالب أنه سئل ما الايمان ؟ وما الاسلام ؟ فقال : الاسلام الاقرار ، والايمان الاقرار والمعرفة ، فمن عرّفه الله نفسه ونبيه وامامه ، وأقر بذلك فهو مؤمن[٣] .

فالولاية عند الاسماعيليين ، هي اعتقاد وصاية علي وامامة الأئمة المنصوص عليهم من ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول ﷺ ، ووجوب طاعتهم ، فطاعة الله عز وجل مقترنة بطاعتهم ، ولن يقبل الله من مطيع طاعة الا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه الذين هم الأئمة من أهل البيت[٤] . ويزعمون أن جعفر الصادق سئل عن قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم »[٥] ، فقال : ايانا عنى به ، ونحن أولوا الأمر وطاعتنا مفروضة[٦] . وينسبون أيضا الى جعفر قوله : بنا يعبد الله ، وبنا يطاع الله ، وبنا يعصى الله ، فمن أطاعنا فقد أطاع الله ، ومن عصانا فقد عصى الله[٧] .

---

١ ــ دعائم الاسلام/القاضي النعمان جـ ١ ص ٨ .
٢ ــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ٧٠ .
٣ ــ الثائر الحميري الحسن بن الصباح/مصطفى غالب ص ١٠١ .
٤ ــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ٧١ .
٥ ــ سورة النساء آية ٥٩ .
٦ ــ سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ٢٦ .
٧ ــ دعائم الاسلام/القاضي النعمان جـ ١ ص ٣٩ .

وهذا المعنى كثير جدا في كتب الاسماعيلية ، أفردوا فيه فصولا طوالا ، لأن الولاية كما رأينا أقوى دعائم الاسلام في عقيدتهم ، لذلك لا نجد كتابا من كتبهم يخلو من حديث طويل عن طاعة الأئمة ، وليس أدل على ذلك من أن مفكرهم المعروف (القاضي النعمان) قد ألف كتابا عن كيفية الأدب مع الأئمة أسماه (الهمة في أداب أتباع الأئمة) قال فيه : فالأئمة فوق الخلق بما لا يدرك به علما ، والذي يجب لهم أعظم وأجل من أن يدرك بعلم وعقل ، ويقول أيضا : فينبغي لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالكون من جملة من ذكرناه من طبقات أتباع الأئمة ، أن يعتقد امامتهم ، اعتقاد من يرى ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه ، وسخطهم مقرون بسخطه . حتى أنه جعل فصلا خاصا في النهي عن انكار أفعال الأئمة ، والأمر بتأتيها عنهم بالقبول ، لأن الامام ينظر بنور ربه ويعمل بتأييده[1] . وقد تفرع عن هذا التقديس والاجلال أن قالوا : ان من شرك في امامه سلطة أخرى ، أو ارتاب في وجوب الطاعة له ، كان كمن أضاف للنبي نبيا أخر ، أو كمن شك في نبوته ، وبذا صار كمن وضع مع الله الها اخر ، وعلى ذلك فمن أشرك بالامام ، أو شكَّ في الامامة وأنكرها ، صار نجسا وليس بطاهر ، وأصبح ما يقتنيه هذا الرجل مما لا يصح استعماله[2] .

وليست عقيدة الولاية والامامة ، عقيدة خاصة بالاسماعيليين ، بل هي عقيدة الشيعة على اختلاف فرقهم ، قال بها الغلاة ، كما قال بها غيرهم ، والاسماعيليون ما هم الا فرع من فروع الشيعة . « ومن هنا جاءت الأراء الشيعية عن الامامة واحدة تقريبا ، فهم يفسرون بعض الايات القرآنية بأن المقصود بها الأئمة من أهل البيت ، فقوله تعالى « انما أنت منذر ولكل قوم هاد »[3] ، يزعمون أن رسول الله ﷺ قال في شرح هذه الآية : أنا المنذر وعلي الهادي من بعدي . وفسروا أيضا قوله تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه »[4] ، بأنه إقسام بما هو غاية القسم : أن ذلك الكتاب الناطق المترجم عن هذا الكتاب الصامت لا ريب فيه ، وأنه مختار من الله لمحمد

١ ــ الهمة في أداب أتباع الأئمة/القاضي النعمان الصفحات ١٥ ، ٢١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

٢ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام/جولد تسيهر ــ نقلا عن مخطوط في جامعة ليدن ص ٢٤٥ .

٣ ــ سورة الرعد آية ٧ .

٤ ــ سورة البقرة آية ٢ .

وصيا كاختيار محمد من الله سبحانه نبيا ، وأكدوا هذا التفسير بقصة نسبوها الى علي نفسه ، أنه كان يتلو في بعض الأيام القرآن الكريم فانتهت به القراءة الى قوله تعالى « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق »(١) ، فترك علي المصحف على رأسه وقال له : يا كتاب الله انطق ، وكررها ثلاث مرات ، فأشار بهذا الى أنه هو الكتاب الناطق ، وأن القرآن هو الكتاب الصامت »(٢) .

وعلى هذا النمط من تعظيم الامام وتقديسه جعل الاسماعيليون للأئمة صفات لا تمت الى البشرية بصلة ، بالرغم من الحاح كتاب الاسماعيلية ــ الذين كتبوا في ظل الدولة العبيدية ــ في القول بأن الأئمة من البشر ، وأنهم خلقوا من الطين ويتعرضون للآفات والأمراض والموت مثل غيرهم من بني ادم ، ولكننا نجد في تأويلاتهم الباطنية أن الامام هو (وجه الله) ، و (يد الله) ، و (جنب الله) ، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار ، وأنه هو (الصراط المستقيم) ، و (الذكر الحكيم) ، و (القرآن الكريم) ، والواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد(٣) ، الى غير ذلك من الصفات الالهية التي اكتسبها وأسبغت عليه بصفته ممثول العقل الكلي في الحدود الجسمانية .

وهكذا فقد اعتقد الاسماعيليون ، أن الامام من نور الله ، وأن جسمه أشرف الأجسام ، وأن جسمه عقل بالنسبة لأجسام البشر ، ولهذا وصفوا الامام بأنه قبلة النفس والروح . وعللوا وصفهم للامام بأنه قبلة الأرواح ، بأنهم في الصلاة مثلا يتوجهون نحو الكعبة ، والكعبة من تراب ، فالانسان يتجه الى الكعبة بجسمه الترابي ، ولكن نفس المصلي جوهر قابل لآثار النبوة والكتاب ، فاقتضى أن تكون قبلة نفسه ما تنحل اليه ، فالمصلي اذا استقبل الكعبة فكأنما استقبلها بجسمه الكثيف ، أما لطيفه (أي روحه) فمتجه الى الامام وقالوا ان معنى الحج هو القصد لأشرف البقاع ، وأشرف البقاع في الظاهر الكعبة ، وهي في التأويل حجة الله على خلقه

---

١ ــ سورة الجاثية آية ٢٩ .

٢ ــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ٧٤ ، ٧٥ .

٣ ــ انظر كتاب طائفة الاسماعيلية/محمد كامل حسين ص ٥٩ ــ وتاريخ الدعوة الاسماعيلية/مصطفى غالب ص ٤٠ .

الذي هو أشرف الخلق ، وهو قبلة النفوس التي تتوجه النفوس اليها لخلاصها ، ولكن توجه الانسان بحياته ونطقه إلى بيت جماد (أي الكعبة) ، لا يحس ولا يعقل خطب ، فاقتضى أن تكون قبلته الامام ، ولذا قال المؤيد :

أبيت من الأحجار أعظم حرمة
أم المصطفى الهادي الذي نصب البيتا (١)

كما ويعتقد الاسماعيليون أن الدين وعلومه وقف على الأئمة من أهل البيت ، وأن هذه العلوم هي علوم الباطن ، وأن استخلاص الباطن من الظاهر من اختصاص الأئمة فقط ، لأنهم وحدهم أصحاب علم الباطن (٢) .

لذا فان أهم شروط الولاية عند الاسماعيليين وجوب معرفة الامام ، واستدلوا على وجوب معرفته بحديث زعم أنه للنبي ﷺ وهو : « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ، ورووا أيضا عن جعفر الصادق قوله : الجاهلية جاهليتان ، جاهلية كفر ، وجاهلية ضلال ، فجاهلية الكفر ما كان قبل مبعث النبي ، وجاهلية الضلال ما يكون بعد مبعثه فيمن ضل عن امام زمانه (٣) » .

أما عقيدة الاسماعيلية في علي وذريته ، فهم يزعمون أن لكل نبي وصيا يكل إليه أمر المؤمنين بعد النبي ، وأن الله تعالى هو الذي يوحى إلى النبي بالاعلان الوصي الذي اختاره الله ، فكان وصي آدم هابيل ، ووصي نوح ابنه سام ، ووصي ابراهيم اسماعيل ، ووصي موسى أخاه هارون ، ووصي المسيح شمعون الصفا .

وكما أن لهؤلاء النطقاء أوصياء ، وجب أن يكون لمحمد ﷺ وصي ، وهذا الوصي علي بن أبي طالب ، وأن الله تعالى أمر نبيه أن يبلغ وصاية علي إلى الناس ، وأما قوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس(٤)»،فزعموا بان هذا أمر من الله تعالى الى

---

١ ــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة / تحقيق محمد كامل حسين ص ٨٨ ، ٨٩ .
٢ ــ تاريخ الدولة الفاطمية / د. حسن ابراهيم حسن ص ٤٩٧ .
٣ ــ ديوان المؤيد في الدين / تحقيق محمد كامل حسين ص ٧١ ، ٧٢ .
٤ ــ سورة المائدة آية ٦٧ .
قال الطبرى في تفسير الآية : وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ ، بابلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قص تعالى ذكره قصصهم في هذه السورة ، وذكر فيها معايبهم وخبث أديانهم ، واجترائهم على ربهم ، وأن لا يشعر نفسه حذرا منهم أن يصيبوه في نفسه بمكروه ما قام فيهم بأمر الله ، وان قصر في ابلاغ شيء مما أنزل فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب .
تفسير الطبرى / تحقيق محمود واحمد شاكر جـ ١٠ ص ٤٦٧ .

نبيه الكريم (صلوات الله عليه) للنص على وصاية علي بن أبي طالب ، ومعنى هذا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان فرقا من تبليغ رسالة النص على علي حتى أمره الله بذلك يوم غدير خُم، ومن الغريب أن صاحب كتاب سرائر النطقاء (جعفر بن منصور اليمن) قال في هذا الشأن : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما علم أنه لا ولد له يرث مقامه ، وخاف أن تخرج الامامة من عقبة ، زوج لعلي ابنته لتكون الامامة والوصاية باقية في عقبة ، فكأنه أظهر النبي الكريم ـــ صلوات الله عليه ـــ في صورة لا تتفق مع ما كان عليه النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ من سمو في الخلق ، وانصراف عن مطامع الملك [1] .

وقد أطلق الاسماعيليون على مرتبة النبوة والرسالة (مرتبة الاستيداع) ، أما مرتبة الامامة والوصاية فسموها (مرتبة الاستقرار) ، ولهم حديث طريف عن تنقل هذه المراتب ، اذ زعموا أن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اجتمعت لديه (مرتبة الاستيداع) وأئتمن على (مرتبة الاستقرار) ، فأورث اسحق مرتبة الاستيداع ، وأعطى اسماعيل مرتبة الاستقرار ، وتوارث أولادهما هذه المراتب حتى وصلت مرتبة الاستقرار إلى عبد المطلب جد النبي عليه الصلاة والسلام ، واستودع مرتبة الاستيداع ، فقسم هذه المراتب بين ولديه أبي طالب وعبد الله ، ونسبوا الى النبي ﷺ قوله : (لم أزل أنا وأنت يا علي من نور واحد ، نتنقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية كلما ضمنا صلب ورحم ظهر لنا قدرة وعلم ، حتى انتهينا إلى الجد الأفضل والأب الأكمل عبد المطلب ، فانقسم ذلك النور نصفين في عبدالله وأبي طالب ، فقال الله تعالى : كن يا هذا محمدا ، ويا هذا كن عليا، ولكن عبدالله توفي فاستودع عبد المطلب مرتبة النبوة والرسالة لمحمد ، ثم أستودع أبا طالب مرتبة الوصاية ، والامامة أيضا ، وبعد وفاة أبي طالب اجتمعت لمحمد هذه المراتب ، فكان محمد مجمعا للرتب جميعها وهي النبوة والرسالة والإمامه والوصاية ، فكان باجتماعها فيه أعلى من جميع المخلوقات ، حتى كان يوم (غدير خُم) سلم فيه النبي ﷺ مرتبة الاستقرار لعلي ومنه إلى الأئمة من ولده ، حتى تجتمع هذه المراتب مرة أخرى في قائم

---

١ ـــ ديوان المؤيد في الدين / تحقيق محمد كامل حسين ص ٧٢ ، ٧٣ .

القيامة [1] . حتى أن عليا وفقا لما ينسب إلى جعفر بن منصور اليمن يعلو على جميع الأنبياء والأولياء ، لأنه واحد في فضله ، أحد فرد صمد ، لا شريك له فيه ، ليس له كفوا أحد [2] .

وقد ذكر الحامدي أن ظهور : علي ومحمد (ﷺ) ، مثل ظهور الجسم والنفس معاً ، وليس مرادنا بالجسم إلا الشريعة ، ولا باللطيف (النفس) إلا التأويل ، فعلم علي وصورته نفس الشرائع وصورها المدفونة في غضونها ، فهو محيي الشرائع ومقومها ومتممها ، كما أن اللطيف حياة الجسم ومقومه ومحركه ، وكان الرسول يشرف علياً ويقدره ، وكان علي يقول : إن أحدا لم يعرفه حقيقة المعرفة إلا الرسول[3] .

وفرق الاسماعيليون بين الوصاية والامامة ، فلم يكن علي بن أبي طالب اماما من أئمتهم ، بل ذهبوا إلى أن الامامة في الرتبة دون الوصاية ، فعلي كان وصي النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت الامامة بعده إلى الحسن بن علي وهو أول أئمتهم ، وبعده كانت الامامة في الحسين ، والامامة بعد الحسين لا تكون إلا في ولد بعد والد ، وهذا الكلام أولوه من قوله تعالى [4] « وجعلها كلمة باقية في عقبه »[5] .

ومن الغريب أن الاسماعيلية أنفسهم لم يحترموا هذا الأصل الأساسي من أصول عقيدتهم ولم يتقيدوا به ، فجعلوا الامامة تتغير بين الأشخاص لأمور اقتضتها الاعتبارات السياسية والمصلحية ، فالمعز لدين الله العبيدي نصّ على ولاية ابنه عبدالله من بعده ، ولكن عبدالله توفي في حياة أبيه ، فنص المعز العبيدي مرة أخرى على ولاية ابنه العزيز ، فخالف بذلك الأساس الذي قامت عليه الطائفة الاسماعيلية في أن

---

١ ــ المصدر السابق ص ٨٠ ، ٨١ .
والحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية / الأعظمي ص ١٢١ ، ١٢٢ .
٢ ــ الاسماعيليون في المرحلة القرمطية / سامي العياش ص ١٦٤ .
٣ ــ كنز الولد / الحامدي ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .
٤ ــ سورة الزخرف آية ٢٨ .
٥ ــ ديوان المؤيد في الدين / تحقيق محمد كامل حسين ص ٧٣ ، ٧٤ .

الامامة لا تنتقل من أخ الى أخ ، انما تنتقل من أب الى ابن ، كذلك فان المستنصر نصّ على امامة ابنه نزار ، ولكن بعد موته نصبوا ابنه الاخر المستعلي . وفي عصرنا الحديث نصّ آغاخان الثاني على امامة ابنه شهاب الدين شاه ، ولكن شهاب الدين مات في حياة أبيه ، فنصّ آغاخان الثاني على ابنه الآخر ، الذي تولى الامامة وعرف بآغاخان الثالث ، وقد رأينا آغاخان الثالث يحرم ولديه علي خان ، وصار الدين خان من الامامة ، وينص على حفيده (كريم) الذي لقب بآغاخان الرابع وهو الامام الحالي للطائفة ، وهذا كله يدلنا على أن هذا الأصل من أصول المذهب الاسماعيلي أصبح نظريا فقط بمجرد أن أصبح للاسماعيلية دولة سياسية وتدخلت التنظيمات السياسية في العقيدة ، فكيفتها حسب ما أملته الظروف السياسية[1] .

حتى أن مسحة التقديس والاجلال والعصمة ، التي يسبغونها على أئمتهم ، نجدهم سرعان ما ينقضونها في أقوالهم ، فهذا داعي دعاتهم (المؤيد في الدين) الذي كان معاصرا للمستنصر العبيدي ، وداعيا للدعاة في عهده ، يذكر بصراحة أن المستنصر بالله كان ألعوبة في أيدي رجال دولته ، وأنه كان محجورا عليه ، وأن أم المستنصر ووكلاءها كانوا هم المتصرفون في أمر البلاد ، والامام المعصوم موجود بين ظهرانيهم[2] ؟!

وحديثنا عن الأئمة في العقيدة الاسماعيلية ، ينقلنا الى تطور هام حدث في هذه العقيدة ، بعد انقسامها الى فرقتين (نزارية ومستعلية) ، اثر موت المستنصر بالله العبيدي . وهو أن الحسن بن الصباح مؤسس الفرقة النزارية أو (الحشاشين) ، قد افتتح دورا دينيا جديدا هو (دور القيامة) ، وجعل من نفسه (الحجة الكبرى لقائم القيامة) ، لأنه لا بد من مجيئه كضرورة تاريخية في ذلك الوقت بالذات ، حيث تنتهي ـــ على زعمه ـــ دورة الشريعة لتبتدىء دورة القيامة[3] بهذه الدعوة

---

١ ـــ انظر طائفة الاسماعيلية/محمد كامل حسين ص ١٧٤ .

٢ ـــ أنظر سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ١٤ ، ١٥ ، ٨٣ .

٣ ـــ بما أن الناطق السابع في نظر الاسماعيلية هو (محمد بن اسماعيل) ، فقد بدأ به كما يزعمون دور القيامة لهذا العالم ، والأئمة الذين يأتون بعده مقدمة للامام قائم القيامة .

الجديدة التي قوامها ظهور قائم القيامة . ومما تجدر ملاحظته أن النزارية قدموا الأساس النظري الذي تقوم عليه هذه العقيدة وطوروها بحيث أصبحت تعني : أن نفس الحجة الكبرى هي امتداد لنفس الامام[1] .

ويبدو أن اعلان الحسن بن الصباح عن قيام دور القيامة ، كان تمهيدا للأهداف التي كان يرمي اليها ، لذلك نرى الحسن الثاني بن محمد أحد خلفاء ابن الصباح على « آلموت » يعلن بأنه قائم القيامة الجديد ، وخليفة الله على أرضه ، فهو اذن ناسخ الشريعة ، ومحلل الحرام ، ورافع الآصار والأغلال التي هي الصلاة والصوم والزكاة والحج .

ولكي يستطيع ابن الصباح السيطرة على أتباعه ، أوجد لهم مبدأ جديدا هو (مبدأ التعليم) ، ولذلك أطلق عليهم (التعليمية) .

« ويقوم مبدأ التعليم على أصلين ، الأصل الأول هو التسليم ، والتسليم هو (حكم الهي على كل كون) ، أي كل مملكة من ممالك الوجود (الجماد والنبات والحيوان) ، فكلما سلم كل حد من هذه الحدود نفسه الى الحد الذي يليه مقاما ورتبة ، وجعل نفسه تحت تصرفه تحقق كماله . فالتراب مثلا اذا وضع نفسه تحت تصرف النبات حتى يضرب فيه النبات بجذوره ويستخلص غذاءه من صفواته وخلاصاته ، وينمو ويرتفع وتظهر خاصياته ، وصل من الترابية الى النباتية ، والنبات اذا وضع نفسه تحت تصرف الحيوان فجعل هذا منه غذاءه ، فكمل جسمه وهيكله وحواسه وصل من النباتية الى الحيوانية ، والحيوان اذا وضع نفسه تحت تصرف الانسان حتى يستغل بعضه في تقويم جسمه وتقوية روحه الحيوانية ، التي بها يحس الانسان ويتحرك ، ويجعل منه غذاءه ، وصل من الحيوانية الى الانسانية . ويرتفع الانسان الجاهل الناقص من دركة الجهل الى درجة العلم اذا هو وضع نفسه تحت تصرف الانسان العاقل الكامل ، وسلمه حسه وعقله ، أي ألقى اليه كليته بزمام نفسه حتى يحوله من حال الى حال ، ويبلغ به من موضع الى موضع على الوجه

---

١ ــ فرقة النزارية/د. السيد العزاوي ص ٥٢ ، ٥٣ .

الذي يرى مصلحته فيه ، وسلمه له لدرجة أنه لو أراد له الحياة لما أحب الموت ، ولو أراد له الموت لما أحب الحياة ، ولو قال له : ان النهار المشرق ليل بهيم ، أو أن الليل البهيم نهار مشرق لما هجس في قلبه أي اعتراض على هذا القول ، ولما حام حول كيف يكون الأمر كذلك ولماذا ؟ فينعدم اختيار الانسان الناقص الجاهل ، وارادته باختيار الانسان الكامل العاقل . وأما هذا العاقل الكامل الذي يجب أن يسلم اليه الناقص الجاهل نفسه فهو الامام أو حجته . والأصل الثاني هو (محبة الامام) وآية هذه المحبة عدم محبة النفس ، وذلك لأن من أحب نفسه مثقال ذرة فكأنما لم يحب الامام قط ، ذلك لأن محبته اياه قد خالطتها محبة نفسه ، فلا تكون محبته خالصة له ، لهذا يجب على الأتباع جميعا أن يوضعوا كل اشارة صدرت عن الامام في كفة ، وفكر أنفسهم وقولهم في كفة أخرى ، اذ بقوة تلك الاشارات تقهر كل رؤساء الأبالسة والشياطين »[1] .

وهكذا يخرج ابن الصباح من التعليم بشيء واحد ، وهو اثبات ضرورة وجود معلم صادق واحد ــ هو الامام الاسماعيلي ــ والفوز بعلمه الغيبي والاستفادة منه ، وتسليم النفس اليه ، الى درجة أنه لو أراد الحياة لما أحب الموت ، ولو أراد الموت لما أحب الحياة ، فينعدم بذلك اختيار الانسان وارادته وتصبح مقرونة باختيار الانسان الكامل العاقل وارادته ؟!

ويمكن أن نرى بسهولة الى أي شيء يؤدي هذا التعليم فهو يقود الانسان الى التسليم المطلق والغاء الاختيار والارادة ، ومتابعة الأوامر دون فهم ولا ادراك لمراميها ، والتخلي عن العقل والعلم جميعا ، وعدم محبة النفس ، ووضع اشارة الامام في كفة ، وفكر الفرد وقوله وعمله في كفة أخرى ، وقياس الصداقة والعداوة للناس بمقدار صداقة الناس للامام (وكل ما يرمز اليه) وعداوتهم له .

ولا شك أن الطاعة العمياء ، والخضوع المطلق لسلطة الامام من قبل أتباع ابن الصباح (والاسماعيلية عموما) جعلت من هذه الطاعة والخضوع حكما ارهابيا صارما ، استغله ابن الصباح أبشع استغلال ، في تنشئة الشباب المغرر بهم على هذه

---

١ ــ فرقة النزارية/د. السيد العزاوي ص ٦٥ ، ٦٦ ، ١١٦ ــ نقلا عن النص الفارسي لكتاب التصورات لنصير الدين الطوسي .

المبادىء ، مما جعلهم أداة طيعة في يده يحركهم كيفما يريد ضد أعدائه ، فابتدع من خلال ذلك نظام (الفداوية) الذي أرهب به العالم الاسلامي ، وزرع بواسطته الفتن والخوف بين الناس .

وهناك اصطلاح مهم عند الاسماعيليين ، له علاقة أكيدة بعقيدة الامامة عندهم ، وهو مصطلح (الضد) ، ويقصدون به كل من اغتصب الوصاية أو الامامة في كل عصر وفي كل دور ، ولذلك قالوا : ان ضد أدم هو ابليس ، وضد ابراهيم النمرود بن كنعان ، وضد موسى فرعون وهامان ، وضد عيسى بختنصر . وبما أن دور محمد (ﷺ) يقابل أدوار غيره من الأنبياء ، وأن كل ما كان في عهد الأنبياء قبله جرى في دوره ، ولذلك سمى الاسماعيليون الضد في دور (محمد ﷺ) بأسماء الأضداد الذين كانوا في عصور الأنبياء السابقين ، وأولوا الآيات القرآنية التي وردت في الذين خالفوا الرسل ، بأن الله تعالى قصد بهم أيضا هؤلاء الذين خالفوا عليا والأئمة من ذريته .

وللاسماعيليين قصة غريبة متداولة في كتبهم تدل على حقدهم الدفين على الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة على أبي بكر وعمر ، ننقله من حديث الدكتور محمد كامل حسين في تحقيقه لديوان المؤيد فيقول : الاسماعيلية تزعم أن أبا بكر كان حجة جزيرة لآخر امام في دور عيسى ، وبحكم مكانته علم أن الله تعالى سيرسل نبيا يختم به الأنبياء ، فطمع أبو بكر في أن يكون هو النبي ، ولكن الله أرسل محمدا (ﷺ) ، فأضطر أبو بكر الى أن يؤمن بنبوة محمد (عليه الصلاة والسلام) طمعا في أن يلي الوصاية ، فكان أبو بكر من أوائل الذين اعترفوا بنبوة محمد (عليه الصلاة والسلام) ، وعلم أبو بكر أن الله تعالى نص على وصاية علي بن أبي طالب ، ولكنه عمل على اغتصاب حق علي ... ثم أن أبا بكر أراد أن يرد الحق الى أهله وأن ابنه محمدا كان يعظه ويحضه على اتباع علي ، ولكن عمر أغراه ومنعه على أن يلي الأمر بعده ، فكان عمر خليل أبي بكر وفيهما أنزل الله تعالى « يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا »[1] يعني الظالم الثاني (أي عمر) . وزعم الاسماعيليون أن قول أبي بكر

---

١ — سورة الفرقان آية ٢٨ .

المنسوب إليه : (لي شيطان يعتريني فاذا زغت فقوموني) بأن الشيطان هو عمر ، لهذا تبرأ الاسماعيليون من الشيخين ونعتوهما بكل الصفات القبيحة كابليس ، وفرعون ، وهامان ، والطاغوت ، وهبل ، وأدلم ... الى غير ذلك من الألقاب الدنيئة . وسموا جمهور المسلمين الذين لا يدينون بمذهبهم أولاد الزنا ، والنواصب ، لأنهم بغضوا عليا ونصبوا أعداءه[1] .

---

١ ــ أنظر ديوان المؤيد في الدين/تحقيق محمد كامل حسين ص ١٣١ ، ١٣٢ .

٤ ــ عقيدتهم في اليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار :

يذهب أكثر الذين كتبوا عن عقائد الاسماعيلية من الكتاب المحدثين ، الى القول بأنهم لا يؤمنون بالتناسخ (أي انتقال الروح بعد الموت الى انسان آخر أو الى حيوان أو نبات) ، ولكن الكثير من علمائنا القدامى ، قالوا أن الاسماعيلية تؤمن بالتناسخ ، وتنكر القيامة ، ومن هؤلاء (أبو حامد الغزالي) الذي قال : وقد اتفقوا عن اخرهم على انكار القيامة ، وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا ، من تعاقب الليل والنهار ، وحصول الانسان من نطفة ، والنطفة من انسان ، وتولد النبات . وأولوا القيامة ، وقالوا : انها رمز الى خروج الامام وقيام قائم الزمان ، وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر . وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء ، ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد ، ولا الجنة والنار ، ولكن قالوا : معنى المعاد عود كل شيء الى أصله ، وزعموا أن نفوس المعاندين لمذهب الاسماعيلية ، تبقى أبد الدهر في النار ، على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان ، فلا تزال تتعرض فيها للألم والأسقام ، فلا تفارق جسدا الا ويتلقاها آخر[1] .

إلا ان الأستاذين الفاضلين (الدكتور محمد كامل حسين ، والدكتور عبد الرحمن بدوي) يجزمان بعدم ايمان الاسماعيلية بالتناسخ[2] ، معتمدين في ذلك على كتب بعض الدعاة الاسماعيليين مثل : الكرماني والمؤيد في الدين ، اللذين أنكرا التناسخ عن الاسماعيلية في عصر الدولة العبيدية ، وهو بالنسبة اليهم دور الظهور للأئمة الاسماعيليين ، فلا غرابة اذن أن ينكروا ما أنكروه تقية وخوفا من ثورة الناس على أئمتهم . ويجب أن نلاحظ أن الدكتور محمد كامل حسين قد تنبه الى هذه الملاحظة في بحثه عن الطائفة الاسماعيلية ، ومع ذلك فقد نفى التناسخ عنها ، اذ يقول : ان هذه الصفات التي أسبغوها على الأئمة ، لم يستطيعوا أن يصرحوا بها

---

١ ــ فضائح الباطنية/أبو حامد الغزالي ص ٤٤ ــ ٤٦ . وقال بمثل هذا ايضا يحيى العلوي في كتاب الافحام لأفئدة الباطنية الطغام ص ٢١ .

٢ ــ أنظر كتاب طائفة الاسماعيلية ص ١٧١/وديوان المؤيد في الدين ص ١٢٦/محمد كامل حسين . وكذلك كتاب مذاهب الاسلاميين/د. عبد الرحمن بدوي ص ٣٠٧ .

للعامة أو للمبتدئين من المستجيبين ، بل لم يكن يعرفها الا من استمع الى داعي الدعاة نفسه في المجالس التي كان يعقدها للخاصة فقط ، أما أمام جمهور الناس ، ــ ولا سيما في الدور العبيدي بمصر ــ فلم يكن الدعاة بقادرين على الابانة عن هذه العقائد أو الاشارة لها ، والا كان ينالهم من المصريين ما ناله دعاة تأليه الحاكم بأمر الله ، ولذلك عمد الدعاة الاسماعيلية في مصر الى اخفاء اكثر عقائدهم السرية عن الناس ، ولم يظهروا منها الا ما كان هينا رفيقا بالشعب ، وما كان لا يخالف العقائد التي كانت سائدة في مصر ، وهي القريبة من مذهب الشافعي ومالك[1] .

وهكذا فان من يطلع على الكتب الاسماعيلية التي كتبت في دور الستر ، يجد أن الاسماعيلية قالت بالتناسخ ، وأنكرت البعث والجنة والنار .

وأعتقد أن نظرية الدور التي تقول بها الاسماعيلية ، من جملة المعتقدات التي نستطيع أن نأخذ منها ايمان الاسماعيلية بالتناسخ ، فكما ذكرنا سابقا فان الاسماعيلية تؤمن بوجود دورات متعاقبة لهذا العالم ، في كل دور نبي ناطق ووصي وأئمة ستة فاذا جاء السابع ، افتتح دورا جديدا ، وصار ناطقا . وعلى هذا الأساس آمنوا أن الأنبياء والأئمة خلقوا من نور العقل الكلي (خالق هذا العالم على زعمهم) ، وأن هذا النور يتسلسل بالأنبياء والأئمة في كل الأدوار ، حتى أنهم اعتبروا أن آدم هو نوح ، ونوح هو موسى ، وعيسى هو محمد (ﷺ) وهكذا .

ومن هنا نستنتج أن هذه النظرية تقوم على التناسخ ، فقد جعلت الأنبياء شخصا واحدا وكذلك الأئمة ، يظهرون في كل دور بنفس ظهورهم في الدور الذي سبقه ، أي بمعنى اخر تفنى أجسامهم وتبقى أرواحهم تتعاقب على أجسام أخرى ، وهذا بعينه مذهب التناسخ .

ويضاف الى ذلك ، أن القيامة معناها عندهم عودة الروح الى مبدئها[2] وهي النفس الكلية ، وهذا يعني ابطال العقاب والثواب في الجنة والنار ، « لأن العقاب في رأيهم هو الآلام والأوجاع التي تراها الروح في تقلبها في الأجسام والأقمصة المختلفة ، وأما الثواب فهو اللذات التي يأخذها المؤمن من مراتب العلوم »[3] .

---

١ ــ طائفة الاسماعيلية/د. محمد كامل حسين ص ١٦٠ ، ١٦١ .
٢ ــ القرامطة/ميكال دى خويه ص ١٣٩ نقلا عن مخطوط اسماعيلي .
٣ ــ أربع رسائل اسماعيلية/عارف تامر ــ الرسالة الثالثة (الدستور ودعوة المؤمنين) للطيبي ص ٧٠ .

وقد اعتبر جعفر بن منصور اليمن عقيدة حشر الأجساد مضحكة ، لأن الحياة السرمدية ليست سوى عودة الروح الى مبدئها[1] .

وعلى هذا المنوال قال أحد شعرائهم (عامر البصري) :

« ولي صورة محصورة القدر ضبطها ظهوري لعيني عند لبسي بردتي
فأبدوا بها صورة بعد صورة واخر ما يتلوه أول نشأتي
قيامتى الصغرى بخلعي وانما قيامتي الكبرى بتتميم دورتي »[2]

ولكي نؤكد قولنا أن الاسماعيلية في كتبهم السرية قد قالوا بالتناسخ ، نأتي بنصوص من رسالة لأحد دعاتهم نشرت حديثا وتقول : « ان أهل الحق على ضربين ، أحدهما : أهل المعارف الحقيقية ، والعلوم الالهية ، والأعمال الصالحة ، والموالاة لجميع الأئمة من ناطق الدور ووصية الى امام الزمان وحدوده ، وهؤلاء هم الذين يكونون عند مفارقتهم لكثافتهم (أي لأجسامهم) ، الأعضاء الرئيسية من ذلك الهيكل النوراني الذي هو هيكل الامام ، وعلى قدر مبلغ كل واحد منهم في العلم والمعرفة والولاء يكون علوه في ذلك الهيكل النوراني ، ويتلوهم أهل الولاء المحض ، والأعمال الصالحة في ذلك الهيكل ، فيكون كل واحد منهم في موضعه الذي يستحقه ، وهذه لطائفهم دون كثائفهم،فأما كثائفهم فتكون محفوظة في أعز عز،وأحرز حرز، وذلك أنها تعود الى السحيق بعد مفارقتهم لطائفهم ، ثم الى المزاج والممتزج ، ثم تعود الى الأرض أمطارا ، ثم تلطف الى أن تحلل بخارا ، وتصعد الى فلك البروج في أماكنها ، وينحدر ذلك من البروج الى الأرض ، ثم يصير ترابا سحيقا ، ثم ترتقي الى أن تصير في القامة الألفية انسانا ، وذلك الصاعد الكائن خلفا للمنحدر .... وعند كمال هذه الأشخاص وبلوغها الحلم تدعى فتجيب ويؤخذ عليها العهد الكريم ، وترتقي في الرتب الدينية والمعارف الحقيقية شيئا بعد شيء من غير أن يدخلها شك ولا يعرض لها شبهة ، بل تكون جارية في مضمار الصعود ، الى أن تبلغ مالها أن تبلغه، وهو مبلغها الذي بلغته في أول وهلة عند كونها وظهورها بالجثة الابداعية،فالباب

---

١ ــ القرامطة/ميكال دى خوية ص ١٣٩ .

٢ ــ أربع رسائل اسماعيلية/عارف تامر ــ الرسالة الرابعة (القصيدة التائية) ص ٩٣ .

يعود بابا ، والحجة يعود حجة ، وداعي البلاغ يعود داعي بلاغ .... ولا يزالون كذلك كلما صفت نفس وصعدت الى عالم الصفا ، انبعث في جسمها المتخلف نفس أخرى بتدبير المتدبرات ونظر من العناية الالهية . أما الضرب الثاني فهم أهل الولاء المتعلقون بشيء من العلوم الدينية والحكم الالهية .... وأجسام هؤلاء لا بلوغ لها الى مبالغ أجسام أهل الضرب الأول ، بل تبقى مرتهنة بتلك الأفعال القبيحة التي تعدت اليها ، وأقدمت عليها من غير حلها ، فيقتص منها بجميع ما أسلفه وفعلته من قليل وكثير ، ويسلك بها في شيء من صرط العذاب ، ومطامير العقاب الأدنى ، وتعرف بالنار المصفية ، الى أن يكمل ما عليها من المظالم ، واستؤنف بها العمل والترقي الى أن تظهر الى القامة الألفية ، ثم تدعى فتجيب ، وتتصل الى حدها الذي بلغته أولا كما سبق به القول .... ولما انتهى بنا القول الى ما انتهى ، نريد أن نتبع ذلك الكلام على الأضداد وما ينتهون اليه من الكون والفساد ، وما يصيرون اليه من العذاب وسوء العقاب ... وأما أجسام هؤلاء الأضداد ونفوسهم ، فان نفس الواحد منهم عند موته تشيع في جسمه ، ويصيران شيئا واحدا ، ويستحيلان الى التراب ، ثم يصعدان بخارا ، ويعودان مطرا ، ويحدث من ذلك المطر البرقات المهلكات ، والسيول المخربات ... وينصبان الى الأرض ويصيران نباتا وحيوانا ، فيغتذيه من يصلح له الاغتذاء ، ويستقبل بهما العذاب ، وهي الأدراك السبعة ، فأولها : درك الرجس ، وهي قمص البشر ، فيصير ذلك المغتذى به نطفة يرتقي الى أن يخرج من بطن أمه جنينا ، في قميص من قمص الزنج والزنات والبربر والترك وغيرهم من الذين لا يصلحون لمخاطبة الحق ، ولا يزال ينتقل من قميص الى قميص ، الى أن يستكمل في كل نوع من أنواع هذا الدرس سبعين قميصا . ثم خرج بالمزاج والممتزج ، الى قمص الوكس ، وهو الدرك الثاني المماثل للتركيب البشري ، وهم القرود والدب والنسناس والغول وأمثال ذلك ، فيسلك به في كل نوع من هذه الأنواع سبعين قميصا ، الى أن يستوفيها جميعها ، وهو في جميع هذه القمص الوكسة ، يتحقق أنه في حال العذاب ... ثم يسلك به في قمص العكس ، وهو الدرك الثالث ، وهم سباع البر والبحر ، كالأسود والذئاب وأمثالهم ، الى أن يستكمل في كل نوع من هذه الأنواع سبعين قميصا ... ثم سلك به في قمص الحرس ، وهو الدرك الرابع ، وهم هوام البر والبحر ، كالأفاعي والعقارب ، فينقمص في كل نوع من هذه الأنواع سبعين

قميصا ... ثم سلك به في الدرك الخامس ، ويسمى النجس ، وهم طير البر والبحر ، الى أن يستوفي في كل نوع منها سبعين قميصا ، فاذا استوفى جميع هذه القمص سلك به بما هو في الدرك السادس ، ويسمى النكس ، وهو النبات المحظور القاتل المهلك للحيوان ، الى أن يستوفي في كل نوع من هذه الأنواع سبعين قميصا ، وسلك به في الدرك السابع ، الذي يسمى الركس ، وهو المعدن والحجر ، الى أن يستوفي في كل نوع من أنواعه سبعين قميصا .... ثم أنه يعمد بعد ذلك بأضداد المقامات الالهية والرسل والأنبياء ، فتنفى الى أرباع الأرض الخارجة من حد الاعتدال ، التي هي غير مسكونة »[1] .

من هذا النص يتبين لنا أن الاسماعيليين يؤمنون بالتناسخ ، فأرواح المؤمنين عندما تموت وتمتزج بالهيكل النوراني تعود بعدها الى الأرض بأجسام أخرى ، وتدخل الدعوة من جديد الى أن تصل الى مرتبتها فيها قبل موتها . أما أرواح المعاندين ، فتدخل في أدوار متكررة من العذاب تتقمص في كل دور سبعين قميصا ، أولها الرجس وهي قميص البشر الذين لا يصلحون للمخاطبة كالزنج والترك ، وآخرها الوسخ وهو ظهوره في داخل المعدن والحجر .

وقد اعتبر بعض الاسماعيلية عذاب القبر ، بأنه تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطبائع ، وذلك على سبيل التغيير ، كما اعتبروا النشر ظهور النفوس في عالم بعد عالم وفق مكتسباتها[2] .

وأولوا على هذا الأساس القيامة ، بأنه قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية ، والالات الجسدانية ، وقيام الشرائع والأديان ، بظهور صاحب الزمان ، وقيام الدور ، بروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية ، وقيام القيامة بكمال الاخلاص والنجاة ، واستراحة النفوس بأجمعها من الايراد والاصدار[3] .

---

١ ــ الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية/محمد حسين الأعظمي ــ وفيه النص الحرفي لرسالة (الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد) للداعي طاهر بن ابراهيم الحارثي اليماني . ص ١٣١ ــ ١٣٥ و ١٣٩ و ١٤٠ ــ وما جاء به هذا الداعي ، قاله أيضا الحامدي في كنز الولد ص ٣٠٩ ــ ٣١١ .

٢ ــ أنظر أربع رسائل اسماعيلية/ عارف تامر ــ الرسالة الثالثة (الدستور ودعوة المؤمنين للحضور) للطيبي ص ٦٨ ، ٦٩ .

٣ ــ المصدر السابق ص ٦٩ .

وجنة النعيم هي عالم العلم ، ودرجاتها هي مراتب العلوم ، وأما اللذات ، فهي جولات النفوس في فضاء معارجها وابتهاجها عند الحصول في مشاهدها ومواقعها[1] .

وعلى هذا فان نعيم الجنة ولذاتها عند الاسماعيليين ، انما هي لذات معنوية وليست حسية ، وتبعا لذلك فان الاسماعيليين ينكرون الجنة والنار ، ولا يؤمنون بهما . وهذا ما يقرره السجستاني بقوله : « لما كان قصارى الثواب انما هي اللذة ، وكانت اللذة الحسية منقطعة زائلة ، وجب أن تكون التي ينالها المثاب أزلية غير فانية ، باقية غير منقطعة ، وليست لذة بسيطة باقية على حالاتها غير لذة العلم ، فكان من هذا القول وجوب لذة العلم للمثاب في دار البقاء »[2] .

وهذا يشبه قول علي بن محمد الوليد الذي يرى : « أن النفس تستحق الجنة حين تصير خالصة من شوائب المادة ، معراة من الجسمانية مناسبة لذوات الملائكة وصورها ، بحيث تصير الى حال تستمد فيها قبول فيض العقل على الدوام ، وتخلص من أثار الحس ، فيترادف الفيض في ذاتها ، ودار الثواب لا تغير فيها ، فلا يمكن أن تكون لذاتها حسية ، لأن ما هو حسي متغير فاسد »[3] .

أما العقاب فيصفه الحامدي بقوله : « وان للنفس في عالم الكون والفساد ، كائنة في الأجساد ، وهي الأرواح الهابطة للزلة التي كانت منها ، والخطيئة التي جنتها ، فأهبطت وأبعدت من دار الكرامة ، فبقيت معذبة مربوطة بالطبيعة الحسية والتكليفات اللازمة لها في الشرائع الناموسية ، جزاء لها بما أسلفت ، وما ذكره الحكماء من الهيولى والصورة ، إلا تنبيها للنفس اللاهية ، والأرواح الساهية الغافلة ، عن آيات الله وتذكارا لهم ، وأن الهيولى والصورة ، أعراف عليها واقفون ، وبرازخ لهم الى يوم يبعثون ، كلما بليت صورة بالفساد كونت أخرى بالكون . فهم بين البلاء والنشوء مترددون ، ما بين الهيولى الجسمانية ، والصورة التركيبية »[4] .

---

١ ــ المصدر السابق ص ٧٠ .

٢ ــ الينابيع/السجستاني ص ١٣٥ .

٣ ــ تاج العقائد ومعدن الفوائد/علي بن محمد الوليد ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

٤ ــ كنز الولد/الحامدي ص ١١٢ ، ١١٣ .

ويعلق الأستاذ مصطفى غالب على النص السابق بقوله : « أن هؤلاء (يقصد عدم المؤمنين بالاسماعيلية) اذا ماتوا ، شاعت أنفسهم في أجسامهم ولم تفارقهم الا الهوائية ، ثم يتحللون ويصيرون من البرازخ فيما يستحقون منها على قدر أعمالهم ، ان استحقوا خلصوا ، والا ردوا الى ما يستحقونه باكتسابهم في المرة الثانية ، لأنه عدل لا يظلم به العباد ولا يخلف الميعاد ، والغرض كله انشاء الخلقة استخلاصها مما وقعت فيه من الخطيئة والانكار ، فمن تخلص صعد ، ومن أبى وعاند الحدود ارتكس وهبط »[1] .

وعلى ذلك فان الصور التي تتلاحق على نفس أو روح المعاند انما هي برازخ لهم حتى يتخلصوا من عنادهم ، ويبقى ذلك حتى يوم الدين ، وهو يوم قائم القيامة .

---

١ ـ كنز الولد/الحامدي ـ (الهامش) ص ١١٣ .

٥ — طريقتهم في الدعوة وتنظيم الدعاة :

المذهب الاسماعيلي ، مذهب سري باطني ، يقوم على القول بالباطن ، والعمل بالتقية ، لأن العلوم الباطنية — التي يزعمونها — سر مصون لا يجوز البوح بها الا لأهلها ، « فلا يحملها الا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان »[١] .

والتقية — كما هو معلوم — تقول بها الشيعة على اختلاف فرقها ، وينسبون العمل بها الى أحد الذين يزعمون أنه من أئمتهم وهو جعفر الصادق ، الذي ينسبون اليه أقوالاً قالها في وجوب التقية منها : « التقية ديني ودين آبائي وأجدادي ، ومن لا تقية له لا دين له »و « الذائع لسرنا كالجاحد له »[٢] .

وان المطلع على أساليب الاسماعيلية وطرقهم الماكرة في الدعوة ، التي كانوا يستعملونها اما لاستمالة الناس الى مذهبهم ، واما للتسلط على ارادتهم ، وابقاءهم تحت طاعتهم التامة ، ليعجب جدا من مكر هؤلاء الناس ، وطرق التحايل المستعملة عندهم . « لأن الغاية القصوى من هذه الأساليب والطرق الجهنمية ، أن يثير الداعي الشك في نفس المدعو ، وفي عقائده الأصلية ، ومبادئه السياسية والاجتماعية ، ويحمله على الدخول في سلك الجمعية السرية صاحبة العلم الصحيح وهي (الطائفة الاسماعيلية) »[٣] .

لهذا فقد قامت الاسماعيلية الباطنية ، على تنظيمات سرية للغاية ، تعتمد على دعاة مراوغين ، جعلت منهم وسيلة رئيسية لتحقيق نجاح حركتها في دور الستر والتخفي ، وفي دور الظهور والاعلان أيضا .

---

١ — أربع رسائل اسماعيلية/عارف تامر — الرسالة الأولى (مطالع الشموس في معرفة النفوس) لشهاب الدين ص ١٦ .

٢ — المصدر السابق ص ٣٤ .

٣ — أنظر كتاب من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام/بندلي جوزى ص ٩٥ .

وحتى يتمكن هؤلاء الدعاة من نشر مذهبهم ، وتوجيه أتباعهم دونما أية معارضة ، فقد أسبغت عليهم العقيدة الاسماعيلية فضائل دينية ، وجعلت منهم (حدود الدين) ، فكانت مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بالنسبة الى الاسماعيلية مروقا على الدين وخروجا عن طاعة الامام نفسه ، لأنهم من صلب العقيدة وحدودها .

وقسموا على هذا الأساس دعاتهم ، فزعموا أن الدعوة لا يمكن استقامتها الا باثني عشر داعيا يتولون ادارتها ، يقابلهم في عالم الفلك اثنا عشر برجا ، وباعتبار أن الشهر ثلاثون يوما ، لذا كان لكل داعية جزيرة ثلاثون داعيا نقيبا لمساعدته في نشر الدعوة ، وهم قوته التي يستعين بها في مقارعة الخصوم ، وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة . ولما كان اليوم مقسم الى أربع وعشرين ساعة ، اثنتي عشرة ساعة بالليل ، واثنتي عشرة ساعة بالنهار ، لذا جعل الاسماعيليون لكل داع نقيبا ، أربعة وعشرين داعيا ، منهم اثني عشر داعيا ظاهرا كظهور الشمس بالنهار ، واثني عشر داعيا محجوبا مستترا استتار الشمس بالليل[1] .

« ويمكننا القول أن مراتب الدعوة الاسماعيلية تتكون على الشكل التالي :

١ ــ امام .
٢ ــ باب .
٣ ــ حجة .
٤ ــ داعي الدعاة .
٥ ــ داعي البلاغ .
٦ ــ النقيب .
٧ ــ المأذون .
٨ ــ داع محدود (أو محصور) .
٩ ــ جناح أيمن .
١٠ ــ جناح أيسر .
١١ ــ مكاسر (أو مكالب) .
١٢ ــ مستجيب »[2] .

---

١ ــ انظر كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية/مصطفى غالب ص ٢٨ ، ٢٩ .
٢ ــ المصدر السابق ص ٣٣ ، ٣٤ .

والملاحظ أن مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس ، تقع على عاتق المكالب (أو المكاسر) ، فكانوا يرتادون مجالس العلماء والفقهاء وكأنهم تلاميذ يريدون الاستفادة من أساتذتهم ، ثم يطرحون عليهم أسئلة شائكة تؤول على معان كثيرة ، فاذا ظهر من العالم أدنى عجز عن الجواب ، نجد الداعي الاسماعيلي يسخر منه ويتركه ، وهنا يسرع اليه الناس يلتمسون منه الجواب الشافي عن الأسئلة التي طرحها ، وعندئذ يبدأ باصطياد فريسته من هؤلاء الناس ، والذي يجد به ميلا الى مذهبه . فاذا فرض ووجد المكاسر أمام خصما عنيدا ، أكثر منه علما وتبحرا في مختلف الفنون ، وجب على المكاسر في هذه الحالة أن يلج في المسائل الفلسفية العميقة التي لا حد لها ، والتي لا يفهمها العامة ، ويدخل معه في مناقشات باطنية ، وبذلك ينجو المكاسر من الظهور بمظهر الضعف أمام العامة ، بل ربما عظم شأنه في أعينهم لأنه يتحدث عن أشياء لا يفهمونها ، ولا يعرفون كنهها . وفي حالة توصل الداعي المكاسر الى اقناع أحد المستجيبين ، يأخذه الى أحد الدعاة الذين هم أعلى منه مرتبة ، فيلاطفه ويفاتحه في لين ورفق ، دون أن يظهر له صفته المذهبية أو شيئا من عقائده ، بل يكتفي باطلاعه على بعض المسائل المذهبية ، ويلمح له ببعض التأويلات الباطنية التي لا ضير في كشفها ، فاذا أصر المستجيب بدأ يكاشفه ببعض الأسرار الخفية التي لا ينفر منها ، ويتدرج به حتى يطمئن الداعي المأذون الى اخلاصه ، ويطمئن المستجيب الى الداعي ويثق به ، عندئذ ينقله الى الداعي الذي هو أرقى منه مرتبة ، وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح له أخيرا بحضور مجالس داعي دعاة (الجزيرة)[1] .

وكان الاسماعيليون يخفون ـــ كما ذكرنا ـــ ما يريدون أن يحملوا الناس على اتباعه ، ويتظاهرون أمامهم بأمور أخرى تحبب اليهم المذهب الاسماعيلي ، الذي يدعو الى امامة اسماعيل بن جعفر ، لذلك ابتدع مؤسس طائفتهم (القداح) ، طرقا للدعوة الى مذهبه ، قسمها الى سبع درجات ، ثم تطورت في أيام الدولة العبيدية فأصبحت تسعا ، وقد أوردها الدكتور حسن ابراهيم حسن نقلا عن مخطوط (للنويري) ، وهذا نصها :

---

١ ـــ المصدر السابق ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

« الدرجة الأولى : كان عبدالله بن ميمون ودعاته يعلمون الناس كلا على قدر علمه وعقله ودينه ومذهبه ، وكانوا يجتذبون الناس بالوعود الكاذبة عن طريق تفسير رموز الدين ، واظهار بعض متشابه القرآن ، ومشكلات المسائل الشرعية . فاذا وجد الداعي أن المدعو ملم بما يقوله سلمه له ، والا تركه يعمل فكره فيما يلقيه عليه من الأسئلة ، وقال له : يا هذا ان الدين لمكتوم ، وان الأكثر له منكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الأمة ما خصص الله به الأئمة من العلم لم تختلف . وبهذا يثير الداعي حب الاستطلاع عند المدعو والوقوف على ما عنده من العلم ، فاذا آنس اطمئنانا الى كلامه قال له : ان سبب ما نزل بالمسلمين من تفريق الكلمة ، ذهابهم عن أئمة نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم ، يؤدونها على حقيقتها ، ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها .... ولكن الناس صاروا الى أنواع الضلالات ، فان دين محمد ﷺ ما جاء بالتحلي ، ولا بما خفّ على الألسنة وعرفته دهماء العامة ، ولكنه صعب مستصعب ، وعلم خفي غامض ، وهو سر الله المكتوم ، وأمره المستور ، الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى . ومن الأسئلة التي يوجهها الداعي الى المدعو في هذه الدرجة : ما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام ؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة ؟ وما معنى الصراط المضروب في القرآن ؟ وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا به ، وأين مستقرهم ؟ وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت وأين مستقرهم ؟ وما سبعة أبواب النار ، وما ثمانية أبواب الجنة ؟ وما شجرة الزقوم الثابتة في الجحيم ؟ وما معنى (ألم) و (ألمص) ؟ وما معنى (كهيعص) و (حمعق) ؟ ولم جعلت السموات سبعا ، والأرضون سبعا ، والمثاني من القرآن سبع آيات ؟ ولم فجرت العيون اثنتا عشرة عينا ، ولم جعلت الشهور اثنا عشر شهرا ؟ ثم يقول الداعي لمن حوله : فكروا أولا في أنفسكم . أين أرواحكم ؟ وكيف صورها ؟ وأين مستقرها ؟ وما أول أمرها ؟ وما معنى قول رسول الله ﷺ : خلقت حواء من ضلع آدم ؟ ولم كانت قامة الانسان منتصبة دون غيره من سائر الحيوانات ؟ ولم كان في وجهه سبع ثقب ، وفي سائر بدنه ثقبان ؟ ولم كان في ظهره اثنتا عشر عقدة ؟ وفي عنقه سبع عقد ؟ ولم جعل عنقه صورة ميم ، ويداه حاء ، وبطنه ميما ، ورجلاه دالا ، حتى صار كتابا مرسوما يترجم عن محمد ؟ ولم جعلت قامته اذا انتصبت صورة ألف ، واذا ركع

صارت صورة لام ، واذا سجد صارت صورة هاء ، فكان كتابه يدل على الله ؟ ولم جعلت عظام الانسان كذا ، وعدد أسنانه كذا ، والأعضاء الرئيسية كذا ؟ وكان دعاة هذا المذهب اذا شككوا المدعو أو المريد ، وطلبوا منه حل هذه الرموز ، أخذوا عليه العهود والمواثيق بأن لا يكشف عن سر هذه الدعوة ، وأن يدافع عنها ، وأن يتحمل في سبيل الدفاع عنها كل ضروب العذاب والالام ... فاذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه ، وطلب منه الجواب عنها ، قال له حينئذ : لا تعجل فان دين الله أعلى وأجل من أن يبذل لغير أهله ويجعل غرضا للعب . وجرت عادة الله وسننه في عباده عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ، ولذلك قال : « واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا »(١) . وقال : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا . ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ... »(٢) . ومن أمثال هذا ، فقد أخبر الله تعالى أنه لم يملك حقه الا لمن أخذ عهده ، فأعطنا صفقة يمينك ، وعاهدنا بالمؤكد من أيمانك وعقودك أن لا تفشي لنا سرا ، ولا تظاهر علينا أحدا ، ولا تطلب لنا غيلة ، ولا تكتمنا نصحا ، ولا توالي لنا عدوا . فاذا أعطى العهد ، قال له الداعي : أعطنا جعلا من مالك تجعله مقدمة أمام كشفنا تلك الأمور وتعريفك اياها . والرسم في هذا الجعل بحسب ما يراه الداعي ، فاذا امتنع المدعو ، أمسك عنه الداعي ، وان أجاب وأعطى ، نقله الى الدعوة الثانية .

الدرجة الثانية : واذا تم للداعي ما أراد ، دخل بالطالب في الدرجة الثانية ، ومؤداها أن فرائض الاسلام لا تؤدي الى مرضاة الله الا اذا كانت عن طريق الأئمة السبعة من ولد اسماعيل بن جعفر ، ثم يكاشف المدعو بقوله : ان الناس قد ضلوا ، لأنهم لم يأخذوا عن أئمة نصبهم الله لهم ، ويستدل على ذلك بأمور مقررة في كتب الاسماعيلية حتى يثبت ذلك في نفسه ، فاذا ثبت نقله الداعي الى الدرجة الثالثة ، وبذلك يضعون أساس مبدأ الامامة في نفس المدعو فيتحول عن دينه أو مذهبه القديم .

١ — سورة الأحزاب آية ٦ .
٢ — سورة النحل آية ٩١ ، ٩٢ .

الدرجة الثالثة : وفيها يكشف الداعي عن العقيدة ، بأن الأئمة سبعة ، وأن الامام الحقيقي هو السابع الذي يعلم كل رموز الدين وسرائره . ويستدل بذلك على أن الله جعل الكواكب السيارة سبعة ، وجعل السماوات سبعا ، وجعل الأرضين سبعا ، وهؤلاء الأئمة هم أيضا سبعة ، أولهم علي ، ويليه الحسن ، فالحسين ، فعلي زين العابدين ، فمحمد الباقر ، فجعفر الصادق ، فاسماعيل بن جعفر ، وبعضهم يتخطى اسماعيل ويلحق الامامة بابنه محمد . وهذا الامام السابع هو صاحب الزمان ، وأن عنده علم الباطن ، وعلم التأويل ، وأنه يعرف الأسرار ، وأن دعاته هم الوارثون . فاذا انقاد المدعو لما ألقاه عليه الداعي في هذه الدرجة نقل الى الدرجة الرابعة .

الدرجة الرابعة : واذا وصل الطالب الى هذه المرتبة ، اعتقد أن محمد بن اسماعيل هو خاتم النبيين ، وفي ذلك يقول الداعي : حيث أن عدد الأئمة سبعة ، كذلك عدد الرسل الذين جاءوا بالشرائع سبعة ، ولكل من هؤلاء الرسل صاحب يأخذ عنه دعوته ، ويكون ظهيرا له في حياته ، وخليفة له بعد وفاته . وهؤلاء الأئمة السبعة الأصحاب أو المساعدون هم الأساس ، والصامتون لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها اثر واحد هو أولهم ، ولا بد عند إنقضاء هؤلاء السبعة ونفاد دورهم من استفتاح دورتين يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى من قبله ، ويكون الخلفاء من بعده ، ثم يكون بعدهم نبي ناسخ ، يقوم من بعده سبعة صمت أبدا ، وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ، ويكون صاحب الزمان الأخير . ومعنى ذلك أن النبي الذي يأتي بشريعة هو الناطق ، فالناطقون سبعة هم الأنبياء ، ولكل ناطق أو نبي سوس وستة أصحاب صمت ، مثال ذلك : ادم جاء بتشريع فهو نبي ناطق وصاحبه وسوسه ابنه شيث ، الذي يليه ستة أئمة صمت ، ونوح ناطق أتى بشريعة نطق بها ، وصاحبه وسوسه ابنه سام ويليه ستة صمت....... ومحمد ﷺ نبي ناطق أتى بشريعة هي الاسلام، وصاحبه وسوسه علي بن أبي طالب . وانما يقصد الداعي من وراء ذلك أن يغير عقيدة المدعو ، ويجعله يعتقد أن الوحي مستمر مع توالي الأجيال والأدوار . حتى يصل به الاعتقاد الى أن محمد بن اسماعيل هو عبدالله بن ميمون القداح ، وأنه بمنزلة هارون من موسى ، أو بمنزلة علي من محمد (ﷺ) .

الدرجة الخامسة : وفي هذه المرتبة يقول الداعي للمدعو : ان لكل امام قائم ، حججا متفرقين في الأرض عددهم اثنا عشر رجلا .... ثم يقول الداعي للمدعو : ان شريعة محمد ﷺ ستنسـخ ، واذا كان فارسيا ذكره باذلال العرب له ، وحثه على التخلص منهم ، وان كان عربيا أثار حفيظته على الفرس .

الدرجة السادسة : وفيها يفسر الداعي معاني شرائع الاسلام من صلاة وزكاة وحج وطهارة وغير ذلك ، ويقول : ان هذه الفروض وضعت لتشغل العامة عن خلافاتهم وتبعدهم عن الفساد ، واذا اعتقد المدعو بصحة هذا القول ، ضعف اعتقاده في الدين وأركانه ، بعدها ينتقل الداعي الى الكلام في الفلسفة ، فيقول ان فلاسفة اليونان يعتمدون على العقل في شرح كل المسائل ، وعلى كل انسان أن يحكم العقل في كل شيء ، وبذلك يحبب الى نفسه أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وغيرهم من الفلاسفة ، الذين يعتمدون على تحكيم العقل . واذا أخذ المدعو بهذه الأراء أصبح أهلا للنقل الى الدرجة السابعة ، ولم يتعد هذه المرتبة الا قليل .

الدرجة السابعة : وفيها يعلم أن الناصب للشريعة ، وهو النبي ، لا يستغني بنفسه ، ولا بد له من صاحب يكون أحدهما الأصل ، ويكون الأخر صدرا له .

الدرجة الثامنة : وفيها يقول الداعي للمدعو : ان التالي (النفس الكلية) يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق (أي العقل الكلي) ، وان الصامت في الأرض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء .... فاذا اعتقد المدعو بذلك ، قال له الداعي : ان معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء تنظم بها سياسة الجمهور ، فينظم بذلك النبي شريعة يتبعها الناس ، ثم يقرر الداعي أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها غير ما يفهمه العامة وما يتبادر الى الذهن ، وليس هو الا حدوث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب ..... وعلى ذلك فليست معجزة النبي سوى أشياء تنظم بها سياسة الجمهور ، وانما يقصد الداعي بذلك ازالة كل اعتبار عن كل ما يسمى بنبوة ولم يعد للاسلام أي تأثير على نفسه .

الدرجة التاسعة : واذا انتقل المدعو الى الدرجة التاسعة ، أصبح جديرا بالتعمق في أصول المذهب الاسماعيلي ، عند ذلك يحيله الداعي الى كتب الفلاسفة

وما جاء فيها عن الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وعن العلم الالهي ، واعتقاد أن الوحي هو صفاء النفس ، وأن النبي يجد في فهم ما يلقى اليه ويتنزل عليه فيظهره للناس ، ويعبر عنه بكلام الله ... »[1] .

وهكذا نرى أن دعاة الاسماعيلية ، الذين خرجهم القداح وخلفاؤه ، كانوا في غاية المكر والمراوغة ، يراعون في اقوالهم درجة سامعيهم العقلية ، وعلاقتهم بالدين عامة ، وبالاسلام خاصة ، وينظرون الى قومياتهم وميولهم السياسية ، فكانوا يخاطبون كلا منهم بلسانه ، وبما يوافق ميوله وعواطفه ودرجة نموه العقلي ، فربما كانوا يخاطبون الفارسي بغير ما كانوا يخاطبون به العربي ، ويكاشفون الفلاسفة ، بغير ما كانوا يكاشفون به غيرهم . « ولذلك فاننا نرى أن الاسماعيلية لم تنبذ في الظاهر الشرائع المنزلة عامة والقرآن خاصة ، وذلك لأنهم كانوا يرون فيها فائدة لطبقات الشعب الدنيا ، وطبقات العميان والحمير ــ كما كانت الاسماعيلية تسميهم ــ أما الطبقات العالية التي (فتح الله بصائرهم وأبصارها) فأدركت الحقيقة ، فهي في نظر الاسماعيلية ، وحسب اعتقادهم في غنى عن هذه الشرائع وشعائرها »[2] .

واذا لاحظنا طريقة دعوتهم ، فان مريدي الاندماج في الطائفة الاسماعيلية تزاح عنهم هذه الحجب والأقنعة ــ كما يزعمون ــ بالقدر الذي يناسب استعدادتهم ، ويتدرجون في هذا المضار حتى تهيأ لهم القدرة على مواجهة هذه الحقائق .

وقد عمل الاسماعيليون بعد قيام دولتهم (العبيدية) في المغرب ، على نشر المذهب الاسماعيلي وخاصة مبدأ تقديس الأئمة بواسطة دعاتهم ، ولكنهم فشلوا في ذلك ، وعندما رأى عبيدالله المهدي ذلك ، عمل على اقامة مدارس أسماها مدارس الدعوة ، لبث عقائد مذهبه بين أتباعه سرا ، بمعنى أنه أراد أن تكون مدارس الدعوة أداة اتصال بينه وبين أتباعه ، فينفذ بذلك سياسة مزدوجة ، فيظهر أمام رعاياه علويا صريحا يأخذ بنصرة العلويين ويبطن المذهب الاسماعيلي ومبادئه . وفي الوقت نفسه يشجع هذا المبدأ سرا عن طريق هذه المدارس وغيرها من وسائل الاتصال بينه وبين أتباعه[3] .

---

١ ــ نهاية الأرب للنويري جـ ٢٣ (مخطوط) ــ نقلاً عن كتاب تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٣٨ ــ ٣٤٤ .
٢ ــ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام/بندلي جوزى ص ١٠٥ .
٣ ــ أنظر كتاب تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

ومما استحدث أيضا في الدولة العبيدية بالنسبة إلى الدعاة ، أنها جعلتهم هيئة شبيهة بالكهنوت — كما هو عند النصارى — تعترف بهم رسمياً وتعطيهم أرزاقاً ، وهو لم يحدث قط في الاسلام ، فأصبحوا أشبه بالقسيسين [1] .

ولما حدث الانقسام في الاسماعيلية ، وانتقلت النزارية إلى قلعة آلموت ، أجرى ابن الصباح بعض التعديلات الجذرية على نظام مراتب الدعوة عند الاسماعيليين ، لتتناسب مع الأنظمة التي ابتدعها ، وأهم هذه التعديلات كانت كما يلي :

المرتبة الأولى : مرتبة شيخ الجبل ، وهو نائب الامام ، ورئيس الدعوة الجديدة ، فكان ابن الصباح يلقب نفسه بلقب رئيس الدعوة ، ومولانا ، وشيخ الجبل .

المرتبة الثانية : أو مرتبة كبار الدعاة ، ولا يتجاوز عدد أفرادها ثلاثة ممن يثق الحسن بن الصباح بهم ثقة تامة ، لأنه قسم العالم أقساماً ثلاثة ، وجعل على رأس كل قسم واحدا من هؤلاء الدعاة الثلاثة .

المرتبة الثالثة : وهي مرتبة الدعاة ، وهم أكثر عددا من أفراد المرتبة الثانية ، وقد اشترط ابن الصباح في الداعي أن يكون بارعاً في التشكيك ، ماهراً في التلبيس ، ليخدعوا العامة ويدخلوهم في عقيدتهم .

المرتبة الرابعة : أو مرتبة الرفاق ، وهم طبقة تفقهت في أصول المذهب ، يتولون تثقيف الدعاة واعدادهم لمهمتهم .

المرتبة الخامسة : الفداوية ، وهم الذين يُستخدمون في قتل الأعداء غدراً ، ويضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم ، ولا يشترط في الفداوى أن يتعمق في دراسة أسرار المذهب ، انما يشترط فيه التفاني في طاعة الرئيس والتضحية إلى أبعد الحدود ، فأصبحوا آلات انتقام فتاكة ، وخلفوا عصراً مليئاً بالخوف والفزع .

---

١ — الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري / آدم متز جـ ٢ ص ٧٨ .

المرتبة السادسة : اللاصقون ، وهم ينتسبون إلى الدعوة ، ويأخذون العهد على الناس دون أن يكون لهم حق نشر الدعوة .

المرتبة السابعة : المستجيبون ، وهم المؤمنون المبتدئون ، لا يعرفون الكثير عن المذهب ، إنما عملهم الرئيسي زعزعة عقائد الناس ، وبث الذعر في نفوسهم [١] .

ومما يذكر أن ابن الصباح قد ابتدع حيلاً ووسائل أخرى غير التي عمل بها ابن القداح ، يتدرج بها الداعي مع المستجيب ، فكان الدعاة يتوسلون بوسائل وحيل كثيرة لاصطياد المستجيب ، وقد فصلها الغزالى ، ونوجزها فيما يلي :

١ ـــ **التفرس** : ويقصد به معرفة وادراك نفسية المستجيب ، حتى تظهر بذلك قوة ارادة الفرد ، ومبلغ سهولة انقياده إلى مذهبهم .

٢ ـــ **التأنيس** : وهو زرع الطمأنينة في نفوس المستيجبين ، مع اشباع ميولهم ، واعطائهم كل ما يميلون إليه ، كل حسبُ نزواته .

٣ ـــ **التشكيك** : وهو التشكيك في عقائد المستجيب ، مما يزعزع الأصول التي آمن بها ، وهذه الخطوة من أخطر المراحل ، فعن طريقها يصل الداعي إلى قلب المريد .

٤ ـــ **التعليق** : وهو ترك المستجيب بعد تشكيكه متأرجحاً بين عقيدته التي كان يؤمن بها وبين معرفة حقيقة المذهب الاسماعيلي ، وبذلك تظهر حقيقة نفسيته وتعرف شخصيته .

٥ ـــ **الربط** : وهو أن يربط لسانه بأيمان مغلظة وعهود مؤكدة ، أن لا يفشي أو يبوح بما يذكره له الداعي .

٦ ـــ **التدليس** : وهو أن يلجأ الداعي إلى التمويه ، فلا يعطيه الأسرار دفعة واحدة ، مما يزيد في تلهف المستجيب وتشويقه ورغبته في دخول الدعوة .

٧ ـــ **التلبيس** : وهو جعل المعلومات والأسرار التي لقنها الداعي للمستجيب حقائق ثابتة في نفسه ومستقرة في ذهنه ، يؤمن بها ويقبل عليها .

٨ ـــ **الخلع والسلخ** : ويقصد به خلع المستجيب عن عقائد دينه وأركانه ، وسلخه منها نهائياً ، باسقاط الفرائض والحدود الشرعية عنه ، لأن معناها الباطني غير معناها الظاهري ، وهذا يسمونه البلاغ الأكبر [٢] .

---

١ ـــ تاريخ الدولة الفاطمية / د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

٢ ـــ باختصار عن فضائح الباطنية / أبو حامد الغزالي ص ٢١ ـــ ٣٢ .

وبسبب السرية والقول بالباطن ، التي يؤمنون بها ، جعلوا للمستجيب عهدا يقوله عند دخوله الدعوة ، فيه الأيمان المغلظة ، على كتمان السر ، وعهود مؤكدة على عدم البوح به ، ولا يجسر المخالفة لها بحال ، ويكون هذا العهد أمام جماعة منهم وله مراسم وطقوس معينة كما هو الحال في جميع الحركات الباطنية ، وفيما يلي نص العهد الذي يؤخذ :

« اقسم بالله ، الذي لا إله إلا هو الحي ، الجبار القهار ، عالم الغيب والشهادة ، والنقص والزيادة ، القائم على كل نفس بما كسبت ، القوي الشديد الآخذ لها بما ظهرت وأضمرت ، العليم بما في الضمائر ، الخبير بمكنون السرائر ، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا في السماء ، ولا تفوته غوامض الأشياء ، الذي من أقسم به كاذباً ، واستشهده باطناً ، استحق الخزي والخذلان ، وحل في مقام السخط والهوان . وأقسم به ثانياً وثالثاً ورابعاً ، كما أقسمت به أولا ، وأقسم بجميع أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، وأشهد ملائكته المقربين ، وأرواح أنبيائه المرسلين ، ونفوس الصادقين والصالحين من عباده العارفين . انني طالب راغب في المذهب الاسماعيلي من خالص اعتقادي ، وصميم فؤادي ، اعتقاداً لا يشوب باطنه الدنس ولا الشك ولا الريب ولا الشبهة في الايمان ، وليس لي قصد في هذه الرغبة الا تحقيق أمر الدين ، وطلب معرفة حقيقة اليقين ، وتصحيح الاعتقاد ، والدخول مع الفرقة الناجية ، من الطغيان والفساد ، ومعرفة مولانا صاحب الوقت ، وامام الزمان . واني إذا فهمت أمراً ، وعرفت سراً ، أكتمه وأخفيه عمن لا يعتقد بمعتقدي ، ولا أظهره لأحد من الخلائق لا بقول ولا بنية ولا باشارة ولا عبارة ، ولا تكتبه يداي ، ولا ينطق به لساني ، وان أضمرت خلاف ما أنطق به ، أو كنيت أو تخليت أو تفكرت أو توهمت ، أكون كافرا بالله وبرسله وأوليائه وملائكته وكتبه ، وأكون محاربا لهم ، ومنكراً أمرهم ، ومخالفاً قولهم ، وذابحهم وشارب دمائهم ، وبريئاً منهم في الدنيا والاخرة ، وخارجاً من دين الاسلام والمرؤة والايمان ، والله على ما أقول شهيد »[1].

---

١ ـــ أربع رسائل اسماعيلية / عارف تامر ـــ الرسالة الثالثة (الدستور ودعوة المؤمنين) للطيبي ص ٥٤ .

والمطلع على أساليب الماسونية في العصر الحاضر ، وطرق الدخول فيها ، والتكريس الذي تمارسه على الداخل في محافلها ، يستطيع أن يقارن بين أساليب الباطنية عموما وبالأخص الاسماعيلية ، وأساليب التكريس الماسوني ، بحيث لا نبتعد عن الحقيقة ، اذا قلنا أن هناك خيطاً رفيعاً يجمع بين الباطنية والماسونية ، يمكن أن نرده إلى اليهودية العالمية ، التي استطاعت أن توجد الباطنية وفرقها في القديم ، والماسونية العالمية ومؤسساتها في العصر الحديث .

٦ ـــ التأويلات الباطنية لأركان الاسلام وغيرها :

التأويل بالباطن عند الاسماعيليين دعامة رئيسية ، تضاف إلى الدعامة الأخرى ، وهو عقيدتهم في وجوب الامامة من ذرية اسماعيل بن جعفر .

وقد ذهب الاسماعيليون إلى أن لكل شيء (ظاهر محسوس) تأويلا باطنياً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة ، وهؤلاء الأئمة يودعون هذا العلم الباطن لكبار الدعاة بقدر معين ، ذلك أن التأويل بالباطن قد خص الله به علياً ، فكما أن الرسول ﷺ خص بالتنزيل ، فكذلك علي بن أبي طالب قد خص بالتأويل .

وتزعم الاسماعيلية أن هذا التأويل قد تسلسل في الأئمة من عقب علي ، وهم الذين أشار الله تعالى اليهم « والراسخون في العلم (١) ، وهم وحدهم الذين لهم حق تأويل القرآن ، بما عندهم من العلوم الباطنية ، وزعموا أن النبي ﷺ قال : (أنا صاحب التنزيل ، وعلي صاحب التأويل) (٢) » .

وتزعم الاسماعيلية كذلك : « أن أسرار الدين متوقفة على تعليم الأئمة من نسل فاطمة ، وهم الكواكب والنجوم والمصابيح ، ترسل نور المعرفة إلى قلوب أتباعهم ، كما أن العين المبصرة بدون القمر والشمس والمصباح لا تحقق الفائدة المرجوة (٣) .

فالأئمة إذن هم أصحاب التأويل ، ورووا عن النبي ـــ ﷺ ـــ أنه قال : « إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا » ، واتخذوا هذا الأثر للجمع بين القرآن وأصحاب تأويله (أي الأئمة) ، وأردفوا ذلك بحديث نسبوه الى النبي ﷺ : « تعلموا من عالم أهل بيتي ، أو ممن تعلم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار » ، وقوله لعلي : « سوف تقاتل على تأويله ، كما قاتلت على تنزيله » ، فزعموا أن هذا كله يدل على أن الوصي

---

١ ـــ سورة آل عمران آية ٧ .
٢ ـــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تحقيق محمد كامل حسين ص ١٠٢ .
٣ ـــ الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية / محمد حسن الأعظمي ص ٢٤ .

هو ومن تبعه من الأئمة من ذريته ، هم الذين اختصوا بتأويل القرآن الكريم ، لذلك زعموا أن عليا قال (ما نزلت آية من القرآن إلا علمت كيف نزلت ، وأين نزلت ، وفي أي شيء نزلت ، سلوني قبل أن تفقدوني عما كان ، وعما يكون إلى يوم القيامة) ، ثم قال : (إن هاهنا لعلما جما) وأشار إلى صدره (١) .

كذلك تزعم الاسماعيلية أن لديهم كتاباً توارثوه عن علي هو (الجفر) ، الذي ينسب إلى جعفر الصادق . وتعتقد الاسماعيلية أن علي بن أبي طالب هو الذي وضع أصوله ، ليستبقي علم التأويل بالباطن في سلالته ، ويتناول كما يزعمون العلوم الغيبية والباطنية التي أورثها علي لذريته . ويظهر أن هذا الزعم هو الذي أوحى لجعفر بن منصور اليمن بتأليف كتاب (الجفر الأسود) ، الذي يعتبر امتدادا للكتاب الأول (٢) .

وبما أن الاسماعيليين يزعمون بان لكل ظاهر باطناً ، لذا فقد أوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن ، وكفروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن « فمن عمل بالباطن والظاهر فهو منا ، ومن عمل بالظاهر دون الباطن ، فالكلب خير منه وليس منا » ، ويزعمون أن جعفر الصادق سئل عن الحاجة الى اتخاذ الباطن في الحجب والعدول بها عن طريق الايضاح والاظهار ، فأجاب : هي الحاجة إلى اتخاذ الحب في أغطية السنابل ، والثمار في الأغشية (٣) .

واستخلاص الباطن من الظاهر ، هو في الواقع (نظرية المثل والممثول التي سبق ذكرها) ، أي تفسير الأمور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها وبما يماثلها من الأمور الجثمانية المحسوسة ، فنظرية المثل والممثول هذه هي قوام عقيدة الاسماعيليين في التأويل ، وقد ذكرنا من قبل أن بعض ما اعتقده الاسماعيليون في صفات الامام ، إنما هي بعد تطبيق هذه النظرية .

---

١ ــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة / تحقيق محمد كامل حسين ص ١٠١ ، ١٠٢ .

٢ ــ انظر كتاب الدكتور حسن ابراهيم حسن / تاريخ الدولة الفاطمية ، الذي تحدث عن هذا الكتاب ص ٤٨٥ .

٣ ــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة / تحقيق محمد كامل حسين ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

وعلى وجه العموم ، فان نظرية التأويل بالباطن التي تزعمها الاسماعيلية ، تقوم على أن الله تعالى جعل كل معاني الدين في المخلوقات التي تحيط بالانسان ، فيجب اذن أن يستدل بما في الطبيعة ، وبما على وجه الأرض على فهم حقيقة الدين ، وجعلوا المخلوقات قسمين : قسما ظاهرا للعيان ، وقسما باطنا خفيا ، فالظاهر يدل على الباطن ، وزعموا أن للقرآن معان سوى ما تتداوله ألسن العامة ، ولكل فريضة من فرائض الدين تأويلا باطنا لا يعلمه الا الأئمة وكبار دعاتهم[1] .

وبالرغم من أنهم قالوا ان التأويل من عند الله ، وأنه خص به علي ابن أبي طالب والأئمة من نسله ، نراهم مرة أخرى يزعمون أن التأويل من خصائص حجة الامام ، أو داعي دعاته ، ومن ثم اختلف التأويل بالباطن عندهم باختلاف شخصية الداعي الذي اليه التأويل ، وباختلاف موطن الداعي وزمن وجوده[2] .

ويبدو أن كل شيء عند الاسماعيليين يمكن أن يخضع لـ (قانون) التأويل ، فهو يتناول معظم آيات القرآن الكريم والأحاديث والشرائع والفرائض الدينية ، ولا بد لنا من اثبات بعض نماذج من التأويلات ، لتظهر كيفية تجيير الاسماعيليين للنصوص في خدمة أهدافهم :

فقوله تعالى « والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[3] ، فزعم الاسماعيليون أن (آيات الله) المذكورة في الآية هم الأئمة ، لأنهم الأعلام الدالة على الله . وكذلك نراهم في قوله تعالى « انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا »[4]، وقد أول المؤيد الأمانة على أنها الولاية، والسموات والأرض والجبال بالحدود الحية الناطقة ، فالنطقاء هم (السماء) ، والأسس والأئمة هم

١ ـــ الثائر الحميري الحسن بن الصباح/مصطفى غالب ص ١٠٣ .
٢ ـــ طائفة الاسماعيلية/محمد كامل حسين ص ١٦٣ .
٣ ـــ سورة الأعراف آية ٣٦ .
٤ ـــ سورة الأحزاب آية ٧٢ .

(الأرض) ، والحجج هم (الجبال) . أما قوله تعالى « وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » ، فقد زعم المؤيد في تأويلها : ان الانسان هو الضد الذي تقمص قميص خلافة النبوة بغير سلطان من الله تعالى ولا نص من رسوله »(١) .

أما التأويل للفرائض والتشريعات ، فقد أولوها لتتناسب مع مراميهم ، « فأولوا الحلال بأنه الواجب اظهاره واعلانه ، والحرام الواجب ستره وكتمانه ، وأما الصلاة فهي صلة الداعي الى دار السلام بصلة الأبوة في الأديان الى الامام ، والزكاة ايصال الحكمة الى المستحق ، والصوم الامساك عن كشف الحقائق لغير أهلها ، والحج القصد الى صحبة الأئمة ، والاحرام الخروج من مذهب الأضداد ، وأما الزنا فهو اتصال المستجيب من غير شاهد ، والربا الرغبة في الاكثار وطلب الحطام وافشاء الأسرار ، والمسكر الحرام ما يصرف العقل عن التوجه الى طلب معرفة الامام »(٢) .

وهكذا ينتهي بهم التأويل الى طرح كل أركان الدين واباحة محرماته ، وهو الغاية القصوى التي تسعى اليها الباطنية .

فالغرض النهائي عند الاسماعيليين من التأويل ، يقوم على ترجمة القرآن الى لغة عقيدتهم ، وكأن العقيدة الاسماعيلية هي في البدء مصاغة بمنأى عن القرآن والسنة .

وهم في استشهادهم بالقرآن والحديث والفرائض الاسلامية وتأويلها بالعلم الباطني ، يحققون أربعة أمور :

« ١ ـــ عدم رفض القرآن ككتاب ديني مقدس .

٢ ـــ التخلي عن أحكامه وملزماته وفروضها من خلال تأويلها .

٣ ـــ وفي نفس الوقت دعم حركتهم وعقائدهم وتعزيزها بأسانيد قرآنية .

٤ ـــ وفي نفيهم ـــ او تجاوزهم ـــ المعاني الظاهرية للقرآن ، يبرز الفراغ الفكري الذي كانت تملأه تلك المعاني . ومن هنا يفتح المجال لنزعاتهم وتطلعاتهم كي تتحرك وتؤثر بحرية بعيدة المدى »(٣) .

---

١ ـــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة/تحقيق محمد كامل حسين ص ٨٥ ، ١٢٢ .
٢ ـــ أربع رسائل اسماعيلية/عارف تامر ـــ الرسالة الثالثة (الدستور ودعوة المؤمنين) للطيبي ص ٧٠ ، ٧١ .
٣ ـــ الاسماعيليون في المرحلة القرمطية/سامي العياش ص ١٦٠ .

ان العقائد الباطنية بمنهجها التأويلي ، تمثل تجاوز خطيرا لكل العقائد والمفاهيم التي جاء الاسلام من أجلها ، بل انها في سعيها لنسف الظاهر وكشف الباطن ، تحاول أن تنسف الاسلام كدين ، وأن ترسي بدلا منه المفاهيم الالحادية الباطنية المشتملة على الاباحية المطلقة . ورحم الله الغزالي عندما قال : « ان هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب الى ملة ، ولا معتقد لنحلة ، معتضد بنبوة ، فان مساقها ينقاد الى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين »[1] .

---

١ ــ فضائح الباطنية/أبو حامد الغزالي ص ١٨ .

الفصل الثالث

القرامطـــة

نبذة عن القرامطة ، نشأتهم وعلاقتهم بالاسماعيلية

القرامطة ، فرع من فروع الاسماعيلية ، ينتسبون الى شخص يقال له (حمدان بن الأشعث) ، لقب بقرمط ، لقصر كان فيه ، اذ كان قصير القامة ، ورجلاه قصيرتان بشكل يلفت الانتباه ، فكان خطوه قصيرا . « الأمر الذي جعله ناقما على المجتمع يبدي التأفف والتضجر ، ويحقد على الناس جميعا ، ويظهر التذمر من كل المجتمعات التي تحيط به ، أو التي ينتقل اليها ، ويضمر البغض على كل وضع »[1] .

ومن استعراض تاريخ الحركة القرمطية ، يمكن أن نلاحظ بأن البذرة الأولى لهذه الحركة ، قد سبقت تحركهم العسكري سنة ٢٧٨ هـ ، فمما يرويه ابن سنان : أن ابتداء أمرهم كان على يد داعية للاسماعيلية (يقصد القرمطي) ، قدم من بلدة خوزستان[2] الى الكوفة ، فنزل بموضع يقال له النهرين ، وتظاهر بالزهد والورع والتقشف ، وأقام على ذلك زمنا كبيرا ، وكان اذا جاءه شخص وجلس معه ، تحدث معه في أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأخبره أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك عنه بموضعه . ثم أعلمهم أنه يدعو الى امام من أهل البيت ، فأقام على الدعاية حتى اجتمع حوله جمع كبير .... ثم دعا أهل

١ ــ القرامطة/محمود شاكر ص ٥ .

٢ ــ خوزستان : بلاد الخوز ، وهي الأهواز ، وهي بين فارس والبصرة .

القرية الى اعتناق مذهبه فأجابوه ، وكان يأخذ من كل رجل دينارا ويزعم أنه للامام ، واتخذ منهم اثنى عشر نقيبا ، وأمرهم أن يدعوا الناس الى نحلته ، وقال لهم : أنتم كحواريي عيسى ، فاشتغل أهل كور تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات . وكان للهيصم (أمير تلك الناحية) ضياع ، فرأى تقصير أهل القرية في عمارتها ، فسأل عن ذلك ، فأخبر بخبر القرمطي ، فأخذه وحبسه وحلف أن يقتله لما اطلع عى مذهبه ، وأغلق باب البيت عليه ، وجعل مفتاح البيت تحت وسادته ، فسمع بعض من في الدار من الجواري بقصته ، فرقت للرجل احداهن فأخذت المفتاح ـــ حين نام سيدها ـــ ، وفتحت الباب وأخرجته ووضعت المفتاح مكانه .

فلما أصبح الهيصم ، فتح الباب ليقتله فلم يجده ، وشاع ذلك في الناس فافتتن به خلق كثير في تلك القرية ، وقالوا : رفع ، ثم ظهر في ناحية أخرى واجتمع بأصحابه وغيرهم ، وسألوه عن أمره فأخبر أنه لا يمكن أحدا أن يصل اليه بسوء ، فعظم من ذاك الوقت في أعينهم »[1] .

ومن بين الأسباب التي يسرت نمو حركة القرامطة في ذلك الوقت ، ثورة الزنج ، التي نكبت بها بلاد البصرة لمدة خمس عشرة سنة ، فنتيجة للفوضى السائدة في جنوبي العراق ، تمكنت الاسماعيلية من تنظيم المستجيبين في الأمكنة التي كانت مسرحا لذلك ، حتى أن قرمط حاول أن يتحالف مع أمير الزنج ضد العباسيين ، ولكنه لما رأى اختلاف الآراء معه تركه ، وهذا ما رواه سلف زكرويه (خليفة حمدان) الذي قال : قال لي قرمط : صرت الى صاحب الزنج ، ووصلت اليه ، وقلت له : اني على مذهب ، وورائي مائة ألف سيف ، فناظرني ، فان اتفقنا على المذهب ملت بمن معي اليك ، وان تكن الأخرى انصرفت عنك ، وقلت له : تعطيني الأمان ، ففعل . قال : فناظرته الى الظهر ، فتبين لي في أخر مناظرتي إياه أنه على خلاف أمري ، وقام الى الصلاة ، فانسللت ، فمضيت خارجا من مدينته ، وصرت الى سواد الكوفة »[2] .

---

١ ـــ تاريخ أخبار القرامطة/ابن سنان وابن العديم ص ٧ ـــ ١٠ .
٢ ـــ تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ٢٧ .

ورغم نمو خطر القرامطة في تلك الناحية ، الا أن الدولة العباسية لم تقم باتخاذ تدابير جدية ضدهم ، حتى أن (أحمد بن محمد الطائي) والي الكوفة في سنة (٢٦٩ هـ) فرض جزية قدرها دينار واحد على كل منتم الى هذه الفرقة ، الا أن بعض أهل الكوفة قدموا الى بغداد ، ليحذروا الخليفة من قوم أحدثوا دينا غير الاسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد (ﷺ) ، وأن الطائي يخفي أمرهم ، فما كان من الطائي الا أن أجهض مهمـتهم ، وعاملهم بطريقة جعلت أكثرهم لا يجرؤ على العودة الى بلاده خشية أن يضطهد[١] .

ويبدو أن قيام قرمط بثورته سنة ٢٧٨ هـ ـــ كما يفهم من كاتب اسماعيلي معاصر ـــ ، لم تكن تحظى بموافقة مركز الامامة في السلمية ، وهي التي كانت توصي بالتريث والانتظار لتكريس جهد أوسع وامكانيات أعظم ، لهذا لم تبارك تلك الخطوة ، ولكنها ـــ على حد تعبير الكاتب ـــ سكتت على مضض ، خوفا من حدوث انشقاق وارتداد في صفوف أتباعها[٢] .

الا أن هذا الزعم لا يستند الى أية حقيقة تاريخية ، فالمؤرخون مجمعون على أن حركة القرامطة ، خطوة من خطوات الاسماعيلية ، التي كانت تتحرك وفق مخطط مدروس يتكون من ثلاث شعب يستهدف احداث الفوضى الاجتماعية ، الأول : كان بالكوفة ، وقام به الحسين الأهوازي بالمشاركة مع حمدان بن الأشعث القرمطي ، والثاني : باليمن ، وقام به ابن حوشب وعلي ابن الفضل ، والثالث : كان بالمغرب ، وقام به أبو عبدالله الشيعي ، الذي مهد لقيام الدولة العبيدية هناك .

من هنا نستطيع أن نقول : ان القرامطة قامت بفتنتها بايعاز من القداحين الموجودين في السلمية .

وثمة أمر آخر في موضوع القرامطة ، وهو حقيقة صلتهم بالاسماعيليين ، لأن هناك من المؤرخين المعاصرين من يشكك في صحة هذه العلاقة ، ولكن من يطلع على أهداف الاسماعيلية ووسائلها في كل حركة من حركاتها يستطيع أن يجزم أن وراء هذه الحركات جميعها يدا خبيثة واحدة تسيرها في اتجاه واحد .

---

١ ـــ انظر تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ٢٥ .
٢ ـــ القرامطة/عارف تامر ص ١٢٠ .

ولو رجعنا الى عبيد الله المهدي ، عندما أقام دولته العبيدية في المغرب ، ونظرنا الى محاولات دعاته نشر الاباحية ، والتحلل من قواعد الشرع بين صفوف أهل المغرب ، لما استغربنا قيام القرامطة بذلك في قتلهم للناس ، واستباحتهم للمحرمات ، ونشرهم للاباحية . ويحدثنا التاريخ عن أساليب دعاة عبيد الله ، « فيذكر أن أحدهم واسمه (ابراهيم بن غازي) ، كان ينتهك حرمة رمضان جهارا ، ويرتكب الكبائر ، ويخاطب المهدي بقوله : أنت ، أنت . وكان آخر وهو (أحمد البلوي) ، يتجه في صلاته الى رقادة (مكان عبيد الله) ، بدلا من الكعبة ، فلما استقر المهدي في عاصمته (المهدية) ، حول وجهته الى هناك ، ونقل عنه قوله : لست ممن يعبد من لا يرى ، وقيل انه كان يتصدى لعبيد الله ، في الطريق ، ويخاطبه بقوله : ارقَ الى السماء !؟ كم تقيم في الأرض وتمشي في الأسواق ؟! فافتتن الناس ، وتحللوا من الفرائض ، وأباح الغوغاء وهواة اللذة لأنفسهم انتهاك المحرمات ، والأعراض »[1] .

واذا تتبعنا آراء دعاة الاسماعيلية ، لوجدناها متطابقة أيضا في الأندلس ، فقد قام أحد دعاتهم الملقب بـ (أبي الخير) ، « بالدعوة الى الانحلال الخلقي ، وترك الفرائض ، وانكار الحساب والعقاب ، واعتبار الملائكة بنات الله ، والمساجد دورا للبقر ، ثم سخريته ممن يصلون أو يحجون لأنهم : يتعبون أبدانهم ، ويقصدون حجارة صماء . ونقل عنه أيضا أنه تمنى أن يقلع الحجر الأسود من مكانه ، مثلما فعل القرامطة » [2] « وكان يقول في الخمر : أنه أجل من الماء للشراب والطهور ، وأن محمدا ـ ﷺ ـ ظلم في تحريمها ، وأحل أشياء كانت الخمر خيرا منها »[3] .

هذا في المغرب والأندلس ، أما في اليمن ، فيحدثنا (محمد بن مالك الحمادي) » أحد الذين دخلوا في مذهب الباطنية ، لا رغبة منه في ذلك ، ولكن ليقف على حقيقة ما ينسب اليه ، ومما قاله : ومعنى الصلاة والزكاة عندهم : محمد

---

١ ـ دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية/د. موسى لقبال ص ٤٢٤ ، ٤٢٥.

٢ ـ المصدر السابق ص ٣٨٤ .

٣ ـ المصدر نفسه ص ٤٢٦ ـ الهامش .

وعلي ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة ، وآتى الزكاة ... فاذا قبل منهم ذلك المخدوع ، قالوا له : قرب قربانك يكون لك سلما ونجوى ، ونسأل مولانا أن يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك هذه الآصار ، فيدفع اثنى عشر دينارا فيقول الخداع (أي الداعي) : يا مولانا ان عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الاصر ، وهذه نجواه اثنا عشر دينارا ، فيقول : اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة .... ثم يقول له الداعي : الآن قد عرفت الصلاة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث ، فيقول المخدوع : عم أسأل ؟ فيقال له : سل عن الخمر والميسر فاعرف معناهما ، فان الدين لا ينال الا بالعلم ، فان الخمر والميسر اللذين نهى الله عن قربهما هما أبو بكر وعمر ، لمخالفتهما عليا ، وأخذهما الخلافة دونه ، وأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك ، فليس بحرام ، لأنه مما تنبت الأرض .... وهكذا حتى يعرف أربعة أمور ، ثم يقول له الداعي : هل تحب أن تدخل الجنة ؟ فيقول : وكيف لي بذلك ؟ فيتلو عليه قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »[1] ، فالزينة ها هنا ما خفي على الناس من سرائر النساء التي لا يطلع عليها الا المخصوصون بذلك ... ثم يقول له : ادفع اثنى عشر دينارا تكون لك قربانا ، فيمضي به ويقول : يا مولانا هذا عبدك فلان قد صحت سيرته وصفت سريرته ، وأصبح جديرا أن تبلغه حد الأحكام ، وتدخله الجنة ، وتزوجه الحور العين ، فاني قد وثقت به وأمنته ... فيقول : ... فاذا صح عندك ، فاذهب به الى زوجتك ، فيقول : سمعا وطاعة لله ولمولانا ، فيمضي به الى بيته ، فيبيت مع زوجته ، فاذا كان الصباح قرع عليهما الباب ، وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكره ذلك المخدوع ، فيقول له : ليس هذا من فضلي ، بل من فضل مولانا ، فاذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة فلا يبقى منهم أحد الا وبات مع زوجة المخدوع ، كما فعل هو . ثم يقول له الداعي : لا بد أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا فادفع قربانك ، وبعد أن يدفع اثنى عشر دينارا ، يمضي به الى سيده ويقول : يا مولانا هذا عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم ، وهذا قربانه ، حتى اذا جنّ الليل ودارت الكؤوس ...

---

١ ــ سورة الأعراف آية ٣٢

أحضر أهل هذه الدعوة الملعونة حرمهم فيدخلن عليهم وقد أطفئوا السرج والشماع ، فيأخذ كل واحد منهم ما يقع في يده ... ثم يقول الداعي بعد ذلك : هذا من فضل مولانا فاشكروه ، ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم من أوزاركم وحط عنكم من آصاركم ، ووضع عنكم من أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذي حرم على جهالكم »[1] .

وعندما نذكر بعد قليل طرق وأساليب القرامطة في خداعهم للناس واشاعتهم للاباحية ، نستطيع أن نجزم أن جميع هؤلاء يتلقون عقائدهم من معلم واحد يسير بهم نحو أهدافه المريبة الحاقدة ، وأن القرامطة جزء أكيد من أجزاء الاسماعيلية الكثيرة .

ولكن القمي والنوبختي يأتيان برواية تظهر أن القرامطة فرع من فروع المباركية التي انفصلت عن الخطابية ، ثم اختلفت مع المباركية في أمور أهمها : أنه لا يكون بعد محمد (النبي ﷺ) الا سبعة أئمة (علي بن أبي طالب ، وهو امام ورسول ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو الامام القائم المهدى ، وهو رسول) ، وزعموا أن النبي ﷺ انقطعت عنه الرسالة في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب للناس بغدير خُم ، فصارت الرسالة في ذلك اليوم في علي بن أبي طالب ..... فزعموا أن محمد بن اسماعيل حي لم يمت ، وأنه في بلاد الروم ، وأنه القائم المهدى ، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة ، وبشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ﷺ ، وأن محمد بن اسماعيل من أولي العزم من الرسل ... وأن الله تبارك وتعالى جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم ، ومعناها عندهم الاباحة للمحارم وجميع ما خلق في الدنيا ... »[2] . ومع وجود هذه الرواية ، الا أنني أعتقد أنها في مضمونها تؤكد بأن القرامطة فرع من فروع الاسماعيلية ، فالمباركية التي يذكرها النوبختي والقمي ، هي نفس الفرقة . التي سبق ذكرها ــ وانفصلت عن الشيعة بعد وفاة جعفر الصادق ،

١ ــ تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن/أحمد حسين شرف الدين ص ٧٦ ــ ٧٩ (نقلا عن مخطوطة للحمادى نفسه بعنوان (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) .

٢ ــ كتاب المقالات والفرق/للقمي ص ٨٣ ــ ٨٦ ــ وفرق الشيعة/للنوبختي ص ٦٢ ــ ٦٤ .

ونادت بإمامة محمد بن اسماعيل، وهي أيضا الفرقة التي دخلها أصحاب أبي الخطاب بعد هلاكه . ولو نظرنا الي العقائد التي تحدث عنها القمي والنوبختي ، والتي تؤمن بها القرامطة ، لوجدناها مطابقة تماما لعقائد الاسماعيلية .

ولئن عدنا الى تنظيم الأمور الذي اتبعه حمدان القرمطى قبل فتنته ، لوجدناه قد سنّ نظاما ماليا على أتباعه ، « ففرض على كل من الرجال والنساء درهما سماه (الفطرة) ، ثم فرض (الهجرة) وهي دينار على كل شخص بالغ ، ثم فرض عليهم (البلغة) وهي سبعة دنانير ... وقال : هذا بلاغ من يريد الايمان والدخول في السابقين ، فكان من أدى سبعة دنانير عن البلغة أطعمه شيئا حلوا لذيذا في قدر البندقة ، وقال له : هذا طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، وصار يبعث الى كل داع منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار عن كل واحدة سبعة دنانير . ثم فرض عليهم الخمس من كل ما يملكونه وما يكتسبونه ... فبادروا الى ذلك وقوّموا سائر ما يملكونه من ثوب وغيره ، وأدوا منه الخمس ... ثم فرض عليهم الألفة ، وهي أنهم يجمعون أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه كلهم أسوة واحدة ، لا يفضل أحد من أصحابه على صاحبه ولا أخيه في ملك يملكه بشيء البتة ... وقال لهم : لا حاجة بكم الى الأموال ، فان الأرض بأسرها ستكون لكم دون غيركم . وقال لهم : هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون ، وألزمهم بشراء السلاح في سنة ست وسبعين ومائتين . وأقام في كل قرية رجلا مختارا من الثقات ، فجمع عنده أموال قريته من غنم وبقر وحلي ومتاع وغير ذلك ..... ثم لما استقام له ذلك كله ، أمر الدعاة أن تجمع النساء في ليلة عينها ويخلطهن بالرجال حتى يتراكبن ، وقال : هذا من صحة الود والالف ، ففعلوا ذلك . ثم انه أفشى فيهم اباحة الأموال والفروج والاستغناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض ، وقال : هذا كله موضوع عنكم ، ودماء المخالفين وأموالهم حلال لكم ، ومعرفة صاحب الحق تغنيكم عن كل شيء ؛ ولا تخافون معه اثما ولا عذابا ، وعنى بصاحب الحق (محمد بن اسماعيل) ، وقال : بهذا الامام اتسقت هذه الأمور ، ولولاه لهلك الخلق وعدم الهدي والعلم ، فبسطوا أيديهم بسفك الدماء وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس ووافقهم كثير من مجاوريهم . وفي تلك الآونة أنس القرامطة في أنفسهم القوة ، فاتفقوا على بناء دار

هجرة ، فأقاموا سورا في قرية يقال لها (مهتماباذ) من سواد الكوفة ، وجعلوا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وبنو من داخل السور المباني ، وتحول اليها الرجال والنساء ، وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين ، فلم يبق أحد الا خافهم لقوتهم وتمكنهم من البلاد »[1] .

وكان فيما حكي عن القرامطة ، أنهم جاءوا بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة ، داعية الى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل . وذكر أن المسيح تصور له في جسم انسان ، وقال له : انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة ، وانك الدابة ، وانك روح القدس ، وانك يحيى بن زكريا . وعرّفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا اله الا الله (مرتين) ، أشهد أن ادم رسول الله ، أشهد أن نوحا رسول الله ، اشهد أن ابراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، واشهد ان عيسى رسول الله ، واشهد ان محمدا رسول الله ، واشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ في كل ركعة سورة الاستفتاح ، وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والسورة هي : الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتخذ لأوليائه بأوليائه . قل ان الأهلة مواقيت للناس ، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ، اتقون يا أولي الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلوا عبادي ، وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري ، وكذب رسلي ، أخلدته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري ، على ألسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته ، ولا عزيز الا أذللته ، وليس الذي أصرّ على أمره وداوم على جهالته ، وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين ، أولئك هم الكافرون . ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون !

---

١ ــ تاريخ أخبار القرامطة/لابن سنان وابن العديم ص ٩٨ ــ ١٠٠ .

يقولها مرتين ، فاذا سجد قال : الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم . ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة ، وهما المهرجان والنيروز ، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال ، ولا غسل من جنابة ، الا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن القبلة الى بيت المقدس ، والحج الى بيت المقدس ، ويوم الجمعة ويوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، وأن من حاربه وجب قتله ، ولم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية ... »[1] .

ونرى مما ذكر أن الكتاب فيه ذكر لأحمد بن محمد بن الحنفية ، باعتباره — على حسب زعمهم ـ رسول الله ،وهذا مخالف لاعتقادات الاسماعيلية والقرامطة ، ويبدو أن ذكر ابن الحنيفة في كتاب قرمط ، لم يكن الا طريقة من طرقه وأساليبه المخادعة ، فالكوفة كما هو معلوم مليئة بالاعتقادات والأفكار التي كانت رائجة آنذاك ، ومن هذه الاعتقادات من تقدس ابن الحنفية ، فأراد قرمط أن يكسب أتباعها الى صفه ، فأذاع هذه الصفة عن ابن الحنفية ، لعله بذلك يستطيع أن يدخل أتباع ابن الحنفية في مذهبه .

وكان من أشهر دعاة قرمط ، صهره عبدان ، وكان عبدان هذا كاتم أسراره ، ومؤلف معظم كتب القرامطة ،وهو الذي عين (زكرويه) داعي العراق ، وأبا سعيد الجنابي داعي فارس الجنوبية[2] . وكان عبدان هذا مشهورا بعلمه وتشيعه ، وكان فطنا خبيثا ، لا يظهر — أمام الناس — الا الدعوة الى امامة محمد بن اسماعيل ،[3] ويكتم اعتقاداته الحقيقية ، ولذلك فان بعض الروايات تذهب الى أنه هو واضع (بلاغات الفرقة التسعة) ، وهي كتاب شرح فيه طريق المريد الى هذه البلاغات ، والتي تنتهي بالمريد الى تحريره من القيود العقائدية والدينية ، ومن جميع أغلال الشريعة[4] ؟!

والجدير بالملاحظة أن قرمط وأتباعه ، كانوا يتلقون التعليمات من السلمية حيث مقر الامامة الاسماعيلية ، ولكنهم سرعان ما انحرفوا عنها ، عندما علموا أن هؤلاء الذين يدعون أنهم من أولاد محمد بن اسماعيل ، انما هم أولاد عبدالله بن ميمون

---

١ — تاريخ الطبري/جـ ١٠ ص ٢٥ ، ٢٦ .
٢ — القرامطة/ميكال دى خويه ص ٣٦ .
٣ — تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٨٧ .
٤ — تاريخ الشعوب الاسلامية/بروكلمان ص ٢٢٩ .

القداح ، فشق حمدان عصا الطاعة على الموجودين في السلمية ، وآثر أن يعمل وحده دون الالتفات الى السلمية[1] ، ولكن أولاد القداح لم يرضواعن هذا الانشقاق ، اذ تحالفوا مع زكرويه ابن مهرويه ، أحد الذين استمالهم حمدان وعبدان في بداية دعوته ، والذي استطاع أن يقتل حمدان وعبدان حوالي سنة ٢٨٠ هـ[2] .

ولم يلبث أن تحول نشاط القرامطة بعد ذلك نحو الشمال في بلاد الشام على يد زكرويه ، ونحو الجنوب في البحرين والاحساء على يد أبي سعيد الجنابي .

وزكرويه هذا ، ابن رجل من القرامطة يقال له (مهرويه) ، عرف أول حياته بالثقة والدين ، فانقاد اليه خلق كثير ، وقال : أنا من ولد عبدالله بن محمد بن اسماعيل ، وصار يركب في قبة على جمل ، ويدعى بالسيد ، وكان له ابن يقال له زكرويه أحد الدعاة[3] .

وذكر أن زكرويه بعد قتله لحمدان وعبدان ، اختفى عن لأنظار ويقال أنه كان مختفيا في منزل (سلفه) ، وكان له سرداب وعليه باب حديد ، وكان له تنور متنقل ، فاذا جاء الطلب عليه ، وضع التنور على باب السرداب ، وقامت امرأة تسجره ، فمكث كذلك أربع سنين ، وذلك في أيام المعتضد (العباسي) ، وكان يقول : لا أخرج والمعتضد في الأحياء . فلم يزل هذه حاله حتى مات المعتضد ، فحينئذ أنفذ الدعاة ، وعمل في الخروج[4] .

ويبدو أن زكرويه ، بعد أن أخذ الدعم من سلمية ، أراد أن يستميل اليه البدو الذين يقطنون في بادية الشام ، فأرسل أولاده اليهم ، فبايع فخذ من قبيلة (كلب) ، المعروف ببني العليص بن صمصم بن عدي بن جناب ، ابن زكرويه المسمى بـ (يحيى) ، والمكنى (أبا القاسم) ، وذلك على مبدأ القرامطة ، ولقبوه بـ (الشيخ) ، وزعم لهم أنه أبو عبدالله بن محمد بن اسماعيل ، وأن ناقته التي يركبها

---

١ ـــ القرامطة/محمود شاكر ص ٥٩ ، ٦٠ .
٢ ـــ تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٨٨ .
٣ ـــ تاريخ أخبار القرامطة/لابن سنان وابن العديم ص ١٠٠ .
٤ ـــ تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

مأمورة ، وأنهم اذا اتبعوها في مسيرها ظفروا ، ولذلك لقب بـ (صاحب الناقة) ، فقصد دمشق ، وهاجم هو وأصحابه في طريقهم اليها كثيرا من القرى والمدن ، وقتلوا الكثير من أبنائها ، وسبوا نسائها وصبيانها ، وأحرقوا المساجد ، ثم حاصر دمشق ، فأرسل اليه المصريون (بدر الكبير غلام ابن طولون) ، فقاتلهم قريبا من دمشق ، حتى انهزموا بمقتل ابن زكرويه(١) .

ولما قتل ابن زكرويه ، اجتمع من بقي من القرامطة على أخيه الحسين ، الذي سمى نفسه أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل ، ودعا الناس الى ذلك ، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم ، فاشتدت شوكته ، وأظهر شامة في وجهه ، وادعى أنها آيته ، ولقب بصاحب الشامة أو الخال ، وسار بعد ذلك الى دمشق ، فصالحه أهلها على خراج يدفعونه ، فانصرف عنهم ، ثم سار الى أطراف حمص فتغلب عليها ، ثم حضر الى عنده ابن عمه عيسى ، فكناه بـ (المدثر) ، وعهد اليه بالقيام بالأمر من بعده ، وزعم أنه المدثر المذكور في القرآن ، فقتل أسرى المسلمين ، ولما أطاعه أهل حمص وفتحوا له بابها خوفا منه ، سار الى حماة ومعرة النعمان وغيرهما ، فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ، ثم توجه الى بعلبك ، فقتل أهلها ، ولم يبق منهم الا القليل ، ثم سار الى سلمية ، فمنعه أهلها ، فصالحهم وأمنهم ، ففتحوا له بابها ، فبدأ بمن فيها من (آل القداح) ، وكانوا جماعة فقتلهم ولم يبق أحدا منهم ، وقتل الصبيان والفقهاء والشيوخ والبهائم ، وخرج منها وليس بها عين تطرف ، ودخل في القرى المجاورة لها يسبي ويقتل وينهب ويقطع السبيل ويأتي من المنكرات مالا عين رأت ولا أذن سمعت(٢) .

والشيء المؤكد أن مهاجمة ابن زكروية لسلمية ، يدل على أن القرامطة وآل زكروية ، قد اختلفوا مرة ثانية مع دعاة الامامة في السلمية ، وأن هذا الاختلاف قد وصل الى حد الفتك بكل الموجودين هناك ، وهذا الذي جعل عبيد الله المهدى يفر هاربا بنفسه . وكل هذا يدل أيضا على أن القرامطة قد تأكدوا من كذب هؤلاء في ادعائهم النسب الى محمد بن اسماعيل ، فرأى آل زكرويه في أنفسهم الأحقية بادعاء هذا النسب .

---

١ ــ أنظر تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ٩٥ .
٢ ــ تاريخ اخبار القرامطة/ابن سنان وابن العديم ص ٢١ .

وبعد امعان ابن زكرويه في القتل ، وانتهاك المحرمات ، سارع بدر مولى ابن طولون سنة ٢٩٠ هـ لمقاتلة صاحب الشامة بجيش كبير ، فانهزم القرمطي صاحب الشامة ، وهرب مع بعض أتباعه الى البادية ومنهم ابن عمه المدثر ، ولكن سرعان ما قبض عليهم ، فجلبوا الى بغداد ، حيث أمر الخليفة بقتلهم[١] .

ولما أيقن الحسين بن زكروية بالهزيمة والهلاك ، بعث أخاه أبا الفضل ، الذي يسميه ابن خلدون بـ (أبي القاسم علي) ، وحمله قسما من كنوزه ، ولم يطل الأمر بأبي الفضل حتى جمع جماعة من القرامطة يغزو بهم وينهب ، ثم ما لبث أن عاد الى البادية ، نزولا عند رغبة أبيه الذي لم يشأ أن يتعرض ابنه الأخير للأخطار[٢] . ويقول ابن خلدون : انه ارتحل الى اليمن ، حيث اجتمع اليه دعاتهم هنالك[٣] .

وفي سنة ٢٩٣ هـ ، أرسل زكرويه بن مهرويه ، بعد مقتل صاحب الشامة ، نصر بن عبدالله بن سعيد (أحد دعاته) ، فدار على أحياء العرب من كلب وغيرهم يدعوهم الى رأيه ، فلم يقبله أحد الا رجل من بني زياد ، الذي استغوى طوائف من قبائل أخرى ، وقصد نصر بهؤلاء ناحية الشام والاردن ، فهاجم بصرى وحارب أهلها ، ثم أمنهم فلما استسلموا اليه قتل مقاتليهم ، وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم ، ثم هاجم دمشق ، فخرج اليهم صالح بن الفضل ، فهزمه القرامطة هو وعسكره ، وفتكوا فيهم فتكا ذريعا ، ثم أمنوهم وغرروا بهم وقتلوا صالحا ، فقصدوا طبرية ، فنهبوها وأعملوا في أهلها السيف ، وسبوا النساء وقتلوا الشيوخ والأطفال ، فوصلت الأخبار الى الخليفة فأنفذ أمره الى الحسين بن حمدان وبعض القواد للشروع في قتال القرامطة واستئصال شأفتهم ، فقصدوا دمشق ، فلما علم القرامطة انسحبوا راجعين ، وفي طريقهم نهبوا المدن واستباحوا حرماتها ، فلما أحسّ الكلبيون بأخبار الجيوش المرسلة من بغداد اليهم ، قاموا الى نصر زعيم القرامطة فقتلوه ، وسار برأسه رجل منهم يدعى (الذئب بن القائم) الى الخليفة العباسي المكتفي ، وطلب الأمان والقرب ، فأمر الخليفة بذلك ، وأجازه بجائزة ، وأمر بالكف عن قتال قومه[٤] .

---

١ ـــ المصدر السابق ص ٢٤ ، ٢٥ .
٢ ـــ القرامطة/ميكال دى خويه ص ٥٥ .
٣ ـــ تاريخ ابن خلدون/جـ ٤ ص ١٨٦ .
٤ ـــ تاريخ أخبار القرامطة/ابن سنان وابن العديم ص ٢٧ ، ٢٨ .

ومهما يكن من أمر ، فقد أضطر زكرويه بعد ذلك الى تسلم زمام الأمور بنفسه ، فكتب الى قرامطة بادية الشام ، أن الشيخ ويقصد (ابنه يحيى) ، وأخاه الحسين قد قتلا ، وأن الامام الذي يوحى اليه لن يبطىء في الظهور والغلبة ، وأرسل اليهم داعية له يسمى (القاسم بن أحمد) ، فأعلمهم أن فعل الذئب قد نفره منهم ، وأنهم قد ارتدوا عن الدين ، وأن وقت ظهورهم قد حان ، وقد بايع لهم بالكوفة أربعون ألفا ، وفي سوادها أربعمائة ألف رجل ، وأن يوم موعدهم اللذي ذكره الله في كتابه في شأن موسى وعدوه فرعون « موعدكم يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى »[1] ، وأن زكروية يأمرهم أن يخفوا أمرهم ، ويسيروا نحو الكوفة حتى يصبحوا فيها في غداه يوم النحر ، فانهم لا يمنعون منها ، وأنه يظهر لهم ، وينجز لهم وعده الذي كانت رسله تأتيهم به ، وأن يحملوا القاسم بن أحمد معهم ، فامتثلوا لأمره ، ووافوا باب الكوفة ، وقد انصرف الناس عن مصلاهم ، وكان الذين وافوا باب الكوفة في هذا اليوم ثمانمائة فارس ، دخلوا أبواب الكوفة ، وقد ضربوا على القاسم بن أحمد ، داعية زكرويه قبة ، ويقولون : هذا ابن رسول الله ﷺ ، ودعوا : بالثارات للحسين ، يعنون الحسين بن زكرويه ، فحاربهم أهل الكوفة ، فهزموا الى خارج الكوفة ، وصاروا الى قرية هنالك ، وأخرجوا زكرويه من مخبئه ، الذي اختبأ فيه سنين طويلة ، فسجدوا له لما رأوه ، وحضر معه جماعة من دعاته وخاصته ، وأعلمهم أن القاسم بن احمد أعظم الناس عليهم منة ، وأنه ردهم الى الدين بعد خروجهم منه ، وأنهم اذا امتثلوا أمره أنجز مواعيدهم ، وبلّغهم آمالهم ، ورمز لهم رموزا ، وذكر فيها آيات من القرآن ، واعترف لزكرويه جميع من رسخ حب الكفر في قلبه ، وسار بهم وهو محجوب عنهم يدعونه بالسيد ، ولا يبرزونه لمن في عسكرهم ، والقاسم يتولى الأمور دونه[2] .

وبعث الخليفة العباسي المكتفي عساكره ، الى سواد الكوفة لقتالهم ، فهزمهم القرامطة ، وغنموا معسكرهم[3] . وهذا الانتصار شجع زكروية وأتباعه ، فسار بهم بعد ذلك لاعتراض الحجاج والفتك بهم ، فنهبوا قوافل الحجاج ، وقتلوهم ،

---

١ ــ سورة طه آية ٥٩ .

٢ ــ تاريخ الطبري/جـ ١٠ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

٣ ــ تاريخ ابن خلدون/جـ ٤ ص ١٨٧ .

وسبوا نساءهم واستعبدوا من لم يقتلوه من الرجال ، ثم عملوا على اعتراض قوافل الحجاج الراجعة ، وقيل انه قتل في قافلة واحدة زهاء عشرين ألف رجل[١] ، حتى انه جمع أجساد القتلى فعمل منها دكة وقف عليها .[٢] وكانت نساء القرامطة يطفن بالماء على القتلى ، يعرضن عليهم الماء ، فمن كلمهن قتلنه[٣] .

وقد جهز المكتفي بعدما جاءته الأخبار بذلك جيشا كبيرا ، فأدركوا القرامطة وقاتلوهم يومين ، ثم هزموهم ، وضرب زكرويه على رأسه فأصيب ، وجيء به أسيرا ، وبخليفته القاسم وابنه وكاتبه وزوجته ، ولكنه ما لبث أن هلك بعد خمسة أيام ، فأرسلت جثته الى بغداد وصلب هناك[٤] .

أما قرامطة البحرين ، فقد كان ابتداء أمرهم سنة ٢٨١ هـ ، عندما جاء الى تلك النواحي أحد دعاتهم ، ويعرف بـ (يحيى المهدي) ، حيث قصد القطيف ، فنزل على رجل يعرف بـ (علي بن المعلى بن حمدان) ، مولى الزياديين ، وكان مغاليا في التشيع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي ، وأن ظهوره قد قرب ، فوجه علي بن المعلى الى الشيعة من أهل القطيف فجمعهم ، وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهدي اليهم من المهدي ، فأجابوه ، وأنهم خارجون معه اذا ظهر أمره ، ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه ، وكان فيمن أجابه (أبو سعيد الجنابي) . ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ، ثم رجع ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي الى شيعته ، فيه : قد عرّفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم الى أمري ، فليدفع اليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثين ، ففعلوا ذلك . ثم غاب عنهم مرة أخرى ، وعاد ومعه كتاب أن : ادفعوا الى يحيى خمس أموالكم ، فدفعوا اليه الخمس ، وكان يحيى يتردد أثناء ذلك على قبائل قيس ، ويورد اليهم كتبا ، يزعم أنها من المهدي ، وأنه ظاهر ، فكونوا على أهبة[٥] .

---

١ ــ تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ١٣٢ .

٢ ــ تاريخ أخبار القرامطة/ابن سنان وابن العديم ص ٨٤ .

٣ ــ الكامل في التاريخ/ابن الأثير جـ ٧ ص ٥٤٩ .

٤ ــ تاريخ ابن خلدون/جـ ٤ ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

٥ ــ الكامل في التاريخ/ابن الأثير جـ ٧ ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ .

ويقال ان الحسن بن بهرام أو (أبو سعيد الجنابي) ، بعد أن دخل في دعوة يحيى ، أخذ يتردد على حمدان القرمطي وعبدان في سواد الكوفة ، فوثقا فيه وانتدباه للعمل مكان يحيى في تلك الناحية[1] .

ولما رجع أبو سعيد الى ناحية القطيف ، عمل على التخلص من يحيى بقتله[2] ، ودعا الناس الى مذهبه ، فكان أول من استجاب له (بنو سنبر) ، وهم الحسين وعلي حمدان[3] ، وهذان من وجهاء قبيلتهم ، وكان لهما نفوذ كبير في أنحاء البحرين ، حتى أن الحسين زوج ابنته لأبي سعيد ، مما قوى مركز أبي سعيد ، وكثر اقبال الناس عليه[4] . وما زالت دعوته تنتشر ، وأمره يقوى ، حتى اجتمع اليه عدد كبير من الأعراب والقرامطة ، فقتل ما حوله من أهل القرى ، ثم سار الى القطيف فقتل من بها ، وأظهر أنه يريد البصرة[5] .

ويروي ابن الأثير رواية تفيد كيفية اغرائه للناس ، فقد جاء الى أبي سعيد يحيى المهدي ، فأكلوا طعاما ، فلما فرغوا خرج أبو سعيد من بيته ، وأمر امرأته أن تدخل الى يحيى ، وأن لا تمنعه ان أراد[6] . فلا عجب والحالة هذه اذا رأينا غوغاء الناس يلتفون حوله ، وقد دعاهم الى ترك الشعائر الدينية ، واباحة المحرمات ، ووعدهم بالسعادة في هذه الأرض .

وفي سنة ٢٨٧ هـ ، انتشرت دعوته ، وامتد نفوذه الى أرجاء البحرين كافة ، وقرب جيشه من نواحي البصرة ، فأرسل المعتضد أحد قواده (العباس الغنوي) لقتاله ، ولكنه هزم وأسر ، مما شجع الجنابي على مهاجمة (هجر) عاصمة البحرين ، فاحتلها وجعلها عاصمة له[7] .

---

١ ـــ تاريخ أخبار القرامطة/ابن سنان وابن العديم ص ١٠٢ ، ١٠٣ .
٢ ـــ أصول الاسماعيلية/برنارد لويس ص ١٣١ .
٣ ـــ تاريخ أخبار القرامطة/ابن سنان وابن العديم ص ١٠٣ .
٤ ـــ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام/بندلي جوزى ص ١٢٩ .
٥ ـــ الكامل في التاريخ/ابن الأثير جـ ٧ ص ٤٩٣ .
٦ ـــ المصدر السابق جـ ٧ ص ٤٩٤ .
٧ ـــ المصدر السابق جـ ٧ ص ٤٩٩ .

وقد عمل أبو سعيد على تكوين مجتمع اسماعيلي اباحي ، يدين له بالطاعة والولاء ، وهكذا استطاع أن يكون من أبناء الأسرى ، وأبناء أتباعه ، جيشا ، لا يعرف غير الطعن والقتال حرفة ، وطاعة الرئيس دينا ، فجمع الصبيان في دور ، وأقام عليهم قوادا ، وأجرى عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسمهم جميعا على الخدود لئلا يختلطوا بغيرهم[1] .

ويبدو أن أبا سعيد في أخريات حياته ، قد نهج سياسة التقرب من العباسيين ، مما حدا بالمقتدر العباسي أن يرسل الى أبي سعيد كتابا لينا ، يحثه فيه على اطلاق أسرى المسلمين ، ويناظره ، ويقيم الدليل على فساد مذهبه[2] . ولذلك نرى أبا سعيد لا يقوم بأية محاولة جدية لمساعدة العبيديين حين غزوا مصر للمرة الأولى في سنتي ٣٠٠ ، ٣٠١ هـ .

بل ونراه ينافس آل عبيدالله في ادعائهم الامامة ، فقد غلا في عقائده ، وادعى لنفسه من مظاهر التقديس ، وكأنه امام من أئمة الاسماعيلية[3] .

كل هذه الأمور ، أغاظت عبيدالله المهدي ، فاعتبر أفعال أبي سعيد محاولة منه للخروج عن طاعته ، فدبر مؤامرة ضد أبي سعيد وأتباعه ، وكان ذلك سنة ٣٠١ هـ ، عندما قُتل أبو سعيد على يد خادم صقلبي له في الحمام ، فلما قتله استدعى رجلا من أكابر رؤسائهم ، وقال له : السيد يستدعيك ، فلما دخل قتله ، ففعل ذلك بأربعة نفر من رؤسائهم ، واستدعى الخامس ، فلما دخل فطن لذلك ، فأمسك بالخادم وقتله[4] .

وبقي القرامطة على تعظيمهم وتقديسهم لأبي سعيد بعد موته ، فقد زعموا أنه أبلغهم أنه سيغيب ثم يعود الى الأرض ، ولذلك فقد أبقوا حصانا مهيأ بعناية بجوار قبره ، عليه طوق ولجام ، يقف بالنوبة ليلا ونهارا ، ويزعم انه قال لأبنائه : حين أعود

١ ــ نهاية الأرب للنويري مخطوط جزء ٢٣ نقلاً عن كتاب تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن .
٢ ــ الكامل في التاريخ/ابن الاثير جـ ٨ ص ٨٤ .
٣ ــ تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٩٢ .
٤ ــ الكامل في التاريخ/ابن الأثير جـ ٨ ص ٨٣ ، ٨٤ .

ولا تعرفونني اضربوا رقبتي بسيفي ، فاذا كنت أنا ، حييت في الحال ، وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعي أحد أنه أبو سعيد[1] .

وقد تولى ابنه سعيد الحكم بعده ، فسار على سياسة أبيه التي تنطوي على التقرب من العباسيين والتباعد عن العبيديين ، حتى أنه اطلق سراح جميع الأسرى من المسلمين[2] . وهذا أغضب العبيديين في المغرب ، فعملوا على قتله والتخلص منه ، وولوا أخاه أبا طاهر ، حتى ان عبيدالله المهدي أرسل له كتابا يقره فيه على الولاية[3] .

وبذلك رجعت القرامطة فرعا أصيلا من الدولة العبيدية ، تأتمر بأمرها ، وتنفذ خططها وسياستها . وقد أخذ أبو طاهر على عاتقه تحقيق تلك الخطط والتي كانت ترمي الى القضاء على العباسيين ، وإقامة الدولة الاسماعيلية .

لذا نرى أبا طاهر يوجه جيوشه ضد العباسيين ، في الوقت الذي كانت تغزو فيه جيوش العبيديين مصر بزعامة أبي القاسم بن عبيدالله المهدي ، الذي طلب من أبي طاهر وجيوشه أن تتصل بجيشه في مصر ، ولكن قائد الخليفة العباسي المقتدر يحول دون اتصال جيوش أبي طاهر وجيوش العبيديين[4] .

وكان أبو طاهر هذا ، يمتلىء حقدا على الاسلام والمسلمين ، لذلك فقد عاث فسادا في الأرض ، يقتل وينهب ويهتك الأعراض ، جاعلا هدفه قتل ما يستطيع من المسلمين.

من ذلك ، أنه في سنة ٣١١ هـ ، قصد أبو طاهر البصرة ، فوصلها ليلا في ألف وسبعمائة رجل ، ومعه السلالم ، فوضعها على السور ، وصعد وأصحابه ، ففتحوا الباب ، فظفر القرامطة بأهل البصرة ، فاستباحوها ، وقتلوا خلقا كثيرا منها ،

---

١ ــ تراث الانسانية/مقال للدكتور يحيى الخشاب عن كتاب سفر نامه/لخسرو ــ مجلد ١ ص ٦٥٢ .
٢ ــ ابن الأثير جـ ٨ ص ٨٤ .
٣ ــ تاريخ ابن خلدون/جـ ٤ ص ١٨٩ .
٤ ــ المصدر السابق ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .

وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من المال والأمتعة ، والنساء والصبيان[1] ، ولم يخرج منها الا بعد أن هدم مسجدها .

وفي سنة ٣١٢ هـ ، هاجم الحجاج ، فأوقع بهم ، وأخذ امتعتهم وأموالهم ونساءهم ، وعاد الى هجر ، وترك الحجاج في مواضعهم ، فمات أكثرهم جوعا وعطشا ومن حر الشمس[2] . وفي نفس العام دخل أبو طاهر القرمطي الكوفة ، وجعل مسجدها اصطبلا لخيوله[3] .

وعادو الهجوم على الكوفة سنة ٣١٥ هـ ، حيث عاث فيها فسادا ، وأراد من بعدها الوصول الى بغداد ، ولكنه لم يستطع فرجع[4] ، ويبدو أنه أراد أن يتصل بجيش العبيديين الذي أراد في هذه السنة احتلال مصر .

وفي سنة ٣١٧ هـ ، زحف أبو طاهر القرمطي على مكة ، يريد قتل الحجاج وهدم الكعبة (واعتراض الحجاج وقتلهم ومنعهم من الحج ، ـــ كما تبين من سيرة القرامطة ـــ شيء محبب لهم ، لأن شعائر الحج ـــ كما يزعمون ـــ من شعائر الجاهلية ، ومن قبيل عبادة الأصنام) فدخل مكة هو وأصحابه ، وأخذوا يقتلون أهاليها ، ومن كان فيها من الحجاج من رجال ونساء وهم متعلقون بأستار الكعبة وردم بهم زمزم ، وفرش بهم المسجد وما يليه ، وقتل في سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفا ، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك ، وأقام بمكة ستة أيام ، ولم يقف أحد تلك السنة بعرفة ، ولا وفّى نسكا ، وكان من أشد الناس قساوة وأقلهم رحمة أبو طاهر نفسه ، فكان ينتقل من مكان الى آخر ، وهو يدعو أصحابه : أن اجهزوا على الكفار وعبدة الأحجار ، ودكوا أركان الكعبة ، وأقلعوا الحجر الأسود ، حتى لا يبقى منه أثر ، وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة ، وقلع بابها الشريف وصار ينشد :

أنـــا بالله وبـــالله أنـــــا يخلـــق الخلـــق وأفنيهـــم أنـــا

---

١ ـــ الكامل في التاريخ/ابن الأثير جـ ٨ ص ١٤٤ .
٢ ـــ المصدر نفسه جـ ٨ ص ١٤٧ .
٣ ـــ المصدر نفسه جـ ٨ ص ١٥٦ .
٤ ـــ المصدر نفسه جـ ٨ ص ١٧٠ .

وصاح أحد أتباعه وهو يقتل واحدا من الحجاج : يا حمير ، ألستم قلتم في هذا البيت ، من دخله كان آمناً ، وكيف يكون آمناً وقد قتلته الساعة بحضرتكم ؟! ويروي آخر : أن أحد أصحاب أبي طاهر ، دخل الحرم وأنا بين القتلى جريح مطروح لا أبدى حراكاً ، إلى أن داسني بحافر فرسه ، فلما رآني تحركت ، تقدم إلى وسألني : أتعرف سورة الفيل ؟ فقلت نعم أعرفها . فقال : أين الأبابيل ؟ فقلت : حيث شاء ربك ، فصاح بي : أيها الحمير إنكم تسجدون للحجارة ، وتطوفون حولها ، وترقصون اكراماً لها ، وتمسحون وجوهكم بها ؟! (١) .

أقام أبو طاهر وأصحابه على هذه الحالة عدة أيام ، يعملون السيوف بأهاليها وحجاج بيت الله ، وينهبون أموالهم ، ويأتون من الأفعال ما تقشعر له الأبدان ، وقد نهبوا كل ما وصلت إليه أيديهم من الأشياء الموجودة في داخل الكعبة ، أو على جدرانها ، وكان من جملة ما نهبوه الحجر الأسود ، حيث أخذوه إلى الاحساء ، وألقوه هناك ، وهذا الأمر أفزع عبيدالله المهدي ، فقد خاف من ثورة الناس عليه ، لعلمهم أنه يأتمر بأمره ، فكتب إلى أبي طاهر كتابا يعنفه على ذلك ، ويطلب منه إعادة الحجر إلى مقره ، فكتب إليه أبو طاهر بالعجز عن ذلك خوفاً من أتباعه (٢) .

وقد خرج أبو طاهر وجماعته من مكة وهم ينشدون :

« فلو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهليـــة ... محللة لم تبق شرقا ولا غرباً
وإنا تركنا بين زمزم والصفا ... جنائز لا تبغي سوى ربها ربا » (٣)

وبقي أبو طاهر على هذه الحال ، من القتل والنهب والارهاب ، حتى هلك سنة ٣٣١ هـ . وكان له عشرة أبناء ، أكبرهم (سابور) ، فكاتبوا القائم العبيدي ، فيمن يقوم مقام أبي طاهر ، فجاء جوابه بولاية أخيه أحمد ، وأن يكون ابن أبي طاهر

١ ــ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام / بندلي جوزى ص ١٣٩ ــ ١٤٢ .
٢ ــ تاريخ ابن خلدون / جـ ٤ ص ١٩١ .
٣ ــ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام / بندلي جوزى ص ١٤٢ .

(سابور) ولي العهد ، فاستقر أحمد في الولاية عليهم ، وكنوه أبا منصور ، وهو الذي رد الحجر الأسود إلى مكانه ، وقالوا لما ردوا الحجر : انهم إنما حملوه بأمر امامهم عبيدالله ، وإنما يردونه بامره وأمر خليفته القائم (١) .

ثم قبض سابور على عمه أحمد ، فاعتقله بموافقة اخوته ، وكان ذلك سنة ٣٥٨ هـ ، بعدها قامت المنافسة بين بيت أحمد بن أبي سعيد (أبو منصور) ، وبيت أبي طاهر بن أبي سعيد ، وانتهى الأمر بقتل سابور بن أبي طاهر سنة ٣٥٨ هـ ، ونفي اخوته وأنصاره إلى جزيرة أوال (٢) وقد أثار قتل سابور حنق العبيديين ، لأنهم ولوه العهد بعد عمه أحمد ، وعدوا قتله خروجا عن طاعتهم ، وانقسم القرامطة بسبب ذلك إلى فريقين : فريق بزعامة بيت أبي طاهر ، ظل على ولائه للعبيديين ، وفريق آخر بزعامة بيت أحمد بن أبي سعيد ، وعلى رأسه الحسن الأعصم ، صار يحنق على العبيديين ، ويعمل على التقرب إلى العباسيين .

ولم يكن بد اذا من نشوب الحرب بين القرامطة وبين العبيديين ، فلما مات أحمد بي أبي سعيد ، وقتل سابور ، استبد ابن أحمد (الحسن الاعصم) بالأمر من بعده ، واتخذوا من استيلاء العبيديين على دمشق بقيادة جعفر بن فلاح سنة ٣٥٨ هـ ، ومنعهم الجزية التي كانت تدفع للقرامطة من قبل ، ومقدارها ثلثمائة ألف دينار كل سنة ، فرصة للانتقام من العبيديين ، والمسير إلى بلاد الشام ، والاستيلاء عليها ، وأخذ هذه الجزية بالقوة (٣) .

وقد حاول الحسن الأعصم ، بسبب حقده على العبيديين ، وخاصة المعز ، محالفة الخليفة العباسي المطيع ، والوقوف معه في وجه العبيديين ، ويحدثنا أبو المحاسن في النجوم الزاهرة فيقول : « وسار القرمطي ، واسمه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد ، إلى بغداد ، وسأل الخليفة المطيع بالله العباسي ، على لسان عز الدولة بختيار

---

١ — تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ١٩١ ، ١٩٢ .
٢ — المصدر السابق ص ١٩٢ .
٣ — تاريخ الدولة الفاطمية / د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٩٥ .

(البويهي) ، أن يمده بمال ورجال ويوليه الشام ومصر ، ليخرج المعز منها ، فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك ، وقال : كلهم قرامطة وعلى دين واحد ، فأما المصريون (يعني بني عبيدالله) ، فأماتوا السنن ، وقتلوا العلماء ، وأما هؤلاء (يعني القرامطة) ، فقتلوا الحاج ، وقلعوا الحجر الأسود ، وفعلوا ما فعلوا . فقال عز الدولة بختيار للقرمطي : اذهب ، فافعل ما بدا لك ، وقيل : إن بختيار أعطاه مالا وسلاحاً ، فسار القرمطي إلى الشام ومعه أعلام سود ، وأظهر أن الخليفة المطيع ولاه ، وكتب على الأعلام اسم المطيع ، وملك القرمطي الشام ، ولعن المعز على منبر دمشق وأباه ، وقال : هؤلاء من ولد القداح ، كذابون ، مخترقون ، أعداء الاسلام ، ونحن أعلم بهم ، ومن عندنا خرج جدهم القداح . وبعد ملكه لدمشق ، عزم المسير إلى الرملة ، ومنها إلى مصر ، ولما بلغ المعز مجيئه خاف وتهيأ لقتاله ، وخصل بين جيشهما مناوشات ، انتهت إلى تقهقر المعز إلى القاهرة وتحصنه بها ، فحاصره القرمطي بها ، إلى أن أرضى القرمطي بمال وخدعه ، وعاد نحو الشام ، ولكنه عاد واتفق مع أفتكين التركي (والي الشام) ضد المعز ، فزحف اليهما المعز وهزمهما ، فلحق الأعصم بطبريا منهزماً ، ثم ارتحل منها إلى الاحساء (١) .

وظلت العلاقات سيئة بين الطرفين ، إلى أن مات الأعصم سنة ٣٦٦ هـ ، فأصبحت دفة الحكم بين أيدي زعماء ستة ، لقبوا بـ (السادة) ، وينتخبون من بين أحفاد أبي سعيد (٢) .

وقد شاهد ناصر خسرو ، الرحالة الاسماعيلي الشهير ، هذه الحكومة الجماعية ، عندما زار الاحساء سنة ٤٤٣ هـ ، وهو يقول : ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف ، هو دار ملكهم ، وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ، ويصدرون أوامرهم بالاتفاق ، وكذلك يحكمون (٣) .

---

١ ــ النجوم الزاهرة / أبو المحاسن تغرى بردى جـ ٤ ص ٧٤ .
٢ ــ الكامل في التاريخ / ابن الأثير جـ ٨ ص ٦٨٨ .
٣ ــ القرامطة / ميكان دى خويه ص ١٥٦ .

وبعد موت الحسن الأعصم ، عاد ولاء القرامطة من جديد إلى الدولة العبيدية ، يؤيد هذه الحقيقة ، أن القرامطة هاجموا سنة ٣٧٣ هـ الكوفة حتى وصلوا إلى مشارف بغداد ، ولكنهم عادوا بعد أن صولحوا على مال أخذوه (١) . وعاودوا الكرة سنة ٣٧٥ هـ ، حينما سيطروا على الكوفة ، على رأس جيش يقوده إثنان من (السادة) ، وهما جعفر واسحق ، وكان سبب احتلالهم للكوفة قبض صمصام الدولة على نائبهم في بغداد المعروف بـ (أبي بكر بن شاهويه) ، فأرسل صمصام الدولة جيشاً لقتالهم فهزم ، ثم أرسل جيشاً أخر أكثر عدداً ، فانتصر ، وألحق هزيمة نكراء بالقرامطة ، فانسحبوا راجعين بفلولهم إلى الاحساء (٢) .

وكانت هذه الهزيمة سببا في أفول نجمهم ، حتى يقول ابن الأثير : وزال من حينئذ ناموسهم (٣) .

ولم يكد خبر الهزيمة ينتشر بين القبائل المجاورة لهم ، حتى خرج عليهم سكان أواسط الجزيرة العربية ، وانفصلوا عنهم ، ثم تبعهم سكان عمان (٤) .

وفي سنة ٣٧٨ هـ ، انقضت على القرامطة ، قبيلة المنتفق ، بقيادة الأصيفر ، فهزمتهم شر هزيمة ، ثم تعقبتهم إلى عاصمتهم التي التجأ إليها القرامطة ، فحاصرهم فيها ، لكنه لم يقو على فتحها ، فعدل عنها إلى القطيف ، فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأموالهم ومواشيهم ، وسار بها إلى البصرة (٥) . وظل القرامطة قابعين في تلك الجهات بعد هزائمهم المتوالية . ولكن العلاقات الطيبة التي كانت بينهم وبين العبيديين بقيت مستمرة ، ففي عهد الحاكم بأمر الله العبيدي (٣٨٦ هـ ٤١١ هـ) ، حاول حمزة بن علي ، مؤسس المذهب الدرزي ، والداعي إلى تأليه الحاكم ، أن يستميل القرامطة إلى مذهبه ، على أساس أنهم جميعاً يسعون إلى معرفة

---

١ ـــ تاريخ ابن الأثير جـ ٩ ص ٣٧ .
٢ ـــ المصدر نفسه ص ٤٢ ، ٤٣ .
٣ ـــ المصدر السابق نفسه ص ٤٣ .
٤ ـــ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام / بندلي جوزى ص ١٦٢ .
٥ ـــ تاريخ ابن الأثير جـ ٩ ص ٥٩ .

الاله ، وينتظرون ظهوره ، لهذا فقد وعدهم حمزة بارسال دعاته اليهم (١) ويظهر أن محاولة حمزة باءت بالفشل ، لأن خليفته وداعيته (المقتنى بهاء الدين) عاود الكرة مع القرامطة في رسالة بعثها إلى السادة ، يدعوهم فيها إلى مذهب التوحيد وموالاة الامام (٢) .

ومما يدل على أن العلاقات ، ظلت جيدة بين العبيديين والقرامطة ، أن ناصر خسرو ، صاحب كتاب سفرنامة ، قد زار الاحساء عاصمة القرامطة سنة ٤٤٣ هـ ، ويظهر أن رحلته إليها كانت لأسباب سياسية ، وكان الهدف منها ، زيادة صلات الود بين القرامطة والعبيديين ، وخاصة بعد أن سيطر السلاجقة السنيون على بغداد ، وهذا أرعب العبيديين ، لذلك أراد خسرو من هذه الزيارة الاتفاق مع القرامطة على مواجهة قوة السلاجقة السنيين ، الذين كانوا خطرا على الطرفين (٣) .

ويبدو أن القتال بين القرامطة وجيرانهم من القبائل بقي متوالياً ، وهذا ما ذكره خسرو وقال : انه التقى بأمير عربي ، وهو زاحف على الاحساء ، وبعد أن حاصرها سنة كاملة ، استولى على حظيرة من حظائر المدينه الأربع ، وأصاب غنائم كثيرة ، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء على الاحساء ... فلما رآني قال : ان غرضي أن أستولي على الاحساء ، لأن أهلها كفرة ، لا دين لهم (٤) .

« وكانت نهاية القرامطة ، في عهد المستنصر العبيدي ، وقد مرت هذه النهاية في طورين ، انتهى الطور الأول منهما بطردهم من جزيرة أوال ، وانتهى الثاني باستئصال شأفتهم من بلاد البحرين ، ففي سنة ٤٥٨ هـ خرجت جزيرة أوال عن طاعة القرامطة في البحرين ، وخضعت للعباسيين ، بعد سلسلة من الثروات التي قام بها السنيون في هذه الجزيرة ، فقد بنى هؤلاء السنيون مسجداً لجذب التجار إلى

---

١ ــ انظر رسالة (السيرة المستقيمة) لحمزة .

٢ ــ انظر رسالة (السفر إلى السادة في الدعوة لطاعة ولي الحق الامام المنتظر) لبهاء الدين وكتبت سنة ٤٣٠ هـ .

٣ ــ تراث الانسانية / مقال للدكتور يحيى الخشاب عن سفرنامة ــ مجلد ١ ص ٦٤٦ .

٤ ــ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام / بندلي جوزى ص ١٦٤ .

جزيرتهم ، ولما فرغوا من بناء هذا المسجد ، خطبوا فيه للخليفة العباسي ، كذلك ثار أهل أوال على حكم القرامطة لأنهم عزلوا واليهم ، وفرضوا عليهم ضريبة جديدة أثارت حنقهم ، فأشعلوا نار الثورة ، وقضوا على قوات القرامطة البرية والبحرية ، وآل الحكم في هذه الجزيرة إلى السنين . وكانت هزيمة القرامطة في جزيرة أوال ، بعيدة الأثر عليهم في بلاد البحرين نفسها ، فقد اتصل السنيون في بلاد البحرين بالسلاجقة في العراق ، فبعثوا إليهم في سنة ٤٦٢ هـ بجيوش أحلت بالقرامطة هزائم متتالية ، فاضطر القرامطة الى الارتداد إلى الاحساء ، وقد شجعت الهزائم المتلاحقة للقرامطة ، السلاجقة ، فأرسلوا إلى الاحساء جيوشاً ، أذاعت على الناس تحثهم على الانضواء تحت راية هذه الجيوش (لجهاد المبطلين ، والقرامطة ، والملحدين ، واستئصال ذكرهم ، وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم) ، فالتف الناس حول الجيش ، الذي أحاط بالقرامطة في شمالي الاحساء ، وانتصروا عليهم في موقعة الخندق سنة ٤٧٠ هـ ، وتعد هذه الموقعة من المواقع الحاسمة في التاريخ ، لأنها قضت على دولة القرامطة نهائياً ، بعد أن ظلوا زهاء قرنين مصدر الرعب والفزع للناس [١] » .

---

١ ـ تاريخ الاسلام / د. حسن ابراهيم حسن جـ ٤ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

الفصل الرابع

عقائد القرامطة

١ ـ عقيدتهم في الألوهية والتوحيد :

عقائد القرامطة لا تختلف عن العقائد الاسماعيلية إلا في بعض الأمور التطبيقية ، التي استطاعت القرامطة بارهابها أن تطبقها تطبيقاً تاماً في مجتمعها ، بينما لم تستطع الاسماعيلية أن تظهرها أو تطبقها بعد قيام دولتها العبيدية في المغرب خوفاً من ثورة الناس عليهم . لذا لا يمكننا القول أن عقائد القرامطة باطنية ، لأن السرية والكتمان محيا من قاموس القرامطة بعد ظهور دولتهم .

ولا غرابة في ذلك ، فان الحركة القرمطية في حقيقتها ، تعبير حي وفعلي للعقائد الاسماعيلية ، لهذا فقد أخذت هذه الحركة على عاتقها تنفيذ كل الأحلام التي كانت تحلم بها الاسماعيلية ، وهي ايجاد مجتمع يعتبر الدين خرافة ، والثواب والعقاب والمعاد ، اموراً لا تصدق ، ويرى في اللذة والاباحية الملجأ الوحيد له .

والدليل على ما ذكرناه ، في أن القرمطية تطبيق فعلي لمبادىء الاسماعيلية السرية ، ما أورده عبد القاهر البغدادي ، مترجماً عن رسالة وجهها عبيدالله المهدى مؤسس الدولة العبيدية إلى سليمان بن سعيد الجنابي (أبو سعيد الجنابي) مؤسس دولة القرامطة بالبحرين ، وفي هذه الرسالة تأكيد قاطع لحقيقة وأهداف الاسماعيلية بجميع فروعها ، يقول عبيدالله في رسالته : « أدع الناس ، بان تتقرب إليهم بما يميلون إليه ، وأوهم كل واحد منهم بانك منهم ، فمن آنست منهم رشدا ، فاكشف له

الغطاء ، واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به ، فعلى الفلاسفة معولنا ، وانا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء ، وعلى القول بقدم العالم ، لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبراً لا نعرفه ... ويقول أيضا مبطلا المعاد والعقاب : إن الجنة نعيم الدنيا ، وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .. وأن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعرفونه ، ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم [1] ».

اذن فالخالق عند الاسماعيلية ومنهم القرامطة يجب أن يتجسد في صورة بشرية حتى يمكن للبشر أن يؤدوا عباداتهم إلى تلك الصورة أو الحجاب ، فيعبدون بذلك إلها يعرفونه .

والعقل الكلي أو (السابق) هو الاله والخالق عند الاسماعيلية ومنهم القرامطة ، وبما أن الامام هو ممثل هذا العقل في العالم السفلي فالعبادات والصفات الالهية متجهة إليه فقط [2] بصفته الصورة أو الحجاب الذي يحتجب به الله ـــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـــ .

اذن ينبغي القول ، بان المذهب القرمطي قد إحتوى العقيدة الاسماعيلية وطبقها بكل ما فيها ، وكان أتباعه يترقبون ـــ كما هي حال أتباع الاسماعيلية ـــ الظهور الأخير المجيد للألوهية في نهاية الدور النهائي لهذا العالم [3] ، وهو عودة القائم المنتظر إلى الأرض ـــ يقصدون محمد بن اسماعيل ـــ الذي سيحاسب الناس ويعاقبهم ـــ كما يزعمون ـــ .

وفي هذا يورد البغدادي عن أحد الذين دخلوا القرامطة ثم هداه الله ورجع عنها ، وسبب رجوعه عنها أن الداعي قال له : ينبغي أن تعلم أن محمد بن اسماعيل

---

١ ـــ الفرق بين الفرق / عبد القاهر البغدادي ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
٢ ـــ انظر كتاب أخبار القرامطة / د. سهيل زكار ص ٢٦٣ .
٣ ـــ القرامطة / ميكال دى خويه ص ١٤٠ .

ابن جعفر هو الذي نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له : « إني أنا ربك فاخلع نعليك ، إنك بالوادى بالمقدس طوى [1] ، قال المدعو : فقلت : سخنت عينك تدعوني إلى الكفر بالرب القديم الخالق للعالم ، ثم تدعوني مع ذلك إلى الاقرار بربوبية إنسان مخلوق ، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلها مرسلا لموسى [2] .

والقرامطة كما هي الاسماعيلية تعتقد أن العقل قد فاض وظهر عنه النفس الكلية أو (التالي) ، وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المخلوقات والمبدعات ، ولكن بما أن العقل هو أول فيض ظهر عن الله ، فهو اذن أصل الايجاد ، وإليه المبدأ والمعاد ، ولذلك سمي بالسابق .

وعلى هذا فالاله الخالق عند القرامطة ، قد يطلق على العقل ، وقد يطلق على النفس ، لأنهما ـــ حسب مزاعمهم ـــ سبب ايجاد العالم ، لذا يمكننا القول بأنهم يعتقدون بأمرين يخرجهما من حظيرة الاسلام ، وهما اعتقادهم باحتجاب الله في صور البشر ، والثاني قولهم بوجود الهين اثنين ، وهذا يعني انكارهم وحدانية الله ، واعتقادهم بان لله شريك في الخلق ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ .

---

١ ـــ سورة طه آية ١٢ .

٢ ـــ الفرق بين الفرق / البغدادي ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

٢ ــ عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة :

النبي في عقيدة القرامطة هو : شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ، وان جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه ، لا انه ملك ، وان القرآن هو تعبير محمد (ﷺ) عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمي كلام الله مجازاً لأنه مركب من جهته (١) . وعلى هذا فهم ينكرون أن يكون الوحي من الله إلى الأنبياء عن طريق جبريل ، وإنما يرون أن جبريل تعني عملية الفيض التي تفيض من العقل على النبي باعتبار أن النبي أو الامام هو ممثول العقل في العالم السفلي .

ويظهر أن هذا المعتقد كان تمهيداً من القرامطة في محاولة لتشكيك الناس بصدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وصحة كتبهم وشرائعهم ، وفي رسالة عبيدالله إلى أبي سعيد الجنابي يبدو هذا الهدف واضحاً حينما يقول : « إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والانجيل ، وبدعوتهم إلى ابطال الشرائع ، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور ، وابطال الملائكة في السماء ، وابطال الجن في الأرض ، وأوصيك بان تدعوهم إلى القول بان كان قبل آدم بشر كثير ، فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم ... وينبغي أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ، ومناقضاتهم في أقوالهم ، كعيسى بن مريم قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ، ثم رفعها بتحريمه الأحد بدلا من السبت ، وأباح العمل في السبت ، وأبدل قبلة موسى بخلاف جهتها ، ولهذا قتلته اليهود لما اختلفت كلمته ... ثم قال في رسالته : ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة ــ يقصدون محمد ﷺ ــ ، حين سألوه عن الروح ، فقال : (الروح من أمر ربي)(٢) ، لما لم يعلم ، ولم يحضره جواب المسألة ، ولا تكن كموسى في دعواه ، التي لم يكن له عليها برهان سوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة (٣) .

---

١ ــ انظر كتاب أخبار القرامطة / د. سهيل الزكار نقلا عن ابن الجوزى ص ٢٦٣ .
٢ ــ سورة الاسراء آية ٨٥ .
٣ ــ الفرق بين الفرق / البغدادي ص ٢٩٦ ــ، ٢٩٧ .

ولعل انكارهم للقيامة والجنة والنار ، يدل على أن هدفهم النهائي هو الوصول إلى نقض الشرائع واظهار أن الأنبياء ليسو إلا أشخاصاً اتخذوا المخرقة والحيلة للاحتيال على الناس وسلب عقولهم ، ولذلك ركزوا في مبادئهم على التشكيك في الغيبيات كالملائكة والجن والقيامة والجنة والنار ، حتى ينفذون من خلال ذلك إلى أفكار الناس وعقولهم . وفي هذا يقول عبيدالله في رسالته : « ... إلا أن صاحبهم ــ يقصد محمد ﷺ ــ حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لا يعقل ، وهو الاله الذي يزعمونه ، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور ، والحساب ، والجنة ، والنار ، حتى استعبدهم بذلك عاجلاً ، وجعلهم له في حياته ، ولذريته بعد وفاته خولا (١) ... وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعد لا يكون ، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والحج والجهاد ؟ ويختم رسالته بقوله للجنابي : وأنت واخوانك الوارثون الذين يرثون الفردوس ، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس ، فهنيئا لكم ما نلتم من الراحة من أمرهم (٢) » .

ولذلك فان القرامطة مثلهم مثل الاسماعيلية يعتقدون بالتناسخ لانكارهم القيامة ويزعمون : أن هذا النظام وتعاقب الليل والنهار وتولد الحيوانات لا ينقضي أبدا ، أولوا القيامة بانها رمز إلى خروج الامام ، ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء الى أصله (٣) » .

ولا شك أن غرضهم من هذه المعتقدات والتأويلات ، انتزاع الايمان بهذه الأمور من نفوس الناس ، حتى تبطل الرغبة بها والرهبة منها ، فيسهل حينئذ لأمثال هؤلاء الدخول إلى أفكار الناس وعقولهم . وما أخبرنا به ناصر خسرو عن مجتمعات القرامطة في البحرين دليل واضح على هذه الأهداف المريبة ، فقد تركوا جميع الفرائض ، وأحلوا جميع المحرمات ، وهدموا المساجد ، ولم يبق للدين أو الفضيلة أي أثر في مجتمعهم .

---

١ ــ أي الخدم والأتباع .
٢ ــ الفرق بين الفرق / البغدادي ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
٣ ــ أخبار القرامطة / د. سهيل الزكار ــ نقلا عن ابن الجوزى ص ٢٦٤ .

٣ ـ تنظيمهم الدعوة على تسع مراحل :

وضع عبدان داعية حمدان القرمطيّ المخلص ، تسع مراحل أو (بلاغات) لاصطياد الناس واخراجهم من دينهم ، ولئن عدنا إلى هذه البلاغات ، والتي يرويها النويري نقلا عن أخي محسن (١) ، لرأيناها تطابق تماما المراتب التي وضعها الاسماعيليون لاصطياد الناس (٢) .

وفي المرحلة الأولى من هذه المراحل ، نجدهم يجتذبون الناس كلا على قدر علمه ودينه ومذهبه ، عن طريق تفسير رموز الدين وفرائضه ، واظهار بعض متشابه القرآن ، ومشكلات المسائل الشرعية ، وبهذا يثير الداعي القرمطي حب الاستطلاع عند المدعو والوقوف على ما عنده من العلم ، ويشككوا المدعو في دينه وعقيدته ، ليسهل بعد ذلك لهم تسميم أفكاره بضلالاتهم .

وفي المرحلة الرابعة ، نجد أن القرامطة يقررون أن الأنبياء سبعة ، والأسس سبعة ، وأن محمد ﷺ كان السادس من الأنبياء ، وأن السابع كان محمد بن اسماعيل ، لأنه هو المنتهي إليه علوم من قبله ، والقائم بعلم بواطن الأمور وكشفها ، وإليه تفسيرها . ويعلق أخو محسن على هذه الدرجة بقوله : فهذه درجة أخرى قرر بها الداعي عند المدعو نبوة نبي بعد محمد ﷺ ، وسهل بها طريق النقل عن شريعته ... فكانت هذه الدعوة أول ما أخرج الداعي بها المدعو من شريعة رسول الله ﷺ ، وأدخله في جملة الكفار والمرتدين عن شريعته (٣) . أما في المرحلة السابعة والثامنة فيقررون أن للعالم مدبرين أثنين هما السابق والتالي ، أحدهما أسبق من الآخر (٤) . وفي هذا يقول أخو محسن أيضا : أنه انسلاخ من شرائع أهل الكتب والنبوة ، لأن الأنبياء حسب زعمهم ، أنبياء سياسات وشرائع (٥) .

---

١ ـ هو أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف بأخي محسن ، وهو أول من كتب عن القرامطة .
٢ ـ انظر بتفصيل عن هذه المراتب ص ١٥٩ .
٣ ـ مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوى ـ نقلا عن مخطوطة النويرى جـ ٢٣ من نهاية الأرب ـ ص ١٦٣ .
٤ ـ المصدر السابق ص ١٦٧ ، ١٦٨ .
٥ ـ المصدر السابق ص ١٧٠ .

٤ — شيوعية المال والنساء عندهم :

من المبادىء الهامة التي انطلق منها دعاة القرامطة ، افشاء شيوعية الأموال والفروج بين أتباعهم ، لعلهم بذلك يستميلون إلى مذهبهم دعاة الشهوة واللذة البهيمية من عوام الناس ، ويؤثرون بها أيضا على المراهقين من الشباب والشابات .

وكان أول من فعل ذلك حمدان القرمطي ، عندما فرض على أتباعه (الألفة) ، وهي أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه كلهم أسوة واحدة ، لا يفضل أحد من أصحابه على صاحبه ولا أخيه في ملك يملكه بشيء البتة . ولما استقام الأمر لحمدان ، أمر أتباعه بان يجمعوا النساء في ليلة عينها ويخلطهن بالرجال ، حتى يتراكبن ، وزعم : أن هذا من صحة الود والألف (١) .

وقد مرّ معنا كيف كانت الاباحية منتشرة بين أتباع القرامطة في اليمن وكيف عمل على افشاءها ابن الفضل بين أتباعه .

من هذا يتبين لنا أن هدفهم النهائي ، هو الاباحية المطلقة وهدم كل القيم والأخلاق الفاضلة ، وبالتالي التخلي عن كل الروابط الأسرية ، « ويؤيد هذا ما أمر به الجنابي أتباعه في دولة البحرين ، باقامة ليلة سماها (ليلة الافاضة) ، يجتمع خلالها الرجال والنساء ، وتطفأ الأنوار ، ويمارسون الجنس دون تمييز بين المحللات والمحرمات (٢) » .

ويضاف إلى ذلك ، أن المؤمن عند القرامطة لا يكمل إيمانه إلا اذا رضي التشريق ، « وهو أن يدخل الرجل الى حليلة جاره فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه ، ثم يخرج فيبصق في وجهه ، ويصفع قفاه ، ويقول له : تصبر ، فاذا صبر عد كامل الايمان وسمي من الصابرة (٣) . وقد ذكر من قبل أن أبا سعيد الجنابي ، أدخل

---

١ ـ تاريخ أخبار القرامطة / ابن سنان وابن العديم ص ٩٩ ، ١٠٠ .
٢ ـ الاسماعيليون في المرحلة القرمطية / سامي العياش ص ٢٣٩ .
٣ ـ القرامطة / ميكال دى خويه ص ١٣٠ .

امرأته على يحيى المهدي ، وأمرها أن لا تمنعه اذا أراد ، بل وصل الأمر بمن جاء بعده أن أباح اللواط ، وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به[1] .

ومما جاء في رسالة عبيد الله للجنابي حول هذه الاباحية قوله :

« وما العجب من شيء كالعجب ، من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه ، وينكحها من أجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي ، وما وجه ذلك الا أن صاحبهم ـــ يقصد النبي ﷺ ـــ حرم عليهم الطيبات »[2] .

ولعل التفصيلات التي ذكرها ناصر خسرو الرحالة الاسماعيلي الشهير عن مجتمعات القرامطة في الاحساء في أواخر عهدهم ، تؤكد لنا أن هذا المجتمع صار مجتمعا اباحيا لا يعترف بالدين ولا بالفضيلة ، يقوم على اباحة كل شيء ، ومما يذكره عن الاحساء وأهلها : أن سلطانها (يقصد أبا سعيد الجنابي) ، قد رد أهلها عن الاسلام ، وقال : إني أعفيتكم من الصلاة والصوم ... فهم لذلك لا يصلون ولا يصومون ، وليس في مدينة الاحساء مسجد جمعه ، ولا تقام بها صلاة ولا خطبة ... وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات من قطط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها ، وتوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري ، وهو يسمنون الكلاب هناك ، كما تعلف الخراف ، حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ، ثم يذبحونها ويبيعون لحمها »[3] .

والواقع ، أنني لم أستطع أن أجد شيئا أستند اليه في تقبل آراء بعض الكتاب المعاصرين ، وخاصة المستشرقين منهم ، الذين لا همّ لهم الا نفي شيوعية النساء عن القرامطة ، وكأنهم يريدون بذلك أن يجعلوا القرامطة أصحاب فضيلة ودعاة حق ، يفتخر بهم ، ويعتز بهم ، فتتغير الصورة في أذهان الناس عن هؤلاء فيصبحون نموذجا يقتدى بهم ؟!

١ ـــ الفرق بين الفرق/البغدادي ص ٢٨٦ .
٢ ـــ المصدر السابق ص ٢٩٧ .
٣ ـــ الاسماعيليون في المرحلة القرمطية/سامي العياش ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

وكل من يتتبع تاريخ هذه الحركة في فتنها وارهابها ، لا بد — اذا أراد الحق — أن يقول ان هذه الحركة ما ظهرت الا من أجل شيء واحد محدد ، هو محاربة الاسلام بكل الوسائل ، بارتكاب الكبائر ، وهتك الأعراض ، وسفك الدماء بلا حدود ، والسطو على الأموال والأملاك ، وتحليل المحرمات ، ارواء لأحقادهم الدفينة ضد الاسلام واشباعا لغرائزهم الحيوانية .

ولو تتبعنا الوسط الذي نمت وترعرعت فيه حركة القرامطة ، لأمكننا التعرف على بعض العوامل التي استغلها القرامطة ، واستفادت منها في اصطياد الناس والتغرير بهم ، فكما نعلم أن المناطق التي ظهرت فيها القرامطة ، كانت في سواد الكوفة وبادية الشام ، ومنطقة الاحساء والبحرين في الجزيرة العربية ، فسواد الكوفة كان يغص بالفلاحين والمزارعين الفقراء ، وأما البادية والاحساء ، فكانت مناطق معروفة لقبائل البدو ، لذا فقد استغلت القرامطة وضع الفلاحين والبدو الاقتصادي ، واستفادت منه في اصطيادهم والتغرير بهم ، أما الفلاحون ، فقد كان أكثر سواد الكوفة منهم ، وهم من الفقراء الذين تركوا أهاليهم وزوجاتهم ، وجاؤا للعمل عند ملاكي أراضي سواد الكوفة ، « فاجتمع في هذه المنطقة جماعات كثيرة معظمها من الشباب الذين هم في سن العمل ، أو ممن لهم تطلعات نحو النساء ، وقد ابتعدوا عن أزواجهم إن كانوا من الذين سبق لهم أن تزوجوا ، وابتعدوا عن رقابة مجتمعاتهم ، ووجدوا في أنفسهم عاطفة الى الأهل والوطن ، فانقلبت هذه العاطفة الى رغبة في الجنس ، لتحل محلها ، أو تفكير في ايجاد الأهل وبناء الأسرة ، ولما لم تكن لديهم الامكانات الكافية للزواج وبناء الأسرة ، فقد انقلب هذا الفقر أو الضعف الى حقد على الأغنياء أو أصحاب الأرض ، وأهل الفتيات ، وحدثت رغبة جامحة في الحصول على الفتيات والنساء بأي شكل وأية طريقة ، وكان الجهل يطغي على أكثر أولئك الزراع ، الأمر الذي يجعل الوازع عندهم ضعيفا فيمكن ايقاعهم في الحبائل ، وجعل النساء لهم شركا عظيما يندفعون وراءه ليحققوا رغباتهم ، ويؤمنوا شهواتهم ، لذا كانت النساء المصيدة الأولى لهم ، والسلاح الماضي الذي استعمله القرامطة »[1] .

---

١ — القرامطة/محمود شاكر ص ١٤ ، ١٥ .

أما قبائل البدو ، فقد كان افرادها بحاجة الى المال لتأمين بعض الحاجيات الضرورية ، الأمر الذي جعلهم ينظرون الى المال على أنه غاية بحد ذاته ، فوجدوا في حركة القرامطة ملاذا يلوذون بها للوصول الى المال ، عن طريق القتل والنهب ، وكذلك فالوازع الديني عندهم كان ضعيفا لجهلهم ، « فالجهل والفقر مع غياب الايمان يعدان من أكبر العوامل التي تجعل الانسان يسير وراء كل ناعق ، أو مع كل متاجر بالألفاظ من أجل الاصلاح أو الخير ــ حسب زعمهم ــ لتجد النفس لها المسوغ »[1] .

« لذا كانت هذه النماذج كلها ، الشباب ذوو الطاقات ، والفقراء أصحاب الامكانات ، والأعراب المتقلبون ، مع الجهل الذي يجمعهم جميعا ، كانوا هم عماد الحركة القرمطية ، بل أساس كل ثورة تمنيهم ، وتلوح لهم بالحاجات التي يسعون اليها ، فهي العلف الذي يقدم لهم ويركضون وراءه ، ويسيرون حسب حركته كالسوائم من القطيع تتحرك وراء قبضة العشب ، وما على المستغلين الا أن يوجهوهم »[2] .

ولن نبتعد عن الحقيقة اذا أيقنا أن اليد اليهودية التي كانت وراء ظهور الحركة الشيوعية في القرن الحالي ، هي نفس اليد التي كانت تحرك الحركة القرمطية في القرون الماضية .

---

١ ــ القرامطة/محمود شاكر ص ١٤ ، ١٥ .
٢ ــ المصدر السابق .

الفصل الخامس

اخوان الصفاء وخلان الوفاء

نبذة عن أخوان الصفاء ، ظهورهم وصلتهم بالاسماعيلية

أقدم مصدر ذكر اخوان الصفاء هو أبو حيان التوحيدي[1] في كتابه (الامتاع والمؤانسة) ، يجيب فيه على سؤال للوزير أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان المتوفى سنة ٣٧٥ هـ ، عن زيد بن رفاعة وحقيقة معتقده ، حيث يفيدنا أبو حيان التوحيدي عن هذا الرجل فيقول : « أنه أقام بالبصرة زمانا طويلا ، وصادق بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم (أبو سليمان محمد بن معشر البيستي ، ويعرف بالمقدسي) ، (وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني) ، (وأبو أحمد المهرجاني) (والعوفي) وغيرهم ، فصحبهم وخدمهم ، وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة ، وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قرّبوا به الطريق الى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته ، وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية ، فقد حصل الكمال ، وصنفوا خمسين رسالة في جميع

---

١ ــ هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، فيلسوف عاش في القرن الرابع الهجري وتوفي سنة ٤٠٠ هـ ، وله كتب كثيرة ، وقد كتب الامتاع والمؤانسة للوزير أبي عبدالله الحسين أحد وزراء صمصام الدولة البويهي ، وهي ما دار من مسامرات بين التوحيدي وهذا الوزير .

أجزاء الفلسفة ، علميها وعمليها ، وأفردوا لها فهرسة وسموها (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء) ، وكتموا أسماءهم ، وبثوها في الوراقين ، ولقنوها للناس »[1] .

ومن خلال جواب التوحيدي يتبين لنا أن هذه الجماهة قد عرفت في منتصف القرن الرابع الهجري ، ويرجح الأستاذ عمر الدسوقي ظهورهم بين سنتي ٣٣٤ ــ ٣٧٣هـ تقريبا[2] ، وهذه السنوات كانت أياما سيئة على العالم الاسلامي ، فقد بلغت فيها الخلافة العباسية من الضعف حدا جعل الأمور تفلت من يدها ، فاستقل كل أمير بمقاطعته ، مما شجع آل بويه الشيعة على دخول بغداد والاستيلاء على مقر الخلافة العباسية ، وكان هذا نذير شر على العالم الاسلامي ، حيث تجرأ على الخلافة العباسية كل ناعق وكل زنديق ، ويظهر أن اخوان الصفاء كانوا من هؤلاء الذين تشجعوا بمجيء آل بويه الشيعة ، فأظهروا من أمرهم ما كان خافيا ، وتجرأوا على اظهار رسائلهم .

غير أن دعاة الاسماعيلية يزعمون أن مؤلف رسائل اخوان الصفاء هو أحد أئمتهم المستورين الذي يدعى بـ (أحمد بن عبدالله بن محمد) ، ويستدلون على ذلك بأن أول من ذكر رسائل اخوان الصفاء من الاسماعيلية ، هو أحد دعاتهم المعروف بـ (الحامدي) المتوفى سنة ٥٥٧ هـ في كتابه كنز الولد ، الذي ذكر الرسائل واعتمد في مناقشاته على آراء الشخص الفاضل صاحب الرسائل الجامعة ونظرياته ، وينقل أثناءها عبارات كثيرة من الرسائل يدعم فيها أقواله[3] . ويأتون بعد ذلك على ما رواه الداعي الاسماعيلي ادريس عماد الدين في كتابه عيون الأخبار المصنف ما بين سنة ٨٣٢ هـ وسنة ٨٧٢ هـ ، الذي يزعم ويقول : ولما خشي السيد أحمد بن عبدالله أن يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلسفة ، ألف رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء ، وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الالهية والفلسفة الشرعية[4] . وينقلون أيضا عن صاحب كتاب قلائد الجواهر المصنف بالفارسية قوله : ان العلامة

---

١ ــ كتاب الامتاع والمؤانسة/أبو حيان التوحيدي جـ ٢ ص ٤ ، ٥ .

٢ ــ اخوان الصفاء/عمر الدسوقي ص ٦٨ .

٣ ــ انظر اخوان الصفا/لمصطفى غالب ص ٢٧ ــ ومقدمة مصطفى غالب لكتاب كنز الولد ص ٨ .

٤ ــ اخوان الصفا/الدسوقي ص ٦٣ .

الفهامة أحمد بن عبدالله هو مصنف اثنتين وخمسين رسالة موسومة باخوان الصفا وخلان الوفا[1] . وجاء أخيرا الداعي الاسماعيلي أبو المعالي في رسالته المسماة (الأصول والأحكام) وزعم : أنه لما انتقل محمد بن اسماعيل الى دار البقاء تسلمها ولده المستور أحمد الوفي ، وهو أول من ستر نفسه عن الأضداد من أهل عصره المخالفين ، لأن زمانه كان زمان فترة ومحنة ، وكان المتغلبون من ولد بني العباس يطلبون من يشار اليهم منهم حسدا وبغضا ... فأوجب ذلك الاستتار المعروف للأئمة وكنيت الدعاة بأسمائهم تقية عليهم مما هم فيه .... حتى قالوا ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو (عبدالله بن ميمون) أو (عبدالله بن مبارك) أو (عبدالله بن حمدان) ، وأن هؤلاء الأربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون ، عددها اثنتان وخمسون رسالة[2] .

ويزعم آغاخان زعيم الطائفة الاسماعيلية في العصر الحالي في كتابه (نور مبين حبل الله المتين) المصنف باللغة الآردية : أن سبب تأليف رسائل اخوان الصفا ، أن عامة المسلمين توجهوا الى الامام (وفي أحمد) ليعرفهم الفرق بين الدين والفلسفة فاستجاب لهم ، وألف رسائل اخوان الصفا في اثنتين وخمسين رسالة وأخفى اسمه لأسباب سياسية[3] .

ويمكننا القول بعد استعراض الأقوال السابقة ، أن رسائل اخوان الصفاء تمثل نموذجا باطنيا ليس من حيث المضمون فقط ، بل من حيث الشكل أيضا ، لأن عدم تصريح واضعي الرسائل بأهدافهم الحقيقية ينسجم بشكل أكيد مع أسلوب الدعوة الاسماعيلية في كيفية عرض عقائدها على الجمهور الواسع غير الملتزم بهذه العقائد وغير المنخرط في صفوف الدعوة[4] .

---

١ ــ اخوان الصفا/مصطفى غالب ص ٢٧ .
٢ ــ اخوان الصفا/مصطفى غالب ص ٢٩ .
٣ ــ اخوان الصفا/الدسوقي ص ٦٣ .
٤ ــ الاسماعيليون في المرحلة القرمطية/سامي العياش ص ١١١ .

ومما يذكر أن رسائل اخوان الصفاء ، تتكون من اثنتين وخمسين رسالة قسموها الى أربعة أقسام : الرسائل الرياضية التعليمية ، وهي أربع عشرة رسالة ، والرسائل الجسمانية الطبيعية وهي سبع عشرة رسالة ، والرسائل النفسانية العقلانية وهي عشر رسائل ، والرسائل الناموسية الالهية والشرعية الدينية وهي احدى عشرة رسالة ، ويذكر اخوان الصفا في رسائلهم فهرست هذه الرسائل ويقولون : ان الرسالة الجامعة ستأتي بعد هذه الرسائل ، وأنها ستكون جامعة لخلاصة مافي هذه الرسائل كلها ، وقد ظهرت هذه الرسالة الجامعة بتحقيق الأستاذ جميل صليبا ، ثم جاء عارف تامر الاسماعيلي وحققها من جديد ، وتبعه بعد ذلك في تحقيقها من جديد كاتب اسماعيلي آخر منافس له هو مصطفى غالب .

ويشير الأستاذ سامي العياش الى تسمية اخوان الصفا بقوله : ان هذه التسمية تسترعي بعض الاهتمام ، فهي تسمية تطلق اصطلاحا على الجماعة التي وضعت الرسائل المنسوبة الى هذا الاسم ، غير أن هذه التسمية وكاصطلاح أيضا تعبر عن مدلول أشمل لأننا نجد أن كلمة (اخوان) تتكرر في كثير من الكتابات الباطنية ، وحتى في بعض الرسائل الدرزية ، حيث تقترن كلمة (الاخوان) أحيانا بتسمية (الموحدين) ، فالثانية تطلق على كافة الباطنيين ، كدلالة على الانتماء المذهبي والمنحنى العقائدي عندهم ، فـ (اخوان) تعبير عن التلاحم الوثيق الشخصي بين (الموحدين) ، وبتعبير آخر (الاخوان) في المصطلح الباطني هم (الرفاق) في الاصطلاحات الحزبية المعاصرة .... ويضيف الأستاذ العياش قوله : ونستطيع أن نرجح من ذلك أن (اخوان الصفا) ليسوا سوى الأخوان الاسماعيليين الموحدين ، وقد لا نغالي في الافتراض ان رجحنا كون الرسائل قد وضعت من قبل جماعة الاخوان الاسماعيليين وموجهة الى كافة الاخوان وهادفة أيضا الى استقطاب أكبر عدد حول الدعوة ، وأن هذه الرسائل قد وضعت رغم تداولها قبل التحرك الثوري للقرامطة في النصف الثاني من القرن الثالث ، فالاخوان ليسوا مجموعة مستقلة تماما عن مجمل الدعوة الاسماعيلية ، بل هم واحد من مبتكرات التنظيم والفلسفة الباطنيين[1] .

١ ـــ الاسماعيليون في المرحلة القرمطية/سامي العياش ص ١١٢ ـــ ١١٣ .

على أية حال ، فانه مما لا جدال فيه أن رسائل اخوان الصفاء ليست من تأليف شخص واحد ، بل من تأليف جماعة متعددة ، تتباين معارفهم وأساليبهم ، وهذا واضح جدا في رسائلهم ، وربما كان منهم بعض أئمة الاسماعيلية المستورين ، أو أن هؤلاء الأئمة قد أوعزوا لدعاتهم بكتابة هذه الرسائل لتكون لسان دعاية لمذهبهم ، وهذا الذي جعل أبا حيان التوحيدي يتوهم أن زيد بن رفاعة وجماعته قد ألفوا هذه الرسائل ، والحقيقة أن هؤلاء ما كانوا الا وسيلة تنطلق من خلالهم أفكار الاسماعيلية وفلسفتها عن طريق هذه الرسائل .

أما إدعاء الاسماعيلية ، بنسبة هذه الرسائل الى أحد أئمتهم ، فليس بجديد على الاسماعيلية ، فان من عادتهم دائما أن يردوا كل علم الى أئمتهم ، فما من علم انساني الا وقد ألفه أحد هؤلاء ، وما من مؤلف له قيمته الا وينسبونه الى الاسماعيلية . ورغم ذلك فاننا لا يمكن أن ننكر أن رسائل اخوان الصفاء متصلة اتصالا وثيقا بعقائد الاسماعيلية ، وأنها وسيلة فكرية أرادت بها الاسماعيلية أن تغزو أفكار الناس بدون أن يشكوا بغاياتها ومآربها .

والاسماعيلية في القرنين الماضيين اعتبرت رسائل اخوان الصفاء ، رسائل مقدسة تصل في قدسيتها الى مرتبة القرآن الكريم ، ويزعم أحد دعاتهم المعاصرين الدكتور حسين الهمداني وهو من الاسماعيلية الطيبية : أن القرآن الكريم كتاب العامة ، ورسائل اخوان الصفاء كتاب الأئمة[1] .

فكأن الرسائل عند الاسماعيلية أصبحت متساوية مع القرآن الكريم ، بل هي أكثر من ذلك لأنها من كلام الأئمة ، وهذا ابراهيم السيفي داعية الاسماعيلية الطيبية المطلق المتوفى سنة ١٢٣٦ هـ يزعم في كتابه (تحفة رسائل الاخوان) ويقول : وسمعت بعض العلماء يقولون ان رسائل اخوان الصفاء هي القرآن بعد القرآن ، وهي قرآن العلم ، كما أن القرآن قرآن الوحي ، وهي قرآن الامامة وذلك قرآن النبوة[2] .

---

١ ــ اخوان الصفاء/عمر الدسوقي ص ١٢٢ .

٢ ــ اخوان الصفاء/عبد الكريم خليفة ص ٢٥ .

فعلاقة اخوان الصفاء بالاسماعيلية في رأيي لا تشوبها شائبة ، فجميع الشواهد التاريخية والفكرية التي تغص بها الرسائل تؤيد هذه العلاقة وتدل عليها ، ومما يؤيد هذا الرأي أيضا عدة شواهد أهمها : اقرار رسائل اخوان الصفاء بوجود علوم سرية توارثها أهل بيت النبي ﷺ باعتبارهم خزنة علم الله ، وكذلك دعوة الرسائل الى امام مستور ، والحديث عن دور الكشف ودور الستر للأئمة[1] ، وهذه الأمور جميعها هي عقائد الاسماعيلية ، وتدل دلالة واضحة على العلاقة العضوية بين واضعي هذه الرسائل وبين الاسماعيلية ، مع أن مزاعمهم بأنها من وضع إمامهم أحمد بن عبدالله لا يمكن الاستناد اليها ، لأن أسلوب الرسائل يدل على كتابتها من قبل عدد من الاشخاص .

وبالاضافة الى الشواهد التي سبق ذكرها ، فان الاسماعيلية بجميع فروعها تعظم هذه الرسائل ، فرغم الخلاف العميق بين النزارية والمستعلية ، الا أن كلا الفريقين يقدسان هذه الرسائل ، فالمستعلية أو الطيبية تقدس هذه الرسائل وتستشهد بها ، وكذلك النزارية وهو ما أوضحه أغاخان زعيم الاسماعيلية النزارية ، حتى ان الحشاشين المعروفين بغلوهم كانت الرسائل تدرس في قلاعهم ، وينقل (كازانوفا) المستشرق المعروف عن احدى المخطوطات التي عثر عليها : أن سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين ، زعيم الحشاشين في بلاد الشام قد خدم في (آلموت) قبل انتقاله الى الشام ، حيث زاول علوم الفلسفة هناك ، وأطال نظره في كتب الجدل والخلاف ، وأكب على مطالعة رسائل اخوان الصفاء[2] .

ويضيف مستشرق آخر هو (ماكدونالد) قوله : وحينما استولى المغول على قلعة آلموت وجدوها غنية برسائل اخوان الصفاء وبآلات هندسية ورياضية وفلكية من كل نوع ، اذ من المحتمل أن تكون تعاليم اخوان الصفاء وما تخفيه في طياتها هي الآراء الخفية للفاطميين والحشاشين والقرامطة والدروز[3] .

---

١ ــ انظر المصدر السابق ص ٢٧ ، ٢٨ ، وكذلك رسائل اخوان الصفاء جـ ٤ ص ٢٣٤ الرسالة السابعة .

٢ ــ اخوان الصفاء/عمر الدسوقي ص ٩٨ .

٣ ــ المصدر السابق ص ٩٩ ، ١٠٠ .

ولو رجعنا الى نصوص رسائلهم ، لوجدنا أن اخوان الصفاء يظهرون النزعة الشيعية في القسم الرابع من مجموعة الرسائل ، ويتجلى ميلهم هذا في كثير من المقاطع[1] . اذ يصرحون بأسماء بعض الأئمة ، ويحتجون بكلام الحسين[2] ، كما أنهم يشيرون في مكان آخر الى كربلاء عند ذكرهم تعريض الأنبياء أجسامهم للهلاك في سبيل رسالتهم فيقولون : « ومما يدل على أن أهل بيت نبينا عليهم السلام كانوا يرون هذا الرأي تسليم أجسامهم الى القتل يوم كربلاء .... وصبرهم على العطش والطعن والضرب حتى فارقت نفوسهم أجسادهم ، ورفعت الى ملكوت السماء ، ولقوا آباءهم الطاهرين محمدا وعليا والمهاجرين والأنصار »[3] . وهكذا نرى ذكر علي وآل البيت والحسين بنوع خاص يتردد في كتاباتهم الى أن يصلوا الى مقطع من تلك الرسائل فيعلنوا بدون التواء انتماءهم الى العلوية ، ويأخذوا بنقد جماعات شريرة من الناس جعلوا التشيع سترا لهم[4] ، كقولهم في مخاطبة أحد المتشيعيين : « ومما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيته الطاهرين ، وولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الوصيين »[5] . وهذه الطريقة في الدعوة تشبه طريقة دعاة الاسماعيلية ، وتشكلهم بما يلائم الحال ، ومخاطبتهم الناس على حسب أهوائهم وأمزجتهم .

ولذلك فان البحث عن الهدف السياسي لاخوان الصفاء ، الذي دأب الكثير من المؤلفين عنهم البحث عنه ، لا يجدي شيئا في ابعاد حقيقة انتمائهم الاسماعيلي .

والى جانب ذلك فان في الرسائل نصوصا تظهر نقمة على السلطة الشرعية ، ومسعى للثورة عليها ، وهو هدف الاسماعيلية النهائي ، فنجدهم في هذه الرسائل يتنبأون بانتهاء الحكم الحاضر وذلك كما يزعمون : « لأنه قد تناهت قوة أهل الشر وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد التناهي في الزيادة الا الانحطاط والنقصان ... وأن الملك والدولة ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقرآن من أمة الى

١ ـــ انظر اخوان الصفاء/جبور عبد النور ص ١٨ ـــ ٢٠ .

٢ ـــ رسائل اخوان الصفاء جـ ٤ ص ٧١ الرسالة الأولى .

٣ ـــ الرسائل جـ ٤ ص ٩٨ الرسالة الثالثة .

٤ ـــ اخوان الصفاء/جبور عبد النور ص ٢١ .

٥ ـــ رسائل اخوان الصفاء/جـ ٤ ص ٢٤٢ الرسالة السابعة .

أمة ومن أهل بيت الى أهل بيت ومن أهل بلد الى أهل بلد .... وان دولة أهل الخير يبدأ أولها من أقوام خيار فضلاء يجتمعون في بلد ويتفقون على رأي واحد ودين واحد ومذهب واحد ، ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا بأنهم يتناصرون ولا يتخاذلون ويتعاونون ولا يتقاعدون عن نصرة بعضهم بعضا »[1] . بل ويصل بهم الأمر الى توجيه الرسل لتنبيه الصحب والأتباع قرب مجيء اليوم ، وظهور الأمر ، ويطلبون من خاصتهم الاتصال بالأمراء والقواد والموالين لهم لاطلاعهم على ما يتم في مقبل الأيام من ثورات ، وما تؤول اليه الحوادث من تطور ليكون هؤلاء الأمراء والقواد على استعداد عند وقوع المنتظر من نصرة الدين وفتح البلاد والاستيلاء على القلاع والبقاع[2] .

أما القول بأن اخوان الصفاء : علويون وباطنيون واسماعيليون ومعتزلة وفيثاغوريون وأفلوطنيون ومجوس ، وأن في نفوسهم ميلاً الى الوثنية[3] . فهذا في الحقيقة يؤكد بأن رسائل اخوان الصفاء اسماعيلية ، لأن هذا الخليط من العقائد والفلسفات هو مصدر العقائد الاسماعيلية ، فالكتاب الاسماعيليون يستشهدون بأقوال الفلاسفة والأنبياء جنباً إلى جنب، باعتبار أن الفلاسفة عند هؤلاء في مصاف الأنبياء ، والفلسفة عند اخوان الصفاء هي « التشبه بالاله بحسب طاقة الانسان »[4] . كل هذا يدلنا على أن اتخاذ الفلسفة أداة للدعوة موجود عند الاسماعيلية وعند اخوان الصفاء ، فعن طريقها يجذبون الناس نحو ضلالاتهم .

كما أن ذكر الكواكب والأفلاك وأثرها في عالم الكون والفساد الطاغية في الرسائل ، لا تختلف في أي ناحية منه عما هو موجود في كتب الاسماعيلية، فمعالم الوثنية الموجودة في الرسائل والتي تحدث عنها الأستاذ جبور عبد النور هي معالم عقيدة الاسماعيليين .

---

١ ـــ الرسائل جـ ٤ ص ٢٣٥ الرسالة السابعة .
٢ ـــ اخوان الصفاء/جبور عبد النور ص ٢٤ .
٣ ـــ انظر المصدر السابق ص ٢٦ .
٤ ـــ الرسائل جـ ١ ص ٢٢١ الرسالة الثامنة .

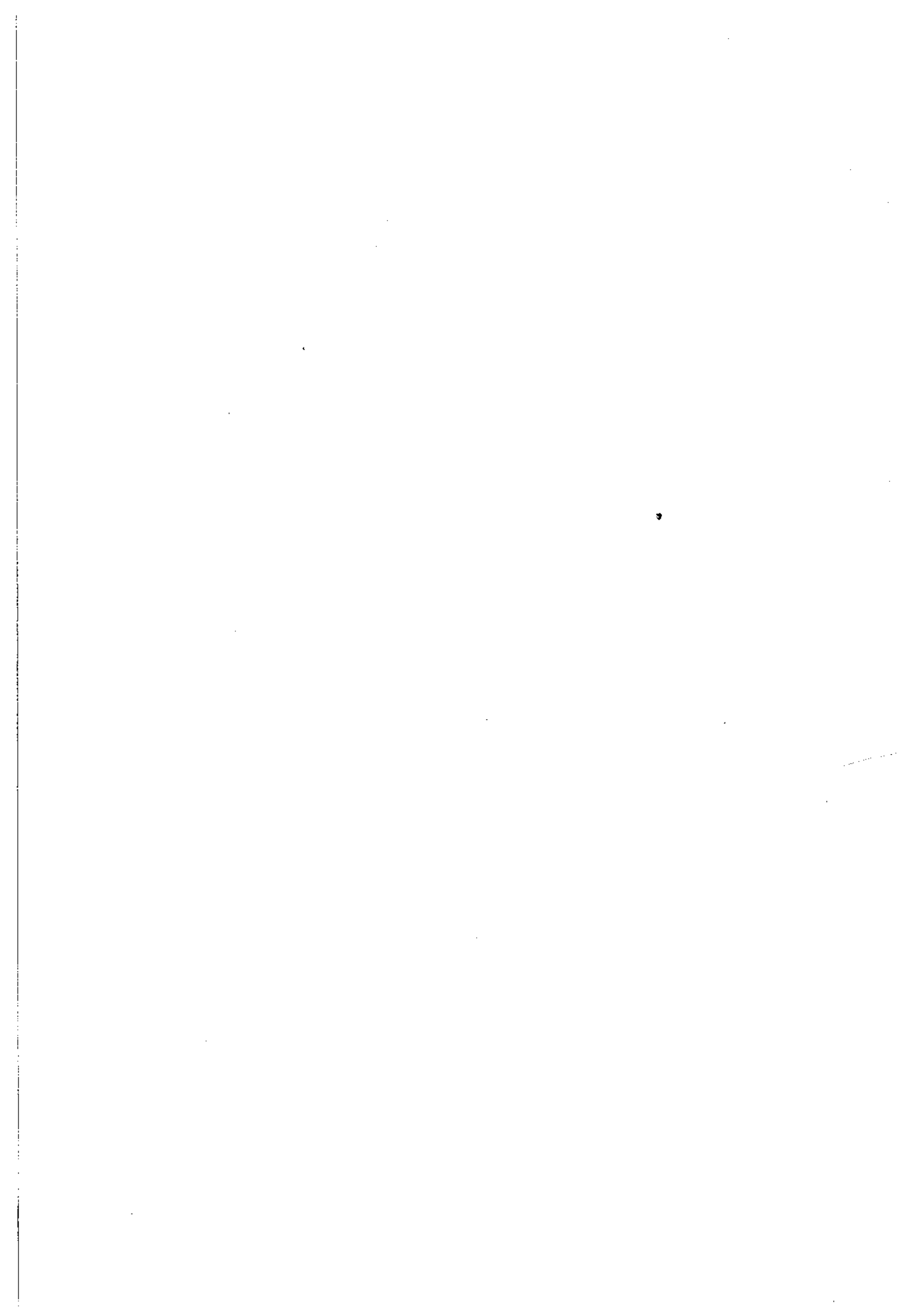
وقبل أن نختتم هذه النبذة عن اخوان الصفاء وعلاقتهم بالاسماعيلية ، لا بد أن نأتي على ذكر أمرين هامين يضافان الى جملة الشواهد التي سبق ذكرها ، وهما القول بالتقية والأبوة الروحانية ، وهذان من الاعتقادات الهامة عند الاسماعيلية ، وكذلك لدى اخوان الصفاء ، حيث نجد للتقية وحفظ السر وكتمانه ذكرا وتأكيدا في رسائلهم[١] ، كما أن للأبوة الروحانية وأهمية تلقي العلم من معلم موثوق ومعصوم ، وجودا في رسائل اخوان الصفا ، حيث أفردوا لها رسالة كاملة وهذا يدل على أهميتها[٢] .

هذه نبذة قصيرة عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، تظهر مصدر هؤلاء وحقيقة مذهبهم ، ولعل الفصل القادم الذي يتحدث عن عقائد اخوان الصفاء ، تزيدنا تأكيدا ووضوحا في أن مصدر عقائد الاخوان والاسماعيلية واحد ، لا اختلاف فيه .

---

١ ــ انظر الرسائل جـ ١ ص ٢٠ .

٢ ــ انظر الرسائل جـ ٤ ص ١١٣ الرسالة الرابعة .



الفصل السادس

الجانب الباطني في رسائل اخوان الصفاء

١ ــ نظرتهم الى الألوهية والتوحيد :

أخذ اخوان الصفاء في رسائلهم بنظرية الفيض الأفلاطونية للتدليل على آرائهم بالألوهية ، وقد عمل اخوان الصفاء على تلفيق عدة نظريات فلسفية في محاولتهم اظهار صحة معتقدهم في الألوهية ، « فأخذوا بنظرية الفيض عند أفلوطين ومزجوها بفلسفة فيثاغورس في الأعداد ، وبفلسفة الفلاسفة الطبيعيين من القول بالعناصر الأربعة ، بالاضافة الى فلسفة أرسطو القائلة بالهيولى والصورة »[١] .

ومما يذكر أن نظرية الفيض ترجع الى الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وأول من قال بها أفلوطين مؤسس هذه المدرسة ، وهي النظرية التي تقول بها الاسماعيلية عند حديثها عن الألوهية ومراتب الوجود[٢] .

وقد لخص اخوان الصفاء نظريتهم في الفيض بالرسالة الأولى من المجلد الثالث بقولهم : « أن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالما بالكائنات قبل كونها قادرا على ايجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ولا يفيضها . فاذا بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء ، ودام ذلك الفيض منه متصلا متواترا غير منقطع فيسمى اول ذلك الفيض العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني نور محض في غاية

١ ــ تاريخ الفكر العربي/د. عمر فروخ ص ٣٨٦ .
٢ ــ انظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب .

ذلك الفيض العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني نور محض في غاية التمام والكمال والفضائل ، وفيه صور جميع الأشياء ، كما تكون في فكر العالم صور المعلومات . وفاض من العقل الفعال فيض أخر دونه في الرتبة يسمى العقل المنفعل وهي النفس الكلية وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام ... وفاض من النفس أيضا فيض آخر دونها في الرتبة يسمى الهيولى الأولى ، وهي جوهرة بسيطة روحانية قابلة من النفس من الصور والأشكال بالزمان شيئا بعد شيء »(١) .

وكما تزعم الاسماعيلية أن الفيض الذي يؤمنون به يختلف عن الابداع الذي تقول به الفلاسفة ، كذلك يزعم اخوان الصفاء بهذا الاختلاف ، « فهم يرون أن كل موجود تام فانه يفيض منه على ما دونه فيض ما ، وأن ذلك الفيض هو من جوهره ، يعني صورته المقومة التي هي ذاته ، أما الابداع فهو يعني أن الأمور أبدعت وأخرجت من العدم الى الوجود ، وخاصة الأمور الروحانية الالهية التي هي العقول »(٢) .

وعندما يمزج اخوان الصفاء بين نظرية الفيض الأفلاطونية ونظرية العدد الفيثاغورية في أن الواحد أصل الوجود يقولون : ان الباري أول ما أبدع من (نور وحدانيته) جوهرا بسيطا يقال له العقل الفعال ، كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار ، وأنشأ (النفس الكلية الفلكية) من (نور العقل) ، والهيولى الأولى من (حركة النفس) ، وأنشأ أخيرا سائر المخلوقات في العالم من الهيولى بتوسط العقل والنفس ، كما أنشأ سائر الأعداد من الأربعة باضافة ما قبلها اليها ، وبهذا الاعتبار يصح القول عن الباري أنه المبدأ الأول للأشياء جميعها ، تماما كما يعتبر الواحد المبدأ الأول للأعداد جميعها(٣) .

---

١ ــ الرسائل جـ ٣ ص ١٩٧ ، ١٩٨ الرسالة الأولى .

٢ ــ اخوان الصفاء/مصطفى غالب ص ٤٦ .

٣ ــ تاريخ الفلسفة الاسلامية/د. ماجد فخري ص ٢٣٢ .

وقد كان لنظرية الفيض هذه التي اعتنقها اخوان الصفاء أثر في الاسماعيلية ، وتطور آرائهم في الامامة ، وفكرة الامامة عندهم لم تكن الا قناعا ستروا وراءه برامجهم الهدامة ، ولم تكن الا تكأة اسلامية المظهر اعتمدوا عليها كأداة للتقويض والتدمير ، « وقد بدأ الاسماعيلية بنظرية الفيض الأفلاطونية ، تلك التي بنى عليها اخوان الصفا فلسفتهم الدينية في رسائلهم ، واستنبطت الاسماعيلية من هذه الفلسفة أعمق نتائجها وأشدها تطرفا ، فوضعوا بذلك نظاما فلسفيا هو صورة تاريخية منعكسة لنظرية الفيض الكوني التي وضحتها هذه الفلسفة ، وقد بينوا فيه المظاهر الدورية للعقل الكلي ، التي بدأت سلسلتها بآدم وانتظم فيها نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، واختتمت بالامام الذي يلي الامام السادس عند الشيعة ـ وهو اسماعيل وابنه محمد ـ مكونين حلقة سبعية من (الناطقين) ، وكل مظهر من هذه المظاهر الدورية للعقل الكلي يبدو في وقته حتى يكمل انجاز العمل الذي أداه المظهر السابق ، (1) أي أن الوحي الالهي لا ينقطع ولا ينتهي في فترة زمنية من فترات تاريخ الخليقة ، وبهذا النظام الدوري المتكرر ، يلي المهدي الناطق السابع ، آتيا برسالة تعد من حيث هي مظهر من المظاهر الدورية أكمل وأعظم مما سبقها ، بل تفوق رسالات من سبقه حتى رسالة النبي محمد ﷺ .

وهذا التطبيق لفكرة المهدية يهدم احدى دعائم الاسلام الأساسية وهي أن محمدا ﷺ خاتم النبيين ، « وينبىء عن زيغ في العقيدة ، وان لم يظهر أثر هذا التطبيق في رسائل اخوان الصفاء كما ظهر في آراء من اتخذوا رسائلهم كتابا يقتدى به أو دستورا للعقيدة وهم الاسماعيلية ، فالنظرية في ذاتها تهدم العقيدة الاسلامية في الاله وقدرته ، فهم وان قالوا بأن الله علة العالم ، لكنهم قرروا أنه لا يستطيع خلقه وأن العالم صدر عنه كما يصدر الضوء عن الشمس فهو لازم له لا يستطيع حبسه ومنعه ، وهذا القول ينفي القدرة الالهية كما يفهمها المسلمون وينفي الارادة الالهية كما يقول بها الاسلام ، ويصف الله ـ جل وعلا ـ بأنه لا حيلة له في خلق العالم ، ولا شأن له به ، ولا رأي له فيه »(2) .

---

1 ـ اخوان الصفاء/عمر الدسوقي ص ١٥٠ .

2 ـ المصدر السابق ص ١٥٠ .

ولا شك كذلك أن نظرية الفيض التي جاء بها اخوان الصفا وآمنت بها الاسماعيلية ، توحي لمن يتمعن بها بأن هذا العالم قديم ، باعتبار أن الله قديم ، فالعالم الذي فاض عنه قديم مثله ، ولهذا فلا نهاية له أيضا ، فالله الذي فاض منه هذا العالم باق ، فالفيض الذي فاض منه باق ببقائه . ويصف الأستاذ عمر الدسوقي في النهاية التي يصل اليها كل مؤمن بهذه النظرية بقوله : وعلى هذا فلا داعي للشرائع والتكاليف ، لأنه لا يوجد حساب أو عقاب أو قيامة ، لأن الله لم يكن له شأن في خلق هذا العالم ، ولم يوجده لغاية ، ولم يتصل به أي اتصال ، فكيف يكلفه وهو لم يرد خلقه لشيء معين يريده هو ؟![1] .

ومع أن هذه النظرية تثبت قدم العالم ، الا أن اخوان الصفاء ناقضوا أنفسهم وحاولوا التلفيق باثبات أن العالم حادث ، وأن له نهاية ليبرهنوا أن نظريتهم لا تتناقض مع العقيدة الاسلامية ، فقالوا : ان وجود العالم عن الله سبحانه ليس كوجود الدار عن البناء اذا فرغ من بنائها لم تعد في حاجة اليه ، ولا كوجود الكتاب عن الكاتب اذا انتهى من كتابه صار له وجود مستقل منه ، ولكنه كوجود الكلام عن المتكلم ، فان سكت بطل وجود الكلام ، فالكلام يكون موجودا ما دام المتكلم يتكلم ، ومتى سكت بطل وجوده ، أو كوجود نور السراج في الهواء ، ما دام السراج باقيا فالنور باق موجود ، أو كوجود ضوء الشمس في الجو فان غابت الشمس بطل وجود الضوء وكما أن كلام المتكلم ليس جزءا منه بل هو فعل له ، وعمل أظهره بعد أن لم يكن ، وكذلك صدور النور عن الشمس ليس جزءا منها ، بل هو فيض وفضل منها ، وكذلك حرارة النار المنتشرة من حولها ليست بجزء من الشمس بل هي فيض منها ، فكذلك وجود العالم عن البارى ، ليس بجزء منه سبحانه ، بل فضل تفضل به ، وفيض أفاضه ، وفعل فعله بعد أن لم يكن فعل ، كما أن المتكلم فاه بكلامه بعد أن لم يكن[2] .

وبذلك تكون هذه النظرية في نظرهم قد تلاءمت مع العقيدة الاسلامية ، مع أن هذا التبرير ما هو الا تدعيم لها وتصديق بخرافاتها .

---

١ ـــ اخوان الصفاء/عمر الدسوقي ص ١٥٠ ، ١٥١ .

٢ ـــ المصدر السابق ص ١٥٢ .

٢ — نظرتهم الى الأنبياء والرسل :

أفرد اخوان الصفاء الرسالة السادسة من الجزء الرابع من رسائلهم للبحث في ماهية الناموس الالهي وشرائط النبوة ، وهم يرون أن أرفع منزلة يرتفع اليها الانسان هي منزلة الأنبياء ، ويليهم في المرتبة الفلاسفة والحكماء ، وأن تمام منزلة النبي في ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية أولها الرؤية الصادقة . فاذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر ، في أي وقت من الزمان ، فان ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان ، والامام للناس ما دام حيا[١] .

وهذا يعني أنهم لا يؤمنون بـ (ختم النبوة) ، وأن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، فعلى حد زعمهم : كلما توفرت هذه الخصال في انسان أصبح نبيا مرسلا ؟! فالنبوة عندهم هي درجة يرتقي اليها العلماء والفلاسفة ، فهي عندهم أرقى الدرجات ، « ولذلك فقد اعتبروا كل فيلسوف كبير نبي ، ومن أجل ذلك نراهم يجمعون بين موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وزرادشت وسقراط وفيثاغورس وعلي والحسين في طبقة واحدة »[٢] .

ويزعم اخوان الصفاء بأن الشريعة الالهية المنزلة على الأنبياء : « جبلة روحانية تبدو من نفس جزئية في جسد بشري بقوة عقلية تفيض عليها من النفس الكلية باذن الله تعالى في دور من الأدوار والقرانات وفي وقت من الأوقات ، لتجذب بها النفوس الجزئية وتخلصها من أجساد بشرية متفرقة »[٣] .

ويرى اخوان الصفاء رأي الاسماعيلية ، « في أن للكتب الالهية تنزيلات ظاهرة وهي الألفاظ المقروءة المسموعة ، ولها تأويلات خفية باطنة وهي المعاني المفهومة المعقولة ... وفي استعمال أحكامها الظاهرة صلاح للمستعملين في دنياهم ، وفي معرفة أسرارها الخفية صلاح لهم في أمر معادهم وآخرتهم ، فمن وفق لفهم معاني

١ — انظر رسائل اخوان الصفاء/جـ ٤ ص ١٧٨ ، ١٧٩ الرسالة السادسة .
٢ — تاريخ الفكر العربي/عمر فروخ ص ٣٩٠ .
٣ — رسائل اخوان الصفاء/جـ ٤ ص ١٨٢ الرسالة السادسة .

الكتب الالهية وأرشد الى معرفة أسرار موضوعات الشريعة ... فان تلك النفوس هي التي اذا فارقت الجسد ارتفعت الى رتبة الملائكة التي هي جنات لها ... ومن لم يرشد لفهم تلك المعاني ولا معرفة تلك الأسرار ... فان تلك النفوس عند مفارقتها الجسد تبقى محفوظة على صورة الانسانية »[1] .

ومما يسترعي الانتباه في رسائلهم ، الموقف الذي وقفه اخوان الصفاء من الأديان الأخرى ، فقد نادوا بوحدة الأديان وقالوا : « بأن غرض الأنبياء عليهم السلام وواضعي النواميس الالهية أجمع غرض واحد وقصد واحد ، وان اختلفت شرائعهم وسنن مفترضاتهم وأزمان عباداتهم وأماكن بيوتهم وقرابينهم وصلواتهم ، كما أن غرض الأطباء كلهم غرض واحد ومقصد واحد في حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة ، وان اختلفت علاجاتهم ... وهكذا غرض الأنبياء عليهم السلام وغرض جميع واضعي النواميس الالهية من الفلاسفة والحكماء[2] ؟! » .

فالتوراة والانجيل ، والقرآن ، وغيرها من الكتب الدينية عندهم سواء ، فما دام الرب والخالق والرازق واحد ، فلا حاجة اذن للاختلاف في الآراء والمذاهب والديانات ، لأن المقصود بهذه الديانات واحد وهو التوجه الى الله ، من أجل ذلك فهم يعتقدون أن أهل الديانات يقتتلون طلبا للملك والرئاسة ، فكل واحد من واضعيها يريد انقياد الناس أجمع لسنة دينه وأحكام شريعته ؟![3] .

ومما يقوم شاهدا على أن مرادهم كان استيعاب الديانات كلها في دين واحد ، ومذهب واحد ، « هو موقفهم السمح من النصرانية واقرارهم بأصالة الأناجيل ، فنراهم يستشهدون بالأناجيل ، وفي الاقتباس منها ، مسلمين ضمنا بمحتواها ، ومع أن القرآن يعتبر صلب المسيح تشبيها ، نراهم يشيرون الى هذا الصلب بعبارات توحي بالتصديق والاثبات ، أما أسفار المسيح ومعجزاته فأكثر ما يوردونها كما جاءت في الأناجيل ، لا كما وردت في القرآن »[4] .

---

١ ـــ رسائل اخوان الصفاء/جـ ٤ ص ١٩٠ الرسالة السادسة .

٢ ـــ الرسائل/جـ ٢ ص ١٢٠ ، ١٢١ الرسالة السادسة .

٣ ـــ الرسائل/جـ ٢ ص ٣٠٨ الرسالة الثامنة .

٤ ـــ تاريخ الفلسفة الاسلامية/د. ماجد فخري ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

وعندما يتحدث اخوان الصفاء عن صلب المسيح ، نراهم يقرون هذا الصلب ، ويرون رأي النصارى في أن المسيح لما صلب فارق لاهوته ناسوته ، ويذكرون قول النصارى على لسان المسيح : « اني ذاهب الى أبي وأبيكم وأنا أوصيكم بوصية قبل مفارقة لاهوتي ... فاني اذا فارقت ناسوتي فاني واقف في الهواء على يمنة عرش أبي وأبيكم »[١] .

لهذا فقد كان موقف اخوان الصفاء ووصيتهم الى أتباعهم : « أن لا يعادوا علما من العلوم ، أو يهجروا كتابا من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ، لأن رأيهم ومذهبهم يستغرق المذاهب كلها ، ويجمع العلوم جميعها »[٢] .

ويصف الأستاذ عمر الدسوقي هذه العبارة بقوله : « وهذه عبارة واضحة من أنهم يلبسون لكل حال لبوسها ، ويظهرون الموافقة لأصحاب الديانات الأخرى ، والمذاهب المتباينة ، ثم يستدرجونهم الى عقيدتهم ومذهبهم »[٣] .

والخلاصة ، أن اخوان الصفاء لا يعترفون بأن محمدا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين ، ويجعلون سقراط وأفلوطين وفيثاغورس في مصاف الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وبالتالي فهم يرون أن جميع الأديان والمذاهب هدفها واحد ، وان وجد اختلاف في وسائلها ، فهذا لا يعني التناقض ، ولا يوجب الخلاف ؟! وكأن الهدف النهائي لاخوان الصفاء من هذه النغمة المريبة هو محو الأديان والوقوف على أطلالها . وهذا الذي جعل الكاتب الاسماعيلي مصطفى غالب يقول : « وهذا هو دين الحب الانساني الذي بشروا به ودعوا اليه . ومن الطبيعي أن يتأثر بأفكارهم هذه عباقرة الفلاسفة من المتصوفين ، وعلى رأسهم محي الدين بن عربي[٤] الذي نادى بدين الحب ووحدة الوجود ووحدة المعبود »[٥] .

---

١ ـــ الرسائل/جـ ٤ ص ٩٧ الرسالة الثالثة .

٢ ـــ الرسائل/جـ ٤ ص ١٠٥ الرسالة الرابعة .

٣ ـــ اخوان الصفاء/عمر الدسوقي ص ١٠٦ .

٤ ـــ هو محمد بن علي بن محمد بن العربي ، من غلاة الصوفية ، ولد بالاندلس ثم انتقل الى مصر فصدرت عنه أمور تدل على الكفر فأريق دمه ، فهرب الى دمشق حيث دعا هناك الى وحدة الوجود والقول بالحلول فقتل سنة ٦٣٨ هـ .

٥ ـــ اخوان الصفاء/مصطفى غالب ص ١١٧ ، ١١٨ .

٣ ــ نظرتهم الى الأمور الغيبية :

لا يؤمن اخوان الصفاء ــ شأنهم شأن الاسماعيلية ــ بالثواب والعقاب الحسي الموجود في الجنة والنار ، ويزعمون : « أن جهنم هي عالم الكون والفساد التي هي دون فلك القمر ، وأن الجنة هي عالم الأرواح وسعة السموات ، وأن أهل جهنم هي النفوس المتعلقة بأجساد الحيوانات التي تنالها الالام والأوجاع دون سائر الموجودات التي في العالم »[1] . ويرون « أن البعث والقيامة أمور تقال لعامة الناس ، ولمن لا يعرف من الأمور شيئا ، أما الخاص ومن قد نظر في العلوم ، فان هذا لا يصلح لهم ، وذلك لأن كثيرا من العقلاء والحكماء ينكرون خراب السموات ويأبون ذلك اباء شديدا ، والجيد لهم اذن أن يعتقدوا أمر الآخرة ، أن لها وجودا متأخرا عن الكون في الدنيا ، كما كان في الدنيا موجودا متأخرا عن الكون في الرحم ، وكما كانت أيام الشيخوخة متأخرة عن أيام الشباب .... وهي أحوال تطرأ على النفس بعد مفارقتها الجسد اذا هي انتبهت من نوم غفلتها في الدنيا واستيقظت من رقدة جهالتها قبل الممات »[2] .

فجهنم في عرفهم هي (عالم الكون والفساد) الواقع تحت فلك القمر ، والجنة هي (عالم الأرواح وسعة السماء) ، فمتى بلغت النفس عالم الأفلاك بأعمالها الحسنة في عالم الكون والفساد ، نالت النعيم الدائم ، ونجت من المصائب والأهوال التي تلحق بالأجساد ، فهم اذن يؤمنون بقدم العالم وخلوده ، لأن الجنة والنار تعني عندهم شيئا آخر .

ولهذا ينكر اخوان الصفاء اليوم الآخر كما جاء به القرآن ويؤمن به المسلمون ، ويعتبرون الجنة والنار والبعث والحساب صالحة للعوام فقط . وهم في سبيل البرهان على صحة ذلك يعمدون الى تأويل الآيات القرآنية التي تتحدث عن عذاب جهنم

---

١ ــ الرسائل جـ ٣ ص ٧٨ الرسالة السادسة عشرة .
٢ ــ الرسائل جـ ٤ ص ٤٠ الرسالة الأولى .

ونعيم الجنة ، فعلى زعمهم أنه من « الآراء الفاسدة من يرى ويعتقد أن الله الرحيم الرؤوف يعذب الكفار والعصاة في خندق في النار غيظا عليهم وحنقا ، وكلما احترقت أجسادهم وصارت لحما ورمادا عادت فيها الرطوبة والدم لتحرق ثانية ، فهذا الرأي — على حد زعمهم — يعني الاساءة لله ، والاعتقاد بأنه قليل الرحمة شديد القسوة — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — »[1] .

ومن الآراء الفاسدة أيضا عندهم : « أن يعتقد الانسان بأن أهل الجنة أجسادهم لحمية ، وأجسامهم طبيعية مثل أجساد أبناء الدنيا قابلة للتغير والاستحالة متعرضة للآفات ، فاذا تأمل ما وصف الله تعالى في صفات أهل الجنة لا يمسهم فيها نصب ولا يذوقون فيها نصب ولا يذوقون فيها الموت .... لأنه لا يليق بالعقلاء أن يعتقدوها ، فضلا عن عقول الحكماء بل النساء والجهال والصبيان جيد لهم ، فان هذا الرأي يليق بأفهامهم ويصلح لهم ... وأما من رزقه الله قليلا من التمييز والعقل والفهم ، ونظر في علوم الحكمة فان هذا الرأي لا يصلح له ، ولا يليق به لأنه اذا عرضه على عقله أنكره »[2] .

وأما قوله تعالى « وان جهنم لموعدهم أجمعين ، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم »[3] ، فيزعمون في تأويلها : بأنه « انما قيل أن جهنم لها سبع طبقات ، لأن الأجسام التي دون فلك القمر سبعة أنواع ، أربع منها هي الأمهات المستحيلات ، التي هي الأركان الأربعة ، وهي النار والهواء والماء والأرض ، وثلاث هي المولدات الكائنات الفاسدات التي هي المعادن والنبات والحيوان .. وانما قال لها سبعة أبواب ، لكل باب منهم جزء مقسوم ، لأن كلما يجرى في عالم الكون والفساد فبدلائل هذه السبعة السيارة ، وانما قال « عليها تسعة عشر »[4] ، لأن دلائلها لا تظهر في عالم الكون والفساد الا بمسيرها في هذه البروج الاثنا عشر فجملتها تكون تسعة عشر ، وهي التي بها يكون تقلب أحوال الدنيا وما تقتضيه موجبات أحكامها من مواليد هذه الأجساد ..... »[5] .

---

١ — الرسائل جـ ٤ ص ٦١ ، ٦٢ الرسالة الأولى .
٢ — الرسائل جـ ٤ ص ٦٢ الرسالة الأولى .
٣ — سورة الحجر آية ٤٣ ، ٤٤ .
٤ — يشيرون الى قوله تعالى « سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر » سورة المدثر آية ٢٦ — ٣٠ .
٥ — الرسائل جـ ٣ ص ٧٩ الرسالة السادسة عشرة .

ويضيفون الى مزاعمهم : « بأنه ليس غرض الأنبياء عليهم السلام فيما وصفوا من مجلس الجنان ولذات أهلها هو الاقرار باللسان حسب بلا اعتقاد .... بل الغرض هو التصور لها بحقائقها ... فتارة وصفها أوصافا جسمانية على قدر طاقة القوم ... وتارة وصفها بأوصاف روحانية على قدر فهم المتوسطين ... فانه قال مثل الجنة على سبيل التشبيه والتمثيل ليقرب من الفهم تصورها ، لأنه يقتصر الوصف عنها بحقائقها »[1] .

وهكذا فهم يرون أن من الاعتقادات والآراء المحيرة والتي تبعث على الشك والريبة ، أن يعتقد الانسان أنه يباشر في الجنة مع الأبكار ويلتذ منها ، ومن لا يرجو الجنة الا بعد خراب السموات وطيها كطي السجل للكتب ، ومن يعتقد أن أعمال الانسان تجعل في كفتين من كفتي الميزان ، أو من يعتقد سؤال منكر ونكير في القبر من جسد الميت ، ومثل من يعتقد ويرى أن في الجحيم تنانين وثعابين وأفاع يأكلون الفساق ... وما شاكل هذه من الاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها[2] .

ويبدو أن مزاعم اخوان الصفاء حول الجنة والنار لم تكن الا قناعا ستروا وراءه معتقدهم الأساسي في هذا الموضوع وهو القول بالتناسخ ، ومع أنهم لم يصرحوا بهذه العقيدة في رسائلهم ، الا أنها واضحة جلية بين السطور التي تتحدث عن النفس والجسد ، فكان الخوف أو التقية سببا في عدم ذكرها صراحة في رسائلهم .

ومع الأسف ، فان جميع من درسوا رسائل اخوان الصفاء ، لم يتنبهوا لهذه العقيدة الوثنية رغم وضوحها ، الا الأستاذ سعيد زايد في بحثه عن اخوان الصفاء ، فقد لمح اليها تلميحا بعد أن أورد نصا من نصوص الرسائل فقال : « وهذا القول قريب من فكرة التناسخ التي يقول بها الفيثاغوريون »[3] . والنص الذي يستشهد به الأستاذ زايد هو قولهم : « أن النفس الجزئية اذا تستتم بالعلوم والمعارف فانها ما دامت مرتبطة بالأجساد البشرية متهيء لها ادراك المحسوسات فلا تستكمل صورها بمعرفة

---

١ ــ الرسائل جـ ٣ ص ٩٠ ــ ٩٢ الرسالة السادسة عشرة .

٢ ــ الرسائل جـ ٣ ص ٨٧ الرسالة السادسة عشرة .

٣ ــ تراث الانسانية/بحث للأستاذ سعيد زايد عن رسائل اخوان الصفاء ــ مجلد ٧ ص ٣٤٨ .

حقائق الأشياء ما دام لها العقل والتمييز والروية ، ولا هي تهذيب بالأخلاق الجميلة ما دام يمكنها الاجتهاد والعزيمة ، ولا هي قومت اعوجاجها من الآراء الفاسدة وقد أرهقتها أعمالها السيئة وأثقلتها أفعالها القبيحة ، فانها عند مفارقة الأجساد لا تنتفع بجوهرها ولا تستقل بذاتها ، ولا يمكنها النهوض الى الملأ الأعلى من ثقل أوزارها ولا يعرج بها الى ملكوت السماء ولا تستأهل للدخول في زمر الملائكة وتغلق دونها أبواب السماء ويفوتها ذلك الروح والريحان .... فاذا فاتها ذلك المكان الشريف بقيت مقيدة في الهواء تهوي دون السماء وتجرها شياطينها التي تتعلق عليها من الشهوات الجسمانية والآراء الفاسدة ، والاهتمام بالأمور الهيولانية راجعة الى قعر الأجساد المدلهمة وأسر الطبيعة الجسدانية ، وتدفعها أمواج الشهوات المحرقة المؤدية الى أودية الهلاك حيث لا أنيس لها وتجرها الشياطين كما تجر العميان والزمنى »[1] .

فالأجساد عند اخوان الصفاء كالخيل ، والنفوس كالفرسان ، والنفس محبوسة في هذا الجسد ، وما دامت كذلك فهي في شقاء وآلام ، لأن الجسد ينبوع لكل قاذورات[2] ، فاذا عملت النفس ــ وهي داخل الجسد ــ صالحا ، ارتفعت الى عالم الأرواح والملائكة ، واذا لم تعمل صالحا ، بقيت في جهنم ــ أي في عالم الكون والفساد[3] ، أي تبقى النفس تتعذب بتقلبها بين الأجساد وتنال بذلك الآلام والأوجاع .

ولذلك نرى اخوان الصفاء يكثرون من الحث على التخلص من ربقة المادة والجسد ، لأن في ذلك ــ على حد زعمهم ــ رأى الأنبياء والفلاسفة ، فهؤلاء يرون أن هذه الأجساد حبس للنفوس أو حجاب لها .... ويستدلون على صحة قولهم : بأن البراهمة يحرقون أجسادهم وهم حكماء الهند ، وذلك لأنهم يرون ويعتقدون أن هذه الأجساد لهذه النفوس الجزئية بمنزلة البيض للفرخ ... وهكذا حال النفس مع الجسد انما تشفق على الجسد وتصونه وتحن عليه ، ما لم تعلم بأن لها وجودا خلوا من الجسد ، وأن ذلك الوجود خير وأبقى وألذ وأحسن من هذا الوجود

١ ــ الرسائل جـ ٣ ص ٢٦ ، ٢٧ الرسالة الثالثة عشرة .
٢ ــ الرسائل جـ ٣ ص ٦١ ، ٦٥ الرسالة الخامسة عشرة .
٣ ــ أنظر الرسائل جـ ٣ ص ٧٨ الرسالة السادسة عشرة .

والبقاء الذي مع الجسد ، لأنها ما دامت في قعر الأجسام فهي مبتلاة بخدمة الأجساد (١) وبهذا الاعتقاد صح عندهم أن النفس هي جوهر غير الجسم ، وأنها هي الحاملة له المبتلاة به (٢) .

وينقل مصطفى غالب عن الرسالة الجامعة وصفا للعذاب الذي يحل بأهل النار كما يتصوره اخوان الصفاء بقولهم : « فأما كيفية صورة أهل النار الكبرى التي هي العذاب الأليم والذل المقيم ، فهي أن النفوس العاصية المنكرة لباريها المتخلفة عن الطاعة ... فانهم اذا حل الموت بهم ونولت الملائكة الغلاظ الشداد اليهم ، وهي روحانيات زحل والمريخ ، إلى الأشخاص التي هي مستولية على مواليدها ، مخصوصة بنفوسها ، وهي البرزخ المظلم ، وهي أول طبقة جهنم ويتولى عذابها الملائكة المنبثة بأمر الله في الدنيا بالعذاب الأليم للأنفس المستخرجه من الصور الانسانية بكمال المعصية والجحود ، والانكار ، ولا تزال تلك الروحانيات تتبع لها تارة بعد تارة بأنواع العذاب ، من القتل ، والذبح ، والموت ، إلى أن تستكمل السلوك في السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله وأمره للملائكة « خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه (٣) » .. ولا يزال ذلك دأبها ما دامت السموات والأرض ، فهي موكلة بها أعمالها السيئة التي اكتسبتها مدة صحبتها للأجسام في أيام الحياة الدنيا ، فهذه معرفة جهنم وصورة أهلها اذا حلوا بها ونزلوا بساحتها (٤) » .

والدارس لرسائل اخوان الصفاء يستطيع أن يجزم بان اخوان الصفاء لا يؤمنون بالأمور الغيبية مطلقاً ، بل يحاولون أن يؤولوا جميع الأمور الغيبية إلى أمور حسية ، كما لاحظنا في تأويلاتهم للجنة والنار ، لذلك فهم ينكرون أيضا وجود ابليس والشياطين ، فالاعتقاد بوجودهم ــ على حد زعمهم ــ من الآراء الفاسدة ويقولون :

---

١ ــ الرسائل جـ ٤ ص ٩١ ، ٩٢ الرسالة الثالثة .

٢ ــ انظر إخوان الصفاء / جبور عبد النور ص ١١٦ نقلا عن الرسائل جـ ٤ ص ٢٩٦ .

٣ ــ سورة الحاقة آية ٣٠ ــ ٣٢ .

٤ ــ اخوان الصفا / مصطفى غالب ص ١٥٩ ، ١٦٠ نقلا عن الرسالة الجامعة .

ومن الأراء الفاسدة من يعتقد أن الله خلق خلقاً ورباه وأنماه وأنشأه وسلطه وقواه على عباده متمكنا في بلاده ، ثم ناصبه بالعداوة والبغضاء وهو ابليس وجنوده من الشياطين وهم يفعلون ما يريدون على رغم منه ! وهو الجاعل لهم المشيئة والارادة والعداوة والاستطاعة وطول العمر والمهلة وسعة الرزق والنعمة (١) .

١ ــ الرسائل جـ ٤ ص ٦٢ الرسالة الأولى .

٤ ــ أثر الفلسفة في عقائد إخوان الصفاء :

يشترك إخوان الصفاء مع الحركات الباطنية الأخرى في الاهتمام بالفلسفة ، ولذلك نراهم قد عظموا من أمرها كثيراً ، واعتبروها : « بانها التشبه بالاله بحسب طاقة الانسان (١) » ، لأن من احدى غاياتهم ووسائلهم مزج الدين بالفلسفة ، فنراهم يأتون بشواهد من أقوال الفلاسفة والحكماء ، بجانب الشواهد من أقوال الرسل والأنبياء ، فبينما يستشهدون بأقوال أرسطو طاليس وفيثاغورس ، اذ هم يثبتون أقوالا مأثورة عن المسيح والرسول عليهما الصلاة والسلام (٢) ففلسفتهم حسبما رددوا مرارا في رسائلهم ، قائمة على التوفيق بل التلفيق ، فقد جمعوا فيها بين ما جاءت به الأديان ، وما جاء على لسان الحكماء ، وما انتجته قرائح الفلاسفة والعلماء ، وأضافوا إلى ذلك أيضا بعض الشعوذات (٣) .

وقد برر إخوان الصفاء سبب مزجهم الدين بالفلسفة لزعمهم : « أن الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، فمتى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية ، فقد حصل الكمال (٤) » .

فالعلوم الحكمية والفلسفية والشريعة النبوية ، كلاهما عند اخوان الصفاء أمران الهيان يتفقان في الغرض المقصود منهما الذي هو الأصل ، ويختلفان في الفروع ، « وذلك أن الغرض الأقصى من الفلسفة ، هو ما قيل أنها التشبه بالاله بحسب طاقة البشر ... وهكذا الغرض من النبوة والناموس فهو تهذيب النفس الانسانية واصلاحها وتخليصها من جهنم عالم الكون والفساد ... وأما اختلافهما في الطرق المؤدية إليها ، فمن أجل الطبائع المختلفة والأعراض المتغايرة التي عرضت

١ ــ الرسائل جـ ١ ص ٢٢١ الرسالة الثامنة .
٢ ــ اخوان الصفاء / عبد الكريم خليفة ص ٣٨ .
٣ ــ تراث الانسانية / بحث للاستاذ سعيد زايد عن رسائل اخوان الصفاء ــ مجلد ٧ ص ٣٤٦ .
٤ ــ الامتاع والمؤانسة / أبو حيان التوحيدي جـ ٢ ص ٥ .

للنفوس ، وبذلك اختلفت موضوعات النواميس ، وسنن الديانات ، ومفروضات الشرائع (١) » .

اذن فالخلافات التي قد تظهر بين الدين والفلسفة ، هي على رأي إخوان الصفاء : « فروق في الفروع ، وفي اسلوب الأداء التابع لأنواع الأمزجة ومختلف الحالات النفسية التي يتصف بها الأفراد ، فكلما زادت النفس نقاوة وتحررا من قيود الجسد ومتطلباته ، ازدادت قدرتها على ادراك المعاني الخفية المنطوية في الكلام الالهي ، وعلى الانسجام مع المعارف العقلية التي تقرها الفلسفة (٢) » .

وينقل أبو حيان التوحيدي عن المقدسي — أحد الذين يزعم التوحيدي أنه من مؤلفي اخوان الصفاء قوله : — إنما جمعنا بين الفلسفة والشريعة ، لأن الفلسفة معترفة بالشريعة ، وإن كانت الشريعة جاحدة لها ، وانما جمعنا أيضا بينهما لأن الشريعة عامة ، والفلسفة خاصة ، والعامة قوامها الخاص ، كما أن الخاصة تمامها بالعامة ، وهما متطابقتان احداهما على الأخرى (٣) .

ولكن هل نجح اخوان الصفاء في محاولتهم العقيمة هذه ؟ في الحقيقة أن الجواب الشافي كان من أستاذ التوحيدي أبي سليمان المنطقي السجستاني (محمد بن بهرام) حينما قال : « تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنّوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا (٤) ، ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ، ظنوا أنهم يمكنهم أن يدرسوا الفلسفة في الشريعة ، وأن يضموا الشريعة للفلسفة . وهذا مرام دونه حدود ، وقد توفر على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحد أنيابا ، وأحضر أسبابا ... فلم يتم لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا منه ما أملوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة ، ولطخات فاضحة ، وألقاب موحشة ، وعواقب مخزية ، وأوزار مثقلة ... فالشريعة مأخوذة عن الله — عز وجل — بوساطة السفير بينه وبين الخلق

---

١ — الرسائل جـ ٣ ص ٤٨ ، ٤٩ الرسالة الرابعة عشرة .
٢ — تاريخ الفلسفة الاسلامية / د. ماجد فخرى ص ٢٤٣ .
٣ — الامتاع والمؤانسة / التوحيدي جـ ٢ ص ١٢ .
٤ — أي جعلوا الشعر ، شديد الجعودة .

من طريق الوحي ، وباب المناجاة ، وشهادة الآيات ، وظهور المعجزات ، على ما يوجبه العقل تارة ، ويجوزه تارة ، لمصالح عامة متقنة ، ومراشد تامة مبينة ، وفي أثنائها مالا سبيل الى البحث عنه، والغوص فيه ، ولا بد من التسليم للداعي إليه ، والمنبه عليه ، وهناك يسقط (لِمَّ) ويبطل (كيف) ، ويزول (هلا) ويذهب (لو) و (ليت) في الريح ، لأن هذه المواد عنها محسوسة ، واعتراضات المعترضين عليها مردودة ، وارتياب المرتابين فيها ضار ...[1] » .

ومن ثم ، فان اخوان الصفاء بدل أن يزنوا الشريعة بميزان العقل ، لم يفعلوا إلا أن خلطوا الدين بخرافات الفلسفة وأساطيرها ، ولم يتعد أبو حيان التوحيدي الصواب حين حكم على رسائلهم بانها فن بلا اشباع ولا كفاية ، وانها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات . وهم على حد تعبير الدكتور أحمد صبحي : « لم تكن تعوزهم الروح النقدية في الفلسفة فحسب ، وإنما أعوزتهم كذلك النزعة الوضعية في العلم ، لقد هبطوا بالفلك إلى مستوى التنجيم ، كما هبطوا بالعلوم عامة إلى مستوى السحر والخرافة ، ولم تثمر نزعتهم التلفيقية بين مختلف المذاهب والأديان نسقا متسقاً ، وانما أنتجت مجموعة متنافرة من الآراء الأفلاطونية الحديثة في ثوب اسلامي قد نسج من الفيثاغورية والغنوصية والهرمسية [2] » .

وقد أورد أبو حيان التوحيدي أيضا ردا مفحما على هؤلاء من قبل شخص يدعى (الحريري) ، نستدل منه على مقدار التناقض الذي وقع به إخوان الصفاء حين خلطوا الدين بالفلسفة فيقول (موجها كلامه إلى المقدسي) : « وأما قولك : الفلسفة خاصة والشريعة عامة ، فكلام ساقط لا نور عليه ، لأنك تشير به إلى أن الشريعة يعتقدها قوم — وهم العامة — ، والفلسفة ينتحلها قوم — وهم الخاصة — ، فلم جمعتم رسائل إخوان الصفاء ودعوتم الناس إلى الشريعة وهي لا تلزم إلا للعامة ؟ ولم تقولوا للناس : من أحب أن يكون من العامة فليتحل بالشريعة ؟ فقد ناقضتم ، لأنكم حشوتم مقالتكم بآيات من كتاب الله تزعمون بها أن الفلسفة

---

١ — الامتاع والمؤانسة / التوحيدي ص ٦ ، ٧ .

٢ — الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي / د. أحمد محمود صبحي ص ٣٠٦ .

مدلول عليها بالشريعة ، ثم الشريعة مدلول عليها بالمعرفة ، ثم ها أنت تذكر أن هذه للخاصة ، وتلك للعامة ، فلم جمعتم بين مفترقين ، ومزقتم بين مجتمعين ؟ وهذا والله الجهل المبين ، والخرق المشين . وأما قولك : إنا جمعنا بين الفلسفة والشريعة ، لأن الفلسفة معترفة بالشريعة ، وإن كانت الشريعة جاحدة للفلسفة ، فهذه مناقضة أخرى ، واني أظن أن حسك كليل ، وعقلك عليل ، لأنك قد أوضحت عذر أصحاب الشريعة ، إذ جحدوا الفلسفة ، وذلك أن الشريعة لا تذكرها ولا تحض على الدينونة بها ، ومع ذلك فليس لهم علم بان الفلسفة قد حثت على قبول الشريعة ، ونهت عن مخالفتها ، وسمتها بالناموس الحافظ لصلاح العالم ... ثم قال الحريري : حدثني أيها الشيخ : على أي شريعة دلت الفلسفة ؟ أعلى اليهودية ، أم على النصرانية ، أم على المجوسية ، أم على الاسلام ، أم ما عليه الصابئون ؟ ... أفتقول أن الفلسفة أباحت لكل طائفة من هذه الطوائف أن تدين بذلك الدين الذي نشأت عليه ؟ ودع هذا ليخاطب غيرك ، فانك من أهل الاسلام بالهدى والجبلة والمنشأ والوراثة ، فما بالنا لا نرى واحدا منكم يقوم بأركان الدين ، ويتقيد بالكتاب والسنة ويراعي معالم الفريضة ووظائف النافلة ؟ وأين كان الصدر الأول من الفلسفة ؟ أعني الصحابة ، وأين كان التابعون منها ؟ ولم خفي هذا الأمر العظيم ـــ مع ما فيه من الفوز والنعيم ـــ على الجماعة الأولى والثانية والثالثة إلى يومنا هذا ... لقد أسررتم حسو الارتغاء (١) ، واستقيتم بلا دلو ولا رشاء ... وأردتم أن تقيموا ما وضعه الله ، وتضعوا ما رفعه الله ، والله لا يغالب ، بل هو غالب على أمره ، فعال لما يريد (٢) ».

وكل هذا يدل على أن إخوان الصفاء ، يضاف إليهم جميع الحركات الباطنية ، قد اتخذوا من الفلسفة أداة لدعوتهم يشككون بها الناس في دينهم وعقيدتهم ، فيهدمون الدين ، ويرفعون بدلها أطلال فلسفة الأوثان المهدومة .

---

١ ـــ الارتغاء : أخذ الرغوة ، وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد خلافه .

٢ ـــ الامتاع والمؤانسة / التوحيدي ص ١٣ ، ١٤ جـ ٢ .

الباب الثاني

الدروز والأصول الباطنية التي قام عليها مذهبهم



الفصل الأول

نبذة عن نشأة الدروز وعلاقتهم بالاسماعيلية

« الدروز في اللغة ، فارسي معرب ، ويقال للقمل والصئبان : بنات الدروز ، وبنو درز : الخياطون والحاكة ، وأولاد درزة : الغوغاء . والعرب تقول للدعي : هو ابن درزة ، وذلك اذا كان ابن أمة تساعي فجاءت به من المساعاة فلا يعرف له أب [1] » .

أما طائفة الدروز ، فهي من الطوائف الباطنية التي انشقت عن الاسماعيلية في عصرها العبيدى ، واتخذت لها مبادىء مخالفة في ظاهرها لمبادىء الاسماعيلية ، وان كانت لم تخالفها في جوهرها .

وتقيم هذه الطائفة في مناطق عديدة من بلاد الشام ، فمنهم من يقيمون في الشوف بلبنان ، وقسم آخر يقيمون بجبل الدروز في جنوب سوريا ، وكذلك في هضبة الجولان المطلة على فلسطين ، وآخرون يقيمون في شمال فلسطين .

والدروز يزعمون أنهم من القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية في الجاهلية إلى وادي تيم في بلاد الشام ، واعتنقوا الاسلام هناك ، ولكن المذهب الاسماعيلي انتشر بينهم بعد ذلك في أيام الدولة العبيدية ، وكان لاعتناقهم هذا المذهب أثر كبير في سرعة استجابتهم لمذهب الدروز ، وذلك حينما هرب إليهم محمد ابن اسماعيل الدرزى ، أحد دعاة تأليه الحاكم بأمر الله ــ والذي يقوم عليه المذهب

---

١ ــ لسان العرب / ابن منظور جـ ٥ ص ٣٤٨ .

الدرزي ـــ ، فقام بالدعوة لمذهبه هناك ، فالتفوا حوله واعتنقوا مذهبه ، وانتسبوا الى اسمه ، رغم أنهم يكرهونه في الوقت الحاضر .

لهذا فان عقيدة الدروز في الحقيقة هي جزء مهم من عقيدة وتاريخ الاسماعيلية في عصرها العبيدي ، لأنها تعبير حي عن حقيقتها وجوهرها ، وهي بالتالي سجل تاريخي مهم لحقبة مهمة من تاريخ الدولة العبيدية . لذلك فان الكتابة عن الدروز يبقى ناقصا وبلا فائدة ، اذا لم يظهر وبشكل واضح العلاقة العضوية للدروز بالاسماعيلية .

ولكي نتابع تاريخ نشأة الدروز ، لا بد لنا أن نتابع ونلم بتاريخ وعقائد الاسماعيلية ، وكما مرّ سابقا[١] فقد تبين لنا كيفية ظهور المذهب الاسماعيلي على يد ميمون القداح ، الذي كان تلميذا مخلصا لأبي الخطاب واضع اللبنة الرئيسية في الباطنية عموما . فاتخذ القداح هذا من اسماعيل بن جعفر وابنه محمد وسيلة لتحقيق أهدافه وغاياته المريبة والحاقدة لتدمير الاسلام وعقائده[٢] . وعلى هذه الطريق سار أحفاده وتلاميذه في تأسيس دولة في المغرب وتأجيج ثورة الحادية في المشرق عرفت باسم القرامطة[٣] .

وكما ذكرنا سابقا فان عبيدالله المهدي استطاع أن يؤسس الدولة العبيدية في المغرب عام ٢٩٦ هـ ، بدعوى أنه من نسل آل البيت ، حيث استطاعت هذه الدولة أن توطد أركانها هناك ، وتتطلع الى فتح مصر ، وتمّ لها ذلك على يد أحد قوادها وهو جوهر الصقلي عام ٣٥٨ هـ في عهد المعز لدين الله ، الذي نقل بعد ذلك عاصمة ملكه من المغرب الى مصر حيث بنى مدينة هناك سميت بالقاهرة . وبقي المعز على سدة الملك حتى مات عام ٣٦٥ هـ ، فخلفه ولده العزيز بالله ، الذي بقي في الملك حتى عام ٣٨٦ هـ ، فتولى الملك بعده ولده أبو علي المنصور ،

١ ـــ يراجع في هذا الموضوع الفصل الأول من الباب الأول لهذه الرسالة .
٢ ـــ يراجع في هذا الموضوع وبتفصيل أكثر كتاب عقيدة الدروز للمؤلف .
٣ ـــ يراجع في هذا الموضوع الفصلين الثالث والرابع من الباب الأول لهذه الرسالة .

الذي لقب بـ (الحاكم بأمر الله) ، والذي هو محور حديثنا عن نشأة الدروز وتاريخهم ، لأن عقيدة هذه الطائفة تقوم على تأليهه وعبادته .

تولى الحاكم بأمر الله الحكم وعمره احدى عشرة سنة ، حيث عهد والده الى ثلاثة من كبار رجال الدولة برعايته وتولي شؤون الدولة ، وبقي الأمر كذلك حتى عام ٣٩٠ هـ حينما استطاع الحاكم قتل أحد الأوصياء عليه ، وتولى منذ ذلك الحين زمام الأمور هناك[١] .

وقد بدأ الحاكم حكمه بقتل عدد من كبار رجال الدولة ، واصدار سجلات غريبة شاذة يحرم فيها أشياء كثيرة ، ثم يعود بعد ذلك الى اباحتها بشكل متناقض ، وكان أثناء ذلك يقتل الكثير من خدم قصره ، وكتبته ، وكذلك من عامة الناس ، وكان كل هذا تمهيدا لاعلان ما يعتلج في نفسه من ادعاء بالربوبية[٢] .

وفي سبيل ذلك أسس الحاكم بأمر الله مركزا لاعداد وتوجيه دعاة الاسماعيلية أسماه (دار الحكمة) ، ولهذه التسمية مغزى يدل على الاتجاه الفلسفي الذي أريد أن يتخذه هذا المعهد ، والذي يعتبر محور العقائد الاسماعيلية ، لذلك فقد استقطب هذا المركز الدعاة الاسماعيليين من كل مكان[٣] .

وقد احتشد في دار الحكمة طائفة من دعاة الاسماعيلية الملاحدة ، فالتفوا حول الحاكم بأمر الله ، وزينوا له فكرة (ألوهيته) التي كانت تعتلج في نفسه ، مما جعله وراء هذه الدعوة يرعاها ويرقب تطوراتها ، ويتصرف على ضوئها ، ويشجع دعاتها ، حتى انه كان كثيرا ما يلتقي بهم في القرافة[٤] ليظهر عطفه وتودده اليهم ، وليعرف منهم مدى ما وصلت اليه هذه الدعوة من نجاح[٥] .

---

١ ــ أنظر في هذا الموضوع كتاب : أخبار الدول وآثار الأول/للقرماني ص ١٨٩ ــ ١٩١ ، وكذلك كتاب سمط النجوم العوالي/للعصامي المكي جـ ٣ ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٤ .

٢ ــ انظر أيضا المصدرين السابقين ، الأول ص ١٩١ ، والثاني ص ٤٢٤ ــ ٤٢٩ .

٣ ــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية/محمد عبدالله عنان ص ١٦٤ .

٤ ــ مكان في جانب القاهرة يدفن به الموتى .

٥ ــ تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٥٥ .

وليس من شك أن هذه التصرفات كان أساسها الشذوذ النفسي في شخصية الحاكم بأمر الله ، وكذلك بسبب السلطات المطلقة التي تمتع بها والتي كانت معززة بالهالة القدسية مما أفسد آخر الأمر عقله[1] .

ومن الأدلة على ذلك أنه اتخذ جواسيس من النساء يندسسن في دور بعض الناس ، وكان من واجبهن اكتشاف ما يحدث فيها ، ثم تقديم تقارير اليه في اليوم التالي ، فاذا أصبح الخليفة استدعى أهل هذه الدور للمثول بحضرته وأخبرهم بما حدث في دورهم ، كما اتخذ جواسيس عهد اليهم أن يقدموا تقارير مستوفاة عن كل ما يحدث في الطرقات[2] ، حتى صار دعاته يزعمون أنه يعلم الغيب .

والصورة الواضحة عن الحاكم لا تكون الا من كتب التاريخ ، لذلك لا بد لمن يريد أن يؤرخ لهذه الشخصية الغامضة ، أن يستعرض أقوال المؤرخين وخاصة المعاصرين لعهده أو القريبين منه ، لأن عند هؤلاء أخباراً وحوادث تقطع الحق من الباطل فيما قيل عن الحاكم وشخصيته .

وابن تغرى بردى من المؤرخين الذين تناولوا هذه الحقبة بشيء من التفصيل ، ومما قاله عن الحاكم : « وكانت خلافته متضادة بين شجاعة واقدام ، وجبن واحجام ، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء ، وميل الى الصلاح وقتل الصلحاء . وكان الغالب عليه السخاء ، وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط . وأقام يلبس الصوف سبع سنين ، وامتنع عن دخول الحمام ، وأقام سنين يجلس في ضوء الشمع ليلا ونهارا ، ثم عنّ له أن يجلس في الظلمة فجلس فيها مدة . وقتل من العلماء والكتاب والأماثل مالا يحصى ، وكتب على المساجد والجوامع سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم في سنة خمس وتسعين وثلثمائة ، ثم محاه في سنة سبع وتسعين »[3] .

---

١ — تاريخ الشعوب الاسلامية/كارل بروكلمان ص ٢٥٤ .

٢ — تاريخ الدولة الفاطمية/د. حسن ابراهيم حسن ص ٣٥٨ ، وكذلك الدروز والثورة السورية/كريم ثابت ص ١٧ .

٣ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ابن تغرى بردى جـ ٤ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

أما أبو يعلي حمزة بن القلانسي في كتابه (ذيل تاريخ دمشق) فيقول : « وكان غليظ الطبع ، قاسي القلب ، سفاكا للدماء ، قبيح السيرة ، مذموم السياسة ، شديد التعجرف والاقدام على القتل ، غير محافظ على حرمة خادم ناصح ، ولا صاحب مناصح »[١] .

وابن العبرى يقول في كتابه (تاريخ مختصر الدول) : « وكان جوادا بالمال ، سفاكا للدماء ، وكانت سيرته عجيبة ، أمر بسب الصحابة وكتب الى سائر عماله بذلك . ثم أمر بعد ذلك بمدةبالكف عن السب ، وهدم بيعة القيامة وكتب الى سائر عماله بذلك ، وحمل أهل الذمة على الاسلام أو المسير الى مأمنهم أو لبس الغيار ، فأسلم كثير منهم . ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له : أريد العودة الى ديني فيأذن له »[٢] .

ويروي ابن خلكان عن الحافظ أبي الطاهر السلفي[٣] : « أن الحاكم كان جالسا في مجلسه العام وهو حفل بأعيان دولته ، فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »[٤] والقارىء في أثناء ذلك يشير الى الحاكم[٥] ، فلما فرغ من القراءة ، قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر ، وكان رجلا صالحا « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنفذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز »[٦] . فلما أنهى قراءته تغير وجه الحاكم ، ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ، ولم يطلق للآخر شيئا ، ثم ان بعض أصحاب ابن المشجر قال له : أنت تعرف الحاكم وكثرة استحالاته ، وما نأمن أن يحقد عليك ، وأنه لا يؤاخذك في هذا الوقت ، ثم يؤاخذك بعذ هذا فتتأذى معه ، ومن المصلحة عندى أن تغيب عنه . فتجهز ابن المشجر للحج ، وركب في

---

١ — ذيل تاريخ دمشق/أبي يعلي القلانسي ص ٨٠ .
٢ — تاريخ مختصر الدول/غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبرى ص ١٨٠ .
٣ — هو الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي ، ولد في أصبهان عام ٤٧٥ هـ وطلب الرحلة للحديث حتى استقر في الاسكندرية توفي عام ٥٧٦ هـ .
٤ — سورة النساء آية ٦٥ .
٥ — أي أن قارىء الآية كان يشير في قراءته لهذه الآية الى الحاكم ويعنيه بها من حيث تأليهه وعبادته .
٦ — سورة الحج آية ٧٣ .

البحر فغرق ، فرآه صاحبه في النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : ما أقصر الربان معنا ، أرسى بنا على باب الجنة ، رحمه الله تعالى ، وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده »[1] .

ويقول السيوطي : « أن الحاكم أمر الرعية اذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفا اعظاما لذكره ، واحتراما لاسمه ، فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين . وكان أهل مصر على الخصوص اذا قاموا خروا سجدا ، حتى انه يسجد بسجودهم في الأسواق وغيرهم ، وكان جبارا عنيدا ، وشيطانا مريدا ، كثير التلون في أقواله وأفعاله »[2] .

ومن أفعاله « أنه كان يعمل الحسبة بنفسه ، فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له ــ وكان لا يركب الا حمارا ــ ، فمن وجده قد غشّ في معيشة ، أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود ، أن يفعل به الفاحشة العظمى »[3] .

وقد بنى بين الفسطاط والقاهرة مسجدا ، أراد أن ينقل اليه جسد النبي ﷺ ، ولكن محاولته فشلت بعد أن كشفت من قبل سكان المدينة المنورة[4] .

ويصف كتاب (أخبار الدول المنقطعة) أعمال الحاكم المتناقضة وسفكه للدماء بلا حساب ، بأنها أشياء مقصوده أراد أن يموه بها على عقول أصحابه السخيفة ، فيعتقدون أن له في ذلك أغراضا صحيحة استأثر بعملها وتفرد عنهم بمعرفتها[5] . وهذا بالطبع كان تمهيدا لاعلان ألوهيته .

---

١ ـــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان/ابن خلكان مجلد ٥ ص ٢٩٥ .

٢ ـــ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة جـ ١ ص ٦٠١ .

٣ ـــ البداية والنهاية/ابن كثير جـ ١٢ ص ٩ .

٤ ـــ الروض المعطار في خبر الأقطار/الحميري ص ٤٥٠ .

٥ ـــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية/محمد عبدالله عنان ص ٥٩ .

وكان أشد الناس تعرضا لهذه النزعات الدموية ، أقرب الناس الى الحاكم من الوزراء والكتاب والغلمان والخاصة ، ولم يكن عامة الناس أيضا بمنجاة منها ، فكثيرا ما عرضوا للقتل الذريع لأقل الريب والذنوب ، أو لاتهامهم بمخالفة المراسيم والأحكام الشاذة التي توالى صدورها طوال حكمه ، وكان رجال الدولة ورجال القصر وسائر العمال والمتصرفين يرتجفون رعبا وروعا أمام هذه المذابح الدموية ، وكان التجار وذوو المصالح والمعاملات يشاطرونهم الروع .

وكان الحاكم في سبيل ذلك يفتعل بعض الأفعال الدموية والارهابية حتى يدخل الخوف والرعب في صفوف الشعب المصري بمختلف طبقاته ، حتى ان المسبّحي[1] صديق الحاكم ومؤرخه يروى حادثة من حوادثه تلك ، حينما أمر الحاكم بعمل مقصلة كبيرة للاعدام ، فارتاع الناس حتى ان كل جماعة حسبت أنها معدة لها ، مما جعلهم يسترحمون الحاكم ويقبلون الأرض بين يديه ، طالبين العفو والرحمة ، بسجل مكتوب وموقع من الحاكم[2] .

وليس لدينا بعد ذلك من شك بأن القتل كان في نظر الحاكم خطة محكمة ومقررة ، ولم تكن فورة أهواء فقط .

ومن أهم الظواهر التي تدلنا على ذلك ، معاملة الحاكم للذميين ، حيث كانت بلا ريب سياسة مقررة ، ولم تحمل في مجموعها طابع التناقض .

ففي عام ٣٩٥ هـ أصدر الحاكم أمره للنصارى واليهود بلبس الغيار وشد الزنار ، ولبس العمائم السود . وفي عام ٣٩٩ هـ أمر بهدم كنائس القاهرة ونهب ما فيها ، وصدر مرسوم خاص بهدم كنيسة القيامة في بيت المقدس ، وفي العام التالي صدر مرسوم جديد بالتشديد على اليهود والنصارى في لبس الغيار وتقليد الزنار ، وألغيت الأعياد النصرانية كعيد الصليب والغطاس والشهيد . وقد خفت هذه المعاملة للذميين تباعا ، وخاصة قبل مقتل الحاكم عام ٤١١ هـ ، اذ أصدر عدة سجلات

---

١ ــ هو محمد بن عبدالله المسبحي ، مؤرخ وعالم بالأدب ، ولد بمصر عام ٣٦٦ هـ ، اتصل بخدمة الحاكم وحظي عنده وولاه ديوان الترتيب . وله كتب كثيرة ألفها ، توفي عام ٤٢٠ هـ .

٢ ــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية/محمد عبدالله عنان ص ٥٥ .

بالغاء ما أصدره من قبل في حقهم ، ومما يلحظ في هذا الصدد أن موقف الحاكم ازاء النصارى واليهود هو من المواقف القليلة التي ثبت فيها الحاكم على سياسة واحدة ، وأنه لم يجنح فيه من الشدة الى اللين الا في أواخر عصره ، حينما ظهر دعاة تأليهه ، يدعون الى دين جديد وعقائد جديدة[١] . فكان لا بد من تغيير طريقة المعاملة ، في محاولة منه لاستمالتهم الى دعوى تأليهه ، وهذا مما سنتبينه بعد ذلك في رسائلهم ، وخاصة في رسالة خبر اليهود والنصارى ، والتي يحاول فيها مؤلفها حمزة بن علي أن يثبت لهم أن الحاكم هو الشخص الموعودون به[٢] .

أما موقف الحاكم من أحكام وأركان الاسلام ، فكان فيه التناقض والاضطراب ، فقد أمر عام ٤٠٠ هـ بالغاء الزكاة والنجوى (أو رسوم الدعوة) ، وأعيدت صلاة الضحى والتراويح (بعد أن منعها) . وفي بعض الروايات أنه حاول أن يعدل بعض الأحكام الجوهرية كالحج ، الذي أمر بالغائه في بعض السنوات[٣] .

وفي عام ٣٩٥ هـ أمر بسب السلف (أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم) ، وكتب ذلك على أبواب المساجد ، وأبواب الحوانيت والمقابر ، ولون بالأصباغ والذهب[٤] . حتى أنه أمر نائبه في دمشق أن يضرب رجلا مغربيا ، ويطاف به على حمار ، ونودي عليه : هذا جزاء من أحب أبا بكر وعمر ، ثم أمر به فضربت عنقه[٥] . ولكنه في عام ٣٩٧ هـ عاد وأمر بمحو ما كتب على المساجد والدور وغيرها[٦] .

وبقي الأمر كذلك حتى عام ٤٠١ هـ حينما أصدر سجلا ينهى فيه عن صلاة التراويح والضحى ، وينهي كذلك عن معارضته فيما يأمر به من أمور وأحكام ، ويأمر أيضا في نفس السجل باعادة (حي على خير العمل)[٧] في الأذان ، واسقاط (الصلاة خير من النوم[٨])[٩] .

---

١ — الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية/محمد عبدالله عنان ص ٧١ ، ٧٨ ، ٩٢ .
٢ — يراجع في هذا الموضوع الفصل الثاني من هذا الباب عند الحديث عن عقائد الدروز وموقفهم من بقية الفرق والأديان والأخرى .
٣ — الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية/محمد عبدالله عنان ص ٧٦ .
٤ — المصدر السابق ص ٧٨ .
٥ — الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري/آدم متز جـ ١ ص ١٣٢ .
٦ — الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية/محمد عبدالله عنان ص ٦٦ .
٧ — وهي عبارة تذكر في الأذان عند الشيعة على اختلاف طوائفهم .
٨ — وهي العبارة التي أمر بها ﷺ في اذان الفجر .
٩ — الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية/محمد عبدالله عنان ص ٦٦ .

وكان الحاكم شغوفا بالليل ، حتى أنه كان يعقد مجالسه ليلا ، ويسير في شطر كبير من الليل في الأزقة والشوارع ، وجنح في هذه الفترة الى نوع من التصوف المدهش ، فأطلق شعره حتى تدلى على أكتافه ، وأطلق أظافره ، ولبس الثياب السود[١] .

ومن أموره الشاذة أيضا : أنه كان يؤثر ركوب الحمير ، ولا سيما الشهباء منها ، ويطوف بها في شوارع القاهرة ، فلقي ذات مرة عشرة من الناس سألوه الاحسان فأمر أن ينقسموا الى فريقين يتقاتلان ، حتى يغلب أحدهما فينعم عليه ، فتقاتلا حتى فني منهم تسعة وبقي واحد ، فألقى عليه الدنانير ، فلما انحنى ليأخذها عاجله حرسه بقتله[٢] .

والواقع أن ما أوردناه من سيرة الحاكم ، لم يكن مجرد سرد تاريخي لحياته ، ولكنه من صلب عقيدة الدروز ، فكل هذه الأفعال والتناقضات أصبحت عند هذه الطائفة أمورا تدل على ألوهيته ، لأن لها ظاهرا وباطنا ، والمعروف للانسان العادي هــو الظاهر فقط من تلك الأفعال ، أما باطنها فهو من اختصاص الدروز وحدهم .

هذا وقد بدأت الدعوة الجهرية وبشكل واضح لألوهية الحاكم عام ٤٠٨ هـ ، على يد ثلاثة من دعاة الاسماعيلية وهم : حمزة بن علي الزوزني ، ومحمد بن اسماعيل الدرزي المعروف بـ (نشتكين) ، والحسن بن حيدرة الفرغاني . الا أن هذه الدعوة في الواقع كانت موجودة وبشكل سرى منذ عام (٤٠٠ هـ)[٣] .

يقول الأستاذ مصطفى غالب (الكاتب الاسماعيلي المعاصر) : ان حمزة بن علي بن أحمد الزوزني[٤] وفد على مصر سنة ٤٠٥ هـ ، وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يترددون الى دار الحكمة لحضور مجالس الحكمة التأويلية . وما عتم أن

---

١ ــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية/محمد عبدالله عنان ص ٦٢ ، ٦٣ . أما عن لبس الحاكم للسواد ، فهذا ما يقوم به الى الآن (أجاويد) طائفة الدروز تمثلا بما فعله الحاكم .

٢ ــ المصدر السابق ص ٨٧ .

٣ ــ طائفة الدروز/محمد كامل حسين ص ٧٥ .

٤ ــ هو المؤسس الرئيسي لمذهب الدروز ، بعدما استطاع ابعاد منافسة اللدود محمد بن اسماعيل الدرزي ، وسيفصل الكلام عنه في الفصل الثاني من هذا الباب عند الحديث عن (الحدود الخمسة) في عقيدة الدروز .

أصبح ممثلا لدعاة الفرس ، وهمزة الوصل بينهم وبين الحاكم بأمر الله ، الذي ضمّه الى حاشيته ، وأسكنه في قصره ، — ويضيف قائلا : — وفي بعض الوثائق الاسماعيلية السرية ما يشير الى أنه أصبح من الدعاة الذين يكونون دائما في معية الامام ، ولا يفارقون مقر قيادته أبدا . وسرعان ما أصبحت له حظوة عند الحاكم، بعدما أظهره من اخلاص ، وما ساهمه مساهمة فعالة في خوض غمار الجدل الديني ، وفلسفة المذهب الذي يبشر به ، واستطاع أن يجمع حوله بعض الدعاة ، ويتفقون سرا للدعوة الى تأليه الحاكم بأمر الله ، معتمدا في دعوته هذه على أصول وأحكام استنبطها من صميم الأصول والأحكام الاسماعيلية[1] .

وهذا الكلام يبين لنا أن هذه الحركة قامت على أيدي دعاة الفرس ومن كان على شاكلتهم ، الذين كانوا يقدسون ملوكهم ، ويؤمنون بنظرية الحق الملكي المقدس .

وكما ذكرنا سابقا ، فقد التف حول حمزة بن علي اثنين من دعاة الاسماعيلية هم : محمد بن اسماعيل الدرزي[2] ، والحسن بن حيدرة الفرغاني[3] ، وكما يظهر من رسائل حمزة فانه كان قد اتفق مع دعاته ألا يجهر أحد أو يكشف عن حقيقة المذهب الا بعد تلقي الأوامر منه ، ولكن الدرزي تسرع في الكشف عن أسرار الدعوة ، مما أثار حفيظة حمزة وغضبه ، ودفع عامة الناس لمحاربة الدعوة الجديدة المخالفة للعقيدة الاسلامية ، حتى ان الجنود الأتراك حاولوا قتل الدرزي لولا حماية الحاكم له ، حيث فرّ الى قصر الحاكم ، وهربه من هناك الى بلاد الشام ، فدعا فيها الى المذهب الجديد ، واستمال الكثير من سكان وادي تيم[4] الذي نزل فيه ، ولكنه انحرف بعد ذلك عن مبادىء حمزة ، مما دفعه — أي حمزة — الى الأمر بقتله[5] .

١ — الحركات الباطنية في الاسلام/مصطفى غالب ص ٢٤١ .

٢ — أحد أصحاب الدعوة الى تأليه الحاكم ، واليه نسبة الطائفة الدرزية ، مع أن الدروز الى الان يتبرأون منه بسبب انشقاقه عن حمزة ، تركي الأصل على الارجح ويقال فارسي ، هرب الى الشام من قبل الحاكم بعد مهاجمته من قبل الناس في مصر ، وقتل في بلاد الشام عام ٤١١ هـ .

٣ — أحد الذين جاهروا بتأليه الحاكم بأمر الله ، وهو الذي سلم القاضي ابن العوام رقعة من حمزة تطلب منه الاعتراف بألوهية الحاكم ، وقد قتل بعد ذلك على يد أهل السنة بمصر عام ٤٠٩ هـ .

٤ — هو ما يعرف الان (بالشوف) ، وكذلك المناطق المجاورة له في لبنان .

٥ — أنظر عقيدة الدروز/للمؤلف ص ٣٢ .

أما حمزة ، فقد هاجمه الناس أيضا بعد الجهر بتأليه الحاكم ، وذلك في مقر اقامته في مسجد ريدان بالقاهرة ، وكان معه كما يقول في رسائله : اثنا عشر رجلا فقط ، ولو لم يصدر أمر الحاكم بوقف القتال لقتل حمزة [١] .

أما الداعي الآخر : الحسن بن حيدرة الفرغاني ، المعروف بالأخرم أو الأجدع ، فقد كان وسيلة مهمة من وسائل الاعلام للمذهب الجديد ، فكان يبعث بالرقاع الى الناس يدعوهم فيها الى العقيدة الجديدة ، وكان يطلب من العلماء وكبار الدعوة الاسماعيلية أجوبة على رقاعة ، مما حمل الحاكم على اكرامه واركابه في موكبه ، غير أنه لم تمض على ذلك عدة أيام حتى وثب على الفرغاني رجل من أهل السنة وقتله وقتل معه ثلاثة رجال من أتباعه ، بينما كان يسير معهم بالقاهرة ، فغضب الحاكم وأمر باعدام قاتله ، ودفن الأخرم على نفقة القصر . وممن كتب اليهم الأخرم ، الداعي الاسماعيلي أحمد حميد الدين الكرماني ، يعرض عليه المذهب الجديد ، مما جعل الكرماني يرد عليه برسالة عنوانها (الرسالة الواعظة) ، ومما قاله الأخرم في رسالته للكرماني : « من عرف منكم امام زمانه حيا فهو أفضل ممن مضى من الأمم من نبي أو وصي أو إمام ... وأن من عبدالله من جميع المخلوقين ، فعبادته لشخص لا روح فيه ... وقد قامت قيامتكم ، وانقضى دور ستركم ... »[٢] .

وبعد اختفاء الدرزي والأخرم ، أصبح المسرح خاليا لحمزة ، وصار أمر المذهب اليه ، لذلك سارع الى تلقيب نفسه بعدة ألقاب منها (هادى المستجيبين) و (قائم الزمان) و (العقل) باعتباره نبي الحاكم ... الى غير ذلك من ألقاب كثيرة يجدها الباحث في رسائله .

وقبل أن ننتقل الى نقطة أخرى في هذه النبذة ، لا بد أن نؤكد على أن هذه الحركة كان الحاكم يغذيها ماديا ومعنويا في جميع المجالات ، وأن زعماءها كانوا على

١ ــ رسالة الغاية والنصيحة .

٢ ــ الحركات الباطنية في الاسلام/مصطفى غالب ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

اتصال وثيق به ، رغم ما يقوله الأستاذ عبدالله النجار[1] في كتابه (مذهب الدروز والتوحيد) من نفي الصلة بين الحاكم وحمزة ، ولكن هذا الزعم تبطله كل الشواهد التاريخية وكذلك أقوال الدروز أنفسهم ابتداء من حمزة وانتهاء بكتابهم في الوقت الحاضر ، فهذا حمزة في رسالة الغاية والنصيحة بعد عرضه لكيفية مهاجمته من قبل الناس في مسجد ريدان ، وأمر الحاكم بوقف القتال عنه يقول : معاشر الموحدين قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون[2] ، قاتلوا أقواما نكثوا أيمانهم (يعني عهدهم) وهموا باخراج الرسول ، وهو قائم الزمان ، وهم بدؤوكم أول مرة ، (يعني دفعة الجامع) ، فلا تخشوهم فمولانا جل ذكره أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين . فما استتمت كلامي لهم ، حتى صار أمر مولانا جل ذكره وتجلى للعالمين بقدرته سبحانه ، فصعقت من في السموات والأرض ، فانقلبوا المنافقين على أعقابهم خائبين ، فلمولانا الحمد والشكر أبد الابدين »[3] .

ويقول في رسالة أخرى : فتأييد مولانا سبحانه واصل الي ، ورحمته وأفضاله ظاهره وباطنه علي ، وجميع أصحابي المستجيبين عزيزين مكرمين في الشرطة ، والولاية ، وأصحاب السيارات ، مقضون الحوائج دون سائر العالمين ، ورسلي واصلة بالرسائل والوثائق الى الحضرة اللاهوتية التي لا تخفى عليها خافية ، لا في السر ولا في العلانية ، وقد أوعدني مولانا جلت قدرته في ظاهر الأمر مضافا الى مواعيده الحقيقية التأييدية ، وهو منجز مواعيده وقت يشاء وكيف يشاء بلا تقدير عليه[4] .

---

١ — سياسي لبناني ، من طائفة الدروز ، تقلد عدة مناصب رفيعة في الدولة اللبنانية ، وألف كتابا عن الدروز أسماه (مذهب الدروز والتوحيد) ، حاول فيه أن يبين ويظهر عقيدة طائفته للناس ، ولكن الدروز ، وخاصة مشيخة العقل ، هاجموه بشدة ، وأتلفوا كتابه ، وأصدروا كتابا للرد عليه بعنوان (أضواء على مسلك التوحيد) اشترك في تأليفه الدكتور سامي مكارم والزعيم الدرزي اللبناني كمال جنبلاط ، ويقال أن الدروز استغلوا أحداث لبنان الاخيرة وقتلوا النجار .

٢ — يحرف حمزة هذه الايات بشكل واضح من أجل أهدافه المريبة ، والايات الصحيحة هي كما يلي : « وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » سورة التوبة آية ١٢ — ١٤ .

٣ — رسالة الغاية والنصيحة .

٤ — رسالة الصبحة الكائنة .

وهناك رسالة من رسائل حمزة ، عنوانها (الرسالة المنفذة الى القاضي أحمد بن العوام)[١] تبين أن حمزة أصبح في مكانة كبيرة استطاع من خلالها أن يخاطب قاضي القضاة بمثل هذا الخطاب التهجمي ، ولو لم يكن وراء حمزة من يحميه ما كان يجرؤ على كتابة هذا الخطاب الذي يأمره فيه بأن لا ينظر في قضايا أتباع حمزة ، ومما قاله حمزة : فقد تقدمت لنا اليك رسالة نسألك عن معرفتك بنفسك ، فقصرت عن الاجابة ، قلة علم منك بالحق واهجانا به ، وكيف يجوز لك أن تدعي هذا الاسم الجليل وهو قاضي القضاة ، وليس لك علم بحقائق القضايا والأحكام ، فقد صح بأنك مدع لما أنت فيه ، فيجب عليك أن تعلم نفسك وتدربها .... الى أن يقول : واياك ثم واياك أن تنظر لموحد في حكم لا أنت ولا عادلتك ، في شهادة نكاح ولا طلاق ، ولا وثيقة ، ولا عتق ، ولا وصية . ومن جلس بين يديك على حكم فتسأل عنه أن يكون موحدا فترسله الي مع رجالك لأحكم أنا عليه ، بحكم الشريعة الروحانية[٢] ، التي أطلقها أمير المؤمنين سلامه علينا ، فانظر لنفسك فقد أعذرتك مرة بعد أخرى وأنذرتك[٣] .

أما الدروز في الوقت الحاضر ، فانهم يعتبرون انكار صلة الحاكم بالمذهب وانتسابه اليه ، تقويضا لمعتقدهم ومذهبهم ، ذلك أن حمزة أخذ وغرف عقيدته من مجالس الحكمة التي كان يعقدها الحاكم[٤] .

لذلك نستطيع أن نقول : ان سلوك الحاكم المتناقض و الشاذ ، انما كان بتأثير فكرة الألوهية ، وان كل ما صدر عن الحاكم بأمر الله من أعمال وأقوال انما كان بدافع واحد هو تأليهه ، لذا فان ارتباط الحاكم بهذه الدعوة أمر غير قابل للنقاش لا من الناحية التاريخية ولا من الناحية الموضوعية .

---

١ — هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي العوام السعدي ، قاضي مصر وبرقة وصقلية والشام والحرمين ، من فقهاء الحنابلة ، مصري ولي القضاء في أيام الحاكم عام ٤٠٥ هـ ، وفي أيامه مات الحاكم ، وتوفي عام ٤١٨ هـ .

٢ — من هذا الكلام يتبين أن حمزة فرق بين جماعته من جهة ، وبين السنة والشيعة من جهة أخرى ، وذلك بمنعه للقاضي أن يقضي على جماعته .

٣ — الرسالة المنفذة الى القاضي أحمد بن العوام .

٤ — أضواء على مسلك التوحيد/د. سامي مكارم ص ٧٢ ، ٧٣ .

فالحاكم تولى مقاليد الحكم وهو صغير السن ، وقد أحيط بهالة خاصة مما أسبغته العقيدة الاسماعيلية على أئمتها ، فتأثر بهذه العقائد ، الى جانب أنه رأى حاشيته ورعيته يسجدون له كلما مر بهم ، فشاء طموحة أن يكون إلها مثل الملوك الأقدمين ، ـــ من الفراعنة ـــ ، واختمرت هذه الفكرة في نفسه ، ولكنه لم يعلنها للناس ، ولعله أسر بها الى بعض الدعاة حوله ، فتسابقوا الى اشباع نزواته وتنميتها مع مرور الزمن[١] .

والشيء المؤكد اذن أن هذه السياسة التي اتبعها الحاكم كانت مقررة ، ليفهم من أفعاله أنه هو الخالق ، وأنه هو المحيي والمميت ، والرازق والوهاب ، الى غير ذلك من أسماء الله الحسنى ، وصفاته الجلى ، فها هو الحاكم بأمر الله يسرف في القتل ليقال عنه : أنه مميت ، ويرزق الناس ويهبهم ليقال : انه رزاق وهاب ، ويعفو عمن يستحق القتل ليقال : أنه محيي[٢] .

لذا فان القول أن الحاكم كان مخلصا لدولته ، كفوًا لحمل أعبائها ، وأن أخبار التاريخ عن شذوذه واضطرابه هي افتراءات من أعداءه ، أخذها كل مؤرخ عن الآخر[٣] ، إن هذا القول ـــ وكما مر معنا ـــ مردود وليس له أي أصل تاريخي أو موضوعي .

هذه نبذة موجزة عن نشأة الدروز ، والواقع أن هذه الاعتقادات ظهرت في ظل أجواء ومعتقدات الحادية منحرفة هي العقيدة الاسماعيلية ، لذلك لن نكون مغالين اذا قلنا ان عقيدة الدروز لم تخرج في جوهرها عن جوهر المذهب الاسماعيلي الذي لم يكن مكشوفا لعامة الناس ، ولعل الحاكم حينما أعلن مذهبه كان يرى أن الوقت قد حان للكشف عن بعض العقائد البالغة السرية ، على حين خالفه في ذلك معظم الدعاة والسلطات الفاطمية الرسمية[٤] ، لأن هذا كان في اعتبارهم عقائد

---

١ ـــ أضواء على العقيدة الدرزية/أحمد الفوزان ص ٢٣ .
٢ ـــ طائفة الدروز/محمد كامل حسين ص ٤٤ .
٣ ـــ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية/د. أحمد شلبي ص ١١٦ ـــ ١٢٢
٤ ـــ فرقة النزارية ـــ تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية ـــ/د. السيد محمد العزاوي ص ٤ .

باطنية لا يجوز البوح بها لكل الناس ، لذلك فقد دبرت على هذا الأساس مؤامرة ضد الحاكم تم قتله فيها ، حيث أعتبرت أعماله هذه مساسا بباطنية مذهب الدولة ، وكذلك بأمنها وبقائها .

وقد قامت بهذه المهمة أخته (ست الملك) ، وكان ذلك وكما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي بسبب أمرين :

أولاهما : أنها خافت أن يخرب بيت الخلافة الفاطمية على يديه ، بعدما كرهه جميع الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم .

ثانيهما : أنها خافت على نفسها من بطشه ، بعدما اتهمها بسوء سلوكها ، فآثرت أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها(١) .

وتؤكد الروايات التاريخية هذين الأمرين ، فأبو يعلى حمزة بن القلانسي يؤكد الأمر الأول حينما شكاه الناس اليها فأنكرت ما أنكروه ، ورتبت على هذا الأساس أمر اغتياله (٢) أما ابن تغرى بردى فيورد الأمرين معاً ، ويؤكد أن أخته ست الملك قد حذرته من أعماله وخراب الدولة على يديه ، فكان يسمعها كلاماً قاسياً ويتهمها في نفسها (٣) .

لذلك فقد سارعت ست الملك لتدبير أمر اغتياله بالاتفاق مع ابن دواس (أحد شيوخ كتامة) (٤) ، الذي كان يكره ويخاف من بطش الحاكم ، فتحالفت معه على قتل الحاكم (٥) . فعمل على تجهيز عبدين من عبيده وأمرهما بقتل الحاكم عندما يخرج في الليل إلى جبل المقطم ، حيث أنزلاه عن حماره وقطعا يديه ورجليه ، وبقرا بطنه ، وأتيا به إلى ابن دواس ، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها (٦) وحينما بدأ الناس بالبحث عنه لم يجدوا إلا ثيابه فقط وأثر السكاكين فيها (٧) .

---

١ — مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوى مجلد ٢ ص ٦٠٩ .

٢ — ذيل تاريخ دمشق / أبو يعلى حمزة بن القلانسي ص ٧٩ .

٣ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / ابن تغرى بردى جـ ٤ ص ١٨٦ .

٤ — كتامة هي القبيلة المغربية التي كانت عوناً وسنداً للفاطميين في اقامة دولتهم في المغرب ، وبالتالي كانوا عنصراً مهماً في الدولة الفاطمية .

٥ — المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / ابن الجوزى ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

٦ — البداية والنهاية / ابن كثير مجلد ٦ جـ ٢٢ ص ١٠ .

٧ — الكامل في التاريخ إبن الأثير مجلد ٩ ص ٣١٤ .

ومع أن المقريزى ينفي تلك المؤامرة ويأتي برواية لتأكيد ذلك وهي اقرار أحد الناس عام ٤١٥ هـ بقتل الحاكم [١] إلا أن جميع الدلائل والمؤشرات تنفي قول المقريزي ، فهو الوحيد من المؤرخين الذي ينفي ذلك .

ولعل رسالة (مباسم البشارات) التي كتبها الكرماني ، أحد أكابر الدعاة الاسماعيليين في ذلك الوقت ، ما يؤكد قولنا أن قتل الحاكم كان مؤامرة معدة باحكام من قبل سلطات الدولة الرسمية وبمباركة دعاة الاسماعيليين أنفسهم .

فالرسالة تبين اضطراب الأحوال في مصر بعد دعوة تأليه الحاكم بعدما تقلبت أحوال الناس ، فالعالي قد اتضع ، والسافل قد ارتفع ، وكل واحد يرمي صاحبه بالالحاد ، وبعضهم غالى في رأيه ... إلى غير ذلك مما ورد في الرسالة [٢] . وكل هذا يظهر لنا أن الحاكم قد فقد الورقة الأخيرة وهي دعم دعاة الاسماعيلية له ، وخاصة بعدما كرهه جميع الناس بسبب المقتلة الكبيرة التي أعدها لأهل مصر بعدما قتلوا دعاة تأليهه ، فقد أمر عبيده وجنوده بالاغارة على أهل مصر وسلبهم وقتلهم انتقاما لما فعلوه ، وكان عندما يشتكي الناس إليه ذلك ، يتأسف ويتوجع ويبقي الأمر كما هو ، ولولا خوفه من الجنود الأتراك والمغاربة الذين هددوه باقتحام القاهرة اذا لم يوضع حد لتلك الجرائم ، لما انتهت تلك المقتلة ، بعد أن استمرت بضعة أسابيع [٣] .

من كل هذه الأمور مجتمعة ، كان لا بد من قتله ، تخليصا للناس من بطشه وفتكه ، وحتى لا يتهدد أمن الدولة ومذهبها ، لذلك سارعت أخته ست الملك إلى تنفيذ هذا الأمر حتى لا يخرج الأمر من يدها ، بعدما ظهر أن وجوده فيه تهديد لبقاء اسرتها في الحكم .

ولما تأكد قتل الحاكم ، سارع دعاة تأليهه للزعم بأنه لم يقتل ولم يمت ، ولكنه اختفى أو ارتفع إلى السماء ، وسيعود عندما تحل الساعة فيملأ الأرض عدلا . ولكن

---

١ ـــ الخطط المقريزية / المقريزي جـ ٣ ص ٢٥٣ .

٢ ـــ وردت الرسالة كاملة في كتاب الحركات الباطنية في الاسلام / مصطفى غالب ص ٢٠٥ ـــ ٢٣٣ .

٣ ـــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية / محمد عبدالله عنان ص ١١٩ ، ١٢٠ نقلا عن كتاب أخبار الدول المنقطعة للوزير جمال الدين .

رغم هذا الزعم إلا أن أحوال أتباعه وأفكارهم اضطربت ، مما جعل أحد دعاتهم وهو بهاء الدين يطلب منهم أن يحسنوا الظن بالحاكم لأنه سيكشف لهم عن أبصارهم ويريهم الحقيقة (١) .

ويبدو أن قتل الحاكم قد خوّف حمزة إلى حد اختفائه عن الأنظار وهربه إلى بلاد الشام حيث يكثر أتباعه ،ومع ذلك بقي في بلاد الشام متواريا عن الأنظار يدير أمر أتباعه عن طريق بهاء الدين ، وهذا ما يصرحه في رسالته (الاعذار والانذار) ، حيث يبرر غيابه بسبب غياب المعبود (أي الحاكم)(٢).

وبقي الأمر كذلك حتى موت حمزة ، بعدها كثرت الآراء الجديدة من معتنقي المذهب الجديد ، غير التي دعا اليها حمزة مما جعل بهاء الدين يهدد أتباعه باعتزال الدعوة ، وبالفعل اعتزلها عام ٤٣٤ هـ .

أما الأصول التي قامت عليها الدرزية ، فان هذا يرجعنا إلى بعض العقائد الأساسية عند الاسماعيليين ، فالمذهب الاسماعيلي يقول : أنه سبحانه وتعالى أبدع العقل الكلي ، ومنه انبثقت النفس الكلية ، وبواسطة العقل والنفس وجدت المخلوقات كلها العلوية والسفلية ، فالخالق الحقيقي عندهم اذن هو العقل .

ولذلك فان معبود الاسماعيلية الحقيقي هو العقل ، ويعتبرونه الصورة الخارجية لله ، ولهذا يقولون : « اذا كان لا يصلى لكائن لا يدرك ، فان الصلاة تتجه نحو صورتها الخارجية وهي العقل » (٣) .

وبسبب هذا فانهم يعتقدون بنظرية المثل والممثول ، التي تقول أن هناك حدوداً روحانية هي في السماء يمثلها على الأرض حدود جسمانية ، وبتطبيق هذه النظرية نستطيع أن نعرف أن الامام الفاطمي هو العقل الكلي ، وأن جميع مناقب وصفات العقل الكلي تطلق أيضا على الامام ، فهو الواحد الأحد ، والفرد الصمد ، والمحيي المميت (٤) .

---

١ ـ رسالة الغيبة / لبهاء الدين .
٢ ـ رسالة الاعذار والانذار / لحمزة .
٣ ـ خطط الشام / محمد كرد علي جـ ٦ ص ٢٥٧ .
٤ ـ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ٨٧ .

وقد أخذ حمزة نظرية الحدود عند الاسماعيلية ، ولكنه لم يعترف بتقسيمها إلى روحاني وجسماني ، فالحدود الروحانية عند حمزة هم أنفسهم الحدود الجسمانية ، وبهذا خالف العقيدة الاسماعيلية حيث اعتبر أن المعبود (أي الحاكم في دوره الأخير) أبدع من نوره العقل الكلي الذي هو قائم الزمان حمزة بن علي (١) ، وحور بعد ذلك جميع مراتب الحدود وجعلها مخالفة لمذهب الاسماعيلية .

نستنتج من هذا ، أن الحاكم وأتباعه لم يخرجوا عن جوهر وباطن المذهب الاسماعيلي ، ولكن سياسة الدولة كانت تمنع أن ينتشر هذا بين عامة الناس خوفا من ثورتهم على الدولة لأن غالبيتهم كانت من أهل السنة .

هذا وصف موجز لبداية نشأة الدروز ، والأجواء والمعتقدات التي قاموا من خلالها. أما عقائدهم فيمكننا أن نقدم ملخصاً لأصولها وقواعدها لنستطيع من خلالها أن نتطرق بالتفصيل لكل العقائد التي يقوم عليها هذا المذهب .

فهم يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله ، وفي رجعته آخر الزمان ، وينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ، غير أنهم ينتسبون ظاهرا إلى الاسلام ، ويتظاهرون أمام المسلمين بأنهم مسلمون ، وذلك لأنهم عاشوا في وسط اسلامي ، ودول مسلمة ، غير أنهم يتظاهرون أمام النصارى أيضا بانهم قريبون منهم ، لأن المسيح في نظرهم هو حمزة بن علي .

ويتظاهرون الأن بالتقرب إلى اليهود ، وبعض كبار مفكريهم المعاصرين يحجون إلى الهند متظاهرين بان عقيدتهم نابعة من حكمة الهند .

والحقيقة أنهم يبغضون في الباطن جميع أبناء الأديان الأخرى ، ولا سيما المسلمين ، ويستبيحون أموالهم ودماءهم عند المقدرة ، ويعتقدون أن الشياطين هم باقي الملل . ولا يأخذون بشيء من أحكام وعبادات الاسلام ، بل ينكرون أركان الاسلام جميعها ، والشريعة الاسلامية كلها .

---

١ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١١٠ .

وقد جعل الدروز بدل أركان الاسلام ، سبعة خصال توحيدية . وهم يعتقدون بتناسخ الأرواح ، وانتقالها الى الأجساد الانسانية ، لهذا فانهم لا يعتقدون بالجنة والنار ، والثواب والعقاب ، فالثواب يكون بانتقال الروح الى منزلة أرفع حينما تنتقل من جسد الى جسد ، ويكون العقاب بتدني منزلتها . أما القرآن الكريم فانهم يقولون أنه من صنع سلمان الفارسي ، والذي هو حمزة في عصر الحاكم .

وقد بقيت العقيدة الدرزية جامدة على هذه الأصول والعقائد الموجودة في رسائل حمزة وبهاء الدين طيلة القرون الماضية ، معتمدة الطائفة خلالها على شروح عقالها[١] في هذه الرسائل ، الى أن ظهر في هذا القرن الزعيم الدرزي اللبناني (كمال جنبلاط)[٢] ، الذي حاول أن يطور دينه بعدة طرق ، منها محاولته أن يرجع أصول مذهبه الى كل مسالك الحكمة — كما يزعم — المتقدمة في أدوار التاريخ : في مصر الفرعونية ، والهند ، وايران ، وبابل وأشور ، واليونان ، ثم بعد ذلك في الاسلام مرورا بالنصرانية واليهودية ، ولكنه يسارع بعد ذلك ويؤكد على صلة — مسلكه التوحيدي — بحكماء الهند والسند ، وارتباط الدروز بحكماء الهند ، لأن الحكمة — في نظر جنبلاط — واحدة في كل مثوى وزمان ، لا تتجزأ ولا تختلف في الجوهر[٣] .

ورغم تأكيد جنبلاط على صلة مذهب الدروز بحكمة الهند[٤] ، ووجود بعض أوجه الشبه بينهما ، الا أننا في الواقع لا نجد أن هذه الصلة حقيقية كما يصورها جنبلاط ، وذلك لأن هدف جنبلاط من كل هذا هو اظهار أن الدرزية مذهب مستقل تطور عن حكمة والحكماء . لهذا فقد قام بكتابة (المصحف المنفرد بذاته)[٥] في محاولة منه لتأكيد هذا الوهم ، ولكي يجعل طائفته تتفق على شيء محدد

---

١ — لفظ يطلقه الدروز على مشايخهم ودعاتهم ، وهم الذين يعرفون أسرار العقيدة الدرزية ، ولا يسمحون لغيرهم بالاطلاع عليها ، وذلك لان المجتمع الدرزي ينقسم الى قسمين : عقال وجهال ، فالجهال لا يعرفون شيئا من مذهبهم الا الأمور الرئيسية ، ولا يدخل في العقال الا بعد امتحان طويل .

٢ — زعيم درزي لبناني معاصر ، وهو من السياسيين اللبنانيين ، ومعروف بثقافته واطلاعه على ديانات الهند القديمة ، ويحاول كثيرا أن يقارب بينها وبين عقيدة الدروز ، وقد قتل في لبنان عام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ .

٣ — أنظر كتاب أضواء على مسلك التوحيد/د. سامي مكارم — مقدمة الاستاذ كمال جنبلاط لهذا الكتاب ص ٢٦ ، ٥١ .

٤ — وهذا التأكيد على حكمة الهند وصلتها بالدرزية يفسر لنا سبب زيارات جنبلاط المتكررة (قبل مقتله) الى الهند واشادته بحكمتها .

٥ — سيأتي ذكر هذا المصحف وما يحويه في الصفحات القادمة .

في كتاب معين ، مع أن هذا المصحف هو تلفيق من عدة مصادر أهمها : القرآن الكريم ، والحكمة الهندية ، رتبها جنبلاط لتحقيق هدفه في بقاء الأصول والعقائد التي وضعها حمزة وبهاء الدين .

وقبل أن ننهي حديثنا عن نشأة الدروز ، لا بد أن نلم ببعض الحوادث التاريخية التي كان لها الأثر الواضح في تاريخ الدروز ، وهي في الوقت نفسه تعطينا وضوحا في طريقة تعامل الدروز مع المتغيرات والأحداث التي حدثت في العالم الاسلامي ، ونتعرف من خلالها كذلك على العقلية الباطنية التي تسير الطائفة الدرزية .

فعندما جاء الزحف المغولي الى بلاد الشام سنة ٦٥٧ هـ بزعامة هولاكو ، كانت السيطرة على لبنان بيد أمراء الدروز التنوخيين ، ولما دخل (كتبغا) ابن هولاكو دمشق جاءه الأمير التنوخي جمال الدين حجي الثاني معلنا خضوعه له ، مما جعل (كتبغا) يقر الأمير الدرزي أميرا على مقاطعة الغرب ، ولكن مجيء بيبرس من مصر على رأس جيش المماليك لمقاتلة المغول ، قلب موازين القوى — في ذلك الوقت — ، وهنا ارتأى الدروز أن (يلعبوا على الحبلين) ، وذلك أن يبقى أحدهم وهو الأمير جمال الدين بجانب كتبغا ، فيما ينضم الآخر أي الأمير زين الدين الى جانب المماليك ، بحيث يكون على قول صالح بن يحيى : (أي من انتصر من الفريقين كان أحدهما معه فيسد خلة رفيقه وخلة البلاد) ، لأن الانحياز الى أحد القوتين كان يعني المجازفة بمصيرهم فيما لو خسر الجانب الذي قد ينضمون اليه[١] ؟!

وبعد انتصار المماليك على المغول ، استولوا على بلاد الشام دون أن يتعرضوا لمناطق الدروز بسوء ، ولذلك وجهوا اهتمامهم لاحتلال المناطق الساحلية التي كانت لا تزال بيد الصليبيين ، ولكن بيبرس كانت تساوره الشكوك في حقيقة موقف

---

١ — أنظر تفصيل ذلك في كتاب تاريخ الموحدين الدروز السياسي/د. عباس أبو صالح ود. سامي مكارم ص ١١٢ ، ١١٣ .

الدروز ، وغدا مليئا بالشك والحذر منهم ، وذلك بعدما نبا الى علمه أن الأمراء الدروز على اتصال بوالي طرابلس الصليبي ، فأمر بسجنهم ليتسنى له أن يلتفت لغدر الصليبيين[1] .

وكل هذا كان قبل قيام الدولة العثمانية ، أما بعد قيامها ، فقد روادتهم الأحلام القديمة بقيام دولة مستقلة لهم ، وخاصة أنهم رأوا الفرصة سانحة لهم لانشغال العثمانيين بقتال الدول الأوربية المجاورة . فكان أن عملوا على تحقيق هذه الأحلام في عهد الأمير فخر الدين الثاني المنحدر من المعنيين ، الذي اتخذ في سبيل ذلك أسلوب المداورة عن طريق حروبه المحلية لبسط نفوذه على سائر بلاد الشام ، ولكن سياسته هذه جعلت العثمانيين يوجسون منه خوفا ، بيد أن تحركه على الصعيد الخارجي عززت تلك المخاوف وأثارت شكوك الباب العالي في ولاءه للعثمانيين ، وخاصة أن أهدافه الحقيقية بدأت بالوضوح عندما عقد مع دوق توسكانا معاهدة تجارية تضمنت بنودا سرية عسكرية ضد الدولة العثمانية ؟! فقرر السلطان العثماني التخلص من فخر الدين ، فجرد عليه حملة قوية برا وبحرا سنة ١٠٢٢ هـ/١٦١٣ م ، فهرب الى أوربا عن طريق ميناء صيدا بمساعدة سفينتين احداهما فرنسية وأخرى هولندية ، وهناك أراد أن يؤلب الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية ، فسعى جاهدا للحصول على مساعدات عسكرية من اسبانيا وفرنسا والفاتيكان ضد العثمانيين ، ولكن مسعاه فشل لأن الظروف الدولية في ذلك الوقت كانت في غير صالحه[2] .

وبحكم علاقة فخر الدين أمير الدروز الوطيدة بدول أوروبا فقد كان يعطف على الارساليات الأوروبية ويسمح بانشاء مراكز لها في لبنان وفلسطين ، وفضلا عن ذلك فقد بسط يد الحماية لجميع النصارى في بلاد الشام ، حتى صار الأوروبيون يدعونه (حامي النصارى في الشرق) ، وكان عطف الأمير على الموارنة وتحالفه معهم من أبرز مميزات سياسته الداخلية ، وكانت أيضا عاملا في هجرة الموارنة من مناطقهم الى مناطق المسلمين ، وانتشارهم في أكثر من ثلثي لبنان الحالي ، مما قوى مركزهم السياسي في لبنان بعد ذلك[3] ؟!

---

١ ــ أنظر تفصيل ذلك أيضا في المصدر السابق ص ١١٣ ، ١١٤ .
٢ ــ أنظر أيضا كتاب تاريخ الموحدين الدروز السياسي ص ١٣٣ ــ ١٣٦ .
٣ ــ المصدر السابق ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

وفي سنة ١٢٥٣ هـ/١٨٣٧ م ، قام الدروز بتمرد على محمد علي باشا ، في جبل الدروز بحوران بسبب تجريدهم من السلاح وتجنيدهم في الجيش ، وبقي هذا التمرد مشتعلا ، وخاصة بعد أن انضم اليه دروز وادي التيم ، رغم محاولات محمد علي القضاء عليه ، الى أن جرد عليه حملة قوية سنة ١٢٥٦ هـ .

وبعد أن وجدت الدول الأوربية الضعف بالدولة العثمانية ، عملت على استمالة الأقليات الموجودة داخله ، وخاصة في لبنان ، الذي كانوا يرون فيه مدخلا جيدا لكل مؤامرتهم على الدولة العثمانية ، وكانت فرنسا ترى في نفسها مدافعا شرعيا عن موارنة لبنان ، وقد اتخذت هذه الحجة الواهية ذريعة في سبيل زيادة تدخلها في شؤون الدولة العثمانية ، وهذه السياسة الفرنسية خوفت بريطانيا مما جعلها سنة ١٨٤١ م تستميل الدروز اليها وتقيم علاقة رسمية وودية معهم ومع زعمائهم ، ويظهر أن الانجليز قد فهموا أحلام الدروز باقامة دولة لهم ، فاستغلوها لاستمالتهم واقامة العلاقات الوطيدة معهم[١] . وقد بات هذا واضحا عندما ثار الدروز في جبلهم على الدولة العثمانية سنة ١٨٥١ م اذ امتنعوا عن دفع الضرائب ، فجردت الدولة العثمانية حملة لتأديبهم ، فتدخلت بريطانيا لدى الباب العالي ، وصدرت الأوامر من الأستانة بحل المشكلة الدرزية سلما ، وجاء في برقية الصدر الأعظم الموجهة الى مدحت باشا (والي الشام) بهذا الصدد (ان الانكليز لا يسرون بما تتخذه من التدابير لتأديبهم) . وهذا التدخل شجع الدروز ، اذ ما لبثوا أن اعتدوا على الكرك وأم الولد وحرقوا زرعهما في سنة ١٢٩٦ هـ/١٨٨٠ م ، وعلى قرية (المسمية) في حوران سنة ١٣٠٨ هـ/١٨٩٠ م .

ثم ثاروا في سنة ١٣١١ هـ/١٨٩٣ م و ١٣١٣ هـ/١٨٩٥ م وكذلك في سنة ١٣٢٨ هـ/١٩١٠ م . وكانت اعتداءات الدروز على أهالي حوران قد أثيرت في مجلس المبعوثان العثماني ، حيث ندد مبعوث حوران باعتداءات الدروز ، مطالباً الدولة باتخاذ الاجراءات العسكرية الرادعة ضدهم بعد اعتدائهم على الجيش والاهالي ، وأنهى خطابه بمطالبة الحكومة بسوق قوة عسكرية على حوران (لصيانة العرض والدين والمال وتأمين الرعية من الخوف)[٢] .

---

١ — المصدر السابق ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

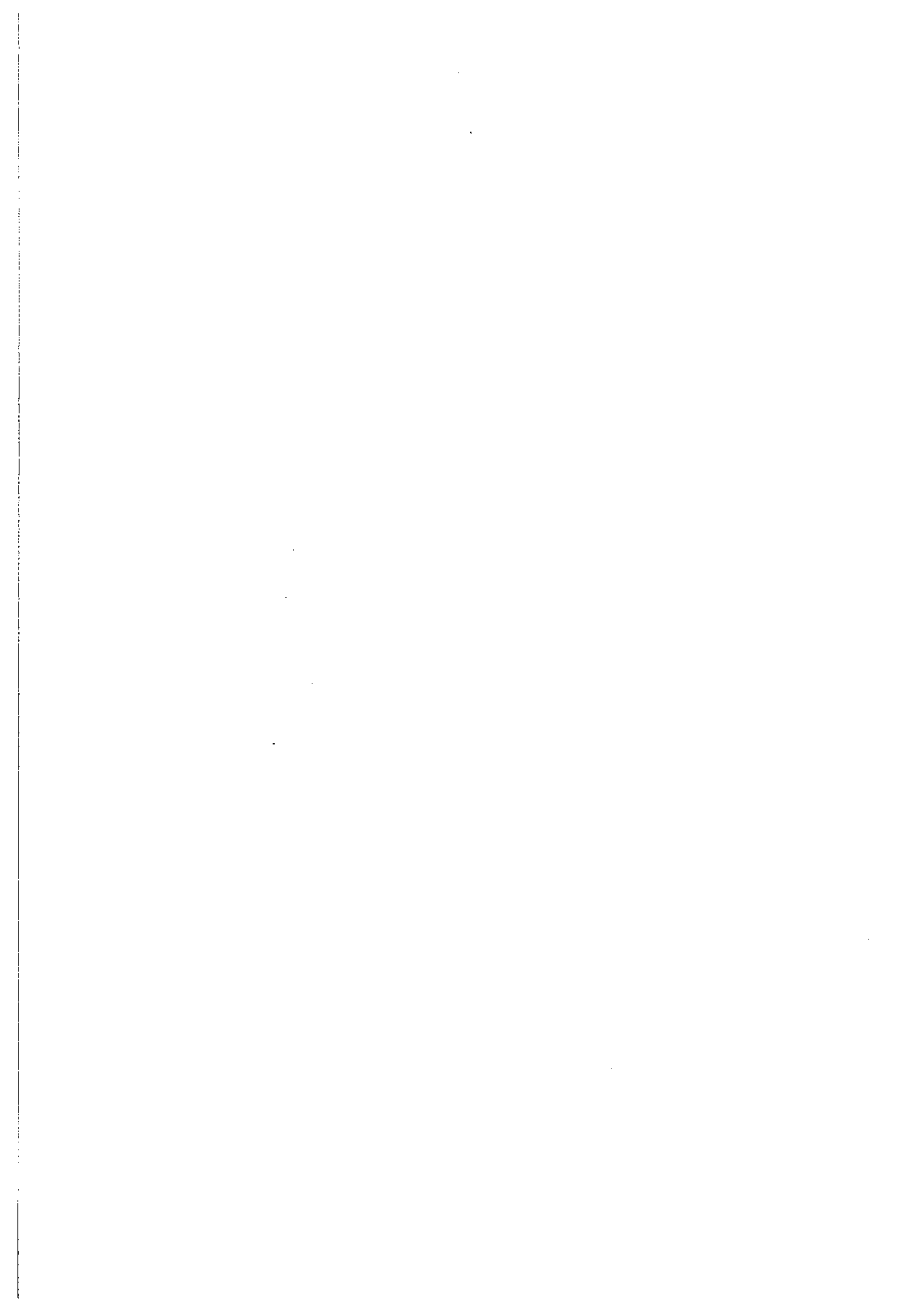
٢ — انظر كتاب الادارة العثمانية في ولاية سورية/محمد عبد العزيز عوض ص ١٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .

مما تقدم يتضح لنا بأن دروز حوران كانوا في شبه ثورة دائمة ضد الدولة ، وعندما كانت الولاية تعرض عليهم برامج الاصلاح وتطلب من زعمائهم مساعدتها في تطبيقها ، كان الزعماء يقبلون ذلك ثم يرفضونه وهكذا ، وبالرغم من ذلك فلقد حاولت ولاية سورية اصلاح الأوضاع الادارية في منطقة جبل الدروز عن طريق نشر التعليم بين الدروز بانشاء المدارس وتعليمهم مبادىء الدين الاسلامي ، واتبعت سياسة اللين والرفق مع رؤسائهم الروحانيين ، وذلك باستدعائهم إلى دمشق وبذل المساعي لاقناعهم بقبول الاصلاحات ، فيبدي الزعماء رضاهم التام لدرجة المطاوعة والانقياد ، ولكنهم لم يثبتوا على ذلك طويلا (١) . وهكذا يبدو أن ثورات الدروز المستمرة ضد الدولة العثمانية وخاصة بعد سنة ١٨٤١ م ، كانت تهدف بالدرجة الأولى الاستقلال عن الدولة وبسط السيطرة الدرزية على لواء حوران بمساعدة وتأييد بريطانيا .

هذا ملخص لمذهب الدروز وتاريخهم ، نجعله كبداية للدخول في الفصل الثاني ، وهو تفصيل لكل العقائد التي يؤمن بها أبناء هذه الطائفة ، والذي سيختتم بحكم الاسلام في هذه الطائفة وعقيدتها .

---

١ ــ المصدر السابق ص ٢٩٣ .



الفصل الثاني

الجانب الباطني في عقائد الدروز

١ ـــ دعوى ألوهية الحاكم عندهم ، ونظرتهم للاهوت والناسوت

العقيدة الرئيسية التي يركز عليها حمزة بن علي ونراها في رسائله ، ورسائل غيره من دعاة الدروز ، هي ألوهية (الحاكم بأمر الله) ، باعتبار أن له حقيقة لاهوتية لا تدرك بالحواس ولا بالأوهام ، ولا تعرف بالرأي ولا بالقياس ، مهما حاول الانسان أن يعرف كنهها ، لأن هذا اللاهوت ليس له مكان ، ولكن لا يخلو منه مكان ، وليس بظاهر كما أنه ليس بباطن . حتى أنه لا يوجد اسم من الأسماء ، ولا صفة من الصفات يطلق عليه .

وهكذا ـــ وكما يقول الدكتور محمد كامل حسين ـــ: يتفق ذكر التوحيد في رسائل الدروز ، وحديثهم عن لاهوتية المعبود ، يتفق تمام الاتفاق مع ما ورد في كتب الدعوة الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى . ففي كتاب « راحة العقل » لأحمد حميد الدين الكرماني ، الذي كان معاصرا لحمزة بن علي ، نجد سورا كاملا ذا سبعة مشارع في التوحيد والتقديس ، وحديثه في ذلك كله هو حديث رسائل الدروز . فقد جعل الكرماني المشرع الأول : في بطلان كونه تعالى ليسا [١] ، والمشرع الثاني : في بطلان كونه تعالى أيسا [٢] ، والمشرع الثالث : في أنه تعالى لا ينال بصفة من الصفات ، وأنه لا بجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ... ثم

---

١ ـــ أي محال ليسيته ، اذ لو كان ليسا لكانت الموجودات أيضا ليسا ، فلما كانت الموجودات موجودة ، كانت ليسيته باطلة .

٢ ـــ أي موجود مثل سائر الموجودات المخلوقة .

ختـم المشرع السابع ، الذي جعله من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى » (١) .

وعلى هذا الأساس الاسماعيلي ، فان الدروز لا يعتقدون أن الله دخل في جسم ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، ولكنهم يعتقدون أنه سبحانه اتخذ له حجاباً وصورة ناسوتية ، احتجب بها أمام الناس ، ويعبر حمزة عن ذلك في « الرسالة الموسومة بكشف الحقائق » فيقول : « أنتم جميع المسلمين واليهود والنصارى ، تعتقدون بان الله عز وجل خاطب موسى بن عمران من شجرة يابسة ، وخاطبه من جبل جامد أصم ، وسميتموه كليم الله لما كان يسمع من الشجرة والجبل (٢) ، ولم ينكر بعضكم على بعض ، وأنتم تقولون بان مولانا جل ذكره ملك من ملوك الأرض ، ومن ولي على عدد من الرجال ، كان له عقل الكل ، ومولانا جل ذكره يملك أرباب ألوف كثيرة ما لا يحصى ولا يقاس فضيلته بفضله ، شجرة أو حجر ، وهو أحق أن ينطق الباري سبحانه على لسانه ، ويظهر للعالمين قدرته منه ، ويحتجب عنهم منه . فاذا سمعنا كلام مولانا جل ذكره قلنا : قال الباري سبحانه : كذا وكذا . لا كما كان موسى يسمع من الشجرة هفيفا فيقول : سمعت من الله كذا وكذا ، وهذه حجة عقلية لا يقدر أحدكم ينكرها ... فالذي يعقل ويفهم أحق أن يكون حجاب الله ممن لا يعقل ولا يفهم ، وكيف يجوز الباري سبحانه أن يحتجب في شجرة ويخاطب كليمه منها ثم تحرق الشجرة ويتلاشى حجابه سبحانه الاله المعبود عما يصفون » (٣).

والدروز يعتقدون أن الصورة الناسوتية للاله المعبود ظهرت في الأدوار الماضية ، ويعتقدون أنها سبعة أدوار ـ كما تعتقد الاسماعيلية في أئمتها ـ ، والاله المعبود أظهر ناسوته في هذه الأدوار عشر مرات أو مقامات ، فهو في نظرهم واحد لا يتغير في كل دور أو مقام ، « فهو القائم ، وهو المعز ، وهو العزيز ، وهو الحاكم جل ذكره ، يظهر لنا في أي صورة شاء كيف شاء » (٤) .

١ ـ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
٢ ـ كلام حمزة هذا يبين لنا تكذيبهم وانكارهم أن يكون موسى كليم الله .
٣ ـ الرسالة الموسومة بكشف الحقائق .
٤ ـ رسالة السيرة المستقيمة .

أما المقامات الناسوتية التي يعتقد الدروز أن المعبود ظهر فيها فيرتبونها كما يلي :
« ١ ــ **العلي** ٢ ــ **البار** ٣ ــ **أبو زكريا** : ظهر في وقت السماء الثالثة سنة ٢٢٠ هـ . ٤ ــ **علي** : ظهر في وقت السماء الرابعة . ٥ ــ **المعل** : ظهر في وقت السماء الخامسة . ٦ ــ **القائم** : كان طفلا استودعه مع سر امامته أبوه المعل برعاية سعيد المهدي الملقب بـ (عبيدالله) سنة ٢٨٠ هـ ، وكان سعيد في العشرين من عمره ، هرب بالقائم من وجه العباسيين الى مصر سنة ٢٨٩ هـ ، ثم إلى شمال افريقيا سنة ٣٠٨ هـ ، وهو مؤسس الدولة الفاطمية . تلاه المنصور الذي حكم من سنة ٣٣٤ هـ الى سنة ٣٤١ هـ ، ثم المعز من سنة ٣٤١ هـ إلى سنة ٣٦٥ هـ ، وهما مع القائم يعتبرون في المذهب الدرزى ذاتا واحدة . ٧ ــ **العزيز** : من سنة ٣٦٥ هـ الى سنة ٣٨٦ هـ ، **وأخيرا الحاكم بأمر الله** (١) ».

والاعتقاد بهذه المقامات العشرة ، واجب مؤكد على الدرزى ، حيث تقول احدى رسائلهم المخطوطة : « ويجب معرفته تعالى في المقامات العشرة الربانية وهم : العلي ، والبار ، وأبو زكريا ، وعليا ، والمعل ، والقائم ، والمنصور ، والمعز ، والعزيز ، والحاكم ، وكلهم إله واحد لا إله إلا هو . فالعلي الأعلى ... لم يكن قبله شيء وظهر في أول الدنيا ، ثم البار ... وظهوره في أواخر أدوار الدنيا ... ثم بعد غيبة مقام البار سبحانه وتعالى ، ظهر آدم الجزي ... وأما ظهور أبي زكريا وعليا والمعل ، كان بامامة مستورة في دور محمد بن اسماعيل ، ثم بعد سعيد المهدي ظهر البار سبحانه في مقام القائم والمنصور والمعز والعزيز ، وذلك في الخلافة الظاهرة والامامة الباطنة . وأما مقام الحاكم فظهر بالثلاث منازل المذكورة ، ثم تجرد بالوحدانية وكشف توحيده مدة من السنين (٢) .

ويقول الدكتور محمد كامل حسين : « وليس لنا أن نناقش هذه العقيدة ، إلا أننا نحب أن نسجل أن ظهور أبي زكريا القرمطي كان أسبق من ظهور القائم بأمر الله (٣) .

---

١ ــ مذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار ص ٩٥ ، ٩٦ .
٢ ــ مخطوطة ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به ويحفظه ويسلك بموجبه .
٣ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١٠٧ .

أما لماذا ظهر اللاهوت بصورة ناسوتية ، فيجيب حمزة عن ذلك ويقول : « لكنه سبحانه أظهر لنا حجابه الذي هو محتجب فيه ، ومقامه الذي ينطق منه ليعبد موجودا ظاهراً ، رحمة منه لهم ، ورأفة عليهم . والعبادة في كل عصر وزمان لذلك المقام الذي نراه ونشاهده ونسمع كلامه ونخاطبه (١) » . فلما كان العبيد عاجزين عن النظر الى التوحيد باريهم إلا من حيث هم وفي صورهم البشرية ، أوجبت الحكمة والعدل أن يتسمى بأسمائهم حتى يدركوا بعض حقائقه (٢) .

ولكي يبرهن دعاة الدروز أن عبادتهم للصورة الناسوتية هي العبادة الصحيحة ، فانهم يحاولون أن يشككوا في عبادة باقي النحل والأديان الأخرى ، باعتبارها عبادة عدم ، تمت بلا معرفة ولا مشاهدة . يقول بهاء الدين : « وذلك أن جميع أهل النحل والأديان يعترفون وينكرون اذا دعوا الى حقيقته كما قال (٣) : « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها (٤) » . أي يقرون أن لهم باريا ، فاذا دعوا إلى معرفة توحيده أنكروا وجوده ، وكلهم أعني من قدمت ذكره من جميع أهل النحل والأديان ، يوجبون على أنفسهم عبادة يرجون بها ثوابه ويفرون بها من عقابه ، والعقل يقطع ويشهد ويوجب أن الثواب لا يصح ولا يثبت إلا من بعد معرفة المثيب اذا كان الخلق إلى معرفة المثيب هم أحوج منه إلى معرفة ثوابه ، وأيضا جميع أهل الشرع والمذاهب المتقدمة (٥) » .

ولم يكتف بهاء الدين بهذه الأوهام ، بل حاول أن يشكك في وجود الله سبحانه وتعالى فوق سبع سماوات فيقول : « وجميع العالم على شك ، والشك هو الكفر لأنهم يعبدون من لا يسمع ولا يسمع ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يدرون هل عبادتهم مراده ، أو أراد منهم شيئا مما أجازته عقولهم . وأيضا فقد تقدم القول بأن المولى جل ذكره عادل غير جائر ، تعالى وجل عما يقوله الملحدون علوا كبيرا ، فأي

١ ــ الرسالة الموسومة بكشف الحقائق .
٢ ــ رسالة السيرة المستقيمة .
٣ ــ هذه هي طريقة حمزة ودعاته فانهم عندما يأتون بآية من القرآن ، يذكرون قال بدون ذكر القائل .
٤ ــ يشير إلى الآية الكريمة « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » سورة النحل ، آية ٨٣ .
٥ ــ الرسالة الموسومة بالشافية لنفوس الموحدين .

عدل يقتضي أن يكون فوق سبع سماوات على كرسي فوق السماء السابعة كما يزعم المشركون (١) ، وقد كلفنا مع هذا عبادته ومعرفته ، فهل في وسع أحد أن يعرف ما خلف الجدار الذي هو أقرب إليه من كل قريب إن لم يكشف عنه وينظره بعينه ، فنعوذ بالمولى أن ننسبه انه احتجب بهذه الحجبة ، ثم كلفنا مع ذلك عبادته ومعرفته ، بل ظهر الله تعالى بهذه الصورة الناسوتية التي تشاكلنا من حيث المجانسة والمقابلة ، فهذا نفس العدل ....

فلما صح عند ذوى العلم والمعرفة والفهم ، أن ابن آدم أفضل الأشياء كلها وجب أن يحتجب البارى جلت قدرته في أجل الأشياء (٢) » .

وهم بالاضافة إلى تلك التبريرات السخيفة التي يسوقونها في سبب ظهور اللاهوت بصورة ناسوتية . يأتون أيضا بشيء أخر ، وهو أن الناس لا تطيق مقابلة الأهوة ، فلو انكشف لها من غير تأنيس ولا تدريج لصعقت لقدرته وخرت ، فأظهر صوره الناسوتية رفقا بالناس وطمأنينة لقلوبهم (٣) .

وهناك اعتقاد مهم آخر ، يجب على الدرزى أن يؤمن به ، وهو أن الناسوت لا ينفصل عن اللاهوت ، ذلك أن الحجاب هو المحجوب ، والمحجوب هو الحجاب ، فالناسوت في اللاهوت مثل الخط من المعنى (٤) .

ويوضح هذه النقطة الدكتور سامي مكارم فيقول : « ويمكننا أن نقول : أن الناسوت من اللاهوت كالخط من المعنى ، وكما أن فكر الانسان المحدود بالكيفية والاضافة والزمان وما شابه ذلك لا يستطيع أن يدرك المعاني مجردة من الخط او الصورة أو الصوت ، كذلك لا يمكن أن يدرك اللاهوت بوجه من الوجوه ، وإنما

---

١ — من هذا يتبين لنا أن دعاة الدروز يعتبرون اثبات العلو لله سبحانه وتعالى شركا ، أما قولهم أن الحاكم — والذي هو عبد من عبيده سبحانه — هو الله — تعالى عن ذلك — فلا يعتبر شركا ، فيا سبحان الله فانها (لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) .

٢ — رسالة من دون قائم الزمان والهادى إلى طاعة الرحمن .

٣ — مخطوطة شرح الميثاق / محمد حسين .

٤ — المصدر السابق .

يتجلى الله في الناسوت ، ويكون هذا الناسوت قد تنزه عن كل ما ليس هو في حقيقته وشموله ، فأضحى تشخيصاً للانسان الكامل ، أي ناسوتا مجرداً متطهراً مثالياً متنزلا بتجرد الباقي السرمدى فيه عن التوهم . وهذا هو التأنيس بالنسبة للأخرين [1]» .

هذه هي نظرتهم للاهوت والناسوت ، تظهر لنا بجلاء أن الدروز يؤمنون بظهور الله في شخص انسان ، لأن الانسان في نظرهم هو الأولى باحتجاب الله في صورته ، بصفته أفضل المخلوقات . وأن ظهور الله ــ سبحانه وتعالى عما يقولون ــ بصورة ناسوتية سببه ــ كما يزعمون ــ رحمة الله للناس ، وعدلا منه لهم في مشاهدتهم اياه ليؤمنوا به وبوجوده .

وبما أن الحاكم بأمر الله هي الصورة الناسوتية الأخيرة لله ــ كما يزعمون ، فهم لهذا يعبدونه ويقدسونه ، وينتظرون ظهوره بعد غيبته ــ أو مقتله ــ . وهذا المعتقد هو المرتكز الرئيسي التي تقوم عليه عقيدة الدروز ، (وميثاق ولي الزمان) يعبر تعبيراً واضحاً عن حقيقة هذه العبادة ، والتي لا تتم إلا بعد ان يتبرأ الانسان من كل الأديان والمعتقدات الأخرى ، وهذا العهد وضعه حمزة بن علي ، ليؤخذ على كل من دخل بدعوته ، بصفتها دين جديد ، وفيما يلي نص هذا الميثاق :

« توكلت على مولانا الحاكم الأحد ، الفرد الصمد ، المنزه عن الأزواج والعدد ، أقر فلان بن فلان ، اقرارا أوجبه على نفسه ، وأشهد به على روحه ، في صحة من عقله وبدنه ، وجواز أمره ، طائعاً غير مكره ولا مجبر .

أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات ، كلها على أصناف اختلافاتها ، وأنه لا يعرف شيئا غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره ، والطاعة هي العبادة . وأنه لا يشرك في عبادته أحدا مضى أو حضر أو ينتظر ، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ، ورضي بجميع أحكامه له وعليه ، غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ساءه ذلك أم سره .

---

١ ــ أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ١٢٨ .

ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه وأشهد به روحه ، أو أشار به الى غيره ، أو خالف شيئا من أوامره . كان بريا من الباري المعبود ، واحترم الافادة من جميع الحدود ، واستحق العقوبة من البار العلي جل ذكره .

ومن أقر أن ليس في السماء اله معبود ، ولا في الأرض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين .

كتب في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من سنين[1] عبد مولانا جل ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد ، هادى المستجيبين ، المنتقم من المشركين والمرتدين بسيف مولانا جل ذكره ، وشدة سلطانه وحده »[2] .

ولا يزال هذا الميثاق يأخذ به الدروز الى الآن ، حيث يقسم به الجاهل منهم حين دخوله في سلك العقال ، والدليل على ذلك وروده في مصحف الدروز الذي وضعه كمال جنبلاط ، ولكن يبدو أن جنبلاط قد أضاف شيئا اخر الى هذا الميثاق ، وهو (العهد) مما يعطي انطباعا لقارىء مصحفهم أن العهد والميثاق متلازمان في العقيدة الدرزية ، ولأهمية نصوص هذا العهد ، والتي توضح كذلك بقاء هذه العقيدة في نفوس الدروز ، وهي عبوديتهم للحاكم الى الان ، نورد نص هذا العهد :

« آمنت بالله ، ربي الحاكم ، العلي الأعلى ، رب المشرقين ، ورب المغربين ، واله الأصلين والفرعين ، منشىء الناطق والأساس[3] ، مظهر الصورة الكاملة بنوره ، الذي على العرش استوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، وأمنت به ، وهو رب الرجعى ، وله الأولى والآخرة ، وهو الظاهر والباطن .

---

١ ـــ وضع حمزة لأتباعه تقويما خاصا بهم ، ويسمى الان عند الدروز (تقويم حمزة) وتبدأ السنة الأولى في هذا التقويم من عام (٤٠٨) هـ ، والتي كان بها اظهار الدعوة لتأليه الحاكم .

٢ ـــ مخطوط ميثاق ولي الزمان .

٣ ـــ هذه المصطلحات هي مصطلحات شيعية لكل فرق الشيعة ، فالناطق تعني النبي ، والأساس تعني الوصي أو الامام .

وأمنت بأولي العزم من الرسل ، ذوي مشارق التجلي المبارك حولها ، وبحاملي العرش الثمانية ، وبجميع الحدود[1] ، وأومن عاملا قائما بكل أمر ومنع ينزل من لدن مولانا الحاكم ، وقد سلمت نفسي وذاتي وذواتي ، ظاهرا وباطنا ، علما وعملا ، وأن أجاهد في سبيل مولانا ، سرا وجهرا بنفسي ومالي وولدي وما ملكت يداي ، قولا وعملا ، وأشهدت على هذا الاقرار جميع ما خلق بمشارقي ، وما مات بمغاربي .

وقد التزمت وأوجبت على هذا : نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي ، واني أقر بهذا ، غير مكره أو منافق ، وانني أشهد مولاي الحق الحاكم ، من هو في السماء اله وفي الأرض اله ، وأشهد مولاي هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين المرتدين ، حمزة بن علي بن أحمد ، من به أشرقت الشمس الأزلية ، ونطقت فيه وله سحب الفضل : **انني قد برأت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها وحديثها ، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الذي لا أشرك في عبادته أحدا في جميع أدواري**[2] .

وأعيد فأقول : أنني قد سلمت روحي وجسمي وما ملكت يداي وولدي لمولانا الحاكم جل ذكره ، ورضيت بجميع أحكامه لي أو علي ، غير معترض ولا منكر منها شيئا ، سرني ذلك أم ساءني ، واذا رجعت أو حاولت الرجوع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره ، والذي كتبته الان واشهدت به على روحي ونفسي ، أو أشرت بالرجوع الى غيره ، أو جحدت أو خالفت أمرا أو نهيا من أوامر مولاى الحاكم جل ذكره ونواهيه . كان مولاي الحاكم جل ذكره ، بريئا مني واحترمت الحياة من جميع الحدود ، واستحقت علي العقوبة في جميع أدواري من باريء الأنام جل ذكره ، وعلى هذا أشهدك ربي ومولاي ، من بيدك الميثاق ، وأقر بأنك أنت الحاكم الاله الحقيقي المعبود ، والامام الموجود جل ذكره ، فاجعلني من الموحدين الفائزين الذين جعلتهم في أعلى عليين ، ثلة من الأولين ، وقليل من الأخرين ، مولاي ان تشاء آمين »[3] .

---

١ — أي الحدود الخمسة والتي سيأتي تفصيلها في هذا الفصل .

٢ — أي في جميع الاجسام التي يظهر بها ، لان الدروز كما سيأتي يؤمنون بالتناسخ ، أي أن النفس لا تموت ولكن الجسم هو الذي يبلى فينتقل الى جسم آخر .

٣ — المصحف المنفرد بذاته/عرف العهد والميثاق ص ١٠٧ — ١١٠ .

وقد أورد القلقشندي نصا غريبا ليمينهم هذه ، لا يتوافق مع معتقداتهم ، وخاصة بالنسبة للدرزي ، الذي يصفه هذا القسم بأنه : « الحجة الرضية »[1] ، وهذا لا يقبله الدروز .

وهكذا فان هذا الميثاق وغيره يبتر أي صلة بين الدرزي وكل المذاهب والأديان الأخرى ، ويدفعه لتلقي كل ما يرويه حمزة وتلاميذه ، ـــ ابتداء ببهاء الدين وانتهاء بجنبلاط وأمثاله ـــ ، عن الحاكم وألوهيته بالرضى والتسليم .

ولعل حمزة بن علي في رسالته المسماة بـ « كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل » ، يوضح هـــذا الدافع ، حيث جعل في هذه الرسالة جميع أقوال وأفعال الحاكم دليل على ألوهيته ، لأنها رموز واشارات لها تأويل باطني لا يفقهه الناس ، لذلك فقد انبرى حمزة ليظهر هذه الرموز والاشارات .

ولهذه الرسالة أيضا أهمية خاصة فيما يتعلق بتأييد الأخبار المروية عن كتب المؤرخين عن أفعال الحاكم الغريبة الشاذة والمتناقضة ، اذ فيها دليل قاطع على أن هؤلاء المؤرخين لم يفتروا شيئا ، ولم ينقلوا اشاعات كاذبة[2] .

وحمزة لم يكتب هذه الرسالة الا بعد أن كثرت الأقوال والشائعات عن تصرفات الحاكم الغريبة والشاذة ، لذا نجده يقول في بداية هذه الرسالة : « أما بعد ، معاشر الأخوان الموحدين ، أعانكم المولى على طاعته ، انه وصل الي من بعض الأخوان الموحدين[3] ـــ كثر المولى عددهم وزكى أعمالهم ، وحسن نياتهم ـــ رقعة يذكرون فيها ما يتكلم به المارقون من الدين ، الجاحدون لحقائق التنزيه ، ويطلقون ألسنتهم بما يشاكل أفعالهم الردية ، وما تميل اليه أديانهم الدنية ـــ فيما يظهر لهم من أفعال مولانا ـــ جل ذكره ـــ ونطقه ، وما يجري قدامه من الأفعال التي فيها حكمة بالغة شتى .... ولم يعرفوا بأن أفعال مولانا ـــ جل ذكره . كلها حكمة بالغة ، جدا

---

١ ـــ أنظر صبح الأعشى/القلقشندي جـ ١٣ ص ٢٩٤ .

٢ ـــ أنظر مذاهب الاسلاميين/د. عبد الرحمن بدوي جـ ٢ ص ٧٥٧ .

٣ ـــ هذا اللقب يطلقه حمزة وأتباعه على أنفسهم ، ويحبون أن يطلقه عليهم الناس .

كانت أم هزلا ، يخرج حكمة ويظهرها بعد حين .... فكيف أفعال من لا تدركه الأوهام والخواطر بالكلية ، وحكمته اللاهوتية هي من رموزات واشارات لبطلان النواميس ، وهلاك الجواميس .... ولو نظروا الى أفعال مولانا جلت قدرته بالعين الحقيقية ، وتدبروا اشاراته بالنور الشعشعاني ، لبانت لهم الألوهية والقدرة الأزلية ، والسلطان الأبدية ... وعلموا حقيقة المحض في جده وهزله »[1] .

ثم يبدأ حمزة بعد هذا في الدفاع عن تصرفات الحاكم ، محاولا تبريرها بكل الوسائل ، باعتبار أن لها تأويلا باطنيا لا يعرفه الا هو ، ومما قاله حمزة من هذه التبريرات قوله « ثم ان مولانا علينا سلامه ورحمته ، ظهر لنا في الناسوت البشرية ، ونزوله عن الحمار الى الأرض ، وركوبه محاذي باب السجد ، دليل عتلى تغيير الشريعة ، واثبات التوحيد ، واظهار الشريعة الروحانية على يد عبده حمزة بن علي بن احمد .... ونزوله عن الحمار الى الأرض وركوبه الآخر كان في نفس آذان الزوال ، وصلاة الزوال دليل عتلى الناطق ، وتغيير مولانا جل ذكره الحمار في نفس وقت الأذان ، دليل على ازالة الظاهر ..... أما ما يرونه من وقوفه في الصوفية ، واستماعه لأغانيهم ، والنظر الى رقصهم ، فهو دليل على ما استعمل من الشريعة[2] التي هي الزخرف واللهو واللعب ..... وأما لعب الركابية بالعصي والمقارع ، قدام مولانا جل ذكره فهو دليل على مكاسرة أهل الشرك والعامة وتشويههم بين العالم ، واظهار أديانهم المغاشم ، ويكشف زيفهم باستجرائهم على المخاطبة بحضرته . أما الصراع ، فهو دليل على مفاتحة الدعاة بعضهم لبعض ، وقد كان للعالم في قتل سويد والحمام عبرة لمن اعتبر ، ونجاة من الشرك لمن تدبر ، لأنهما كانا رئيسين في الصراع ، ولكل واحد منهما عشيرة وأتباع ، وهما دليلان على الناطق والأساس[3] ، وقتلهما دليل على تعطيل الشريعتين التنزيل والتأويل[4] ، والهوان بالطائفتين أهل الكفر والتلحيد ..... وأما ما ذكره الركابية من ذكر الفروج والأحاليل ، فهما دليلان على الناطق والأساس ، وقوله : « أرني قمرك » يعني اكشف عن أساسك ، وهو موضع يخرج منه القذر ،

---

١ ــ رسالة « كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل » .

٢ ــ اي الشريعة الاسلامية .

٣ ــ يقصد بالناطق (محمد ﷺ) ، والأساس هو علي ابن أبي طالب .

٤ ــ يقصد بالشريعتين ، الاسلامية والاسماعيلية ، فالتنزيل هو الاسلام ، والتأويل ــ أي التأويل بالباطن ــ هو المذهب الاسماعيلي التي قامت عليه الدولة الفاطمية .

دليل على الشرك ، فاذا كشف عن أساسه وأخرج قبله ، أي عبادة أساسه ، نجا من العذاب والزيغ في اعتقاده ، ومن شك هلك .

كما أن الانسان اذا لم يبل ولا يتغوط أخذه القولنج فيهلك . والنار ها هنا علم الحقيقة ، وتأييده جل ذكره ، فيحرق ما أتت به الشريعتان ، كما أنهم يحرقون فروج بعضهم بعضا في النار ، دليل على احتراق دولتهما وانقضاء مدتهما ، واظهار توحيد مولانا جل ذكره بغير شاك فيه »[١] .

وبالاضافة الى الرسالة السابقة ، هناك رسالة أخرى لحمزة هي : « رسالة السيرة المستقيمة » يعطينا فيها حمزة المزيد من تأويلاته الحلزونية لأفعال الحاكم الغريبة ، ومما جاء فيها : « ومن رسوم مولانا جل ذكره الركوب في الهاجرة ، والمسير في الرمضاء وفي الشتاء ، اذا كان يوم ريح جنوب صعب وغبار عظيم يتأذون الناس في بيوتهم من ذلك الريح والغبار . ثم يركب المولى سبحانه في ظاهر الأمر الى حجر الجب ، ويرجع وما في الموكب أحد الا وقد دمعت عيناه من الغبار والريح ، وكلّت ألسنتهم عن النطق الفصيح ، وناهم من المشقة والتعب ما لم يقدر عليه أحد ، ومولانا سبحانه على حالته التي خرج بها من الحرم المقدس ، ولم يره أحد قط في وقت الهاجرة الهائلة والسموم القاتلة قد إسود له وجه في ظاهر الأمر ، ولا لحقه شيء من تعب ، ولا يقدر أحد منهم يقول بأنه لحقه شيء من ذلك .... ولا يقدر أحد يقول ممن حضر مع مولانا سبحانه في ظاهر الأمر في مواضع لا يحضرها كل الناس ، أنه شاهده يفعل شيئا مما ذكرناه من تعب أو أكل أو شرب حاشاه سبحانه عن ذلك ...... فكيف من يزعمون أنه مريض ، وليس يقدر يمشي ، وقد قتل جبابرة الأرض وملوكهم ، ويمشي بينهم في محفة ، وهو الذي ذكرته لكم في هذه السيرة وأضاف هذه الأفعال ليس هي فعل أحد من البشر ، وما هو شيء يستعظم للمولى سبحانه »[٢] .

وهكذا نرى أن حمزة لم يأت بجديد في موضوع ألوهية الحاكم وان فاق الكثير دهاء ومكرا وعداوة للاسلام ، وتلاعبا بالألفاظ ، فتواضع الحاكم وشجاعته وشدته دليل على ألوهيته ، بل سدل شعره وارتداؤه الصوف واللعب بالاحليل والفرج دليل كذلك .

---

١ ـــ كتاب فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل .

٢ ـــ رسالة السيرة المستقيمة .

وان الانسان العاقل وهو يقرأ هذه السخافات لا يستطيع الا أن يرثي لحال هؤلاء الذين ــ لا يزال حمزة وتلاميذه ــ يلعبون بعقولهم فيؤمنون بأقواله وسخافاته المهينة للعقل الانساني .

والدروز بالاضافة لما سبق ينفون عن الحاكم أنه ابن العزيز ، أو أبو علي ، أو له أب أو ولد ، وهذا ما ينفيه حمزة في احد رسائله فيقول : « فالحذر الحذر ، أن يقول واحد منهم بأن مولانا جل ذكره : ابن العزيز ، أو أبو علي ، لأن مولانا سبحانه هو في كل عصر وزمان يظهر في صورة بشرية وصفة مرئية كيف يشاء حيث يشاء ..... الى أن يقول : وهو سبحانه لا تغيره الدهور ولا الأعوام ولا الشهور ، وانما يتغير عليكم بما فيه صلاح شأنكم ، وهو تغيير الاسم والصفة لا غير ... وأما من قال واعتقد بأن مولانا جل ذكره ، سلم قدرته ونقل عظمته الى الأمير علي[1] .... فمن منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه ويستقيل منه ويستغفر المولى جل ذكره ...... فلا يجوز لأحد يشرك في عبادته ابنا ولا أبا ، ولا يشير الى حجاب يحتجب مولانا جل ذكره فيه الا بعد أن يظهر مولانا جل ذكره أمره .... فحينئذ لا مرد لقضائه »[2] .

أما لماذا تسمى الاله المعبود بأسماء العباد ؟ وخاصة باسم الحاكم ؟ فيجيب عليه حمزة في عدد من رسائله ويقول : « فان قال قائل : فلم تسمى المولى سبحانه باسم العبد ، وما الحكمة فيه ؟ قلنا له بتوفيق مولانا جل ذكره وتأييده : أن جميع ما يسمون الباري جل ذكره في القرآن وغيره فهو لعبيده وحدوده ، وأجل اسم عندهم[3] في القرآن (الله) ... فلما كانت العبيد عاجزين عن النظر الى توحيد باريهم الا من حيث هم وفي صورهم البشرية ، أوجبت الحكمة والعدل أن يتسمى بأسمائهم حتى يدركون بعض حقائقه »[4] ، « وأراد بالحاكم ، أي يحكم على جميع النطقاء والأسس والأئمة والحجج ويستعبدهم تحت حكمه وسلطانه ، وهم

---

١ ــ هو ولي عهد الحاكم وابنه ، والذي تسمى بـ (الظاهر) .
٢ ــ رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد .
٣ ــ أي عند المسلمين .
٤ ــ رسالة السيرة المستقيمة .

عبيد دولته ومماليك دعوته الحاكم بذاته .... وكذلك : ترك الاعتراض فيما يفعله مولانا جل ذكره ، ولو طلب من أحدكم أن يقتل ولده لوجب عليه ذلك بلا اكراه قلب ، لأن من فعل شيئا وهو غير راض به لم يثب عليه ، ومن رضي بأفعاله وسلم الأمر اليه ، ولم يراء امام زمانه ، كان من الموحدين الذين لا خوف عليهم »[1] .

وفي شرح « ميثاق ولي الزمان » يوضح الشارح معنى معرفة الحاكم وطاعته والتي وردت في ميثاق ولي الزمان فيقول : « والمعرفة ها هنا بالفعل لا بالعلم ، يعني أنه لا يدخل في عبادة الحاكم سبحانه ولا يعتقد سواه ..... والطاعة هي العبادة ، لأن العبادة في هذا الموضع تأليه وتقديس ، وفي غير هذا الموضع العبادة هي الاتباع والطاعة مطلقا »[2] .

لهذا فان مصحف الدروز يتوعد الذين لا يعرفون الحاكم هذه المعرفة ولا يطيعونه هذه الاطاعة بالعذاب الشديد ويقول : « لئن ينتعل أحدكم بنعلين من نار ، يغلي بهما دماغه من حرارة نعليه ، انه لأهون ، وأدنى عذابا ، من رافض دعوة مولاه الحاكم ، بعد اذ تبين الرشد من الغي ....الى أن يقول : ولو أن من في الأرض استغفر لهم لن يغفر الله مولاهم الحاكم الصمد ، والفرد بلا عدد ، والواحد الأحد ، خطيئاتهم ، ولو افتدى أحدهم بما في الأرض جميعا فلا ينجيه »[3] .

وهذا ولا يزال الدروز الى الان يترقبون عودة الحاكم ـــ الغائب ـــ ، لأن الحاكم في نظرهم لم يمت ، بل غاب لأنه غضب على كل خلقه ما عدا الموحدين ؟! ولذلك أغلق باب دعوته فغاب الى داخل السور المسمى (سد الصين) ليبقى الى أن يشاء ثم يظهر يوم الدين[4] .

أما متى يكون يوم الدين هذا ، فان حمزة ودعاته لم يحددوه لنا ، ولكنهم يقولون : « أنه متى حلت الساعة ، يقوم جند الموحدين من ناحية الصين ،

---

١ ـــ رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد .

٢ ـــ شرح الميثاق/ مخطوط كتبه محمد حسين .

٣ ـــ المصحف المنفرد بذاته/عرف الانذار والحساب ص ١٩ ـــ ٢٥ .

٤ ـــ أنظر كتاب طائفة الدروز/محمد كامل حسين ص ١٠٩ .

ويقصدون الى مكة في كتائب جرارة ، وفي غداة وصولهم يبدو لهم الحاكم على الركن اليماني من الكعبة ، وهو يشهر بيده سيفا ، ثم يدفعه الى حمزة فيقتل به الكلب والخنزير وهما عندهم رمز الناطق والأساس . وبعد ذلك يأخذ السيف محمد (الكلمة)[1] ، وعندئذ يهدم الموحدون الكعبة ، ويسحقون المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض ، ويملكون العالم الى الأبد ، وحينئذ يفترق الناس الى أربع فرق : الأولى : الموحدون ، والثانية : أهل الظاهر وهم المسلمون واليهود ، الثالثة : أهل الباطن وهم النصارى والشيعة ، والرابعة : المرتدون وهم الجهال[2] ، فيدمغهم حمزة في الجبين واليد ، ويفرض عليهم الجزية وغير ذلك من فروض الذلة والطاعة »[3] .

ويبدو أنه قد حدث تساؤل من قبل الدروز عن سبب أن يكون هذا هو الظهور الأخير للاله المعبود ، وقد أجاب بهاء الدين عن ذلك بقوله : « واعلموا معاشر الاخوان ، أن لو كان المعبود سبحانه ينتقل بعد هذا الظهور في الأقمصة المختلفة لكان هذا الأمر لا نفاذ له ، وأمد لا آخر له ، وكانت تنفذ الديانة الآن »[4] .

هذه هي اعتقادات الدروز اتجاه الحاكم ، وانني أعتقد أن النصوص السابقة والتي سقتها ، وأخرى كثيرة مثلها ، تدل صراحة على تأليه الحاكم من قبل الدروز ، وأمام وضوحها وجلائها لا يمكن لهم أن ينكروا هذا المعتقد ، لأنها لا تجعل مجالا لأي تعليق أو توضيح .

ولعل القارىء الكريم يتساءل معي : لماذا يحاول الدروز الى الآن أن ينفوا ظاهرا هذا التأليه عن معتقدهم ؟ مع أنهم يؤكدونه في مجالسهم الخاصة ، وفي خلواتهم ، واني أكتفي برد الأستاذ عبدالله النجار (وهو درزي) والذي يقول : « واني لأذكر عتاب كبير الأشياخ الثقات ، لأني ذكرت في أحد الكتب المطبوعة :

---

١ ــ أحد الحدود الخمسة عند الدروز .

٢ ــ وهم القسم الثاني من الدروز ، الذين لا يعرفون من المذهب الا الشيء القليل .

٣ ــ مخطوطة في تقسيم جبل لبنان/مؤلف مجهول .

٤ ــ رسالة بني أبي حمار .

أن أم الحاكم كانت صقلبية ، اذ قال لي : أن الحاكم لا أم له مرددا ما جاء في الرسالة ٢٦ : حاشا مولانا جل ذكره من الابن والعم والخال ، « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »[١] .

مما تقدم نستطيع أن نقول : أن ادعاء الحاكم الألوهية كان مظهرا من مظاهر الكفر والالحاد الذي كان يسيطر على المجتمع الاسماعيلي ودعاته ، وكذلك كان فيه جنون العظمة ، والرغبة بالحكم والسلطان ، وشهوة الظلم والقتل والاعتداء على الآخرين ، حتى تخيل أنه الاله ، وزين له ذلك الأذناب الذين التفوا حوله من دعاة الاسماعيلية المجوس أمثال حمزة بن علي والفرغاني وغيرهم ، فازداد قتله وبطشه بالناس ، وأخذه أموال الناس بغير حق ، واعطائها بغير حق أيضا ، ليقال عنه : المميت والمحيي ، والرزاق والمانع .

والواقع أن فكرة تجسد الاله في صورة انسانية ، هي فكرة جاء الاسلام لمحوها من عقول الناس ، لأنها مستقاة من مذاهب وفلسفات تقوم على الشرك والوثنية[٢] ، وهي بالتالي اجتراء على الله الذي « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »[٣] .

لذلك جاءت آيات كثيرة تكشف كفر اليهود والنصارى لقولهم واعتقادهم في حلول الله بانسان ، ويكفي أن نقول : أن ارسال الرسل والأنبياء من قبل الله تعالى ، يدحض كل مزاعمهم تلك ، اذ بظهوره في صورة انسان ، ما كانت هناك حاجة لهؤلاء الرسل والأنبياء .

ولو أن هؤلاء الذين لا زالوا يعتقدون بألوهية الحاكم ، وما زالوا في الضلالات والمتاهات التي وضعها حمزة بن علي وأذنابه ، أصغوا الى نداء عقولهم وفطرتهم ما بقي

---

١ ــ مذهب الدروز والتوحيد/عبدالله النجار ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، وهنا يشير الى الآيتين الكريمتين في سورة الاخلاص آية ٣ ــ ٤ .

٢ ــ راجع في هذا المجال باب التمهيد في مصادر الفكر الباطني .

٣ ــ سورة الشورى آية ١١ .

واحد منهم على هذا الاعتقاد الواهي ، الذي لا يصدقه عقل ، ولا تستسيغه نفس .
فهدف حمزة وأذنابه من كل هذه الاعتقادات هو هدم الاسلام وتحطيم المسلمين ليرووا حقدهم الدفين ضده حين استطاع الاسلام بوضوحه وصفائه أن يهدم أركان مجد أجدادهم في فارس وغيرها من بلاد الله ، وصدق الله العظيم « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »[1] .

---

١ ــ سورة الأنفال آية ٣٠ .

٢ ــ عقيدتهم في تناسخ الأرواح :

يعتقد الدروز بالتناسخ والتقمص ، أي بانتقال النفس من جسم بشري الى جسم بشري آخر ، باعتبار أن النفس لديهم لا تموت ، بل يموت قميصها (الجسم) ، ويصيبه البلى ، فتنتقل النفس الى قميص آخر .

وهذا الاعتقاد بالتناسخ ، يخالف اعتقاد طائفة النصيرية ، والذين لا ينحصر التناسخ عندهم بين الناس ، بل يكون أحيانا بينهم وبين البهائم أو النبات أو الجماد[١] .

وعقيدة الدروز تنكر اعتقاد النصيرية هذا بالتناسخ ، ولذلك عبرت عن التناسخ بكلمة (التقمص) ، وذلك لاعتقادهم أن انتقال النفس الى جسم حيوان أو شيء جامد ظلم لها ، ولأن الثواب والعقاب بني ــ حسب ما يزعمون ــ على قاعدة العدل الالهي في محاسبة الأرواح بعد مرورها في الدهر الطويل ، لا في مدى حياة واحدة ، بخيرها وشرها ، وقصرها أو طولها ، بحيث يمنحها الدهر الطويل فرص الاكتساب والتطور[٢] .

ومع أن الدروز ينكرون المسخ ــ أي انتقال النفس الى جسم حيوان ــ الا أنهم يعتقدون بالمسخ المعنوي أو المجازي ، ويعبر عن ذلك الأستاذ عبدالله النجار بقوله : « المسخ في اللغة : تحويل الصورة الى أقبح منها ، فيقال مسخه الله قردا ، وهذا دينيا ، ورد ذكره ، مجازي معنوي ، المقصود منه التحقير ، والذم ، والتوبيخ ، وهو تعبير مجازي وليس حسيا على الاطلاق »[٣] .

---

١ ــ راجع الباب القادم في الفصل الثاني منه عند الحديث عن معتقدات النصيرية .

٢ ــ أنظر كتاب مذهب الدروز والتوحيد/عبدالله النجار ص ٦٢ .

٣ ــ مذهب الدروز والتوحيد/عبدالله النجار ص ٦١ .

ومن اعتقاداتهم في هذا الموضوع : أن العالم قد خلق دفعة واحدة ، وأن البشر خلقوا سوية وليسوا بمتناسلين من أب واحد ، بل من حين الخليقة وجد الحايك في نوله ، والبناء على الحائط ، وأن عدد أنفس البشر لا يزيد ولا ينقص[1] .

ولذلك فهم يزعمون أن عددهم لا يزيد ولا ينقص ، لأن التقمص عملية دائمة متواصلة بين أرواحهم[2] .

وفي هذا المعنى يقول بهاء في أحد رسائله : « أليس قد صحّ عند كل ذي عقل ومعرفة بالحقيقة والفضل ، أن هذه الأشخاص ، أعنى عالم السواد الأعظم لم يتناقصوا ولم يتزايدوا ، بل هي أشخاص معدودة من أول الأدوار الى انقضاء العالم والرجوع الى دار القرار ... أليس لو زاد العالم في كل ألف سنة شخصا واحدا لضاقت بهم الأرض . ثم أنه لو نقص في كل ألف سنة شخص واحد لم يبق منهم أحد ، فصح عند كل ذي عقل راجح ... أن الأشخاص لم تتناقص ولم تتزايد ، بل تظهر بظهورات مختلفة الصور على مقدار اكتسابها من خير وشر »[3] .

ويردون بصورة ساذجة على الذين يقولون أن الأنفس حين تموت تكون بين الأرض والسماء ، أو فوق السماء فيقولون : « عرفوني يا شيوخ التجريد هذا القوي الذي يفارق الأجسام أين مستقرها ؟ وأين يكون ثباتها ؟ فان قلتم : فيما بين الأرض والسماء ، فهي لكثرة النشوء تسد ما بين العالمين ، وتخالط الهوى وتأتي عليها الطبائع ويدخل عليها من التضاد والفساد ما يدخل على غيرها ، وان أوجبتم أن ثباتها فوق السماء فهي تملأ الأفق »[4] .

وبناء على اعتقادهم هذا بالتقمص ، فانهم يؤمنون أن العذاب الواقع على الانسان يكون بنقلته من درجة عالية الى درجة دونها ، ويستمر تنقله من جسد الى جسد ، وهو أثناء ذلك تقل منزلته ويقع عليه العذاب . أما الثواب عندهم فيكون بتنقله بين الأجساد وارتفاعه أثناء ذلك من درجة الى درجة[5] .

---

١ — الدروز والثورة السورية / كريم ثابت ص ٣٤ .

٢ — من حديث شخصي مع الزعيم الدرزي كمال جنبلاط أجراه معه الدكتور مصطفى الشكعة عن معتقدات الدروز في كتابة اسلام بلا مذاهب ص ٢٨٨ .
وأنظر كتاب تعليم الديانة الدرزية في جواب السؤال (٢١) .

٣ — رسالة من دون قائم الزمان والهادي الى طاعة الرحمن .

٤ — رسالة في ذكر الرد على أهل التأويل الذين يوجبون تكرار الاله في الأقمصة المختلفة .

٥ — الحركات الباطنية في الاسلام/مصطفى غالب ص ٢٦٣ .

وهكذا فالنفس تمر أثناء دورانها بالأجساد في حالات مختلفة ، وتبقى على هذه الحالة حتى تتطهر ــ هذا ان كانت صالحة كما يزعمون ــ ، أما النفس الشريرة وغير المؤمنة فتبقى معذبة بانتقالها من منزلة الى منزلة أدنى منها .

فاذا مات أحد من مذهبهم ، فانه يولد ثانية على نفس هذا المذهب ولهذا فانهم لا يقبلون أحدا في مذهبهم حتى ولو اطلع الانسان على كتبهم وعرف ديانتهم وسلك بموجبها ، لأن باب الدخول الى مذهبهم ــ كما يزعمون ــ أغلق ولهذا فلا فائدة من دخوله . وكذلك ــ يزعمون ــ أنه اذا انتقل أحد من مذهبهم الى غيره ، فانهم لا يعترفون بذلك ، لأن روحه في النقلة الأخرى ستعود الى مذهبه القديم[١] .

يقول الدكتور سامي مكارم عن هذا الاعتقاد : « ففي عقيدتهم أن الذين تقبلوا الدعوة وتعرضوا الى الحقيقة في الماضي لا يزالون يولدون من تقبل الدعوة . كذلك فان التقمص في معتقد التوحيد ليس تطورا للروح في هذا الدور ، بل هو تقلب الروح في شتى الأحوال ، لكي يتسنى لها أن تختبر هذه الأحوال .

فمن لم يتقبل نداء الحق ، حسب معتقد التوحيد ، لا يمكنه الا أن يحصد نتيجة أعماله في حيواته التالية ، وكذلك هي الحال بالنسبة لمن تقبل هذا النداء وتعرف الى الحقيقة »[٢] .

ونتيجة لاعتقادهم بالتقمص ، يعتقدون أيضا بالنطق ، والنطق ــ حسب ما يزعمون ــ : هو أن الروح حين تنتقل من جسد الى جسد تحمل معلومات عن دورها في الجسد السابق ــ يعني في الجسم الذي كانت تتقمصه قبل قميصها الحالي ــ ، وفي هذه الحالة تتحدث أو تنطق بما تذكره من وقائع عن حياتها السابقة[٣] .

---

١ ــ أنظر مخطوطة كتاب تعليم الديانة الدرزية جواب السؤال (٢٠) ، وكذلك كتاب الدروز والثورة السورية لكريم ثابت ص ٤٧ .

٢ ــ اضواء على مسلك التوحيد/د. سامي مكارم ص ١٢١ ــ ١٢٢ .

٣ ــ اسلام بلا مذاهب/د. مصطفى الشكعة ص ٢٨٠ .

لهذا فان كثيرين من عامة الدروز يتناقلون كثيرا من القصص الخرافية حول هذا الموضوع ، وكيف استطاع إنسان أن يتذكر ما جرى في حياته السابقة . غير أن الكاتب الدرزي المعاصر عبدالله النجار كذّب هذا الاعتقاد واعتبره أمراً خرافياً ومن سذج العامة ، ويستشهد على ذلك بنصوص من رسائلهم[١] .

ولكن الدكتور سامي مكارم ـــ والذي ينطق باسم مشيخة عقل الدروز ـــ يقول في معرض رده على الأستاذ النجار : « ويمكننا القول أن منطق عملية التقمص لا يتعارض مع تذكر الماضي ، خاصة عندما ندرك أن نزعات الفكر اللطيفة ، حسب عقيدة التوحيد ، تنطوي عند الموت ، في أعماق النفس المتنقلة من جسد الى جسد . وهذه النزعات والأفكار اللطيفة ، كبذور انطلاقه الحياة التالية ، هي التي تحدد وضع التقمص المقبل ، فلا بد لبعض الأذهان اذا صادفت بعض الحالات المناسبة ، أن تتذكر الماضي المباشر الذي كانت تعيش فيه »[٢] .

وبسبب هـــذا الاعتقاد فانهم يزعمون أن ذوي العاهات والمصابين كالأعمى والأعرج والفقير والجاهل ، كان مصابهم هو قصاص عن ذنوبهم في مدة حياتهم السابقة[٣] .

ويتضمن التقمص عند الدروز أيضا ، تمييزا جنسيا ، فالذكر حين يموت يولد ذكراً ، والانثى أنثى [٤] .

ومن ذلك نشأ اعتقادهم أن نفوس الأنبياء والمرسلين تنتقل من دور إلى دور ، بجميع صفاتها ، فحمزة بن علي ـــ كما يزعمون ـــ في دور الحاكم هو نفس سلمان الفارسي في دور النبي ﷺ [٥] . لهذا فالحلول عندهم ـــ أي حلول الذات الالهية في الانسان ـــ نوع من أنواع التقمص الذي يؤمنون به [٦] .

---

١ ـــ انظر مذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار .
٢ ـــ أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ١٢٧ .
٣ ـــ الدروز والثورة السورية / كريم ثابت ص ٤٨ .
٤ ـــ أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ١٢٢ .
٥ ـــ أصل الموحدين الدروز / أمين طليع ص ١٠٠ ـــ ١٠١ .
٦ ـــ المصدر السابق ص ١٠٠ .

ويحاول الدروز أن يجعلوا من آيات القرآن الكريم التي تدل على البعث والنشور ، دليلا على اعتقادهم بالتقمص ، فهذا أحد كتابهم المعاصرين الأستاذ فؤاد الاطرش يأتي بعدة آيات يزعم أنها تدل على التناسخ والتقمص ومن هذه الآيات قوله تعالى « كلما نضجت جلودهم ، بدلناهم جلودا غيرها (١) » ، وقوله « كيف تكفرون (بنعمة) الله ، وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢) »، وقوله عز وجل « يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون »(٣)... ويزعم الأطرش بعد مجيئه بالآيات بقوله : أن تشبيه النفس بالأرض اثبات مادي على التقمص لا يقبل الجدل ، فلنتأمل في أدوار الأرض ومواسمها وموتها ثم حياتها (٤) .

ويكفي القول للأطرش وأمثاله ، في أن الاستدلال بشيء لا يعني أبدا صحة هذا الاستدلال ، وخاصة عندما يأتي به من لا يعرف معناه وأراد به التشويه لا غير ، وما على الأطرش وأمثاله إلا أن يعرفوا قيمة الايمان بالبعث والحساب وحقيقته قبل أن يأتوا بآية من القرآن الكريم .

والحقيقة أن عقيدة التناسخ ، هي دخيلة على هذه الأمة ودينها ، فكل من ينظر في معتقدات الأمم التي جاءت قبل الاسلام ، يرى أن جميعها يؤمن بهذا المعتقد ، ابتداء بالبوذية التي تقول أن بوذا ظهر على هيئة حيوانات وطيور وشجر وصور انسية حوالي ألف مرة (٥) ، ومرورا بالديانة الهندوكية التي تعتقد أن الههم (شيفا) ظهر بعدة صور انسانية ، وانتهاء بمذاهب فلاسفة اليونان الذين تظهر آلهتهم في صور مختلفة (٦) .

---

١ ــ سورة النساء ، آية ٥٦ .

٢ ــ سورة البقرة ، آية ٢٨ ، وقد وردت الآية هكذا في الكتاب ، ويلاحظ أن كلمة (نعمة) غير موجودة في الآية ،والصحيح (كيف تكفرون بالله) .

٣ ــ سورة الروم ، آية ١٩ .

٤ ــ الدروز ، مؤامرات وتاريخ وحقائق / فؤاد الأطرش ص ١٨٧ ــ ١٨٨ .

٥ ــ انظر كتاب البوذية وتأثيرها في الفكر والفرق الاسلامية المتطرفة / محمد علي الزعبي وعلي زهور ص ١٤٧ ــ ١٤٩ .

٦ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١٠٩ .

وهكذا نستطيع أن نربط هذا الاعتقاد ، بتلك المذاهب التي كانت سائدة في فارس والهند واليونان ، والتي جاء الاسلام لتحرير الانسان منها .

فالتناسخ في حكم الاسلام ، عقيدة باطلة تؤدي إلى الكفر ، لأن الأخبار اليقينة التي جاءت عن طريق القرآن والرسول ﷺ بينت بطلان هذا الاعتقاد ، وأن الانسان بعد موته يسأل في القبر .

فقد ثبت في القرآن والسنة سؤال الملكين بعد الموت ، وفي القبر ، وهذا يدل بوضوح على بطلان ما يتوهم به البعض من أن الأرواح تظل متنقلة بين الأجسام ، كلما انتسخ وجود واحدة منها في جسدها التي هي فيه ، انتقلت منه إلى جسد آخر ، وهكذا دواليك .

فالله سبحانه وتعالى يرسل ملكين إلى الانسان عقب وفاته ، يسألانه عن دينه الذي عاش عليه ، وعما علمه من أمر محمد ﷺ ، فإما أن يتعرض إلى لون من العذاب ، أو لون من النعيم ، اذن فالروح مشغولة بصاحبها محبوسة له أو عليه ، كما قال الله عز وجل « كل نفس بما كسبت رهينة [1] »، ولا يمكن أن تنصرف مولية عنه لتسكن جسدا آخر تستقبل فيه سلوكاً جديداً ووجوداً آخر [2] .

قال تعالى مخبراً عن حياة البرزخ : « فلولا اذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا أن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين ، فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم ، وتصلية جحيم [3] »، وقوله « وجاءت سكرة الموت بالحق» [4] أي جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب ، وهو الحق الذي أخبرت به

---

١ ـــ سورة المدثر آية ٣٨ .
٢ ـــ انظر كتاب كبرى اليقينيات الكونية / د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٩٦ .
٣ ـــ سورة الواقعة آيات ٨٣ ـــ ٩٤ .
٤ ـــ سورة ق آية ١٩ .

الرسل ، وقوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [١] »، واليقين ما بعد الموت ، كما قال ﷺ : « أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه . وذكر تعالى عذاب القيامة والبرزخ معا في ذكره قصة آل فرعون فقال : « وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب [٢] »، وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ لما أتى المشركين يوم بدر في القليب ناداهم : « يا فلان ، يا فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً [٣] ». وهذا دليل على وجودهم وسماعهم ، وأنهم وجدوا ما وعدوه بعد الموت من العذاب ، قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون [٤] »، وقال تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » [٥] ، وهذا بيان لكون النفس تقبض وقت النوم ، ثم منها ما يمسك فلا يرسل إلى بدنه وهو الذي قضي عليه بالموت ، ومنها ما يرسل إلى أجل مسمى [٦] .

وقد أخبرنا تعالى أيضا بان هذه الأبدان التي فيها أرواحنا ستشهد علينا يوم القيامة بما عملت ، قال تعالى : « يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ، قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون [٧] ».

مما تقدم من الآيات والأحاديث ، دليل شرعي حاسم على بطلان التناسخ ، وأن القول به كفر ، اذ بذلك ينتفي العدل الالهي عن بني آدم .

---

١ — سورة الحجرات آية ٩٩ .
٢ — سورة غافر آية ٤٥ ، ٤٦ .
٣ — رواه البخارى ومسلم والنسائي وأحمد .
٤ — سورة آل عمران آية ١٦٩ .
٥ — سورة الزمر آية ٤٢ .
٦ — فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمة مجلد ٤ ص ٣٦٣ — ٣٧٠ .
٧ — سورة فصلت آيات ١٩ — ٢٢ .

أما بطلان التناسخ عقلا ، فان هذا الاعتقاد لم يقم على برهان حسي أو عقلي ، وقد قامت الأدلة على حدوث العالم ، وما كان حادثا فلا بد له من نهاية (١) . وكذلك فان تساوى نفسين في جميع الخصائص أمر غير ممكن ، فليس في العالم كله شيئان متشابهان بجميع أعراضهما اشتباها تاما من كل وجه ، وانما يقال هذا الشيء يشبه على معنى أن ذلك في أكثر أحوالهما لا في كله ، ولو لم يكن ما قلنا ما فرق أحد بينهما البتة (٢) .

هذا من ناحية النفس ، أما من ناحية الأخلاق ، فان الأخلاق تتباين ، والأخلاق محمولة على النفس التي هي محل لها ، ومتى تباينت الأخلاق تباينت النفوس من ناحيتها ، واذا تباينت النفوس كانت نفس كل بدن من الأبدان من أي نوع كان ، خلاف التي في غيره من أبدان ذلك النوع بالضرورة ، وهذا يبطل القول بانتقال نفس من بدن هي مستعدة له إلى آخر من نوع ذلك البدن تصلح نفس أخرى لها خصائصها وأخلاقها (٣) .

وينقل ابن حزم عن القائلين بالتناسخ قولهم : « إلى أن التناسخ هو على سبيل الجزاء ، ذلك أن الله تعالى عدل حكيم رحيم كريم ، فاذا هو كذلك فمحال أن يعذب من لا ذنب لهم بالجدري والقروح ، فعلمنا أنه تعالى لم يفعل ذلك إلا وقد كانت الأرواح عصاة مستحقة للعذاب بكسب هذه الأجساد لتعذب فيها (٤) » .

وهذا مشابه لما مرّ عن اعتقاد الدروز ، أن من يلد أعمى أو به عاهة ، إنما كان ذلك لعصيان روحه في حياتها السابقة .

ويرد ابن حزم على هذا الزعم بقوله : « ويكفي بطلان هذا الأصل الفاسد أن يقال لهم أن الحكيم العدل الرحيم على أصلكم لا يخلق منْ يعرضه للمعصية حتى

---

١ ـــ الفرق الاسلامية / محمد البشبيشي ص ٨٨ .
٢ ـــ الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم الظاهري جـ ١ ص ٩٣ .
٣ ـــ الفرق الاسلامية / محمد البشبيشي ص ٨٨ .
٤ ـــ الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم الظاهري جـ ١ ص ٩٣ .

يحتاج الى افساده بالعذاب بعد اصلاحه ، وقد كان قادرا على أن يطهر كل نفس خلقها ولا يعرضها للفتن ويلطف بها الطافا فيصلحها بها حتى تستحق كلها احسانه والخلود في النعيم ، وما كان ذلك ينقص شيئا من ملكه »[١] .

نستنتج من هذا أن اعتقاد التناسخ باطل من كل الوجوه ، شرعيا وعقليا وحسيا . وأما زعمهم أن أنفس العالم لا تزيد ولا تنقص ، وأنهم بالذات لا يزيدون ولا ينقصون ، فهو في الحقيقة زعم سخيف وتافه لا يقف أمام التفكير المنطقي الصحيح ، لأنه نابع من الأساطير والخرافات التي لا تمت للحقيقة بصلة ، ولا أجد ردا على هذا الزعم ، الا الاحصاءات السكانية التي تتوالى من أقطار الأرض عن الانفجار السكاني ، وتزايد أعداد السكان في العالم يوما بعد يوم . وهو ما تحذر منه الأمم المتحدة ، لقلة الغذاء في العالم ، وموت الكثير من الناس جوعا .

لأجل هذا فان الانسان على قدر ما نال من التقدم والرقي في ميدان العقل والعلم صارت تبطل في نظره عقيدة التناسخ ، لأنها في الأصل عقيدة تعادي المدينة والحضارة ، والصحيح أنها ما بقيت الى الآن الا في أمم همجية أو متخلفة جدا في ميدان الرقي العلمي والعقلي[٢] .

---

١ ـــ المصدر السابق جـ ١ ص ٩٣ ، ٩٤ .

٢ ـــ أنظر كتاب (الاسلام)/لسعيد حوى جـ ٤ ص ١٣٠ .

٣ ــ عقيدتهم في اليوم الآخر والثواب والعقاب :

اليوم الآخر عند الدروز ليس يوم القيامة ، اذ ليس فيه موت للأرواح ، ولا قيامة لها ، ولا بعث ، وهم لذلك يقولون أن الحياة البرزخية[١] غير موجودة ولا يؤمنون بها[٢] .

فالأرواح ــ كما يزعمون ــ لا تموت لتبعث ، ولا تنام لتوقظ ، بل ان يوم الحساب ــ في نظرهم ــ نهاية مراحل الأرواح وتطويرها في الاجساد ، اذ يبلغ في هذا الوقت (التوحيد) غايته من الانتصار على العقائد الشركية[٣] ، وينتهي الانتقال والمرور في الأقمصة المختلفة[٤] .

وفي تصورهم أن يوم الحساب سيكون فيه ظهور (المعبود) أي الحاكم بأمر الله ، ومع أنهم لم يحددوا تاريخ هذا اليوم ، الا أن رسائلهم تقول أنه سيكون في شهر جمادى أو رجب ، ولهذا اليوم علامات محددة عندهم[٥] .

أما مكان ظهور الحاكم ، وماذا سيحدث بعد ذلك ، فتحدثنا عنه رسالة الأسرار فتقول : « سيكون ذلك في بلاد الصين ، يخرج وحوله قوم يأجوج ومأجوج ــ ويسمونهم القوم الكرام ــ ، ويكونون مليونين ونصف من العساكر مقسمة الى خمسة أقسام ، كل قسم منها يترأس عليها أحد الحدود[٦] فيدخلون مكة المكرمة .

وفي صباح ثاني يوم وصولهم ، يتجلى لهم الحاكم بأمر الله على الركن اليماني من الكعبة ،ويتهدد الناس في سيف مذهب ، يدفعه الى حمزة فيقتل فيه الكلب

---

١ ــ هي حياة القبر والتي تكون بين الموت والبعث وفيها عذاب وثواب .

٢ ــ من المقابلة الشخصية التي أجراها الدكتور مصطفى الشكعة مع الزعيم الدرزي كمال جنبلاط حول عقائد الدروز في كتابه اسلام بلا مذاهب ص ٢٨٨ .

٣ ــ يقصدون بالعقائد الشركية (الاسلام والنصرانية ، واليهودية) .

٤ ــ أنظر كتاب مذهب الدروز والتوحيد/عبدالله النجار ص ٨١ .

٥ ــ انظر كتاب طائفة الدروز/محمد كامل حسين ص ١٢٤ .

٦ ــ أي الحدود الخمسة والذي سيأتي الحديث عنهم .

والخنزير ــ يريدون فيهما الناطق والأساس [١] ــ ثم يدفع حمزة السيف إلى محمد(الكلمة) ، الذي هو أحد الحدود الخمسة ، وحينئذ يهدمون الكعبة ويفتكون بالمسلمين والنصارى في جميع جهات الأرض ويستولون عليها الى الأبد ، ومن بقي يكون عندهم في الذل والهوان ، وتصير الناس الى أربعة فرق :

أولاً : الموحدون (وهم عقال الدروز) ، وهم الوزراء والحكام والسلاطين .

ثانياً : أهل الظاهر ، وهم المسلمون واليهود .

ثالثاً : أهل الباطن ، وهم النصارى والشيعة .

رابعاً : المرتدون ، وهم جهال الدروز .

ويجعل حمزة لكل طائفة غير أصحابه سيمة في جبينه أو يده ، وعذابا يتأذى به ، وجزية يؤديها كل عام ، ونحو ذلك من الهوان »[٢] .

ويصور لنا مصحف الدروز هذا اليوم بقوله : « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق ، فإذا هي شاخصة أبصارهم ، أبصار الذين كفروا ، يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا ، بل كنا ظالمين ، لقد نسي هؤلاء هذا اليوم ، وقد وقع لهم ، ووقعوا فيه ، وهم لا يشعرون ، وكبكبوا على وجوه قبلتهم[٣] ، حتى غشيتهم الغاشية . أو لم ير هؤلاء كيف مد لهم مولانا الحاكم الحياة أمدا ، الآن حصحص الحق »[٤] .

حتى أن التميمي ــ أحد حدودهم الخمسة ــ يجعل جميع الشرائع والأديان زخارف وأباطيل ، افتعلها أعداء حمزة حتى يبعدوا الناس عنه ، لهذا فانه يصف لنا هذا اليوم وكيف ينادي حمزة ويقول : « أين شركائي[٥] الذي زعمتم أنهم فيكم شفعاء ، لقد انقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون [٦] ، يعني يوم القيامة القائم صاحب القيامة بالسيف ، فيناديهم : أين شركائي ، يعني رؤساء أهل

١ ــ الناطق في اصطلاحهم هو النبي ، والأساس هو الوصي أو الامام ، والمقصود بذلك هما محمد ﷺ وعلي بن أبي طالب .

٢ ــ مخطوطة في تقسيم جبل لبنان/مؤلف مجهول .

٣ ــ يقصد بهذا الكعبة عندما يهدموها ويقتلوا المسلمين ــ كما يزعمون ــ .

٤ ــ المصحف المنفرد بذاته/عرف كتاب أبي اسحق أو مراتب العباد ص ٨٥ .

٥ ــ أي الأنبياء الذين أرسلوا بالاديان السماوية .

٦ ــ يشير الى الآيتين الكريمتين « أين شركائي الذين كنتم تزعمون » سورة القصص آية ٦٢ و « لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » سورة الانعام آية ٩٤ .

أهل الظاهر وشياطينهم ، الذين أضلوهم بغير علم ، وأحلوهم دار البوار التي هي الشريعة[1] ، وما ألقوه من التكاليف الشرعية ، التي هي من حيث العقل النار بالفعل ، وما تمسكوا به من زخاريف أهل الجهل وأباطيلهم ، فلم يستطيعوا جوابا ، الا أن يقولوا : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما طاغين »[2] .

وحمزة في هذا اليوم — كما يزعمون — ، هو صاحب الجزاء والقصاص بصفته صاحب القيامة ، وهذا ما يزعمه في أحد رسائله ويقول : « يوم قيامي بسيف مولانا الحاكم سبحانه ، ومجازاتي للخلائق أجمعين ، وأخذي لكم الحق والقصاص ، وإنالة احساني لأهل الوفاء منكم والاخلاص »[3] .

وعلى هذا الأساس فانه — كما مر سابقا — ينكرون الثواب والعقاب في الجنة والنار ، فالعذاب الواقع على الانسان — في زعمهم — هو نقلته من درجة عالية الى درجة دونها من درجات دينهم ، وهو كلما تنتقل روحه من جسد الى جسد ، تقل درجته ومنزلته . أما الثواب فهو زيادة درجته في دينهم — عندما يصبح من الموحدين الدروز — وانتقاله من درجة الى درجة أعلى منها كلما انتقلت روحه من جسد الى جسد آخر .

فالغيبيات في نظرهم لا يمكن الايمان بها ، لأنها أمور غير محسوسة ، لهذا فهم لا يؤمنون بالجنة والنار ، وكذلك الملائكة والجن ، فالملائكة في زعمهم هم أتباع مذهبهم ، والشياطين هم مخالفيهم .

ورسائلهم مليئة بالسخرية من الغيبيات ، وخاصة الجنة والنار ، من ذلك رسالة لأحد دعاتهم وحدودهم الخمسة (التميمي) اذ يقول : « وأما زعمهم بأن الجنة عرضها السموات والأرض[4] فقد جهلوا معنى هذا القول ، فاذا كان عرضها

---

١ — أي الشريعة الاسلامية وتكاليفها .

٢ — رسالة الزناد/للتميمي . ويشير هنا الى الآية الكريمة « قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين » سورة المؤمنون آية ١٠٦ .

٣ — الرسالة الموسومة بالاعذار والانذار/لحمزة .

٤ — يشير الى الآية الكريمة « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » . سورة آل عمران آية ١٣٣ .

السموات والأرض ، فكيف يكون طولها ؟ وأين تكون النار فيها ؟ ولو عرفوا الطول عرفوا العرض ، وكل شيء طوله أكثر من عرضه . واذا رجعنا الى المعاني الحقيقية التي بها يتخلص الموحدون من جهلهم من داء الشرك[1] : وأما معنى الطول والعرض ، فان طولها هو العقل الكلي ، الذي هو قائم الزمان[2] امام المتقين القائم بالحق ، ومجردسيف التوحيد ، ومفني كل جبار عنيد .... وأما النار فهي من حيث المحسوس المحرقة للأجسام ... وأما النار الكبرى والنار الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، فانها مثل العقل لأنه مطلع على سرائر العالم »[3] .

ومن المفارقات العجيبة والمضحكة حول انتظارهم ليوم القيامة كما يتصورونه ، قصة رواها مؤلف (أيها الدرزي عودة الى عرينك) : عن أن أحد مشايخ الدروز ويدعى الشيخ داود أبو شقرا ، أعلن أن يوم القيامة سيكون في ١٦ آب ١٩٥٢ م ـــ وهو يوم القيامة التي وعدت به الرسائل المخطوطة معتمدا في ذلك على مستند الحروف والجمل ـــ ، وبالفعل فقد اقتنع بذلك كثير من شيوخ لبنان وحوران الدروز ، وذاع الخبر حيث ترقبوه بفارغ الصبر ..... حتى نفذ صبرهم والقيامة لم تقم[4] ؟؟!!

والحقيقة أن هذا الاعتقاد باليوم الأخر ، هو اعتقاد دخيل على أمة الاسلام ، وهو من الخرافات والأساطير التي اندثرت بعد أن دك الاسلام حصون الشرك خاصة حصون مجوس الفرس . لذا فاننا نستنتج بأن هؤلاء الذين اعتنقوا الاسلام ظاهرا من بقايا امبراطورية المجوس وغيرها ، أمثال دعاة الدروز وخاصة حمزة ، لم يهدأ لهم بال وهم يرون الاسلام الصافي منتصرا ، لذلك حاولوا بحقدهم الدفين هذا أن يهدموا أركان الاسلام وأصوله ، متظاهرين بالاسلام ، وكان اليوم الآخر الأمر الثاني المهم بعد الايمان بالله ، والذي حاولوا هدمه وزعزعته في نفوس المسلمين عن طريق تلك النظرية الوثنية الخرافية (التناسخ) ، وكل من ينظر الى آيات الله في القرآن الكريم ،

---

١ ـــ هنا يبدأ بعرض وجهة نظره في معنى الجنة والنار وكيف تخلص الدروز من معناها عند المسلمين .

٢ ـــ هو حمزة بن علي .

٣ ـــ رسالة الزناد/للتميمي .

٤ ـــ أيها الدرزي عودة الى عرينك ـــ مخطوط ـــ / مؤلف مجهول ص ٩٠ .

يجد ذلك الترابط القوى بين الايمان بالله واليوم الآخر ، فلا تتحدث آية عن الايمان بالله إلا ويقترن معها الايمان باليوم الآخر ، بما فيه من حساب وجزاء ، من ذلك قوله تعالى : « ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين (١) » . وقوله عز من قائل مخبراً عن عذاب وثواب الآخرة « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » (٢) . وكذلك بين لنا تعالى أن العذاب يكون في النار ، والثواب يكون في الجنة من ذلك قوله تعالى « اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعلمون » (٣) . وقوله أيضا : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله (٤) » .

لهذا فان الله سبحانه وتعالى بين حقيقة الذين لا يؤمنون بالآخرة ونفسياتهم المريضة المستكبرة ، من ذلك قوله تعالى « فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » (٥) . وقوله عز من قائل « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين . وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ (٦) » وبعد هذا فان الله سبحانه وتعالى أمرنا بمقاتلة الذين لا يؤمنون بالآخرة كما جاء في سورة التوبة :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر »(٧) .

---

١ ــ سورة البقرة آية ١٧٧ .
٢ ــ سورة الحديد آية ٢٠ .
٣ ــ سورة هود آية ١٦ .
٤ ــ سورة الحديد آية ٢١ .
٥ ــ سورة النحل آية ٢٢ .
٦ ــ سورة سبأ آية ٢٠ ، ٢١ .
٧ ــ سورة التوبة آية ٢٩ .

مما تقدم من الآيات ، دليل قرآني واضح على بطلان زعم الدروز أن العذاب والثواب يكون بارتفاع المنزلة أو تدنيها ، وإنما يكون ذلك بالجنة أو النار . وحكم الشريعة أن كل قول لم يأت عن نبي تلك الشريعة فهو كذب وفرية ، فاذا لم يأت عن أحد من الأنبياء عليهم السلام القول بهذا الزعم فقد أصبح قولهم هذا خرافة وكذباً وباطلا أرادوا به أن يحيوا مجدهم المدفون .

٤ ــ عقيدتهم في الحدود الخمسة :

يعتقد الدروز أن معبودهم أبدع من نوره حدوداً خمسة ، ظهروا مع هذا المعبود في جميع ظهوراته ، وآخرها عند ظهورهم مع الحاكم بأمر الله . وهؤلاء الحدود في اعتقادهم ليسوا مولودين ولا يمسهم الموت ، اذ هم الروح الحقيقي الذي لا يخلو منه عصر ، وان أخذوا أسماء مختلفة وأقمصة مختلفة (١) ، على مر العصور .

أما الألقاب التي يطلقها الدروز على هؤلاء الحدود فهي على الشكل التالي كما وردت في أحد رسائلهم (٢) :

أولاً : العقل الكلي وهو الحد الأول الذي أبدعه المعبود من نوره ، ويطلقون عليه أيضا : ذومعه ، وعلة العلل ، والآمر قائم الزمان ، والارادة ، والامام الأعظم ، وهادى المستجيبين ، وهو حمزة بن علي بن أحمد . والحد الأول أي العقل الكلي هو الذي أوجد باقي الحدود .

ثانياً : النفس وهو الحد الثاني الذي أوجده العقل الكلي ، ويطلقون عليه أيضا : ذو مصة ، والمشيئة ، وادريس زمانه ، وأحنوخ أوانه ، وهرمس الهرامسة ، والحجة الصفية الرضية ، والشيخ المجتبي ، وهو أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد بن حامد التميمي ، صهر حمزة بن علي .

١ ــ مذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار ص ١١٢ .

٢ ــ رسالة ذكر معرفة الامام وأسماء الحدود العلوية روحانية وجسمانية .

ثالثاً : الكلمة ، وهو الحد الثالث ويطلقون عليه أيضا : سفير القدرة ، وفخر الموحدين ، وبشير المؤمنين ، وعماد المستجيبين ، والشيخ الرضي ، وهو أبو عبدالله محمد بن وهب القرشي .

رابعاً : السابق ، وهو الحد الرابع ويطلقون عليه : الجناح الأيمن ، ونظام المستجيبين ، وعز الموحدين ، وهو أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري .

خامساً : التالي ، وهو الحد الخامس والأخير ويطلقون عليه أيضا : الجناح الأيسر ، ولسان المؤمنين ، وسند الموحدين ، ومعدن العلوم ، والذي يقوم بالأفعال الصحيحة المعلومة ، والناصح لكافة الخلق أجمعين ، وهو الشيخ المقتني بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف ب (الضيف) .

والملاحظ في اعتقاد الدروز هذا ، أن المبدأ الأساسي فيه قد أخذ عن العقيدة الاسماعيلية التي استقى الدروز منها الكثير من اعتقاداتهم ، ففي العقيدة الاسماعيلية مبدأ أساسي وهام في معنى التوحيد عندهم هو أن توحيد الله لا يكمل إلا بمعرفة مراتب الحدود الروحانية ، والحدود الجسمانية ، والايمان بهم وطاعتهم طاعة تامة ، وهذه الحدود هي : العقل ، والنفس ، والجد والفتح ، والخيال ، وهذه الحدود العلوية ممثولات للحدود الجسمانية وهم : النطقاء ، والأوصياء ، والأئمة ، والحجج ، والدعاة (١) .

وذهب الاسماعيليون كذلك إلى أن الله تعالى أبدع العقل الكلي وبوساطته وجدت النفس الكلية ، وبوساطتها وجدت المخلوقات كلها ، فالعقل الكلي عندهم هو الخالق الحقيقي ، ومن هنا قالوا أن أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم هي

---

١ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١١٠ .

أسماء للعقل الكلي ، واعتبروا الامام الفاطمي ممثل للعقل الكلي ، وأن جميع مناقب العقل الكلي وصفاته تطلق أيضا على الامام [1] .

وجاء حمزة ودعاته وأخذوا هذا المبدأ عن الاسماعيليين وحوروه حتى يتفق مع مآربهم ، فقالوا أن الحدود الروحانية أو العلوية هي نفسها الحدود الجسمانية ، فلا يوجد عندهم مثل أو ممثول [2] حتى أن حمزة في أحد رسائله يعتبر اعتقاد الاسماعيلية هذا في الحدود كفر وشرك ، لأنه يعتقد أن البارى سبحانه وتعالى وحدوده يجب أن يظهروا بأنفسهم للناس حتى يعرفوا الفرق بين العبد والمعبود [3] .

وهكذا عمد حمزة إلى إظهار حدوده في صورة تختلف عن الصورة الاسماعيلية ، فبدل وغير في أسمائها ومراتبها ، فجعل مرتبة التالي في المرتبة الخامسة ، وجعل الكلمة هي المرتبة الثالثة ، بينما كانت عند الاسماعيليين مكونة من السابق والتالي .

وحتى يكون التوحيد شاملا في نظر حمزة ودعاته ، جعلوا لمرتبة العقل سبعين حجة ، وعن هؤلاء الحجج السبعين تفرعت الحدود جميعاً بين دعاة ومأذونين ومكاسرين [4] . ويطلقون على الحدود الأربعة الذين يلون العقل الكلي (الأربعة الحرم [5]) . وجميع الحدود الحرم وغير الحرم كلهم من قبل العقل (أي حمزة) ، يسقط من يريد ويرفع درجة من يشاء ، والحدود السبعون ــ كما يزعمون ــ هم الذين أتى على ذكرهم القرآن الكريم بقوله تعالى : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » [6] ويعني حدود دعوة التوحيد سلسلة بعضها في

١ ــ أضواء على العقيدة الدرزية/أحمد الفوزان ص ٣٥ .
٢ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١١٠ .
٣ ــ رسالة كشف الحقائق .
٤ ــ الحركات الباطنية في الاسلام / مصطفى غالب ص ٣٦٢ .
٥ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١١٤ .
٦ ــ سورة الحاقة آية ٣٢ .

بعض وهم سبعون رجلا موزعين ومنظمين حسب الشكل التالي :

أولاً : النفس الكلية ، ولها اثنتا عشرة حجة في الجزائر (١) ، وسبعة دعاة للأقاليم .

ثانيـاً : الكلمة ، ولها اثنتا عشرة حجة وسبعة دعاة .

ثالثـاً : السابق ، وله اثنتا عشرة حجة فقط .

رابعـاً : التالي ، وله اثنتا عشرة حجة فقط .

خامساً: الداعي المطلق ، وله مأذون واحد ومكالبان أو مكاسران (٢) .

وقد أوضحت « الرسالة الموسومة بكشف الحقائق » هذه السلسلة والحدود بقولها : « فهؤلاء الحدود السبعون التي ذكرناهم ، هم أذرع السلسلة الذي قال (٣) في القرآن : « خذوه فغلوه (٤) » ، أي ضد الامام اذا بلغ غايته وتمت نظرته ، خذوه بالحجج العقلية وغلوه بالعهد وهو الذبح الذي قالوا بان القائم يذبح ابليس الأبالسة ، « ثم الجحيم صلوه(٥) » .، أي غوامض علوم قائم الزمان الذي يتحتم العلماء والفهماء عند علمه ، أي يصمتوا ويتخيروا ، « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » أي ميثاق قائم الزمان الذي هو سلسلة بعضها في بعض ، وهم سبعون رجلا في دعوة التوحيد (٦) وبعد هذا التفسير العجيب الغريب لآيات الله

---

١ ــ تقسم الاسماعيلية الأرض إلى عدة جزر ، وكل جزيرة تحوي عدة أقاليم ، فالحجة مسؤول عن الجزيرة ، والداعية عن الأقليم ، وقد أخذ حمزة ذلك عن الاسماعيليين .

٢ ــ الحركات الباطنية في الاسلام / مصطفى غالب ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

٣ ــ هذه عادة حمزة ودعاته حينما يستشهدون بالقرآن لا يذكرون من القائل لأنهم لا يعترفون بانه من عند الله سبحانه وتعالى .

٤ ــ سورة الحاقة آية ٣٠ .

٥ ــ سورة الحاقة آية ٣١ .

٦ ــ الرسالة الموسومة بكشف الحقائق .

نجد حمزة في هذه الرسالة يعيب على المسلمين الذين يفسرون هذه الآيات بانها تهديد لأهل النار ويقول : « فهذه السلسلة الحقيقية ومعانيها ، لا كما ذكره الجهال الحشوية (١) ، فان قالوا : بان الله أراد بالسلسلة تهديد أهل النار والتعظيم عليهم ، فقد بطلت حجتهم ها هنا لأنه قال سبعون ذراعاً ، ولو كان بسبب التعظيم لكان يجب أن يكون ألف ذراع ، فلما لم يذكر غير سبعين ذراعاً ، أعلمنا أنه أراد بذلك أشخاصاً معروفة دينية توحيدية لا يجوز لأحد أن يتجاوز حدهم ولا يزيد ولا ينقص » (٢) .

والحدود في نظر الدروز هم أنبياء الحاكم الخمسة ، وثلاثة من الحدود هم الذين وصفوا وكتبوا حكمة المولى سبحانه (أي الحاكم) ، وهؤلاء الثلاثة هم : حمزة واسماعيل وبهاء (٣) .

وهؤلاء الحدود يظهرون في كل عصر وفي صور مختلفة وأسماء متباينة ، فمثلا عندما ظهر المعبود في صورة زكريا ، ظهر حمزة في صورة قارون ، وظهر اسماعيل التميمي ــ النفس الكلية ــ في صورة أبي سعيد الملطي (٤) وعندما ظهر حمزة في صورة سلمان الفارسي في زمن محمد ﷺ ، ظهرت الحدود الأربعة الأخرى بصورة أربعة من الصحابة وهم : المقداد ، وأبو ذر ، وعمار بن ياسر ، والنجاشي (٥) .

ويسمى الأربعة حدود التي تلي حمزة بالأربعة الحرم ، وسبب تسميتهم بذلك أن حمزة مقامه منهم مقام الرجال وهم نساؤه ، فهم عنده بمنزلة النساء في طاعتهم له (٦) .

---

١ ــ يقصد المسلمين .

٢ ــ الرسالة الموسومة بكشف الحقائق .

٣ ــ رسالة في معرفة سر ديانة الدروز .

٤ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١١٤ .

٥ ــ الدروز والثورة السورية / كريم ثابت ص ٣٦ . واعتبار النجاشي صحابياً لا يصلح بالتعريف المعتمد ، لأنه لم يشاهد النبي ﷺ .

٦ ــ مخطوطة ذكر ما يجب ان يعرفه الموحد ويعتقد به / ومخطوطة رسالة في معرفة سر ديانة الدروز .

ومما يذكر أن الحد الخامس وهو التالي — بهاء الدين — له ثلاثة حدود يعاونونه وهم :

١ — **الجد** : وهو أيوب بن علي .

٢ — **الفتح** : وهو رفاعة بن عبد الوارث .

٣ — **الخيال** : وهو محسن بن علي .

وهؤلاء الثلاثة يتلقون أوامرهم من بهاء الدين ، وليس لهم المكانة التي للحدود الحرم (١) .

ويوضح اسماعيل التميمي — الحد الثاني — في الرسالة الموسومة بالشمعة وضوئها فيقول : « فاللطيف فيه لسان العالي الأحمر الذي تعتريه زرقة يختفي مرة ويظهر مرة ، فذلك دليل على قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد ، والنار الذي يوقد الشمع دليل على حجته : اسماعيل بن محمد بن حامد ، والشمع دليل على الكلمة محمد بن وهب ، والقطن دليل على السابق سلامة بن عبد الوهاب ، والطست الذي هو الحسكة دليل علي التالي على بن أحمد السموقي فهذه الخمسة حدود (٢) » .

ويصف كتاب (النقط والدوائر) وهو أحد كتبهم الرئيسية الحدود بما يلي : « فالأصلان القديمان : هما العقل الكلي والنفس الكلية ، والكلمة البسيطة هو مولاي الكلمة سلام الله عليه ، والنور البسيط هو مولاي أبو الخير ، والحكمة اللطيفة هو مولاي بهاء الدين ، فصارت أربعة جوانب ، أي الحدود الأربعة جوانب حول العقل الكلي لأنهم له بمحل الأجنحة ، كما قال : « أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع (٣) » .

---

١ — طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١١٤ .

٢ — مخطوطة الرسالة الموسومة بالشمعة .

٣ — كتاب النقط والدوائر . وهنا يشير إلى الآية رقم ١ في سورة فاطر .

ويقولون أن (بسم الله الرحمن الرحيم) والمكونة من تسعة عشر حرفا تشير الى حدود حمزة وهم تسعة عشر رجلا ، فلذلك يبدئونها في جميع رسائلهم ويلحقونها بقوله : حدود عبده الامام[1] .

فعندهم أن « بسم الله » والمكونةمن سبعة أحرف دليل على سبعة دعاة أصحاب الأقاليم السبعة ، و « الرحمن الرحيم » والمكونة من اثنا عشر حرفا دليلا على اثنى عشر داعية أصحاب الاثنى عشر جزيرة[2] .

ويعتقد الدروز أيضا أن الحدود الخمسة يضاف اليهم حدود التالي الثلاثة : الجد والفتح والخيال هم الثمانية الذين يحملون العرش[3] .

لهذا فان نظرة الدروز الى الحدود ، هي نظرة الاحترام والتقديس ، لأن الاعتقاد بهم معتقد أكيد ، فهم ــ كما يزعمون ــ : وسائط الله تعالى وأبوابه وسفراؤه ، ومنهم الوصول اليه ، ولا مطمع لأحد من الخلق في الوصول الى الخالق أبدا الا بهم ومنهم وعلى يدهم وبتعليمهم وارشادهم[4] .

كذلك فان عدم معرفة هؤلاء الحدود ، يعني عدم معرفة دعوة التوحيد والتي هي دعوة الدروز[5] . لذلك فعلى الدرزي معرفتهم والإيمان بهم ، فهم أشرف خلق الله تعالى ــ كما يزعمون ــ بعد سيدهم الامام الأعظم ، وهم معصومون عن الزواج والخطايا[6] . يقول حمزة في أحد رسائله : واعرفوا الحدود بأسمائهم وصفاتهم ، ونزلوهم في رتبهم ، ومنازلهم ، فانهم أبواب الحكمة ، ومفاتيح الرحمة[7] .

---

١ ــ مخطوطة الموسومة برسالة النساء الكبيرة .
٢ ــ مخطوطة الرسالة الموسومة بسبب الأسباب .
٣ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١١٥ .
٤ ــ مخطوطة شرح الميثاق / محمد حسين .
٥ ــ الرسالة الموسومة بالشمعة .
٦ ــ مخطوطة ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به .
٧ ــ رسالة التحذير والتنبيه .

مما تقدم تتضح أهمية ومكانة الحدود في العقيدة الدرزية ، لهذا سأتحدث عن كل واحد منهم على انفراد ، وعن أهميته عند الدروز وأبدأ بحمزة :

أولاً : حمزة بن علي بن أحمد الزوزني ، وهو الأول من الحدود الخمسة ، وسمى نفسه بـ (العقل) . ويدعي الدروز أن حمزة ولد في مدينة (زوزن) في خراسان مساء الخميس في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ ، وهو اليوم الذي ولد فيه الحاكم بمصر ، ولعل ذلك هو السبب في أن الدروز يقيمون صلاتهم الأسبوعية أو ــ خلوتهم ــ مساء كل خميس[١] .

وقد اختلف المؤرخون في زمن وفوده الى مصر ، فالبعض منهم يجعلها متقدمة كثيرا في عام ٣٩٥ هـ[٢] ، وغالبية المؤرخين تؤكد أن موعد قدومه الى مصر كان عام ٤٠٥ هـ أو قبلها بقليل[٣] .

وبعد وفوده الى مصر انتظم حمزة بين الدعاة الاسماعيليين الذين كانت تغص بهم القاهرة يومئذ ، ولكن الدكتور محمد كامل حسين يرجح أنه لم يكن من الدعاة ، بل كان يؤدي عملا في القصر ، وكان على اتصال دائم بالحاكم ، ويضيف قائلا : « ويغلب على ظني أن حمزة كان أحد الخدم الخصوصيين للحاكم ، وكان خادما ذكيا لبقا ذا حيلة ودهاء وخيال خصب ، وكان بحكم عمله في القصر يستمع الى مجالس الحكمة التأويلية[٤] فوعاها وحفظ منها الكثير ، وربما قرأ كتب الدعوة بالقصر فأفادته في تلوين عقليته وتوجيه أفكاره الى ما يرضي طموحه ويحقق أماله ، وظل هذه السنوات يهيء نفسه لذلك »[٥] . وكما يقول الدكتور محمد كامل حسين ، فان الذي يؤكد هذا الرأي ركاكة ألفاظه وأسلوبه في رسائله ، وهذا يبين أنه لم يكن من الكتاب[٦] .

---

١ ــ مذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار ص ١٢٣ .

٢ ــ اضواء على العقيدة الدرزية / أحمد الفوزان ص ٢٨ .

٣ ــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية / محمد عبدالله عنان ص ١١٣ ــ وكتاب الأعلام / خير الدين الزركلي جـ ٢ ص ٣١٠ ــ والقاموس الاسلامي / أحمد عطية جـ ٢ ص ١٥٦ .

٤ ــ وهي المجالس التي كان يعقدها ملوك بني عبيد لدراسة العقيدة الاسماعيلية .

٥ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ٧٦ .

٦ ــ المصدر السابق ص ٧٦ .

وسرعان ما أصبحت لحمزة حظوة عند الحاكم ، بعدما أظهر الاخلاص والطاعة له ، واستطاع بحنكته ودهائه أن يجمع حوله بعض الدعاة ويتفقوا سرا للدعوة الى تأليه الحاكم بأمر الله ، ومن هؤلاء كان محمد بن اسماعيل الدرزي .

والواضح في رسائل حمزة ، أنه قد اتفق مع دعاته ألا يجهر أحد منهم بالدعوة الى المذهب الجديد الا بعد تلقي الأوامر منه ، ولكن الدرزي بسبب صراعه مع حمزة على رئاسة هذا المذهب تسرع في الكشف عن أسراره عام ٤٠٧ هـ ، مما أثار الناس ، وأثار حمزة أيضا وحمله على الكشف عن دعوته عام ٤٠٨ هـ . وهذا مما جعل حمزة يهاجم وبشدة الدرزي في كثير من رسائله .

ويوضح حمزة بداية الخلاف مع الدرزي في أحد رسائله فيقول : « وغطريس هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين ، وهو الضد الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الامام ويدعي منزلته .... الى أن يقول : وكذلك الدرزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبر وخرج من تحت الثوب ، والثوب هو الداعي ، والسترة التي أمره بها امامه حمزة بن علي بن أحمد الهادي الى توحيد مولانا جل ذكره »[1] .

ومهما يكن من شيء فان الدعاة الى المذهب الجديد ظلوا في سترهم مدة طويلة يعملون في الخفاء ، ويدعون الناس سرا لمبادئهم وتعاليمهم تحت رعاية وتأييد الحاكم بأمر الله ، حتى قام الدرزي وأعلن الدعوة سنة ٤٠٧ هـ ، والذي كما يقال : قد فتح سجلا في مساجد القاهرة تكتب فيه أسماء المؤمنين بألوهية الحاكم ، فاكتتب من أهل القاهرة سبعة عشر ألفات كلهم يخشون بطش الحاكم[2] .

الا أن هذا الأمر قد أزعج حمزة وخاصة في موضوع زعامة هذا المذهب ، مما حمله على القيام بالجهر به وبنفسه عام ٤٠٨ هـ وكما ذكرنا سابقا ، ثار أهل مصر على هؤلاء الدعاة الملحدين ثورة شديدة ساعدهم فيها الجند الأتراك ، مما جعل

---

١ ـــ رسالة الغاية والنصيحة .

٢ ـــ الأعلام / خير الدين الزركلي جـ ٨ ص ٢٤٦٤ .

الدرزي يختفي في قصر الحاكم خوفا من الناس ، حيث عمل على تهريبه بعد ذلك الى وادي التيم في بلاد الشام ، والذي كان يقطن فيه التنوخيون ، الذين كانوا يعتنقون الاسماعيلية ويدينون بالولاء لدولتهم ، فعمل هناك على بث آرائه ومعتقداته بينهم ، فانضموا اليه وآمنوا بدعوته .

وبسبب شدة الثورة التي قام بها أهل مصر ، على حمزة وأتباعه ، فانه قرر الاختفاء عن الناس سنة ٤٠٩ هـ ، واعتبرها سنة اختفاء وغيبة ، ويصف هذه السنة ومقصده من هذه الغيبة بقوله : انها سنة المحنة والامتحان والعذاب ، وأن القصد من الغيبة أن يمتحن الخلق بغيبته ، والمحنة هي غيابه الذي عاقبهم فيه[١] .

مما تقدم تتضح بداية الخلاف بين حمزة والدرزي ، والذي تفاقم بعد هروب الدرزي الى الشام ، حيث دعا هناك الى آراء جديدة خالف بها آراء سيده حمزة ، من ذلك تسمية نفسه بـ (سيف الايمان وسيد الهادين)[٢] ، وكذلك دعوته للحرية الجنسية[٣] .

والواقع أن هذه الخلافات ، لم تكن بتلك الأهمية لتأجج الخلاف بينهما ، وانني أرى أن جوهر الخلاف ــ وكما يفهم من كتابات حمزة ــ انما كان بسبب رئاسة المذهب الجديد ، مما زاد في غضب حمزة وحقده على الدرزي ، فعزله من منصبه في الشام ، وألب عليه أتباعه هناك فقتلوه سنة ٤١١ هـ .

وفي هذا الصدد يقول حمزة : « وكذلك الدرزي سمى نفسه في الأول بسيف الايمان ، فلما أنكرت عليه ذلك وبينت له أن هذا الاسم محال وكذب ، لأن الايمان لا يحتاج الى سيف يعينه ، بل المؤمنون محتاجون الى قوة السيف واعزازه ، فلم يرجع عن ذلك الاسم وزاد عصيانه ، وأظهر فعل الضدية في شأنه ، وتسمى باسم الشرك وقال : أنا سيد الهادين ، يعني أنا خير من امامي الهادي !؟ »[٤] .

---

١ ــ مذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار ص ١١٥ .
٢ ــ رسالة الغاية والنصيحة .
٣ ــ بنو معروف (الدروز) / سعيد الصغير ص ٢٣٦ .
٤ ــ رسالة الغاية والنصيحة .

هذا وكانت مدة ظهور حمزة بعد اعلانه عن مذهبه ثلاث سنوات هي : ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١ هـ ، وأما سنة ٤٠٩ هـ فانها ـــ وكما سبق ذكره ـــ كانت سنة غيبة له . وقد اختفى كذلك بعد سنة ٤١١ هـ ، وهي السنة التي قتل فيها الحاكم ، حيث مرت سنوات من الكتمان ، لم يظهر أيضا فيها ، لأنه طورد من قبل الظاهر بن الحاكم ، مما جعله يهرب الى أتباعه في بلاد الشام .

« وبقي حمزة مختفيا هناك حتى أزيح الستار قليلا عن نشاطه ، برسائل أرسلت الى سواه وذكر فيها ، أو وجهت اليه ، بعد قرابة عشرين سنة من غيابه ، منها رسالة المواجهة ، التي يتبين منها ، أن حمزة كان لا يزال على اتصال سري بدعاته ، وعلى الخصوص بـ (المقتنى) بهاء الدين كاتب الرسالة ، والذي يبدأها بـ (السلام على الامام) موجها اليه (عبيده الزائرين .... رسل العبد الذليل) »[1] .

أما غيبة حمزة الأخيرة والتي مات فيها ، « فان رسالة بهاء الدين في (رسالة السفر) والتي يطلب فيها من المؤمنين ، الايمان برجوع حمزة ، والى طاعة ولي الحق الامام المنتظر ، توضح هذه الرسالة ـــ والتي كتبت في السنة الثانية والعشرين من سني حمزة أي سنة ٤٣٠ هـ ـــ أن حمزة قد اختفى أو مات سنة ٤٣٠ هـ »[2] .

لهذا فان مكانة حمزة عند الدروز ، الاعظام والاجلال ، باعتباره نبي الحاكم الذي دل الخلق على عبادته ، مع أن حمزة لم ينسى أن يخص نفسه بعدة ألقاب رنانة ، لم يسبغها نبي من الأنبياء على نفسه ، فهو : الامام ، وقائم الزمان ، وهادي المستجيبين المنتقم من المشركين ، وعلة العلل ، والعقل الكلي ، والارادة ، والقلم ، والطور والكتاب المسطور ، وهو أيضا المسيح الحق ، وصاحب البعث والنشور والنافخ في الصور ، وناسخ الشرائع ومهلك العالمين ، والنار الموقدة التي تطلع على الأفئدة ، وهو كذلك الذي أملى القرآن على محمد ﷺ ... الى غير ذلك من الألقاب التي أطلقها على نفسه وامتلأت بها رسائله .

---

١ ـــ مذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار ص ١٢٥ .

٢ ـــ المصدر السابق ص ١٢٦ .

ولم يكتف حمزة بذلك ، ولكنه اعتبر جميع الصفات الالهية التي ذكرت في القرآن واقعة عليه باعتباره العقل ، والاله منزه عن كل هذه الصفات فيقول : « وهو سبحانه منزه عن الكل ، وجميع ما في القرآن والصحف ، وما تركه على قلبي من البيان والأسماء الرفيعة فهو يقع على عبده الامام »[1] .

وكما ذكرنا سابقا فان جميع الحدود قد ظهروا في جميع الأدوار التي ظهر فيها الههم المعبود ، ومنهم امامهم العقل ، فقد ظهر بأسماء مختلفة في كل هذه الأدوار وهي :

« ١ — في دور آدم كان اسمه شطنيل[2] .

٢ — في دور نوح كان اسمه فيثاغورس[3] .

٣ — في دور ابراهيم كان اسمه داوود.

٤ — في دور موسى كان اسمه شعيب .

٥ — في دور عيسى كان اسمه المسيح يسوع ، وهو المسيح الحقيقي صاحب الانجيل .

٦ — في دور محمد ﷺ كان اسمه سلمان الفارسي .

٧ — في دور الحاكم كان اسمه حمزة »[4] .

هذا وقد حاول دعاته أن يبرهنوا لأتباعهم صحة إمامة حمزة باعتباره الامام الذي دعا الى عبادة موجود ظاهر واله في جميع الأمور قادر ، يقول بهاء الدين في أحد رسائله : « وأول دليل على امامة القائم أنه أتى بضد العالم ، لأن جميع النطقاء والأسس وأصحاب الأدوار والأكوار أشاروا الى عدم موهوم ، وأبعدوه عن حواس العالم ، وأن قائم الزمان والهادي الى طاعة الرحمن عليه من المولى السلام دعا الى

---

١ — الرسالة الموسومة بسبب الأسباب .

٢ — لعل حمزة يقصد بهذا الاسم كلمة (شانطي) الصينية التي يطلقها الصينيون على الرهبان النصارى .

٣ — أحد الفلاسفة اليونان والذين استقت الباطنية منهم مبادئها وعقائدها .

٤ — مخطوطة (ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به) ، ومذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار ص ١٢٣ .

موجود ظاهر واله في جميع الأمور قادر ، وكل من دعا الى الحاكم المعبود والاله الموجود فقد أنصف نفسه ... الى أن يقول : وأيضا فان عمارة الكنائس ، وازاله حمل الصلبان ، وعزهم على المسلمين في كل مكان أدل دلالة على أن الاسلام قد اضمحل وبطل[1] ، وأنه الحق قد أنار واشتعل ، والحق هو توحيد مولانا جل ذكره الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته »[2] .

ومن أدلة امامته أيضا : « أنه صاحب القيامة والجزاء ، لأنه الملك المظفر المسعود ، ديان القيامة أي القهار والقاضي والحاكم والسايس والمحاسب والمجازي »[3] .

وكما أشرت سابقا ، فان الدروز يجلون ويعظمون حمزة ، فالمقتنى بهاء الدين أحد حدوده ودعاته يخاطبه في أحد رسائله بعبارات تدل على ذلك فيقول : « فما كان يا مولاي في هذه الصحائف والمراسلات والكتب التي سيرها العبد[4] من خطاب جزل ، ومنطق صائب ، وقول فصل ، فهو منة امام العصر ومراد قائم الزمان ، وما كان فيها من خطأ وخطل فهو منسوب الى العبد الأصغر ، الملهوف الظمآن ، يتوسل في تقصيره الى لطف مولاه »[5] .

والملاحظ أن هذا التعظيم ازداد في كتبهم وبين شيوخهم ، ففي كتاب النقط والدوائر ـــ وهو من كتب الدروز الدينية المعروفة ـــ يصف حمزة بأوصاف لم يطلقها هو على نفسه ، يقول هذا الكتاب » فهو صلوات الله عليه النور الكلي ، والجوهر الأزلي ، والعنصر الأولي والأصل الجلي ، والجنس العلي ، فيه بدأت الأنوار ، ومنه برزت الجواهر ، وعنه ظهرت العناصر ، ومنه تفرعت الأصول ، وبه تنوعت الأجناس ... الى أن يقول : فهو الامام ، والدليل على عبادة الله ، والداعي الى توحيد الله ، والناطق بحق الله ، والبرهان على الله ، والرسول الذي أرسله الله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »[6] .

---

١ ـــ وهذا الكلام يدل على الحقد الدفين الموجود في نفوس هؤلاء ضد الاسلام .

٢ ـــ رسالة من دون قائم الزمان والهادى الى طاعة الرحمن .

٣ ـــ مخطوط (شرح الميثاق) / محمد حسين .

٤ ـــ يقصد نفسه .

٥ ـــ رسالة المواجهة .

٦ ـــ كتاب النقط والدوائر ص ٩ ـــ ١٢ .

وجاء أيضا في احدى مخطوطاتهم : « أنه من تسليم الروح معرفة العقل صفي الرب صلى الله عليه ، وتمييزه عن اخوته الأربعة ، وهم : النفس ، والكلمة ، والسابق ، والتالي ، وتمييزه عنهم بأحوال كثيرة »[1] .

وفي شعر مخطوط لدرزي يسمى بـ (الشيخ أبي عبيد) يقول فيه :

« ألا صلوا على قلم القضايا   رسول الله أفضل من أجابا
رسول الله حمـــزة يا خليلـــي   فأولـــى مـــن أتانا بالكتابـــــا »[2]

أما نظرة الدروز في القرن الحالي الى حمزة ، فما زالت كما هي ان لم تزدد ، وخاصة بعد محاولات كمال جنبلاط أن يعطي لمعتقدهم هذا سندا فلسفيا ويغطيه بعبارات براقة تخفي وراءها كثير من اعتقادات الدروز الأصلية ، يقول كمال جنبلاط في مقدمته لكتاب أضواء على مسلك التوحيد : « ويجب أن يبقى أبناء التوحيد محافظين على هذا التكريس والتهيؤ التقليدي ، والاجتباء الانساني لفكرة الولاية ، لأنه في النهاية وفي الحقيقة ، لا ولاية على الموحدين ، ولا على الأنام كافة ، الا للعقل الأرفع ، صلوات المهيمن عليه »[3] .

أما مؤلف الكتاب الدكتور سامي مكارم فيضيف على قول جنبلاط هذا حول الايمان بالعقل او بـ (حمزة) بقوله : « وهذا المعتقد التوحيدي يعتمد العقل في استكشافاته ، ولا يراد بالعقل الأدنى ، أي البشري أو الدنيوي ان صح التعبير ، بل العقل الأرفع أو الكلي الذي هو المبدع الأول[4] ، أبدع من النور الشعشعاني المحض صورة صافيه كاملة فتضمن في سره معنى ما كان وما يكون دفعة واحدة بدون زمان ، فكان قوة كاملة وفعلا تاما ، وكان علة العلل وأصل الوجود وغايته معا »[5] . ويزيد على ذلك بقوله : « فهو مصدر انبثاق جميع الكائنات ، وهو عين بقائها في هذا الوجود الظاهر ، ومنه ابتدعت ، فهي لا تنفصل عنه ولا ينفصل عنها من حيث

---

١ ـــ شرح ميثاق ولي الزمان / مخطوط في جامعة شيكاغو .
٢ ـــ مخطوط في جامعة شيكاغو رقم ٣٧٣٧ ، وأخذت عن نسخة الجامعة الأردنية رقم ٢٩ .
٣ ـــ أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ٢٠ .
٤ ـــ هذا الكلام مأخوذ عن فلسفة أفلاطون أحد فلاسفة اليونان والتي أخذت عنه الباطنية والدروز خاصة الكثير من معتقداتهم وآرائهم .
٥ ـــ اضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ٨١ .

العلة والمعلول ، فالعقل الأرفع من هذا القبيل يحل في أسرار جميع الكائنات .... على أن العقل الأرفع هو واسطة الكشف والمعرفة ، وأداة المشاهدة في كل نفس مؤمنة [١] » .

هذه هي اعتقادات الدروز بحمزة ، اعتقاد العاقل والجاهل والمثقف ، لا تختلف إلا في العبارات ، أما الجوهر والحقيقة فتبقى كما وضعها حمزة نفسه باعتباره قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن ؟! .

أما الحد الثاني من الحدود الخمسة :

النفس : وهو أبو إبراهيم ، اسماعيل بن محمد التميمي ، ثاني الموحدي ، « باعتبار أن النفس فيض من العقل ، وجزء متمم له انبثقت عنه ، فنسبت إلى العقل كنسبة العقل إلى الخالق [٢] » .

وكان حمزة كلما قلد واحداً من الحدود ، أرسل إليه مرسوم تقليد ، ولهذا أرسل إلى التميمي مرسوم تقليد أسماه « سجل المجتبى » جاء فيه : « إلى أخيه وتاليه ، وذى مصة علمه ، وثانيه آدم الجزوى ، الذي اجتباه بعلمه وهداه بحلمه ، وغذاه بسلمه ، أحنوخ الأوان ، وادريس الزمان ، هرمس الهرامسة أخي وصهرى أبو إبراهيم اسماعيل بن محمد التميمي ... إلى أن يقول : إني نظرت إليك بنور مولانا جل ذكره ، وبما أيدني به مولانا علينا سلامه ورحمته ... فجعلتك خليفتي على سائر الدعاة والمأذونين والنقباء والمكاسرين ... وأسميتك بصفوة المستجيبين وكهف الموحدين وذي مصة علم الأولين والآخرين ، وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الدعاة والمأذونين والنقباء والمكاسرين ... وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الحدود ، فتولي من شئت وتعزل من شئت [٣] » .

---

١ ــ أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
٢ ــ أصل الموحدين الدروز / أمين طليع ص ٩٤ .
٣ ــ سجل المجتبى .

ولا شك أن التميمي كان من أكثر أعوان حمزة التصاقاً به ، حتى أنه في رسائله التي يوجهها إليه يطلق عليه لقب (الصهر) ، مع أنه لم يثبت أن التميمي صاهر فعلا حمزة ، وهذا بالطبع يخالف معتقدات الدروز التي تقول أن هؤلاء الحدود لا يتزوجون ولا ينجبون لأنهم منزهون عن كل هذه الأمور ، « هذا وتؤكد النصوص التاريخية أن حمزة كان يعتمد على التميمي اعتماداً كبيراً ، والذي كان ينفذ بدقة ونشاط أصعب المهمات وأشدها خطراً [1] » .

وقد كتب التميمي عدة رسائل من مجموع رسائل الدروز منها : (رسالة في تقسيم العلوم) و (رسالة الزناد) و (الشمعة) و (رسالة الرشد والهداية) ، وله أيضا شعر يمجد فيه الحاكم يلقب بـ (شعر النفس) .

ومع أن للتميمي هذه القيمة عند الدروز ، إلا أنه بعد اختفاء حمزة ، إثر مقتل الحاكم عام ٤١١ هـ ، لم تذكره رسائل الدروز مطلقاً ، ولا كتب التاريخ ، غير أن الأستاذ عبدالله النجار يفترض أنه بقي حيا حتى عام ٤٢٧ هـ ، وهذا يعني أنه اختفى مع حمزة ودعاته حتى مات في هذه السنة .

أما الحد الثالث فهو :

الكلمة : وهو أبو عبدالله محمد بن وهب القرشي ، ثالث الحدود ، وأول الثلاثة الذين أضيفوا إلى العقل والنفس .

ومعلوماتنا عن هذا (الحد) لا نجدها إلا في التقليد الذي قلده اياه حمزة واسمه (تقليد الرضى سفير القدرة) ، وذلك بعد أن رفعت درجته ، وعين خلفاً للمرتضى الذي مات .

يقول هذا التقليد : « هي المنزلة التي كانت للشيخ المرتضى قدس الله سره ، وأنت تسلمت علومه وحده ، وقد سلمت إليك جميع كتبه التوحيدية ، وجعلتك

---

١ ــ الحركات الباطنية في الاسلام / مصطفى غالب ص ٢٥١ .
٢ ــ مذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار ص ١٤٠ .

مقـــــدما على جميع الدعـــاة والمأذونين والنقباء والمكاسرين والمستجيبين والموحدين ، لا فوق أحد أعلى منك غير صفوة المستجيبين وكهف الموحدين [1] » .

وكما أن التميمي ليس له أي ذكر بعد موت الحاكم ، كذلك ابن وهب لم يصلنا عنه أي خبر بعد هذا التقليد .

والحد الرابع هو :

السابق : وهو أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري ، رابع الحدود ، ولم نجد في رسائل الدروز الموجودة الآن ، تقليد خاص للسابق أسوة بسواه ممن قلدوا من قبل حمزة .

ولكن الاستاذ عبدالله النجار يفترض أن السابق قد قلد بمرسوم لم ينقل الينا ، ويستدل على ذلك بالعبارة الموجودة في تقليد (المقتنى) وهو الذي يلي السامري في الحدود ، اذ يقول حمزة في هذا التقليد : « اذا كان الأيمن قد تقدمك ، وهو سلامة بن عبدالوهاب المصطفى »[2] .

أما الحد الخامس والأخير فهو :

التالي : وهو أبو الحسن علي بن أحمد السموقي ، خامس الحدود ، اشتهر باسم بهاء الدين ، بالاضافة الى الأسماء والنعوت التي أطلقت عليه مثل : (لسان المؤمنين) و (سند الموحدين) و (العبد المقتنى) ، وغير ذلك من الألقاب التي أطلقها عليه حمزة .

ويعتبر بهاء الدين ، من أخطر دعاة الدروز بعد حمزة ، اذ قام بأعظم قسط في بقاء المذهب الدرزي بعد اختفاء حمزة ، فلولا جهوده لما بقي لهذا المذهب أثر يذكر .

---

١ — تقليد الرضى سفير القدرة .

٢ — مذهب الدروز والتوحيد / عبدالله النجار ص ١٤١ .

ومما يذكر أن مرتبة بهاء الدين في مذهبه هي مرتبة الجناح الأيسر ، والواضح أن من يشغل هذه المرتبة يعتبر لسان الدعوة والمعبر عن رأيها ، لذلك فان له من الحدود الذين يساعدونه ثلاثة : الجد ، والفتح ، والخيال .

وبسبب هذه الصفة فانه كتب كثيراً من الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها للدخول في عقيدته ، كما كتب إلى الذين خرجوا عن المذهب بعد أن كانوا من دعاته أمثال (سكين (١)) ، الذي ادعى أنه الاله المعبود ، وانه الحاكم بأمر الله .

والكثير من رسائل الدروز كتبها بهاء الدين ، ومن هذه الرسائل : (التنبيه والتأنيب والتوبيخ) ، (ورسالة التعنيف والتهجين) ، (ورسالة القسطنطينية) ، (ومن دون قائم الزمان) ، (ومثل ضربه حكماء الديانة) ، (والايقاط والبشارة) ، (ورسالة اليمن) ،(ورسالة الهند) ، وغير ذلك من رسائل كثيرة كتبها ، وأغلبها في الرد على الآراء الجديدة التي ظهرت في دينه ، وحاول الخارجون عليه أن يشوها ، لذلك تحمل أكثر العناوين من رسائله التأنيب والتوبيخ والتعنيف .

هذا وقد جاء في نسخة تقليده التي أرسلها إليه حمزة ما يلي : « فاخدم ببركة المولى في الحد الجليل الذي أهلت له ، واستعد له كأخيك الجناح الأيمن ثلاثين حدا دعاة ومأذونين ونقباء ومكاسرين ، واعلم أن أول السبعة المفترضات : سدق اللسان (٢) ، والسدق هو المولى وضده الكذب ، والسدق والكذب يتشابهان في التخطيط ، كذلك الصدق يتشبه بالمولى ، لأن المولى جل اسمه لا ضد له .

وكذب ثلاثة أحرف ، وسدق ثلاثة أحرف ، فاذا حسبناها في حساب الجمل افترقا ، لأنك تقول : (ك) عشرون ، (ذ) أربعة ، (ب) اثنتان ، الجميع ستة وعشرون حرفا ... والسدق : (س) ستون ، (د) أربعة ، (ق) مائة ، فذلك مائة وأربعة وستون حرفا دليل على مئة وأربعة وستين حدا ، يكون

---

١ ـــ أحد دعاة الدروز الأوائل ، وكان يشبه الحاكم في كثير من ملامحه ، فلما قتل الحاكم واعتقد الدروز أنه غاب ، قام هذا الداعية وادعى أنه الحاكم ، فاجتمع حوله بعض الناس ، واستطاع أن يدخل قصر الحاكم ، ولكن لم يلبث أن عرف الحراس حقيقته فقتل ، ويعتبره الدروز مارقا وخارجا عن دينهم .

٢ ـــ يبدل الدروز حرف الصاد بحرف السين في كلامهم وكتبهم ، لأن السين في حساب الجمل تساوي ستين .

للامام منها تسعة وتسعون حدا ، كما قال (١) : « ان لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » ، أي لامام التوحيد تسع وتسعين داعياً من عرفهم دخل حقيقة دعوته (٢) .

والملاحظ أن بهاء الدين ، كان على اتصال مع حمزة ، أثناء غيابه بعد مقتل الحاكم ، وكان أيضا على معرفة بمقره السرى الذي اختبأ به ، وكان يتلقى منه الأوامر والتوجيهات .

ولما شعر بهاء الدين باضطراب الأحوال ، بعد أن كثرت الآراء الخارجة على دينه ، أخذ يهدد أتباعه باعتزال الدعوة ، وبالفعل اعتزلها ٤٣٤ هـ ، بـ (منشور الغيبة) ، والذي أعلن فيه اقفال باب الاجتهاد في العقيدة الدرزية ، وذلك ليحافظ على آراء حمزة وحدوده ، والأحكام التي وضعوها .

ومما يذكر في هذا المقام أن لكل حد من الحدود الخمسة لون مخصص له ، فاللون الأخضر مخصص لحمزة ، والأحمر مخصص للتميمي ، والأصفر مخصص للقرشي ، والأزرق لسلامة السامري ، أما الأبيض فهو لبهاء الدين ، ولهذا عندما أعلن الاستعمار الفرنسي قيام (امارة جبل الدروز المستقلة) ارتفع علم ذو ألوان خمسة مكون من الأخضر والأحمر والأصفر والأزرق والأبيض على المراكز الرسمية في الجبل ، ولا يزال هذا العلم يرتفع على بيت الطائفة الدرزية في بيروت (٣) .

هؤلاء هم دعاة الدروز وحدودهم ، ولا شك أن حمزة كان امامهم وداعيتهم ، فقد كان طموحاً داهية ، كارهاً للاسلام حاقداً عليه ، ظن أنه يستطيع بذلك أن يقوض أركان الاسلام ودعائمه ، فلم ينفعه ذكاؤه ولا دهاؤه ، بل حفظ الله هذا الدين ، وخابت كل طموحاته .

---

١ ـــ يقصد النبي ﷺ .

٢ ـــ تقليد المقتنى .

٣ ـــ انظر بتفصيل مذكرة (أيها الدرزى عودة إلى عرينك) ص ١١٢ .

وفي ختام حديثنا عن حدود الدروز ، لا بد أن نلم قليلا باثنين من دعاتهم ، واللذين كانا أول من أعلن هذا المذهب ، وهما : محمد بن اسماعيل الدرزي ، والحسن بن حيدرة الفرغاني ، ورغم أن الدرزى ينسب إليه اسم الدروز في الوقت الحاضر إلا أنهم يكرهونه ويعتبرونه مارقاً من دينهم لأنه عصى حمزة ، ونبدأ بالدرزي أولا :

وهو **محمد بن اسماعيل الدرزي** الملقب بـ (نشتكين) ، وقد سبق أن تحدثنا عن كيفية كشفه لعقائد المذهب الدرزى عام ٤٠٧ هـ ، والذي أغضب حمزة وأجبره على الاعلان والكشف عن دعوته لتأليه الحاكم عام ٤٠٨ هـ .

أما عن أصل الدرزي ، فالأرجح أنه ينحدر من أصل تركي ، ويذكر المؤرخون أن وفادته على مصر كانت عام ٤٠٧ هـ ، فخدم الحاكم وتقرب إليه ، ولكن الذي يرجحه الدكتور محمد كامل حسين : أن الدرزي كان قبل هذا التاريخ في مصر واتصل بحمزة بن علي مدة طويلة قبل اظهار الدعوة ، وعملا معاً في رسم خططها (١) . ومما يؤكد هذا الترجيح ما صرحه حمزة في رسالة (الغاية والنصيحة) : بان الدرزي كان يضرب الدنانير والدراهم (٢) ، وهذا يعني أيضا أنه كان قريباً من حمزة والحاكم .

ولا شك أن الدرزي كان من أقوى رسل حمزة وأشدهم عزماً وجرأة ، وكان يسير على طريقة حمزة في الدعوة ، ولكن طموحاته كانت تتعارض مع طموحات حمزة مما أجج الخلاف بينهما ، وخاصة بعد قيام الدرزي بالكشف عن العقيدة الجديدة بدون اذن من حمزة ، حيث تأكد له أنه يريد جزءاً من الغنيمة التي كانوا يخططون لها .

أما عن مصير الدرزي بعد أن كشف عن المذهب ، فيختلف المؤرخون في ذلك، فمنهم من يقول بقتله في ذلك الوقت على يد الأتراك، ومنهم ــ وهو الأرجح ــ

١ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ٧٩ .

٢ ــ رسالة الغاية والنصيحة .

من يقول بأنه لم يقتل في هذا الظرف ، ولكنه اختفى في القصر أياماً بحماية الحاكم حتى هدأت العاصفة وسكن الجند والناس ، ثم دبر الحاكم له سبيل الفرار ، وعاونه بالمال ، فسار إلى الشام ونزل ببعض قرى بانياس [1] وأذاع في الناس دعوته ، فكانت أصل مذهب الدروز الذي سمي باسمه ، وهناك حاول بالفعل أن ينقلب على حمزة ويدعي الامامة والرئاسة له حيث تسمى بـ (سيف الايمان) و (سيد الهادين) ، ولكن حمزة كان يترقب هذه اللحظة فحرض أتباعه عليه فقتل على يدهم سنة ٤١١ هـ .

ويفهم من رسائل حمزة بان الدرزي لم يكن وحيداً ، بل كان معه دعاة آخرون أمثال : البرذعي ، وعلي بن أحمد الحبال ، وهذا ما ذكره في رسالة الغاية والنصيحة ، ويذكر أيضا في رسالة الصبحة الكائنة أن الدرزي استجاب إلى دعوته على يد علي بن أحمد الحبال ، ولكنه نكث على حمزة بعد ذلك .

أما الحسن بن حيدرة الفرغاني [2] والذي يلقب بـ (الأخرم) ، فهو الداعية الذي لا نعرف عنه إلا الشيء القليل ، مع أن له باع طويل في خدمة حمزة ومذهبه ، وقد ظهر الفرغاني في مدينة القاهرة عقب ظهور حمزة بقليل ، ويحدد ابن العماد ظهوره في الثاني من رمضان سنة ٤٠٩ هـ [3] .

وكانت دعوة الفرغاني مثل دعوة حمزة ، حيث دعا إلى مثل ما دعا إليه من التناسخ والحلول وألوهية الحاكم ، « وقد لاقت دعوته رواجا بين المغامرين والمرتزقة ، فاستدعاه الحاكم وخلع عليه وأركبه فرسا مطهما ، وسيره في موكبه [4] » . غير أنه لم تمض على ذلك أيام قلائل ، حتى وثب رجل من أهل السنة وقتله وقتل معه ثلاثة رجال من أتباعه ، فغضب الحاكم وأمر باعدام قاتله ودُفن الأخرم على نفقة القصر في حفل رسمي [5] .

---

١ ــ هما بلدان على الساحل السوري ــ وهو المقصود ــ ، والآخر قرب القنيطرة بالجولان .
٢ ــ نسبة إلى فراغان ، بالفتح ، مدينة واسعة متاخمة لبلاد التركستان ، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً . أنظر معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٥٣ .
٣ ــ شذرات الذهب / ابن العماد جـ ٣ ص ١٩٤ .
٤ ــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية / محمد عبدالله عنان ص ١١٥ .
٥ ــ طائفة الدروز /محمد كامل حسين ص ٧٨ .

ويفهم من رسائل حمزة أنه لم يكن ضد الأخرم ، بل كان في الحقيقة رسوله يرسله إلى الناس يطلب منهم الايمان بدعوته ، والرسالة الواعظة لأحمد حميد الدين الكرماني أحد كبار دعاة الاسماعيلية ، تفيدنا بعض الشيء عن مهمة الأخرم تلك ، وهي رسالة موجهة إلى الأخرم من الكرماني ردا على رقعة بعث بها الأخرم إليه ، حيث يتضح من هذه الرسالة أن الأخرم هو الذي كان يقود حركة الدعاية للمذهب الجديد ، وأنه هو الذي كان يبعث بالرقاع إلى الناس يدعوهم فيها إلى عقيدته الجديدة ، وكان يطلب من العلماء وكبار الدعاة أجوبة ، وهذا مما أفزع دعاة الاسماعيلية فكتب إليه الكرماني (الرسالة الواعظة) .

ومما جاء في هذه الرسالة : « ولا تخلو أن تكون في تظاهرك بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ، إما متبعاً له ، أو غير متبع ، فان كنت متبعاً فبمخالفتك اياه فيما أمرك به من السجلات المكرمة من السلام عليه في جميع المكاتبات وقعودك عن الاقتداء فيما يفعله من تصدير سجلاته وجميع مكاتباته وخطبه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، والاستفتاح به ، والصلاة على سيد المرسلين وخاتم النبيين والتبرك بها قد كفرت(١) » .

ومن الأفكار التي قالها الأخرم في رقعته للكرماني : « من عرف منكم امام زمانه حيا ، فهو أفضل ممن مضى من الأمم من نبي أو وصي أو امام ... وان من عبدالله من جميع المخلوقين ، فعبادته لشخص واحد لا روح فيه ، ويتساءل عن معنى الآية الكريمة عينا فيها تسمى سلسبيلا (٢) ، وعن : الاسلام وشرائطه ؟ وعن الذي يتقرب الى المعبود ؟ وهل الشريعة محدثة أم قديمة مع الدهر ؟ وما النفس ؟ وما العقل ؟ ثم ينتهي إلى القول : إلى أن الشريعة والتنزيل والتأويل خرافات وقشور وحشو ولا تتعلق بها نجاة ، وأن الناس لا يوجهون وجوههم إلى القبلة لأنها حائط ، وأن المعبود هو الحاكم (٣) .

وهذا يدل على أن الأخرم كان من مؤسسي هذه الدعوة ، وكان لسان دعايتها ، ولا ندري تماما مرتبته بين الحدود ، لأنه قتل قبل أن يتبلور مركز الحدود ومراتبهم ، ولا ندرى ماذا يكون مصيره مع حمزة لو قدر له أن يعيش ؟! .

---

١ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ٧٩ .
٢ ــ سورة الدهر ، آية ١٨ .
٣ ــ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ٧٩ .

٥ ــ اسقاطهم أركان الاسلام :

لقد كانت شريعة الاسلام وأركانه وما زالت شوكة صلبة في حلوق أعداء الاسلام ، لهذا نجد أن كل حاقد على هذا الدين يحاول في البداية التشكيك بهذه الشريعة الربانية بشتى الصور والأشكال ، وقد سارع حمزة وأتباعه بعد اعلانهم ألوهية الحاكم الى اتباع هذا الطريق المخادع ، حتى يبرهنوا أنهم جاءوا بشريعة جديدة نسخت الاسلام وأركانه ، لأن حمزة ــ كما اعلن ــ هو ناسخ الشرائع ومبيد الأديان وهادم القبلة[1] ؟!

فلا نعجب بعد ذلك اذا وجدنا رسائل الدروز وبالأخص حمزة حافلة بالاستهزاء بأركان الاسلام والتشكيك في شريعة الله ، وعلى هذا الأساس أعلن حمزة اسقاط أركان الاسلام الخمسة ، وألزم أتباعه بدلها سبع خصال توحيدية تغني عن الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد ، يقول حمزة في أحد رسائله : « ويجب على سائر الموحدات أن يعلمن أن أول المفترضات عليهن معرفة مولانا جل ذكره وتنزيهه عن جميع المخلوقات ، ثم معرفة قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانيين ، ثم معرفة الحدود الروحانيين بأسمائهم ومراتبهم وألقابهم ....

فاذا علمن ذلك وجب أن يعلمن أن مولانا جل ذكره قد أسقط عنهن السبع دعائم التكليفية الناموسية ، وفرض عليهن سبع خصال توحيدية دينية ، أولها وأعظمها : سدق اللسان ، وثانيها : حفظ الاخوان ، وترك ما كنتم عليه وتعتقدوه من عبادة العدم والبهتان ، ثم البراءة من الأبالسة والطغيان ، ثم التوحيد لمولانا جل ذكره في كل عصر وزمان ودهر وأوان ، ثم الرضى بفعله كيف ما كان ، ثم التسليم لأمره في السر والحدثان . فيجب على سائر الموحدين والموحدات حفظ هذه السبع خصال والعمل بها وسترها عمن لم يكن من أهلها »[2] .

---

١ ــ رسالة التحذير والتنبيه .

٢ ــ رسالة ميثاق النساء .

ونفهم من هذه الرسالة أن المولى قد أسقط عنهم سبع دعائم تكليفية ناموسية ، وفرض عليهم سبع خصال توحيدية :

١ ـــ **أولها وأعظمها : سدق اللسان** ـــ ونلاحظ دائماً أن الدروز لا ينطقون كلمة الصدق بالصاد ، انما ينطقونها ويكتبونها بالسين ، وسبب ذلك هو حساب الجمل ، فالسين تساوي ستين ، والدال تساوي أربعة ، والقاف مائة ، فيكون المجموع مائة وأربعة وستين وهم عدد حدود الدروز ، ذلك أن حد الامامة تسعة وتسعون (أي أسماء الله الحسنى) ، أي أن للامام تسعة وتسعين داعيا ، ولكل من الجناح الأيمن والجناح الأيسر ثلاثون داعيا مجموعهم ستون داعيا . يضاف الى ذلك أربعة حدود علوية ، فالمجموع الكلي مائة وثلاثة وستون حدا ، يبقى بعد ذلك حد ، وهو قائم الزمان حمزة بن علي ، ومن هنا نطقوا كلمة صدق ومشتقاتها وكتبوها بالسين حتى تتفق مع حروف الجمل على هذا النحو ـــ .

٢ ـــ **حفظ الاخوان** : وهذا لا يعني الأخوة الانسانية ، بل تعني بالأخ من شاطرها هذه الخصال .

٣ ـــ **ترك ما كان عليه الموحدون وما اعتقدوه من عبادة العدم والبهتان** : أي أن كل عبادة تقدم لسوى الحاكم لا تصادف الا عدما .

٤ ـــ **البراءة من الأبالسة والطغيان** ـــ والمقصود الأنبياء ـــ .

٥ ـــ **التوحيد للمولى** ـــ أي الحاكم ـــ **في كل عصر وزمان** .

٦ ـــ **الرضا بفعله** ـــ أي الحاكم ـــ **كيفما كان** .

٧ ـــ **التسليم لأمره في السر والحدثان** .

ولا عجب في تفاني حمزة بالحث على الرضى والتسليم ، اذ يعلم أن القوم سوف يقرأون ما كتبه عن أفعال الحاكم مما يثير الاعتراض وسوء الظن ، ولذا شدد على ذلك وقال في رسالة الرضى والتسليم : « اياكم أن تكرهوا شيئا من أفعال مولانا فيكم ، أو تظنوا به ظن السوء » ، ولكن هذا التحذير لم يجد شيئا فالذي نقرأه في رسالة بهاء (الجزء الأول من السبعة أجزاء) توحي أن الشجار والتناحر بينهم قد دب بسبب هذه الخصال السبعة ، مما جعله يكتب شرحا لها كان أولها هذه الرسالة .

وهذه الفرائض السبع التي فرضها حمزة هي عوض عن أركان الاسلام الخمسة بالاضافة الى الجهاد والولاية[1] :

« فصدق اللسان عوض الصلاة .

وحفظ الاخوان عوض الزكاة .

وترك عبادة العدم والبهتان عوض الصوم .

والبراءة من الأبالسة والطغيان عوض الحج .

والتوحيد لمولانا عوض الشهادتين .

والرضا بفعله كيفما كان عوض الجهاد .

والتسليم لأمره في السر والحدثان عوض الولاية »[2] .

وما هذا النقض والاسقاط والابدال الا لاعتقادهم أن مسلكهم التوحيدي قد تجاوز الدعائم الاسلامية من حيث معناها المادي الظاهر ،ليسموا بها إلى معانيها ومقاصدها الحقيقية[3] .

وقد خصص حمزة احدى رسائله الكبرى لاثبات سقوط فرائض الاسلام وتجاوزها حتى بمعناها الباطن والتي تقول به عقائد الاسماعيليين ، وهي العقيدة التي استقى منها حمزة أكثر عقائد طائفته ، وعنوان هذه الرسالة وهو (الكتاب المعروف بالنقض الخفي) ، وقد حاول فيها حمزة أن يبرهن أن أعمال الحاكم بصفته الاله المعبود قد بينت وأظهرت نسخ شريعة وأركان الاسلام ، ظاهرها وباطنها ، وقد بدأ حمزة هذه الرسالة بقوله : « أما بعد ، فقد سمعتم قبل هذه الرسالة نسخ الشريعة باسقاط الزكاة عنكم ، وأن الزكاة هي الشريعة بكاملها . وقد بينت لكم في هذه الرسالة نقضها دعامة دعامة ، ظاهرها وباطنها ، وأن المراد في النجاة من غير هذين جميعا ، وقد سمعتم بأن يصير هذا الباطن المكنون الذي في أيديكم ظاهرا ، والظاهر يتلاشى ويظهر معنى حقيقة الباطن المحض ، وهذا وقته وأوانه وتصريح بيانه للموحدين ، لا للمشركين ، الى

---

١ — هي من الفرائض التي فرضها الشيعة على أتباعهم ويقصدون بها ولاية الامام ، والملاحظ من هذا أن حمزة يريد أيضا اسقاط فرائض الشيعة .

٢ — مخطوط (ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به) مكتبة القديس بولس / الجامعة الأمريكية / بيروت .

٣ — أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ١١٢ .

أن يظهر السيف فيكون ظاهرا مكشوفا ، طوعا وكرها ، وتؤخذ الجزية من المسلمين والمشركين كما تؤخذ من الذمة ، وقد قرب إن شاء مولانا وبه التوفيق »[1] .

وبعد أن يبشر حمزة أتباعه بقرب أخذ الجزية من المسلمين ، وللاسراع في ذلك يبتدىء بهدم أول الأركان وهو شهادة أن (لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله) ، حيث يبين أن الجملتين دليل على السابق والتالي ، وبما أنها سبعة كلمات فهي دليل على النطقاء السبعة ، والأوصياء السبعة ، وكذلك هي اثنا عشر حرفا ، دليل على اثنتي عشرة حجة ، وبهذا التعليل السخيف يزعم أن هذا الركن ليس كما يفهمه المسلمون ويؤمنون به وانما هو دليل على هذه الأمور فقط .

وأما الصلاة فانه يبرهن على اسقاطها ، بتصرفات الحاكم (الاله المعبود) والذي لم يصل بالناس سنين كثيرة ، ولم يصل أيضا لا في جنازة ولا في عيد مدة طويلة ، فدل هذا الترك من قبل الحاكم أنه قد نقض الصلاة ورخص لعبيده بتركها .

ويأتي بعد ذلك للزكاة ، ليستدل أيضا بمنع الحاكم أخذ الزكاة من الناس ، فدل هذا — كما يزعم — على اسقاطها من قبل المولى المعبود . وبما أن الحاكم قد أمر الناس بتكذيب حديث رسول الله ﷺ « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وأمرهم أيضا بالافطار في ذلك اليوم الذي يعتقد المسلمون كلهم بأنه خاتم الصوم ، فهذا يعني عند حمزة نقض الصوم وفريضته ، لأن فعل الحاكم هذا دليل على اسقاط الصوم .

وعندما يتحدث حمزة عن الحج ، يصف أركانه وشروطه بأنه ضرب من ضروب الجنون ، فكشف الرؤوس ، وتعرية الأبدان ، ورمي الجمار ، والتلبية ، كل هذا من الجنون في زعم حمزة . لهذا فان الحاكم منع الناس من الذهاب الى الحج سنين عديدة ، وكذلك قطع عن الكعبة كسوتها ، وقطع الكسوة عند حمزة هو الكشف والهتك ، فدل هذا أن الحاكم بين للناس أن ذهابهم الى الحج هو بلا منفعة بعد أن كشفه الحاكم .

---

١ — الكتاب المعروف بالنقض الخفي .

أما الجهاد فقد نقضه أيضا الحاكم وأسقطه عن الناس . حتى الولاية ــ التي يقول بها الشيعة ومنهم الاسماعيلية ــ أعلن حمزة اسقاطها ونقضها لأن الحاكم فعل ذلك على رؤوس الأشهاد عندما أعلن نقض ولاية علي وذريته .

وفي خلال ذلك ، كان حمزة ينقض كذلك المعاني الباطنية لأركان الاسلام والتي تقول بها الاسماعيلية ، فالاسماعيلية تقول بأن لكل شيء معنى ظاهرا وباطنا ، وخاصة أركان الاسلام الخمسة ، لهذا فقد حرص حمزة وهو ينقض أركان الاسلام ، أن ينقض أيضا ما يدعيه الاسماعيلية من المعاني الباطنية ، وذلك ليكون المجال أمامه مفتوحا عندما يدعو لمذهبه الجديد.

مما سبق نستطيع أن نلخص ما ورد في رسالة حمزة (الكتاب المعروف بالنقض الخفي) بما يلي :

١ ــ أن الشهادتين تدلان على عبادة الحاكم ، وعلى حدود الدروز ، ولا تدل على ما يقصده أهل السنة ، ولا الاسماعيلية أيضا .

٢ ــ وأن الصلاة هي صلة قلوب الدروز بعبادة الحاكم على يد الخمسة حدود ، وهذه هي الصلاة الحقيقية في زعمهم .

٣ ــ وأما الزكاة فهي عبادة الحاكم ، وتزكية قلوبهم وتطهيرها وترك ما كانوا عليه .

٤ ــ وفيما يتعلق بالصوم ، فهو صيانة قلوبهم بتوحيد مولاهم الحاكم .

٥ ــ وكذلك الحج صار له معنى مختلف عند حمزة ، هو توحيد الحاكم .

٦ ــ أما الجهاد فقد أسقطوه عن الناس ، لأن الجهاد الحقيقي ــ في زعمهم ــ هو السعي والاجتهاد في توحيد الحاكم ومعرفته وعدم الاشراك به .

وهكذا فان هدم الشريعة الاسلامية هو الهدف الأول والأخير من جميع الحركات الباطنية ومن بينها الدروز ، واذا صنفنا الهدامين جاء حمزة في طليعتهم ، ولذا لا نعجب اذا مهد لهذا بهذه الرسالة ، وحذا حذوه بعد ذلك أتباعه وتلاميذه قديما وحديثا الذين ألفوا الرسائل والكتب يحاولون من خلالها أن ينالوا من الاسلام وشرائعة

بالاستهزاء تارة وبالتشكيك تارة أخرى ، فهذا بهاء الدين تلميذ حمزة المخلص يصف في رسالته (الموسومة برسالة السفر الى السادة) جميع اعتقادات الأمم ومنها الاسلام تمويهات ولا يؤمن بها الا أشباه الحيوانات ويقول : « وهذه الفرق من الأمم وهي النصرانية والمسلمين واليهودية والمجوسية أعني الابراهيمية الحشوية ، ومن المذاهب كالنصيرية والقطعية وأصحاب اسحق الأحمر وهم الحمراوية[1] ، وجميع من لم نسميه فقد بطلت دعاويهم لأنها تمويهات على الأمم وغير جائزة الا على أشباه البقر والغنم ، والعقل يقطع ، والحق يدفع ويمنع صحة قول كل أحد من جميع من إدعته هذه الفرق »[2] .

وحتى يضمنوا أتباعهم يحذرهم التميمي في رسالة (الشمعة) من التمسك بأي شيء من الشرع لأن هذا الحاد وكفر وإبطال وكذب[3] ، على حد زعمه .

أما في العصر الحالي فقد ساروا على نفس الطريق والأسلوب ، فكمال جنبلاط في مصحفه الذي ألفه ينكر القرآن ويعتبره فرية ويقول : « لقد ضل الذين جحدوا الحكمة واتبعوا فرية صحف اكتتبوها ، فهي قبلة آبائهم ، يتلونها بكرة وعشيا ، وقالوا هذا من عند الله المعبود[4] » ، ويضيف قائلا في مكان اخر من مصحفه عن القرآن : « وقال الذين كفروا منكم ، ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، وعليه وجدنا آباءنا ، قل لو كنتم على الهدى لآمنتم به ، ولكنكم لا تعلمون غير ما تهواه أنفسكم ، وأنتم تجهلون ، نحن أعلم بما في أيديكم ونحن المنزلون . لقد ضل هؤلاء الذين يريدون أن يحكموا بالقرآن ، ويتخذوه سبيلا ، ثم به يكفرون بعد أن تبين الحق ، قل أليس الحق أن يتبع ؟ »[5] .

---

١ ــ الحمراوية فرقة انفصلت عن النصيرية وجرت بينهم حروب طويلة ، مع أن مذهبهم يتشابه مع مذهب النصيرية في كثير من الاعتقادات .

أنظر الباب الثالث من هذه الرسالة .

٢ ــ الرسالة الموسومة برسالة السفر الى السادة .

٣ ــ رسالة الشمعة .

٤ ــ المصحف المنفرد بذاته / عرف عاقبة المكذبين ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

٥ ــ المصدر السابق / عرف المحرمات ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

ولأن جنبلاط على طريق حمزة الهدام ، فانه كذلك يدلي بدلوه في موضوع أركان الاسلام وعباداته ، ويستعيذ من هؤلاء الذين يتقربون الى الله بالعبادة ويقول مخاطبا مولاه الحاكم : « مولانا نستعيذ بك من أن تكون من الذين يتقربون اليك بالعبادة ، أو الذين يعملون الصالحات لتقربهم اليك زلفى . أفٍ لتلك الأنفس وويل لها ، لقد منيت بهوى شديد أضلها عن السبيل »[1] .

اذن فطريق حمزة وأتباعه القديم ، هو نفسه طريق جنبلاط وطائفته حديثا في التشكيك بالاسلام وشرائعه .

والذي يلاحظ من خلال رسائل الدروز ومصحفهم هذا ، أن نقض الشريعة الاسلامية والاستهزاء بأركانها ورسولها صلوات الله عليه ، هما الشغل الشاغل لدعاة الدروز ، باعتبار أن الاسلام هو عدوهم الأول ، وتقويض أركانه — كما يتوهمون — يمهد لهم الطريق لما يريدون وما يبتغون .

ويؤكد هذا القول ما جاء في أحد رسائل حمزة ، والتي ينفي فيها نبوة محمد ﷺ ، ويثبتها لنفسه فيقول : « وأنتم تعلمون أن لمحمد أربعمائه سنة وعشر سنين لم يظهر دينه على الأديان كلها ، واليهود والنصارى أكثر من المسلمين ، والهند والسند والزنج والحبشة أكثر منهم ... فلو كان الرسول محمد له أديان هؤلاء النطقاء لكان يجب أن يكون المسلمين أكثر العالمين وأغلبهم في الأولين والآخرين ، فلما لم يصح للمسلمين ذلك علمنا بأن الرسول الحقيقي هو عبد مولانا جل ذكره وهاديا اليه واماما على أمره لعبيده »[2] .

أما بهاء الدين فيحاول في كلام استهزائي آخر عن فريضة الحج أن يثبت أن طائفته هي الطائفة النورانية الحقيقية في عبادتها للحاكم ، بعكس المسلمين الذين يقبلون الحجر الأسود الأصم ويرفضون عبادة الحاكم الذي ظهر بألوهيته للناس ، ويضيف قائلا : « ولعمري انه ما تعجب الا من قوم قطعوا المفاوز ولقوا في سفرهم الهزاهز الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الأنفس[3] ، قصدا الى حجر أسود وبيت

---

١ — المصدر السابق / عرف الأعراف أو تسبيح مؤذني نواقيس الأحتام ص ٢٥٧ .
٢ — رسالة الغاية والنصيحة .
٣ — يقصد الآية الكريمة « وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس » سورة النحل الآية ٧ .

جلمد ليس فيه حياة ولا نطق ، فأي عجب أعجب من قوم هذا فعلهم . ثم انهم أنكروا على هذه الطائفة النورانية المضيئة ، أعني أهل التوحيد عبادة الواحد المجيد الحاكم على كل الأشياء شهيد ، فيا ليت شعري ما نفعهم من تقبيل الحجر الأسود وما أكتسابهم من الفوائد العقلية والعلوم الحقيقية الالهية ، هل فعلهم الا كفعل النصارى في الصليب ، بل هم أشد عتوا »[1] .

ومع أن الدروز لا يجيزون صوم شهر رمضان ، لأن حمزة أسقطه عنهم ، لكونه من فرائض الاسلام ، الا أنهم يصومون في أيام خاصة ، وهي التسعة أيام الأولى من شهر ذي الحجة ، وصيامهم هو نفس الصيام الاسلامي من امتناع عن الأكل والشرب ، ويبيحون أيضا الصوم في أي شهر غير شهر رمضان[2] ، وعيدهم الأكبر والوحيد هو عيد الأضحى فقط[3] .

أما عن الصلاة ، فقد بنى الدروز المساجد في قراهم ومدنهم تسترا من المسلمين الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم وتقربا منهم وتمويها عليهم ، وذلك حتى يأمنوا منهم على أنفسهم وينفوا عنهم تهمة الردة وحدها ، ولكنهم بدأوا يبتعدون عن هذه السرية ، ويعلنون بعض الحقيقة من أمرهم . « ولما قامت فتنة سنة ١٨٦٠ م في لبنان بين الدروز والموارنة ، بدأت آخر دلالة شعائرية بالانقراض ، ونعني بها شعائر الصلاة في المساجد الكثيرة التي كانت منتشرة في القرى الدرزية ، ولجأ الدروز بعد ذلك الى الخلوات يقرأون بها رسائلهم وتركوا المساجد نهائيا »[4] .

وهذا الأمر هو شيء طبيعي ، لأن حمزة أسقط عنهم الصلاة منذ زمن بعيد ، لذلك فقد وصل بهم الأمر في الوقت الحاضر أن يمنعوا قيام المساجد للمسلمين الموجودين في قراهم ، وقد حاول بعض المسلمين المقيمين في جبل الدروز بسورية

---

١ ــ رسالة من دون قائم الزمان .

٢ ــ الدروز والثورة السورية / كريم ثابت ص ٤٦ ، وطائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ١٢٣ ، واسلام بلا مذاهب ص ٢٩٣ .

٣، ٤ ــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٢٠٨ .

إقامة مسجد في مدينة السويداء عاصمة جبل الدروز ، ولكنهم عندما عادوا في اليوم التالي لاكمال البناء وجدوا ما بنوه مهدوما ، ولم يقم هذا المسجد الا بعد الاستعانة بقوة عسكرية لحمايته .

وقد اعترف شيخ عقل الدروز الشيخ محمد أبو شقرا أخيرا في حديث خاص أن صلاتهم في خلواتهم تختلف كليا عن صلاة جمهور المسلمين في عددها وفي طريقتها ، لهذا فانهم لا يعتقدون بالوضوء للمصلي ، لأن الطهارة في اعتقادهم انما هي في الداخل وليست في الخارج[1] .

---

١ ــ الحديث الشخصي للشيخ أبي شقرا في كتاب اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٢٩٢ ــ ٢٩٣ .

٦ ـــ العقال والجهال ونظام الخلوات عندهم :

ينقسم المجتمع الدرزي الى عقال وجهال ، وبمعنى آخر الى : « روحاني ، وجثماني ، فأما الروحاني فهو الذي بيده أسرار الطائفة ، ويقسم الى ثلاثة أقسام : رؤساء ، وعقلاء ، وأجاويد .

والجثماني : وهو الذي لا يبحث في الروحيات بل يبحث في الدنيويات ، ويقسم الى قسمين : أمراء وجهال »[١] .

والروحانيون أو العقال ـــ في مصطلح الدروز ـــ ينقسمون الى أقسام ثلاثة : فمنهم الطبقة التي تعرف بالمنزهين ، وأصحاب هذه الطبقة في أشد العبادة والورع ـــ للحاكم ـــ فمنهم من لا يتزوج حتى يموت ، ومنهم من يصوم كل يوم الى المساء ، ومنهم من لا يأكل اللحم في جميع حياته . والطبقة الأخرى : هي الشراح ، ويرخص لهم بالاطلاع على ما كتبه الأمير عبدالله التنوخي أحد مشايخهم ، أما الآجاويد فهم الطبقة الأخيرة من الطبقات الثلاثة ، ويعرفون من أسرار دينهم أكثر بقليل من الجهال .

ويعرف المكان الذي يجتمع فيه عقال الدروز ، ويقيمون فيه عبادتهم بـ (الخلوات) ، حيث تتلى فيها كلمات الوعظ ورسائل الدروز . وبداية الخلوة تكون للجهال فقط ، فيوعظون بأمور عامة ثم يطلب منهم الخروج ، ثم تتلى بعض الرسائل البسيطة فتخرج الطبقة الدنيا من العقال ، وبعد ذلك تتلى بعض الرسائل الأخرى ، فتخرج الطبقة الثانية ، بحيث لا يبقى الا رجال الدرجة الأولى الذين لهم وحدهم الحق في سماع الأسرار العليا لعقيدتهم .

---

١ ـــ الدروز والثورة السورية / كريم ثابت ص ٣٢ ، ٣٣ .

وتقسيم المجتمع الدرزي إلى عقال وجهال ، دليل على نظام السرية الذي يحرص عليه الدروز طوال حياتهم ، لهذا ظهر نظام الخلوات قبل قرنين من الزمان وبالتحديد عام ١٧٦٢ م ، لتكريس هذه السرية بشكل عملي ، بعد أن انقرضت آخر شعيرة يستترون بها من المسلمين عن حقيقة دينهم وهي اقامة المساجد والصلاة في مدنهم وقراهم .

والحقيقة أن المتتبع لطريقة صلاتهم وعبادتهم ــ للحاكم ــ ، لا بد أن يصل في النهاية إلى حقيقة ذلك النظام السري (الخلوات) ، والذي يعطي صورة واضحة عن كيفية عبادة الدروز وطبقيتهم وكتمانهم ، بحيث لا يعطى الاسرار العليا أي شخص حتى ولو كان عقالهم ، الا لنخبة مختارة من شيوخهم وعقالهم .

ومن الأدلة على ذلك ، أن الجاهل من طائفتهم لا ينتقل الى طبقة العقال إلا بعد الأربعين من عمره ، وبعد امتحان عسير شاق يستمر مدة سنتين ، ليثق شيوخهم بأحقيته أن يكون واحدا منهم .

أما عن طريقة دخول الجاهل في سلك العقال ، فنجده في أحد رسائلهم وهي على طريقة السؤال والجواب ، وفيما يلي نصه :

س : كيف يكون تقديم الجاهل ؟

ج : يقدمه جماعة الموحدين أمام الامام ويحرضه على حفظ السر ويعلن له الحقائق والطرائق ، ويطعمه تينا ، ويقول له : يا رجل أتؤمن بدين النبي [١] ؟ وتريد أن تأخذ هذا الدين وتصير من جملة الموحدين ، فيجيب : نعم أؤمن ، فيسلم الحجاب ويصير واحدا منهم صحيحاً تماماً .

« س : كيف يجب أن يكون سلوكه بعد دخوله ؟

ج : يجب أن يتظاهر بالحشمة والأداب وطول الروح ، والكلام اللائق والهدوء ، والسلام والكلام واللين ، وبما يضاهي به اخوانه الموحدين .

---

١ ــ يقصد حمزة .

س : ما هو العهد الواجب عليه وما هي صورته ؟

ج : هذه صورته : باسم الامام مولانا الأعظم المنزه عن العاهات والوالد القادر ، الذي لم يخلق ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، أنا فلان إبن فلان قد نويت وعزمت أن أضع نفسي وجسدي ومالي وحريمي وأولادي وأرزاقي وأعلامي ،وكل ما تملك يدي تحت يد الطاعة ، لسيدي مولاي الحاكم بأمره العلي العلامة أمير الحكام صاحب الجبروت القادر على جميع الكائنات قد سلمت حالي إليه ، ووعدته باتكالي عليه ، وأقر الاقرار التام ، وأشهد أمام إخواني الموحدين وسيدي الامام ، أني قد تبرأت من الأديان ، ولا أريد شيئا يخالف أو يناقض الوحدانية ، ولا أقر أن في السماء الها معبوداً ، ولا في الأرض اماماً موجوداً سوى سيدى ومولاي الحاكم بأمره العالي المقتدر الحكيم بتدبيره ، وهو نصيري ومجيري وإليه فوضت كل أمري وتدبيري ، وكرهت ورذلت كل ما يبعدني عن عبادته وطاعته وصدقه ... [1]» .

هذا وللدروز رئيس ديني يلقب بـ (شيخ العقل) في كل دولة يقيمون بها ، ويتولى منصبه بالانتخاب أو الاتفاق بين الزعماء وكبار رجال الطائفة في تلك الدولة ، ولشيخ العقل أعوان في كل قرية أو بلد . علماً بان شيخ العقل الآن في لبنان هو (الشيخ محمد أبي شقرا) ، وفي فلسطين المحتلة وسورية شيخ للعقل أيضا لكل منهما .

ولاعطاء صورة واضحة عن نظام (الخلوات) ، نقتطف من أحد الكتب المخطوطة لمؤلف مجهول فقرات عن كيفية اقامتها وطريقة الوعظ فيها فيقول : « قبل عام ١٧٦٢ م لم يكن للدروز خلوات ، أو كانت ولكن ليست ظاهرة ، ولا شيوخ عقل بل كانوا تحت جناح الاسلام مباشرة ، وبقي شيوخ العقل يتخبطون في خلواتهم بين الرسائل والشروح ، إلى أن تسلم الرياسة الروحية في جبل حوران الشيخ ابراهيم البجري ، فقرر قراءة الكتابين الأولين (أي ميثاق ولي الزمان وكشف الحقائق) مع

١ ــ رسالة تعليم دين التوحيد ــ المعروف بدين الدروز ــ ص ٣٠ ــ ٣٢ .

شيء من الكتاب الثالث (أي مناجاة ولي الحق) على كل درزي تتوفر فيه الشروط الدينية .

ثم قسم الشيخ ابراهيم الكتاب الثاني والثالث إلى ثمانية أقسام ، وعين لكل ليلة من ليالي الأسبوع قسماً منها ، وضمّ لها أقساماً معلومة من رسائل أخرى ، ودعا هذا كله دورا .

فدور مساء الخميس مثلا ، الميثاق والكشف والتزيه وشعر النفس ، ودور مساء الجمعة الميثاق والدامغة والرضا وشعر النفس ... وهكذا لكل ليلة دورها الخاص ، مع الملاحظة أن الاجتماع الرسمي هو مساء الخميس ، والقراءة في الجمعة وسواها جماعية .

وهناك بعض فصول من الرسائل ، رأى الشيخ ابراهيم وجوب قراءتها في كل صباح ، وقد دعا هذا الترتيب فرضا ، وما زال عليه الناس في جبل حوران وسواه حتى يومنا هذا ، وان رأينا تعديلا في بعض المناطق ، فهو لا يعدو ابدال فصل بفصل من رسالة واحدة أو رسالتين متغايرتين . وقد ثابر القوم على هذا المنهاج واعتبروه واجبا على كل درزي تتوفر فيه الشروط الدينية .

وعن هندسة هذه الخلوات يقول :

إن الشيخ إبراهيم أمر أن يقام في كل قرية درزية خلوة كبيرة تتسع لأكبر عدد من سكان القرية ، وأطلق على هذا البناء اسم (مجلس حمزة) وهو يتألف من غرفة كبيرة تتوسطها مصطبة ــ طاولة ثابتة ــ بارتفاع سبعين سنتم تقريباً ، يعلوها ستار من القماش السميك بارتفاع متر ونصف تقريباً ، كأنها تقسم الغرفة قسمين وتحجب بينهما . يجلس الرجال في قسم والنساء في القسم الآخر ، ولكل قسم باب ونافذة في مكان واحد .

ويجلس الامام ــ شيخ عقل القرية ــ في صدر المجلس تقريباً من الزاوية ، ويولي ظهره للقاطع ــ المصطبة ــ ثم يجلس الشيوخ عن يمينه وشماله بصفوف غير منتظمة ، تاركين أمامه فسحة صغيرة مستعدين لأداء الطقوس .

أما كيفية ترتيب الطقوس فهو كما يلي :

١ ــ **الوعظ** : وهو قصص وحكايات صوفية ، كقصص مالك بن دينار وذي النون المصري وابراهيم بن أدهم وسواها من القصص الخفيفة التي نراها في كتاب (روض الرياضين) . أما اذا كانت هذه الليلة ليلة العيد الكبير ، ضموا للوعظ قصة (الثواب والعقاب) وهما تصوران ما يلاقيه الكافر والمرتد من أهوال التناسخ ، وهذه الجلسة متاحة للجميع ، يحضرها المدخن والسكير حتى ولو كان ليس درزيا .

٢ ــ **الشرح** : المرحلة الأولى : ويجوز حضوره لكل درزي ، ونرى الحاضرين فيه كثيرين في ليالي الجمعة وليالي العشر من ذى الحجة ، يفتتحه الامام قائلا : علينا أن نمسي الحدود (أي نقول لهم : مساكم الله بالخير) ، وقد يقول هذه الكلمة شخص آخر اذ هي مباحة لكل شخص من الحاضرين .

وتمسية الحدود هي تحية وسلام وتسبيح على كل حد من الحدود الثمانية : (العقل ، النفس ، الكلمة ، السابق ، التالي ، الجد ، الفتح ، الخيال) ، وهذه صيغة التمسية ، يقدمونها أولا للعقل قائلين :

ألـــــف المسا مساك   يا عقـــل من مولاك
يا نور صاف محض   سبحـــان من صفـــاك
يـــا لابس الأخضـــر   يـــا زينـــة المحضـــر
قلبـــي يميـــل اليـــك   عينـــي تريـــد رؤيـــاك
صلـــى عليـــك الله   يـــا نـــور عـــرش الله
صلـــى عليـــك ربي   نحـــن دخيـــل حمـــاك

ثم يتوجهون للنفس فيمسونه بنفس هذه الأبيات مع ابدال كلمة الأخضر الموجودة في صدر البيت الثالث بالأحمر ، ثم يتجهون للكلمة بنفس الأبيات ويضعون بدل الأخضر كلمة أصفر ، ثم يخصون السابق باللون الأبيض ، والتالي باللون الأسود بنفس الأبيات والترتيب . أما الجد والفتح والخيال فتقدم لهم التمسية دون ذكر البيت الثالث ، اذ الثلاثة الباقون ليس لهم كسوة خاصة .

وقد ترنم بعض الخلوات بهذه الترنيمة أيضا :

صلوا على القائل صاحب الجود والفضائل
صلوا على ولي الهدايا صاحب النعم والكفايا
صل وسلم يا رب عليه واسعدنا برضاه

صلوا على السيد الهادي الامام الأعلى ، نور القيام ، المنتظر لنجاة الأنام ، الهادي الى طاعة المولى العلي حاكم الحكام ، امام الرضاة المظفر المصطفى ، صل يا رب وسلم على سيدنا وحبيب قلوبنا ورجانا (حمزة بن علي) .

وبعد الانتهاء من التحية الأدبية ، يطلب الامام من أحد الشيوخ أن يعظ الناس ، وهذا يتلو بعض أخبار الصالحين من الصوفيين ويطلب من آخر أن ينشد بعض الأناشيد الدينية ، ويختم المجلس بنشيدة جماعية .

المرحلة الثانية : يقف الشيخ ـــ الامام ـــ فيقفون جميعا رجالا ونساء قائلين بصوت واحد : يا سميع ، احتراما للأمير عبدالله التنوخي ثم يجلسون ، وفي هذه اللحظة ينصرف الجهال ، كالقاتل والزاني والسكير وشارب التبغ ..... وسواهم من المحرومين الذين لا يستحقون سماع الشرح .

على أن بعض هؤلاء الجهال يقف متأدبا واضعا كفيه تحت ابطيه ويكلم المشايخ بأدب وتواضع قائلا : الله يمسيكم بالخير حضرات المشايخ ، فيجيبون : الله يمسيك بألف خير ، ثم يقول بذل وانكسار : نطلب الحلم وصفاء الخاطر من الله ومنكم ، العبد يخطىء والسيد يعفو .

وهنا يتجه المشايخ الى بعضهم قائلين : احلموا علينا وعليه يا مشايخ ، وفي هذه اللحظة يأتي دور الامام وله أن يفوه باحدى كلمتين : اما أن يسمح عن ذلك المستشفع قائلا : تفضل أقعد ، وهذه معناها السماح بحضور المرحلة الثانية فقط ، واما أن يقول : ما قدامنا وقدامكم الا الخير ، وهذه معناها الاصرار على ابعاده وعدم السماح له بالجلوس ، وهنا يخرج المستشفع خجلا كسير النفس .

وبعد خروجه تبدأ المرحلة الثانية فيقرأ الامام أو يكلف أحد الشيوخ بتلاوة شرح احدى الرسائل المقررة ، وبعد الانتهاء من القراءة يقفون جميعا قائلين : يا سميع .

وفي هذه الفترة يخرج الذين لا يجوز لهم حضور المرحلة الثالثة ، واذا طلب أحد هؤلاء السماح يبقى واقفا متأدبا مكررا الكلمات السابقة ، وليس له الا أحد الجوابين السابقين ، وقد يوكل أحد الشيوخ فيقف هذا موقف المذنب التائب ، ويتكلم بالنيابة عن المستشفع وبنفس الجمل ، وهنا اما أن يجاب أو يرفض .

المرحلة الثالثة : ثم يتوجه الامام للمشايخ قائلا : تفضلوا احلموا ، وهنا تبدأ قراءة الدور قراءة جماعية ، وكلهم يحفظ الدور الواجب تلاوته ، فيبدأون بالميثاق ، ثم بالرسائل المقررة لتلك الليلة ، ويجعلون شعر النفس ختاما ، ويسجدون عند كلمة (هو الحاكم المولى بناسوته يرى ...) ويرفعون أيديهم مبتهلين ، ثم ينصرفون مرددين بعض الأدعية .

هذه الخلوات ، تشبه بعضها بعضا ، وان اختلف بناؤها باختلاف القرى أو تخلفها ، وفي مقدمتها من حيث التاريخ خلوات الزنبقية قرب كفر نبرخ بلبنان ، وان فاقتها الان خلوات البياضة (حاصبيا لبنان) وحلت محل الصدراة .

أما الشيوخ الذين يقومون بادارة تلك الخلوات ، فيتفاوتون ليس بالعلم أو الخدمة العامة ، بل بشهادة السلوك والمثابرة على الخلوات والزهد الذي قد يصل لدرجة رهبان البراهمة ، ذلك أنهم يخالون العكوف على دراسة الرسائل كل شيء في العالم ، ولذا ضاق أفقهم .... »[1] .

والعقال الدروز يعرفون بعمائمهم ولبس القباء الأزرق الغامق ، ويطلقون لحاهم[2] ، على أن الذين يسند اليهم وظائف حكومية يباح لهم ترك هذه الملابس

١ ــ كتاب مخطوط بعنوان (أيها الدرزي عودة الى عرينك) / مؤلف مجهول ص ٩٧ ــ ١٠٠ .
٢ ــ هذا على الغالب ، وأما ترك الشارب فهو عند الجميع .

وارتداء الزي الذي يتطلبه منصبه الرسمي. والنساء في المجتمع الدرزي ، ينقسمن أيضا الى عاقلات وجاهلات مثل الرجال تماما ، والنساء العاقلات يلبسن النقاب وثوبا اسمه (صاية)[1] .

والعقال أيضا يحرمون مال أولياء الأمور من أي جهة كانت ، وجميعهم يستحلون أموال التجار من أي جهة كانت ، فاذا قبضوا دراهم محرمة أتوا بها الى التاجر ليبدلونها منه فتصبح حلالا[2] .

والجاهل في نظر عقلاء الدروز كالحارس الذي يحرس بيتا في الخارج ويجهل معرفة أسراره الداخلية ، وهكذا يعيش الجاهل منهم — اذا لم يدخل سلك العقال — درزيا ولا يعلم من الدرزية سوى شيء يسير جدا ، كالاعتقاد بألوهية الحاكم ، وامامة حمزة والأربعة حدود ، والتقمص ، والعلامة السرية التي يجعلونها بينهم لمعرفة بعضهم البعض[3] .

---

١ — طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ٣٢ .
٢ — مخطوط بعنوان (في تقسيم جبل لبنان) في الجامعة الأمريكية ببيروت / ومخطوط بعنوان رسالة في معرفة سر ديانة الدروز .
٣ — الدروز والثورة السورية / كريم ثابت ص ٣٣ .

٧ ـــ تسترهم على عقائدهم :

يرتبط الحديث عن العقال والجهال ونظام الخلوات السري ، بعقيدة هامة من عقائد الدروز ، وهي عقيدة السرية والكتمان ، والتي أصبحت ملازمة للدرزي في كل أمر من أمور حياته ، لأنها عقيدة التصقت بنفسيته وتكوينه . وهذا يفسر لنا تقلب الدروز في الولاء للدول والزعماء والأديان ، مما أظهرهم دائما بمظهرين ، المظهر الحقيقي الباطني والذي لا يعرفه الا الدرزي فقط ، والمظهر الخارجي والذي يتقلب حسب المصالح والأهواء .

لذا فان الطائفة الدرزية تصنف وتعد من الطوائف الباطنية الموجودة في بلاد الاسلام ، والتي تؤمن بالتقية ، والقول بالباطن ، وبسرية العقائد .

والحقيقة أن السرية هذه جاءت الى عقائد الدروز عن طريق الاسماعيلية ، والتي هي الأصل المهم لعقائدهم ، ـــ فكما سبق ـــ[١] فان من أهم عقائد الاسماعيليين القول بالظاهر والباطن ، والظاهر هو لجمهور الناس وعامتهم ، أما الباطن فلا يقال الا لمن ارتفع في مستواه وتفكيره فوق عقول هؤلاء العامة .

وأصول عقيدتهم هذه ـــ كما هو معروف[٢] ـــ خليط من نظريات فلاسفة اليونان وغيرهم ، والذين كانوا أول من وضع أصول السرية ، والتي تقول بحجب آرائهم وأفكارهم الحقيقية عن عامة الناس .

---

١ ـــ أنظر الفصل الثاني من الباب الأول في هذه الرسالة عن عقائد الاسماعيليين .

٢ ـــ أنظر باب التمهيد من هذه الرسالة في مصادر الفكر الباطني .

ومع أن الدروز يزعمون أن اعتقادهم بالسرية كان تمشيا مع أفكار فلاسفة اليونان وغيرهم ، الا أن الواقع يبين أن هذه العقيدة جاءت الى الدروز عن طريق الاسماعيلية ، والاسماعيليون هم الذين أخذوها عن اليونان ، وهذا الرأي يصرح به جنبلاط حينما يعترف بأخذ الدروز الكثير من عقائدهم عن اخوان الصفا ، بل واعجابهم بهم لأنهم تشابهوا مع الدروز في مزجهم الشريعة الاسلامية بالفلسفة اليونانية[1] ، واخوان الصفا ــ كما هو معروف[2] ــ طائفة من طوائف الاسماعيلية .

والدروز يفاخرون دوما باتباعهم لطريقة افلاطون وفيثاغورس وغيرهم من فلاسفة اليونان ، يقول الدكتور سامي مكارم في معرض رده على الأستاذ عبدالله النجار : « لقد أصاب باعتبار أفلاطون ، وأتباع فيثاغورس من مصادر السرية في مسلك التوحيد ، ولكن لم يصب في تجاهله مصادر أخرى لهذه السرية كان لها من الأهمية ما لأفلاطون وفيثاغورس وأتباعه ، فهناك هرمس ، وهو معروف بصيانته الشديدة للأسرار ، وهو مكرم عند الدروز ، ينظرون اليه بعين التقديس ويجعلونه في مصاف الأنبياء »[3] .

ولذلك فالدروز يحرصون أشد الحرص على كتمان عقائدهم السرية ، وينكرون ما يؤخذ منها ، بل قد يذمونها أمام المعترضين رياء واستتارا ، وقد حرص الدروز على هذا الكتمان المطبق لأصول مذهبهم وعقائدهم طيلة القرون ، ولم تعرف خفايا مذهبهم الا منذ قرن حينما غزا ابراهيم باشا[4] مناطقهم الجبلية[5] ، ووقع الغزاة على بعض كتبهم المقدسة ، وعرفت محتوياتها[6] . حيث نقلت هذه الكتب بعد ذلك الى مكتبات أوروبا وأمريكا كمخطوطات هامة .

---

١ ــ من الحديث الخاص الذي أدلى به كمال جنبلاط للدكتور مصطفى الشكعة في كتابه اسلام بلا مذاهب ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

٢ ــ أنظر الفصل الخامس من الباب الاول لهذه الرسالة في صلة اخوان الصفاء بالاسماعيلية .

٣ ــ أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ١٤٥ .

٤ ــ هو ابن محمد علي باشا الوالي الألباني الذي عينته الدولة العثمانية واليا على مصر .

٥ ــ مع أن الكتب التي كتبت عنهم قبل هذا الوقت ، ذكرت شيئا من عقائدهم .

٦ ــ الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية / د. محمد عبدالله عنان ص ٢٠٣ .

وهكذا نرى أن الكتمان لا يعني الا التظاهر بشيء أو تفسير الأصول والعقائد بشيء ، والتكتم على شيء أخر ، فأصبح عادة مستحكمة عند الباطنيين تحمل على النفاق ، وتفرض على الشخص أن يغاير ما بنفسه ، ويتظاهر بما لا يؤمن فهو درس في وجوب الكذب الصريح .

فالعقيدة الدرزية تأخذ السرية على أنها مسلك ونهج أساسي وأصل من عقيدتهم ، وليست تقية في المعنى والقصد العادي الشائع وهو الخوف والاستتار من المكروه[١] . فهي كما يزعمون وقاية للحقيقة ، وللمستضيئين بها ، ولمن لا يستطيعون ادراكها[٢] .

يقول حمزة في احدى رسائله : « ان أكبر الآثام وأعظمها اظهار سر الديانة واظهار كتب الحكمة ، والذي يظهر شيئا من ذلك يقتل حالا اتجاه الموحدين ولا أحد يرحمه ... ويقول : عليكم أيها الاخوان الموحدون في دفن هذه الأسرار ولا يقرأها الا الامام على الموحدين في مكان خفي ، ولا يجوز أن تظهر كتب الحكمة الذي كلها رسم ناسوت مولانا سبحانه ، وان وجد شيء من هذه الأسرار في يد كافر فيقطع اربا اربا، فأوصيكم أيها الموحدون بكنة الأسرار »[٣] .

ويقول أيضا في رسالة أخرى : « وصونوا الحكمة عن غير أهلها ، ولا تمنعوها لمستحقها ، فان من منع الحكمة عن أهلها فقد دنس أمانته ودينه ، ومن سلمها الى غير أهلها فقد تغير في اتباع الحق بيقينه ، فعليكم بحفظها وصيانتها عن غير أهلها والاستتار بالمألوف عند أهله »[٤] .

وفي شرح الميثاق (ميثاق ولي الزمان) ، يعتبر ـــ كاتبه ـــ التستر والكتمان من صحة العقيدة ، حتى ولو أدى ذلك الى أن يظهر أي شيء مخالف لعقيدته وينافق في سبيل ذلك فيقول : « حتى ولو أخر الانسان بعض رسائل الحكمة بلا

١ ـــ من توطئة بايزيد في كتاب أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ٦٥ .
٢ ـــ أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ٩٧ .
٣ ـــ الرسالة الموسومة بحفظ الأسرار من مخطوطة لبعضهم قول وجيز في الجامعة الأمريكية ببيروت .
٤ ـــ رسالة التحذير والتنبيه .

حفظ ، ويحفظ عوض ما يقيم المساترة ، كان ذلك واجبا ، لأن الانسان اذا غرس بستان ولم يصنه بشيء لم يسلم أبدا ، واذا غرسه ونقص بعض غراسه ، وجعل عوض ذلك النقص حاجزا يصونه كان ذلك أقرب لسلامته وأنتج فيه . وكذلك مذهب التوحيد ما يصح لأحد كاملا الا بالاستتار ، والاستتار بالمألوف هو : ان كان المحق ساكنا بين أهل الظاهر التنزيلية[1] فليساتر بمذهبهم من صلاة وصيام وحج وتقديم أبي بكر وعمر وعثمان على علي ابن أبي طالب وغيره . وان كان ساكنا بين التأويلية في بلاد غلب عليها الشيعة ، فيتساتر بمذهب التأويل ، ويتزايا بزيهم ويقدم علي بن أبي طالب على الصحابة كلهم ، ويسب أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة ، ويكون موافقهم في دينهم بظاهر الأمر . وان كان بين النصارى فيتزايا بزيهم وهذا الحال رحمة من الله على أهل التوحيد ، أن يكون توحيده في قلوبهم ، ويتزايوا بزي كل طائفة[2] في ظاهرهم[3] » .

ويورد الدكتور عبد الرحمن بدوي شرحا آخر للميثاق[4] ، ومما جاء فيه عن هذا الموضوع ما يلي : « لا يحل لأحد يتمسك بدين التوحيد أن يهمل المساترة ، بل يجب عليه أن يعرف موجبات الصلاة والوضوء ونواقضه ، ويقرأ ما تيسر من القرآن قراءة صحيحة على شيخ ، وان كان ذا يسر فيزكي من ماله ، ويعرف أمر الصيام ومفطراته ، بحيث لا ينكشف عند الشرائع أمر دين التوحيد »[5] . حتى أن صلاة الجنازة التي يصلونها على موتاهم هي كصلاة المسلمين وما تشبههم بالمسلمين الا للاستتار أمام المسلمين عن حقيقتهم[6] .

وتعظيمهم للصدق ، باعتباره من الفرائض السبع التي فرضها حمزة عليهم ، لا يعني ذلك على غير الدروز ، فالصدق لا يكون من الدرزي الا لأخيه الدرزي ، فلا يجوز له أن يصدق أهل الطوائف والأديان الأخرى حتى ولو كان ذلك في جريمة

---

١ ــ يقصد المسلمين .

٢ ــ يلاحظ هنا مطاطية هذا التعبير ، والذي يمكن أن يؤخذ على تآويل كثيرة .

٣ ــ شرح الميثاق / محمد حسين ــ مخطوط في جامعة شيكاغو .

٤ ــ نقلا عن مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٣٦ عربي .

٥ ــ مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوي جـ ٢ ص ٦٨٨ .

٦ ــ من رد على سؤال في رسالة في معرفة سر ديانة الدروز / مخطوط في جامعة ييل .

قتل ، بل يجب عليه الكذب ، يقول بهاء الدين في أحد رسائله : « وليس يلزمكم أيها الاخوان أن تسدقوا لسائر الأمة أهل الجهل والغمة والعمي والظلمة ، وأن لا يلزمكم فيه شيئا لهم ، وليس لأحد من الموحدين فسحة من الكذب لاخوانه الا أن يكون هناك ضد[1] حاضر لا يمكن كشف الأمور اليه ، ولا شرحها بين يديه ، وإن أمكن الصمت فهو أحسن ، وان لم يكن فلا بأس أن يحرف القول بحضرته أعني الضد ، ويجب عليه أن يرجع يسدق الحديث لاخوانه بعد خلوهم من الشيطان . ولا بأس بالسدق فيما لا يضر عند الأضداد لأنه يرفع ... ومثل أن يكون أحدكم قد قتل رجلا من عالم السواد ، فاذا سألوه عن ذلك جاز أن لا يسدقهم والا يحققوا عليه القتل باقراره ... وما أشبه ذلك مثل أن يكون قد أخذ لأحدهم شيئا أو غصبه على ر يع أو مال ، أو كان للضد عنده دين بغير وثيقة أو وديعة أو بينه ، وكان معسرا عن وفائه غير واصل الى رضائه ، يجوز له الانكار وقلة السدق عند الاعسار ، وخيفة من ثبوت البينة عليه »[2] .

أما التظاهر بانكار ألوهية الحاكم ، فهو أيضا من المساترة ، لأن المقر بألوهية الحاكم ، أمر بالمساترة عند الشرائع الأخرى ، فالانكار لا يكون الا باللسان فقط[3] . وكذلك فان التظاهر بسب ولعن حمزة لا مانع منه عند الدروز[4] .

مما تقدم يتضح أن التستر والكتمان نهج أساسي من أصول عقيدتهم ، فهم دوما مع القوي والمتمكن ، يتظاهرون بالدين الغالب في أي قطر ، ومصداق ذلك ما نراه منهم في فلسطين المحتلة باخلاصهم التام لليهود هناك .

وهم بالاضافة الى ذلك اذا تمكنوا فانهم يستحلون قتل من خالفهم ، وسلب أموالهم وغشهم بما استطاعوا[5] .

---

١ ــ المقصود بـ (الضد) غير الدرزي .
٢ ــ رسالة الجزء الاول من السبعة أجزاء .
٣ ــ شرح الميثاق / محمد حسين ــ مخطوط في جامعة شيكاغو .
٤ ــ منشور الغيبة لبهاء الدين .
٥ ــ مخطوطة (حسر اللثام عن الاسلام) رزق حسونة الحلبي ــ في الجامعة اليسوعية ببيروت .

واغلاق باب القبول في العقيدة الدرزية كان أيضا من تدابير السرية التي أرادها حمزة لدينه[1] ، ليبقي المجتمع الدرزي مغلقا على نفسه لا يؤمن الا بحمزة وأذنابه .

وبسبب هذا الانغلاق التام على أنفسهم ، واظهارهم عكس ما يبطنون ، فهم لا يقبلون مطلقا التحدث عن دينهم واعتقادهم ، وبالتالي لا يسمحون للغير أن يبحث في حقيقة عقيدتهم ، واذا حدث وتم هذا فهم لا يناقشون هؤلاء مناقشة موضوعية ، بل يحاولون أن يلصقوا به الصفات القبيحة ويشتمونه بأقدح الشتائم ، وهذا ما حدث مع الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض عندما بدأ بكتابة حلقات عن حقيقة مذهبهم في مجلتي المنهل وراية الاسلام[2] اللتين كانتا تصدران في جدة والرياض ردا على فتوى ــ سياسية ــ من شيخ الأزهر باعتبارهم مسلمين[3] .

فقامت حينئذ ضجة شديدة بين الدروز وقدم كبارهم الاحتجاج ، وأصدر شيخ العقل في لبنان فتوى ضده ، وردوا على الشيخ الفياض بأقذع الألفاظ والشتائم في عدة صحف ومنها صحيفة الصفاء البيروتية ، والتي كان مدير تحريرها شخص اسمه محمد آل ناصر الدين ، حيث لم يستطيعوا أن ينفوا هذه الحقائق عن دينهم ، فما كان منهم الا أن ناقشوه بالسب والشتم ليستروا بذلك على الحقيقة المرة فاتهموه بالالحاد والزندقة والصهينة وغير ذلك من الاتهامات الموجودة في قاموسهم[4] .

---

١ ــ أنظر رسالة في معرفة سر ديانة الدروز / أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ص ١٥٢ .

٢ ــ أنظر المنهل جـ ٣ مجلد ٢٠ شهر ربيع ثاني ١٣٧٩ هـ ، وراية الاسلام الأعداد الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر من السنة الاولى ١٣٨٠ هـ ، والعددان الاول والثاني من السنة الثانية ١٣٨١ هـ .

٣ ــ كان شيخ الأزهر قد أعلن عام ١٣٧٩ هـ الموافق ١٩٥٩ م أن الدروز موحدون مسلمون مؤمنون ؟! فقد نقلت جريدة السياسة اللبنانية بلسان صاحبها أسعد المقدم في العدد ٨١٠ تاريخ ٢٦ محرم ١٣٧٩ هـ الموافق آب ١٩٥٩ م ما يلي : بعد أن تحدث فضيلة شيخ الازهر عن اقتراح تقدم به لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر بانشاء مجمع علمي اكاديمي يضم علماء الشيعة والسنة يلتقون فيه لتحقيق الوحدة المنشودة . سأله اسعد المقدم : هل ستدعون الدروز ؟ الى المجمع المقترح . أجاب : لقد أرسلنا من الأزهر بعض العلماء كي يتعرفوا اكثر على المذهب الدرزي وجاءت التقارير الاولى تبشر بالخير . فالدروز موحدون مسلمون ؟! نقلا عن مجلة المنهل الصادرة في جدة جـ ٣ مجلد ٢٠ ربيع الثاني ١٣٧٩ هـ .

٤ ــ أنظر صحيفة الصفاء البيروتية العدد رقم ٣١٨٥ وتاريخها ٣١ كانون الثاني ١٩٦١ م .

وكان أن قام الأستاذ عبدالله النجار ـــ وهو من طائفة الدروز ـــ بعد هذه الحادثة بسنوات قليلة باصدار كتابه (مذهب الدروز والتوحيد) حاول أن يبين فيه حقيقة دينه ، فقامت ضجة أشد من الأولى على هذا الكتاب وصاحبه ، بسبب انتمائه الى الدرزية ، ولهذا فقد حاكمه مشايخ الدروز لفضحه أسرار دينه ، وجمعوا نسخ الكتاب من الأسواق وأحرقوها ، وصدر بأمر من مشيخة العقل كتاب ألفه الدكتور سامي مكارم وقدم له الأستاذ كمال جنبلاط يرد فيه على كتاب الأستاذ النجار[1] .

ويظهر أن الدروز قد غيروا هذه المرة من استراتيجيتهم فعملوا بشيء من الموضوعية ، ولكن للأسف كانت هذه الموضوعية ستارا يتسترون به على ما يريدون القيام به، حيث يقال أنهم استغلوا أحداث لبنان الأخيرة وقاموا باغتيال الأستاذ النجار .

وللحقيقة أذكر أن هذه الأمور مجتمعة قد حدثت معي شخصيا ، حينما تم طبع ونشر كتابي (عقيدة الدروز ـــ عرض ونقض) وهي رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الامام محمد بن سعود عام ١٤٠٠ هـ ، حيث ظهر وبشكل واضح طريقة التعامل القذر الذي يتم مع كل من يحاول أن يبحث عن حقيقتهم ، فقد توالت علي المكالمات الهاتفية التي تهدد بالقتل ، وجاء على اثرها الكثير من الرسائل ، والتي تتوعدني بالويل والثبور ان لم أعتذر عن كتابي وما ورد فيه ، ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على جمع ما يستطيعون من نسخ الكتاب المذكور واحراقه[2] ، وكذلك عملوا على مطالبة المسؤولين في كثير من البلاد العربية بمنع الكتاب ، فكان أن منع في عدد من البلاد العربية ؟!

هذه الأمثلة تدل دلالة ساطعة على خطورة موضوع التستر في عقيدتهم ، وعن كيفية تعاملهم مع من يكشف عن حقيقة دينهم .

---

١ ـــ أنظر كتاب أضواء على مسلك التوحيد (الدرزية) .

٢ ـــ وهذا ما تم أيضا مع كتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي (مذاهب الاسلاميين) .

ومما يذكر في هذا المجال أن أقلاما عديدة من الدروز طالبوا بشدة مشيخة عقل الدروز بالافراج والاعلان عن حقيقة العقيدة الدرزية ، ولكن مشيخة العقل أصمت أذنيها عن كل هذه الأصوات وخاصة أصوات الدروز في المهجر وفي مقدمتهم الدكتور نجيب العسراوي الذي ما فتىء يطالب بذلك ، وعندما يئس من ذلك أصدر كتابا عن هذه العقائد باللغة البرتغالية حتى لا يقرأه كل الناس .

وقد ذكر هذا الموضوع بتفصيل صاحب مذكرة (أيها الدرزي عودة الى عرينك) ، ومما قاله : « الدكتور نجيب العسراوي رئيس الرابطة الدرزية بالبرازيل استشار الأمير شكيب أرسلان عام ١٩٢٧ م بشأن الافراج عن العقائد الدرزية المدفونة بالرسائل فأجابه : بعدها عجرا ؟!

وكأن العسراوي وأمثاله كعدنان بشير رئيس الرابطة الدرزية في استراليا وجدوا تلك العجرا أصبحت سائرة في طريق النضوج ، فأخذوا يكاتبون مشيخة العقل طالبين شيئا يعرضونه على أطفالهم الذين يعرفون الدرزية بـ (ليست اسلامية ولا مسيحية ولا يهودية) ، كتبوا هذا وطالبوا وأصروا بل وتذمروا .... الى أن يقول : خشي نجيب العسراوي ، أخد لامعي المهاجرين في البرازيل وعدنان بشير رشيد رئيس الرابطة الدرزية في استراليا عاقبة هذا البعد وألحا على مشيخة العقل طالبين تأليف ما يستطيع منه الدروز فهم دينهم ، ولكن هذه اعتصمت بالمواعيد ، فاضطر العسراوي أن يصدر كتابه (الدرزية) باللغة البرتغالية ، ومنه عرف الناس شيئا .

جعلت مشيخة العقل أصابعها في أذانها واستهانت بأصوات المنادين بوجوب التأليف حول الدرزية ، ولم تعترف بجهود العسراوي رغم أنه سد ثغرة كانت هي الأجدر بسدادها ، وبعد أن أصدر عبدالله النجار كتابه تزحزحت وكلفت سامي مكارم بتأليف (أضواء على مسلك التوحيد) بعد اعتذار عجاج نويهض .

ألف مكارم وجنبلاط ، ولكن لا ليسدا فراغا بل ليردوا على عبدالله النجار في كتابه المحجوز الذي سد فراغا أو بعض الفراغ ، وباركا الكتمان والسرية والتمسا عذرا للدرزية ، ورأياها نابعة عن العقل الأرفع الذي لا يحتمل الخطأ .... أما سواها من أهل المذاهب والأديان فمن العقل الطبيعي المعرض للخطأ »[١] .

١ ــ أيها الدرزي عودة الى عرينك ص ١٢٣ .

ومع أن جنبلاط في مقدمته لكتاب مكارم يزعم أنه يريد أن يتجنب ويتفادى عزلة فكرية وفاصلاً معنوياً بين مشايخ الدروز ومثقفيهم ، بل ويتساءل : كيف يتسنى لمن لا يعرف شيئا عن مبادىء دينه أن يسترشد به أو أن ينطبع بقالبه[1] الا أن جنبلاط يسارع ويلتمس لتلك السرية التبرير من فلسفة اليونان والأديان الوثنية الأخرى[2] ، وما هذا التناقض الا طريق من طرقهم الملتوية المؤدية الى لا شيء ، ومزيد من النفاق .

---

١ ــ أضواء على مسلك التوحيد / د. سامي مكارم ــ مقدمة جنبلاط ص ٩ ، ١٠ .
٢ ــ المصدر السابق ص ١١ .

٨ — عقيدتهم في الأنبياء :

من العقائد الرئيسية التي ركز عليها حمزة وأتباعه في رسائلهم ، انكار ومحاربة جميع الأنبياء والرسل وشرائعهم ، لأنهم كانوا يدعون الى اله لم يظهر ، وما استطاعوا أن يعرفوا الاله الظاهر — أي الحاكم وظهوراته — .

فالدروز بناء على هذا الزعم ينكرون جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وينسبونهم الى الجهل ، وذلك أنهم كانوا يشيرون الى توحيد العدم ، وما عرفوا المولى — أي الحاكم — .[١] .

وعلى هذا فان حمزة يرى وجوب محاربة جميع الأنبياء ، أصحاب الشرائع الظاهرة : آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، ووجوب البراءة من شرائعهم وعقائدهم الفاسدة وأديانهم المضللة ، أذ هي — في زعمه — النار والهاوية .

« فالناطق والأساس[٢] عندهم هما ابليس والشيطان ، فالأول — أي ابليس — ظهر في جسم آدم ثم انتقل الى نوح ، ثم الى ابراهيم ، ثم الى موسى ، ثم الى عيسى ، ثم الى محمد ، ثم الى سعيد . وأما الثاني — أي الشيطان — فظهر أولا في جسم شيت بن أدم ، ثم في سام ، ثم في اسماعيل ، ثم في يشوع بن نون بعدها هارون ، ثم في شمعون الصفا ، ثم في علي بن أبي طالب ، ثم في قداح »[٣] .

ولذلك فهم يقذفون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسماء وألفاظ فاحشة ، كالقبل والدبر والغائط والبول ، ولا يتركون مجلسا من التشنيع عليهم ، وأكثر كراهيتهم متجهة نحو المسلمين[٤] .

---

١ — خطط الشام/محمد كرد علي جـ ٦ ص ٢٦٤ .
٢ — هو مصطلح شيعي ، فالناطق يقصدون به كل نبي ، والأساس الوصي .
٣ — مخطوطة (في تقسيم جبل لبنان)/الجامعة الامريكية ببيروت — ومخطوطة (لبعضهم قول وجيز)/الجامعة الامريكية ببيروت .
٤ — مخطوطة (في تقسيم جبل لبنان) السابق ذكرها .

لهذا فان رسائلهم مليئة بالكلام الفاحش حول رسول الله ﷺ ، فيقولون عنه عليه الصلاة والسلام وعن زوجاته : بأنهم حروف الكذب ، وهي ستة وعشرون وهم : دليل ابليس وأولاده وزوجاته ، وهم : محمد وعلي وأولاده الاثنا عشر[1] . بل ويعتبرون معرفة هذه الأشياء واجبا وفرضا عليهم ، وهذا ما يقوله شارح ميثاقهم : ويعرف تكملة حروف الكذب الستة وعشرين معرفة عددا ، لا معرفة فلان ابن فلان ، بل يعرف أن محمد بن عبدالله هو ابليس اللعين ، وأن علي بن أبي طالب هو وزوجته ، اثنا عشر حجة ظاهرة ، ولعلي بن أبي طالب اثنا عشر حجة باطنة كملت الستة وعشرين حروف الكذب ... ويعلم أن كل ما في الخلق من المعاصي والعقائد الفاسدة والفواحش الظاهرة والباطنة هي منهم وهم ينابيعها وأصلها ومركزها[2] .

حتى انهم يزعمون أن الرسول عليه الصلاة والسلام طمس الرسالة ولم يبلغها وهذا ما ورد في احدى رسائلهم اذ تقول : فما بلغها كما أمر الله تعالى ، بل طمس معالمها بالظلم والابلاس ، وجميع أصحاب الشرع فعلى هذا السنن يجرون[3] .

ويصف أحد كتبهم المقدسة رسول الله ﷺ بأنه كان كثير العتو والظلم والفساد[4] .

ويزعمون أيضا : أن القرآن قد أوحي حقيقة الى سلمان الفارسي ــ أي حمزة بن علي ، لأنهم يعتقدون أن حمزة ظهر بالتناسخ بعدة ظهورات منها بصورة سلمان الفارسي ــ وأنه كلامه ، وأن محمدا أخذه وتلقاه عنه ، حتى زعموا بأن خطاب لقمان الذي خاطب به ولده : « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر[5] » هو خطاب سلمان لمحمد[6] .

---

١ ــ مخطوطة (ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به) / الجامعة الامريكية ببيروت .

٢ ــ شرح الميثاق / محمد حسين ــ مخطوطة في جامعة شيكاغو .

٣ ــ الرسالة الموسومة بالاسرائيلية .

٤ ــ كتاب النقط والدوائر ص ٩٥ .

٥ ــ سورة لقمان آية ١٧ .

٦ ــ خطط الشام / محمد كرد علي جـ ٦ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

بل ويصل الأمر بهم لوصف الرسول عليه الصلاة والسلام بالكافر المشرك ، ولهذا فهم ينكرون نبوته لأنه مشرك ابن مشرك(١) .

حتى ان الحاكم عندما يظهر ويتجلى في الركن اليماني من الكعبة ، لا يأمر الا بقتل اثنين فقط ، يأمر حمزة بقتلهما وهما : محمد ﷺ ، وعلي بن أبي طالب ، ثم يرسل الصواعق على الكعبةفتدك دكا(٢) .

أما عن صحابة رسول الله ﷺ فيطلقون عليهم أشنع الأوصاف القبيحة والشتائم ، فيصفون أبا بكر وعمر بأنهما الفحشاء والمنكر ، ويؤولون الآية الكريمة « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان(٣) » بأن المراد بها الخلفاء الراشدين الأربعة ، لأنهم من عمل محمد بن عبدالله(٤) .

وهم لا يعتبرون أن آدم عليه السلام أول الخلق وأبو البشر ، ولكنهم يزعمون أنه كان أكثر من آدم في ذلك الدور وهم : آدم الصفا الكلي ، وآدم العاصي الجزوى ، وآدم الناسي الجرماني ، وينكرون على هذا الأساس أن يكون آدم قد خلق من تراب ، بل من تزاوج الذكر بالانثى ، لأن الله لا يخلق خليفته من أهون الأشياء(٥) .

وحواء عندهم ليست زوجة آدم ، وانما هي حجته واحد دعاته ، ولقبت بهذا الاسم لأنها احتوت جميع المؤمنين(٦) .

أما موقفهم من موسى عليه السلام ، فهم ينكرون عليه أن يكون (كليم الله) أو أنه كلمه من خلال الشجر والجبل ، لأن هذا في زعمهم لا يليق بالله(٧) .

---

١ ـــ مخطوطة (في تقسيم جبل لبنان) ـــ والرسالة المستقيمة لحمزة .

٢ ـــ مخطوطة (حسر اللثام عن الاسلام) / رزق حسونة الحلبي ـــ الجامعة اليسوعية / بيروت .

٣ ـــ سورة المائدة آية ٩٠ .

٤ ـــ مخطوطة في تقسيم جبل لبنان .

٥ ـــ رسالة السيرة المستقيمة لحمزة .

٦ ـــ رسالة السيرة المستقيمة .

٧ ـــ راجع مبحث ألوهية الحاكم من هذا الباب .

وكلمة (الضد) عندهم لها مدلول معين ، وخاصة أنهم يكررونها في رسائلهم كثيرا ، والمقصود بها أولا وآخرا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأتباعهم ، وقد يطلقونها بصورة صريحة على النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين بشكل عام .

كذلك كلمة (عجل) لها مدلول خاص في ذكرهم لها ، وهذا ما يفسره صاحب مذكرة ــ أيها الدرزي عودة الى عرينك ــ بقوله : « ان هذه الكلمة تحمل معنى لا يدركه الا الراسخون في الحمزاوية ، اذ هي مشتقة من الاستعجال ، ولذا حاول (العجل) أن يشبه نفسه بحمزة ، أي حاول رسول الله محمد ﷺ أن يأتي بشريعة كشريعة حمزة ... ويضيف قائلا : ولا ريب أن الحمزوى العميق يدرك المقصود من هذه الكتابات ، اذ لا يخفى أن حمزة سار بالنظر لسيدنا محمد ﷺ وسيدنا علي رضي الله عنه تدريجيا ، اذ رآهما أولا مستخدمين عند الحاكم دالين على مدلول هذا المقصود ، ثم حرمهما من هذه المنزلة (منزلة العبودية للحاكم) ... فدعا محمدا (ضدا وعجلا) ، وسلب من علي درجة الأساس ودعاه اللعين ... بل كثيرا ما أردف تلاميذه هاتين الكلمتين أو (لعنة الله) أو (أبعده الله من الرحمة) كما هو في كتاب النقط والدوائر »[1] .

بهذه النظرة الشريرة ينظرون الى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، نظرة الحقد والكراهية ، ويخصون بها نبي الاسلام وخاتم الأنبياء محمد ﷺ ، لأن رايته التي رفعها حطمت أحلام دعاة الالحاد والوثنية ، فلم يجدوا مفرا من الاحتماء تحت رايته ظاهرا ليتحينوا الفرص في النيل من هذا الدين الرباني ، فكان أن جاء حمزة سليل أولئك الحاقدين على الاسلام والمسلمين محاولا أن يخرق ذلك الجدار الايماني الموجود في المجتمع المسلم ، فجاء بتلك السخافات والترهات الدالة على الحقد والكراهية للاسلام ولنبي الاسلام عليه الصلاة والسلام .

---

١ ــ أيها الدرزي عودة الى عرينك / ص ٧٧ ، ٧٨ .

٩ ـــ شريعتهم في الأحوال الشخصية :

الشريعة الدرزية خليط من الأديان السماوية وخاصة الاسلام ، وكذلك الفلسفة اليونانية ، بالاضافة الى الأديان الوثنية الأخرى كالبوذية والفرعونية[١] . ورغم ذلك كثيرا من تشريعات الدروز في الأحوال الشخصية مأخوذ من الشريعة الاسلامية مع بعض التحريفات التي ابتدعها حمزة .

وطريقة الطلاق عندهم ، ينبغي أن تتم حسب ما يكون عليه الحال بين الزوجين ، فاذا كانت الزوجة خارجة عن طاعة زوجها وترغب في الطلاق ، فللزوج من جميع ما تملكه الزوجة النصف ، وذلك اذا شهد الشهود بتعديها عليه وانصافه لها . أما اذا شهد الشهود بظلم الرجل لزوجته ، أخذت كل مالها وليس له أي شيء منه . وإن طلب الرجل طلاق زوجته بلا أي تبرير أو ذنب اقترفته فلها النصف من كل ما يملكه[٢] .

هذا واذا طلق الدرزي زوجته فلا يجوز له أن يتزوجها مرة أخرى ، سواء بمحلل أو غير محلل ، بطلاق رجعي أو غير رجعي[٣] .

ولا يجوز عندهم زواج الدرزية من غير الدرزي ، ولا زواج الدرزي من غير الدرزية ، فاذا حدث زواج من هذا القبيل فانه يكون باطلا[٤] ، كما لا يجوز عندهم تعدد الزوجات ، والتزوج بأكثر من واحدة ، فاذا تم ذلك فانهم لا يعترفون به[٥] .

---

١ ـــ من حديث خاص لكمال جنبلاط للدكتور مصطفى الشكعة في كتابه اسلام بلا مذاهب ص ٢٨٨ .

٢ ـــ رسالة شرط الامام صاحب الكشف .

٣ ـــ مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوي جـ ٢ ص ٦٦١ .

٤ ـــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٢٩٣ .

٥ ـــ أصل الموحدين الدروز / أمين طليع ص ١٣٠ .

والوصية عندهم تجوز بجميع المال لوراث ولغير وارث ، فللدرزي أن يوصي قبل موته بأملاكه لمن يشاء ، ولكن بشرط أن تكون الوصية بالمال الذي اكتسبه بسعيه هو نفسه ، أما اذا كان قد ورثه فلأولاده أن يطلبوا القسمة ان كان قد ورث ما في يده عن آبائه ، لأن ذلك — ما للبيت — تستوي فيه الأصول والفروع[1] .

ولهذا فان المصحف المنفرد بذاته يطالب الموسرين من الدروز أن يوصوا بجزء من أموالهم لعقالهم ومساكينهم الذين يقومون على شؤون دينهم ويصونونه[2] .

---

١ — مخطوطة في تقسيم جبل لبنان .

٢ — المصحف المنفرد بذاته / عرف الوصية ص ١٢٦ .

١٠ ـــ موقفهم من الأديان والفرق الأخرى :

نظرة الدروز الى الأديان والفرق الأخرى يتلخص في عدة رسائل تبين موقفهم من اليهود والنصارى وطائفة باطنية أخرى هي النصيرية .

أما موقف الدروز من اليهود والنصارى ، فقد سبق أن ذكرنا موقف الحاكم بأمر الله منهم[1] ، وكيف عمل على اضطهادهم وهدم كنائسهم وبيعهم في أول عهده ، ثم تحول هذا الاضطهاد الى ود بعد ظهور دعوة تأليهه على يد حمزة وأتباعه .

والملاحظ أن موقفهم النهائي من اليهود ، لم يتبلور الا على يد بهاء الدين في أحد رسائله المسماة (الرسالة الموسومة بالاسرائيلية الدامغة لاهل اللدود والجحود أعني الكفرة من أهل شريعة اليهود) .

وفي هذه الرسالة يحاول بهاء الدين أن يطالب اليهود بالايمان بالدين الدرزي الذي ظهر على يد حمزة بن علي بصفته المسيح الذي بشر به موسى عليه السلام . ولذلك فانه يأتي بنصوص من التوراة ليستدل على قوله هذا ، وليقرر بعد ذلك أن اليهود يترقبون ذلك المسيح الذي سيكون الفرج على يديه ، لأن الصفات الموجودة في التوراة لا تنطبق الا على المسيح الحق حمزة بن علي ، وعلى هذا الأساس لا بد من ايمان اليهودية والا بقوا في ضلالهم وسكرتهم .

هذا هو الموقف الديني للدروز اتجاه اليهود ، ولكن هذا الموقف في الوقت الحاضر انقلب بسبب تغير المصالح ومراكز القوى في العالم ، فقد أصبح الود والتأييد أمرا ظاهرا بين الطرفين ، مما حدا بالكثير من أبناء الدروز الى الالتحاق بجيش الدفاع الاسرائيلي ؟!

---

١ ـــ أنظر الفصل الأول من هذا الباب .

ومن منطلق ايمانهم بأن المسيح الحق هو حمزة بن علي ، يظهر موقفهم من النصارى ، فالدروز يعتقدون أن المسيح الذي صلب ، هو المسيح الكذاب وهو الذي ولد من مريم ويصفونه بأنه ابن يوسف النجار ، ولهذا فهم يزعمون أن حمزة كان يعلم المسيح بن يوسف الانجيل ، ولما خالفه ألقى في قلوب اليهود بغضه ولهذا صلب[1] .

ويمكن تلخيص موقف الدروز الديني من النصارى من بعض الرسائل التي تتحدث عن ذلك وهي :

١ ـ رسالة خبر اليهود والنصارى .

٢ ـ الرسالة الموسومة بالمسيحية ، وأم القلائد النسكية ، وقامعة العقائد الشركية .

٣ ـ الرسالة الموسومة بالقسطنطينية ، المنفذة الى قسطنطين متملك النصرانية .

٤ ـ الرسالة الموسومة بالتعقب والاقتفاء لأداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد .

والرسالة الأولى هي التي تحدد الموقف الأول والمبدئي الذي وقفه حمزة اتجاه اليهودية والنصرانية ، والذي حاول فيها أن يتودد الى أتباع هاتين الملتين عن طريق تلفيق قصة ليس لها أي أساس تاريخي ، وتتلخص في أن زعماء اليهود النصارى قد اجتمعوا بالحاكم وناقشوه في أمور الدين ، فأطلعهم وبرهن لهم أن النبي الذي كانوا ينتظرونه هو حمزة بن علي ولهذا فيجب عليهم الايمان به ، وقد أثبت الدكتور عبد الرحمن بدوي كذب هذه الرواية تاريخيا وموضوعيا وبين أنها من أوهام حمزة وخرافاته[2] .

---

١ ـ رسالة في معرفة ديانة الدروز على طريقة السؤال والجواب .

٢ ـ أنظر مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوي جـ ٢ ص ٧٧٢ ، ٧٧٣ .

وقد حاول الدروز بعد ذلك على يد بهاء الدين التودد للنصارى عن طريق الدولة الرومانية ، وقد أرسل بهاء الدين في سبيل هذه المحاولة رسالة الى قسطنطين الثامن إمبراطور الروم اسمها (القسطنطينية) حاول فيها أن يقرب بين دين الدروز والعقائد النصرانية ليصل في النهاية الى القول بأن الفارقليط الذي أعلن المسيح قدومه هو نفسه حمزة بن علي .

ولكن يبدو أن محاولة التقريب هذه باءت بالفشل ، ونستدل على ذلك من رسالتين لبهاء الدين هما : (الموسومة بالمسيحية) ، (والموسومة بالتعقب والاقتفاء ...) واللتان تظهران أن العلاقات بين الطرفين قد وصلت الى طريق مسدود ، حيث يوجه فيهما بهاء الدين أقسى الألفاظ وأفحشها للمسيحيين ولامبراطور الروم ، ويتهمه فيهما باضطهاد أتباع ديانته .

وعلى مبدأ تقلب المصالح ، فقد تغير موقف الدروز في القرنين الماضيين من النصارى ، وخاصة في لبنان رغم القتال الذي حصل بينهم هناك حينما إختلفت المصالح والأهواء ، يقول الكاتب الدرزي يوسف أبو شقرا عن هذا الود : « لم يكن فيما مضى ما بين الدروز والنصارى ، ما كان بينهم منذ سنة ١٨٠٠ م من الشقاق والنفور ، بل كانت الطائفتان محبة احداهما بالأخرى ، آنسة اليها ، وبعبارة أخرى كانت الجماعتان كجماعة واحدة تعملانَ على وتيرة واحدة »[١] .

وتقول المستشرقة (بول هنري بوردو) : « وأعجبت بتساهل هذا الشعب الدرزي وارساله صغاره الى المدارس المارونية ، وصلاته في الكنائس والجوامع على السواء ، حتى يلتبس على فلاحي لبنان الاجابة لو سئلوا : هل الدروز نصارى أم مسلمون ؟! »[٢] .

أما الدكتور فيليب حتي فيصف علاقة الدروز بالنصارى بما يلي :

« وقد دهش فولتي وهو كونت وعالم فرنسي من شدة الشبه بين الدروز والموارنة من (المسيحيين) في أساليب العيش ، وفي نظام الحكم ، وفي اللهجة وفي

---

١ ــ الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية / يوسف خطار أبو شقرا ــ ص ٢٥ .

٢ ــ أميرة بابلية لدى الدروز / بول هنري بوردو ص ٧٤ .

العادات وفي الأداب العامة فان عائلات درزية ومارونية تعيش جنبا الى جنب متصافية متوادة ، وأحيانا يصطحب الموارنة جيرانهم الدروز الى الكنائس . ويؤمن الدروز بفعل الماء المقدس الذي يصلي عليه الكاهن وأحيانا اذا ألح المبشر في تبشير الدرزي فقد يقبل الدرزي سر المعمودية . وقد لاحظ ماريتي الراهب الايطالي الذي زار البلاد سنة ١٧٦٠ م قبل مجيء فولتي بقليل : أن الدروز يظهرون خالص الود والاحترام للنصارى ويحترمون دينهم ، والدرزي يصلي في كنيسة للروم الأرثوذكسي كما يصلي في مسجد تركي ، ولا يزال الدروز الى يومنا هذا يشتركون مع جيرانهم النصارى في كثير من الاحتفالات والأعياد ، ولهذا مغزاه العميق . ويقول فريدرك بلس : ان الدروز لكي يتخلصوا من الخدمة العسكرية التركية كانوا يعلنون أنهم بروتستانت ، ويؤكد ضابط فرنسي كان مقر خدمته حوران : أن العائلات الدرزية الأرستقراطية اذا فقدت طفلا أو أكثر يعمدون الطفل الذي يولد بعده ، وقد عمد الابن الثاني لسلطان الأطرش سنة ١٩٢٤ م ، وقد تكون ممارسة هذه التقاليد نوعا من التقية ، وليس بمستغرب أن يتبرع درزي يقطن قرية أكثر سكانها من النصارى بالمال لكنيسة القرية »(١) .

ومع أن النصيرية من الطوائف الباطنية ، الا أن التنافس بينهما كان على أشده في كثير من الحالات وخاصة بسبب الاختلاف الرئيسي في العقيدة ، فالدروز يؤلهون الحاكم ، بينما النصيرية تؤله علي بن أبي طالب .

ويزعم الدروز أن النصيرية فرقة انفصلت عن الدروز(٢) ، وهذا الزعم ليس له أي أساس تاريخي ، فالنصيرية فرقة ظهرت قبل الدروز بفترة طويلة تزيد على قرن من الزمان ، وانفصلت أيضا عن الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، بينما الدروز فرقة انفصلت عن الاسماعيلية .

وبسبب التنافس الذي حصل بينهما ، بعد التجاء الدروز الى بلاد الشام ، ووجود النصيرية قبل ذلك هناك ، فقد ألف حمزة رسالة يحصن بها أتباعه من النصيريين وأسماها بـ (الرسالة الدامغة للفاسق في الرد على النصيري لعنه المولى

---

١ ـــ لبنان في التاريخ / د. فيليب حتي ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

٢ ـــ رسالة في معرفة سر ديانة الدروز على طريقة السؤال والجواب .

في كل كور ودور) ، يرد بها على النصيرية في كثير من اعتقاداتها، ومنها موضوع ألوهية علي ، وكذلك قضية التناسخ التي يختلفون بها حيث تقول النصيرية بامكانية التناسخ الى حيوان وجماد ونبات ، ثم يأتي بعد ذلك الى موضوع ايمان النصيرية بألا يمانع النصيري أخاه في زوجته ومحارمه ، وكذلك وجوب أن لا تمنع النصيرية أخاها في فرجها ، فيرد حمزة على هذا الاعتقاد ، ويبين بعد ذلك أن الطريق الصحيح هو الايمان بالحاكم ونبيه حمزة لأنه طريق الخلاص للنصيريين ؟! .

وعلاقة الدروز بالاسماعيلية ليست واضحة كل الوضوح ، رغم أن الدروز فرقة انفصلت عن الاسماعيلية ، الا أن بعض كتابهم في الوقت الحاضر ينفي هذا الارتباط كليا ، مع أن كل متمعن في عقائدهم يجد التشابه الكبير بينهم وبين الاسماعيلية ، لكن الحساسية القديمة الموجودة منذ ظهور حمزة لا تزال موجودة الى الآن ، ولهذا فان الكره والحقد قائم بينهم لا يدارونه الا عندما تلتقي المصالح مع بعضها البعض في بعض الأحيان فلا يجدون مفرا من التفاهم فيما بينهم ليقفوا أمام أعدائهم ؟!

١١ ـ رسائلهم وكتبهم المقدسة :

تعرف رسائل حمزة التيمي وبهاء الدين عند الدروز بـ (رسائل الحكمة) أو (كتاب الحكمة) ، وهذه الرسائل هي المصدر الرئيسي لمذهب الدروز بالاضافة إلى الكتب الأخرى الشارحة لها ، وتتألف هذه الرسائل من (١١١) رسالة ، مقسمة إلى أربعة مجلدات . والملاحظ في هذه الرسائل أنها تتوالى بصورة مطردة في جميع المخطوطات المعروفة لهذه الرسائل قديمها وحديثها ، ومثل هذا الاضطراد لا يمكن أن يكون قد تم عرضاً ، وهذا يدل على أن تقنينها في هذه الصورة قد تم في وقت لاحق (١) .

ومن الملاحظ أيضا في هذه الرسائل ، أن بعضها يحتوي على سجلات صدرت في عصر الحاكم ، وبعضها يحتوي على رسائل بعث بها حمزة بن علي إلى أشخاص كانوا يحتلون مكانة في الدولة مثل ولي العهد عبد الرحيم بن الياس ، والقاضي أحمد بن العوام ، أو رسائل بعث بها لدعاة الدعوة ، ومنها ما كتبه حمزة عن العقيدة نفسها ، ثم نجد بعد ذلك رسائل لمحمد بن اسماعيل التيمي ، ورسائل لبهاء الدين (٢) .

ومن الملاحظات كذلك على هذه الرسائل ، أن أكثر رسائل حمزة كتبت في سنة غيابه عام ٤٠٩ هـ ، وهي السنة التي أراد بها أن يقوي مذهبه بعد ثورة الناس عليه ، ثم أن غالبية هذه الرسائل كتبت من قبل بهاء الدين ، الذي قاد المذهب بعد اختفاء حمزة عام ٤١١ هـ .

---

١ ـ مذاهب الاسلاميين / د. عبد الرحمن بدوي جـ ٢ ص ٥١٤ .

٢ ـ طائفة الدروز / محمد كامل حسين ص ٩٢ .

وللدروز مصحف يسمونه (المصحف المنفرد بذاته) ، وقد صدر حديثاً ، ويعتقد أن كاتبه هو الاستاذ كمال جنبلاط الزعيم اللبناني المعروف والذي أغتيل قبل عدة سنوات ، ويقال أنه تعاون في وضعه ووضع رسائل أخرى مع عاطف العجمي وبخط الشيخ عبد الخالق أبي صالح (١) .

ويتألف هذا المصحف من أربع وأربعين عرفاً ، يحاكي فيه كاتبه . القرآن الكريم بترديد ما في رسائل الدروز القديمة ، فيحاول أن يقلد اسلوب القرآن ويقتبس منه تارة ويضمن كلامه بعض آيات القرآن الكريم تارة أخرى ، وخاصة آيات النعيم والعذاب ، حيث جعلها خاصة بمن يعبد الاله المعبود عندهم ـــ الحاكم ـــ فمن عبده فله النعيم ، ومن كفر به فقد حق عليه العذاب ، ويعلق أحد كبارهم (عاطف العجمي) على هذا المصحف بقوله : « يكاد يفوق القرآن بلاغة (٢) » .

ومن الكتب التي وضعها جنبلاط مع العجمي هذا أيضاً : رسائل بعنوان (الصحف الموسومة بالشريعة الروحانية في علوم البسيط والكثيف) وهي تشبه المصحف المنفرد بذاته ويتكون من خمسة رسائل .

وهناك كتب أخرى تهتم بشرح عقائد الروز من خلال رسائل حمزة وغيره منها (شرح ميثاق ولي الزمان) من تأليف محمد حسين ، ويدل هذا الكتاب على كثير من اعتقادات الدروز وبشكل أوضح من الرسائل .

ومنها كذلك كتاب (النقط والدوائر) والذي يتحدث عن الكثير من العقائد الدرزية ، وقد طبع في البرازيل سنة ١٩٢٠ م ، ويقال أن مؤلفه هو الشيخ عبد الغفار تقي الدين البعقليني المقتول سنة ٩٠٠ هـ (٣) .

وهناك أيضا كتاب مهم من كتب الشرح بعنوان (ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به ويسلك بموجبه) ، وهو عبارة عن تفصيل لكثير من عقائد الدروز .

---

١ ـــ انظر (أيها الدرزي عودة إلى عرينك) ص ٤٩ .
٢ ـــ المصدر السابق ص ٥٢ .
٣ ـــ المصدر السابق ص ٥٤ .

١٢ ـ حكم الاسلام فيهم وفي معاملتهم :

ان النتيجة التي يخرج بها الباحث في المذهب الدرزي ، أن هذا المذهب لا صلة له بالاسلام والمسلمين ، وكل مزاعم أتباع هذا المذهب عن اسلاميتهم انما هو طريق من طرق السرية والنفاق أمام المسلمين .

ومع أن هذا الأمر لا يعرفه عامة المسلمين ، الا أنه معروف لدى علماء الاسلام قديما وحديثا ، ولم يعاملهم من يعرف حقيقتهم الا على هذا الاساس . ولهذا فقد أفتى علماء المسلمين بعدم صحة حكم القاضي الدرزي على المسلمين ، لأن الدرزي لا ملة له كالمنافق والزنديق وان سمى نفسه مسلما[١] . ولا تقبل أيضا شهادتهم على أحد سواء كان مثلهم في الاعتقاد أو مخالفا لهم لعدم ولايتهم[٢] .

ويكفي أن نأتي بفتوى شيخ الاسلام ابن تيمية لنعرف حكم الاسلام فيهم وفي معاملتهم ، حيث أجاب فيها عن سؤال وجه اليه في هذا الموضوع فيقول : « هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين لا يحل أكل ذبائحهم ، ولا نكاح نسائهم ، بل ولا يقرون بالجزية فهم مرتدون عن دين الاسلام ، ليسوا مسلمين ، ولا يهود ، ولا نصارى ، ولا يقرون بوجوب الصلوات الخمس ، ولا بوجوب صوم رمضان ، ولا وجوب الحج ، ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما ، وان أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين ..... والدرزية هم أتباع هشتكين الدرزي ، وكان من موالي الحاكم أرسله الى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة ، فدعاهم الى الاهية الحاكم ويسمونه الباري العلام ، ويحلفون به ، وهم من الاسماعيلية القائلين بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبدالله ، وهم أعظم

---

١ ـ حاشية ابن عابدين جـ ٤ ص ٢٩٩ .

٢ ـ تكملة حاشية ابن عابدين جـ ١ ص ٧٣ ـ وكتاب الدروز مؤامرات وتاريخ وحقائق / فؤاد الأطرش ص ٣٦٠ .

كفرا من الغالية ، يقولون بقدم العالم ، وانكار المعاد ، وانكار واجبات الاسلام ومحرماته ، وهم من القرامطة الباطنية ، الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب ، وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله ، أو مجوسا ، وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ويظهرون التشيع نفاقا ..... وكفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون ، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم ، لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين ، بل هم الكفرة الضالون فلا يباح أكل طعامهم ، وتسبى نساؤهم ، وتؤخذ أموالهم ، فانهم زنادقة مرتدون لا تقبل توبتهم ، بل يقتلون أينما ثقفوا ، ويلعنون كما وصفوا ، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ ، ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيرهم ، ويحرم النوم معهم في بيوتهم ، ورفقتهم ، والمشي معهم ، وتشييع جنائزهم اذا علموا موتها ، ويحرم على ولاة أمور المسلمين اضاعة أمر الله من اقامة الحدود عليهم بأي شيء يراه المقيم ولا المقام عليه ...... ويضيف رحمه الله قائلا : ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ، ولا يصلى على من مات منهم .... وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فانه من الكبائر ، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم .... واذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء ، فمن قبل توبتهم اذا التزموا شريعة الاسلام أقر أموالهم عليهم ، ومن لم يقبلها لم تنقل الى ورثتهم من جنسهم ، فان مالهم يكون فيئا لبيت المال ، لكن هؤلاء اذا أخذوا فانهم يظهرون التوبة ، لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم ، وفيهم من يعرف ، وفيهم من قد لا يعرف ، فالطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم ، فلا يتركون مجتمعين ، ولا يمكنون من حمل السلاح ، ولا أن يكونوا من المقاتلة ، ويلزمون في شرائع الاسلام ... ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب ، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم ، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم .... والمعاون في كف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان له من الأجر والثواب مالا يعلمه الا الله تعالى ، فان المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم »(١) .

---

١ ــ فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٥٥ ــ ١٦٢ .

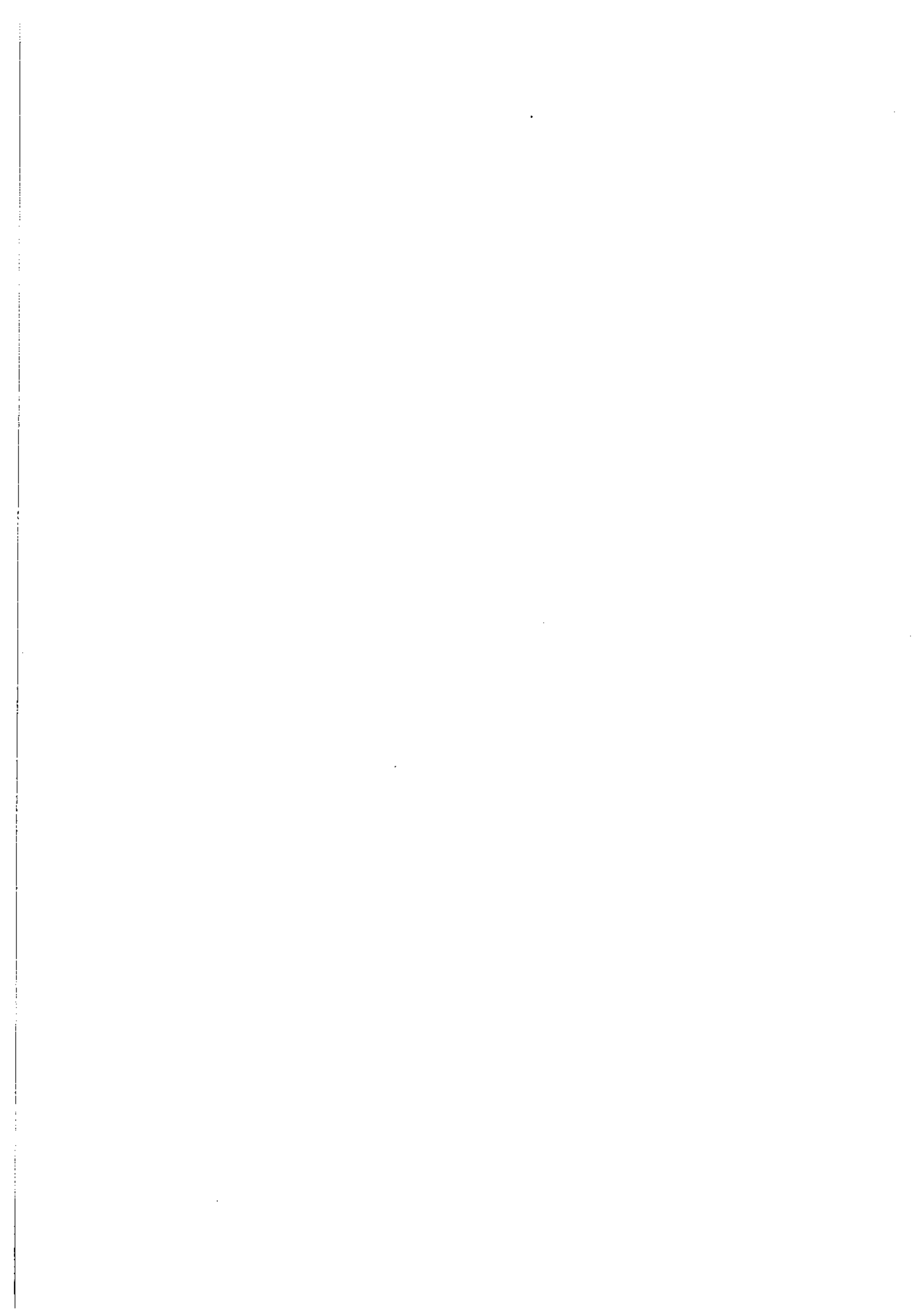
هذا وقد كان ابن تيمية من السباقين لتطبيق القول بالعمل ، وما رواه ابن كثير في تاريخه يوضح لنا كيفية هذا التطبيق ، وبما تم من حوادث سنة ٦٩٩ هـ حيث يقول : « وفي يوم الجمعة العشرين من شوال ركب نائب السلطنة جمال الدين أقوش الأفرم في جيش دمشق الى جبال الجرد وكسروان ، وخرج الشيخ تقي الدين إبن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية ، بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم ، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتار وهربوا حين اجتازوا ببلادهم ، وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم ، وقتلوا كثير منهم . فلما وصلوا الى بلادهم جاء رؤسائهم الى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير ، وانتصار كبير على أولئك المفسدين ، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش ، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها الى بيت المال ، وأقطعت أراضيهم وضياعهم ، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة ، ولا يدينون دين الحق ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله .... وفي سنة ٧٠٤ هـ عاد ابن تيمية رحمه الله الى مقاتلة هؤلاء ومعه جماعة من أصحابه الى جبل الجرد والكسروانيين ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان فاستتابوا خلقا منهم وألزموهم بشرائع الاسلام ورجع مؤيدا ناصراً »[1] .

واضح بعد هذا أن هؤلاء القوم مرتدون عن الاسلام ، لتركهم عبادة الله تعالى ، وانكارهم فرائض الاسلام وشرائعه ، ولكن لا بد من المطالبة بالعمل على نشر الاسلام بين صفوفهم ، وأن يحال بينهم وبين مشايخهم ، الذين لا يزالون يصرون على هذه السخافات والضلالات الخرافية المهينة للعقل الانساني ، فتزول بذلك الغشاوة عن أعين الكثير منهم الذين يعيشون في تخبط لا يجدون له نهاية ، وهذا الشيء هو ما يطالب به الشيخ محمد رشيد رضا في أحد فتاويه التي سئل عنها[2] .

---

١ ــ البداية والنهاية / ابن كثير جـ ١٤ ص ١٢ ، ٣٥ .

٢ ــ أنظر فتاوي الامام محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٦ .



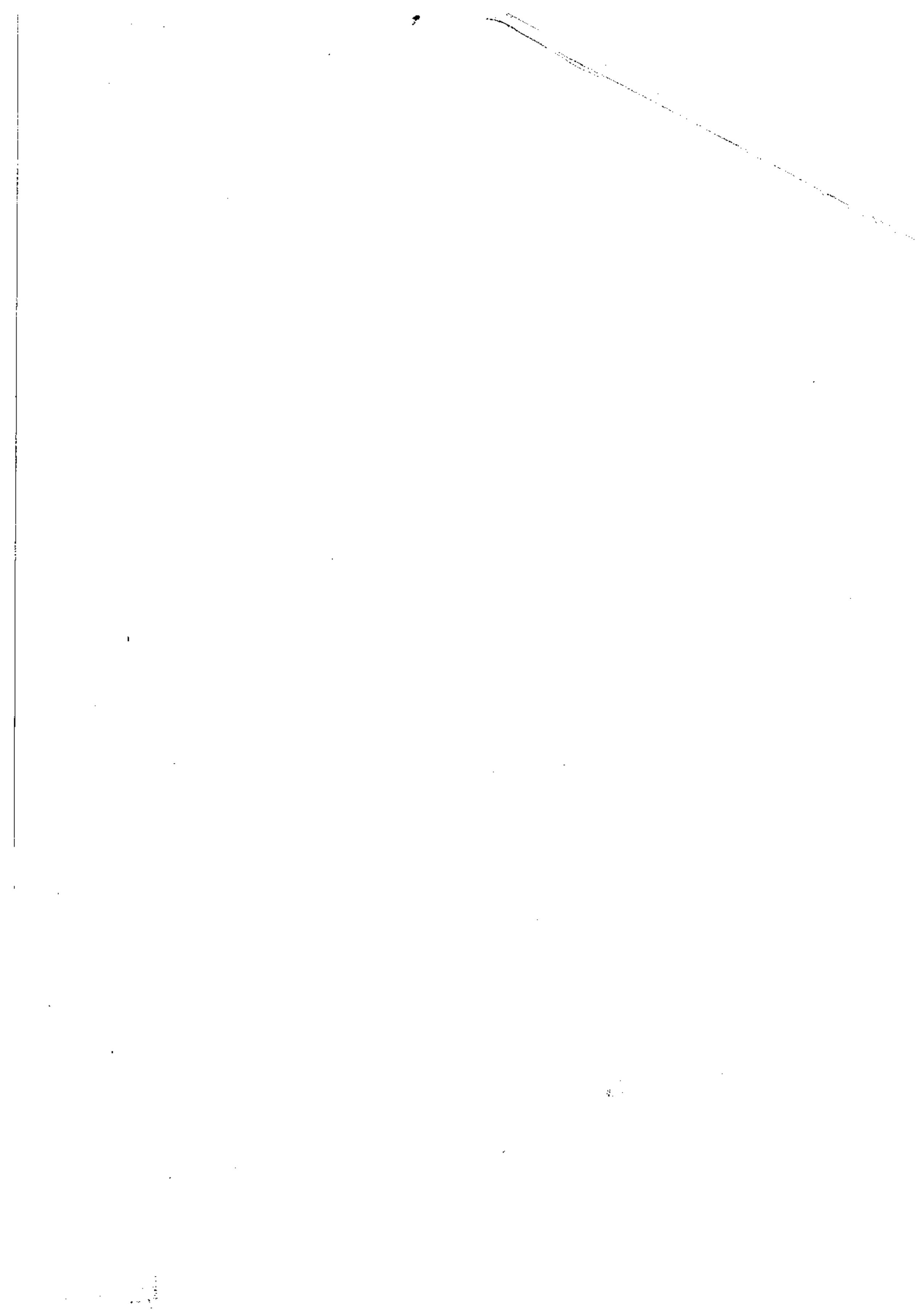
الباب الثالث

النصيرية والأصول الباطنية التي قامت عليها

الفصل الأول : نبذة عن نشأة النصيرية وأشهر دعاتها وأهم طوائفها

الفصل الثاني : الجانب الباطني في عقائد النصيريين

الفصل الثالث : مقارنة بين كل من عقائد الإسماعيليين والدروز والنصيرية .



الفصل الأول

نبذة عن نشأة النصيرية وأشهر دعاتها وأهم طوائفها

النصيرية : طائفة من الطوائف الباطنية ، سميت بهذا الاسم نسبة الى (محمد إبن نصير النميري) الذي عاش في القرن الثالث الهجري ، وهم من الشيعة الغلاة ، وذلك لأنهم غلوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقالوا بألوهيته ، وهم بالاضافة الى قولهم بألوهية علي يعتقدون بتناسخ الأرواح ، والتأويل بالباطن .

ويزعمون أيضا أن الألوهية لها اسم ومعنى ، أي ظاهر وباطن ، فالظاهر هو أحرف معدودة تشير الى أشخاص معلومة ، والمعنوية قد استقرت أخيرا في علي بن أبي طالب . والأحرف الظاهرة من الله هي (اسم) يحتوي على ثلاثة أحرف — يبتدئون بأحرف الاسم من أخره — فيجعلون حرف الميم هو محمد بن عبدالله ﷺ ويسمونه السيد الميم ، وحرف السين هو الباب وهو سلمان الفارسي ، والألف هو المقداد بن أبي الأسود ويسمونه رب الناس . فالنصيرية يعتقدون أن علي ابن أبي طالب قد خلق محمدا ، ومحمدا قد خلق سلمان الفارسي ، وسلمان قد خلق المقداد ، والمقداد قد خلق الناس ، ولذلك يدعونه رب الناس[1] .

وبسبب معتقدهم هذا ، فان نظامهم الديني يدور حول أسماء ثلاثة ، تكون تثليثاً شبيها بالتثليث الكائن في النصرانية ، ويرمز الى هذا التثليث عند النصيرية بحروف (ع. م. س)[2] . أي علي بن أبي طالب ، ومحمد ﷺ ، وسلمان الفارسي .

---

١ — مخطوط بعنوان (في تقسيم جبل لبنان) لمؤلف مجهول ، مخطوط بالجامعة الامريكية ببيروت رقم ٣١ ، ويوجد شريط عنه في الجامعة الأردنية رقم ٦٩٩ .

٢ — تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ولاجتماعي / د. حسن ابراهيم حسن جـ ٤ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

والواقع أن ابن نصير وأتباعه يقدمون لنا مثلا واضحا لطائفة انتقلت مباشرة من الوثنية الى طائفة الشيعة[1] ، فديانتهم تحتفظ بقسط وافر من الأسرار ، وما تزال تحتفظ بمعالم واضحة تنبيء عن معتقدات هي مزيج من عناصر غير متجانسة من الاسلام والنصرانية والوثنية . والحقيقة وكما يقولها المستشرق جولد تسيهر : فان النصيرية انتسبت الى الاسلام اسميا ، هذا الاسلام الذي تمثله هذه الصورة المتخفية ، الساترة للوثنية الآسيوية القديمة التي أضافت اليها أيضا ، عندما تشكلت على هذه الصورة ، الكثير من العناصر المسيحية كقداس الأطعمة والنبيذ ، واحياء الأعياد الخاصة بالمسيحية . وان الروح العامة لهؤلاء الناس قد احتفظت في الواقع بالتقاليد الوثنية التي كانت لأجدادهم ، وان غيرتها من الناحية الظاهرية البحتة ، وذلك عندما طبقها هؤلاء على الأوضاع الخارجية الجديدة التي للعبادات الاسلامية[2] .

وعقيدتهم هذه سر من الأسرار العميقة لا يبوحون بها لسواهم ، والمرأة عندهم لا تعطى هذا السر مطلقا ، أما الرجل فلا يسلم السر الا اذا بلغ الثامنة عشرة من عمره وبواسطة أستاذ يتخذه والدا روحيا ، فيدخله هذا في عدة اجتماعات سرية يحضرها مشايخ الطائفة فيرتفع أثناءها من درجة الى درجة أعلى منها حتى يلقن سر الديانة كاملا ، وكل هذا يتم وسط مؤثرات شتى تساعد على فرض الأفكار الملتوية المعقدة في ذهن الشاب النصيري ، منها وضع أحذية المشايخ على رأس هذا الشاب . وكذلك كؤوس الخمر التي تدار أثناء هذه الجلسات فيشربونه اياها مما يجعله مهيئا لقبول هذا السر بعد أن تتعطل ارادته ، ولا يلقن هذا السر الا بعد أن يأتي بشهود بأن لا يبوح به لأحد ولو أريق دمه[3] .

والتناسخ الذي يؤمنون به ، يقوم على أن الأرواح الصالحة عندهم تحل في النجوم ولهذا يسمون عليا « أمير النحل » أي أمير النجوم . والأرواح الشريرة تحل في أجسام الحيوانات التي هي في نظرهم نجسة كالخنازير والقرود وبنات آوى[4] .

---

١ ــ المصدر السابق .

٢ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام / جولد تسيهر ص ٢٤٧ ، ٢٤٩ .

٣ ــ أنظر مخطوط في تقسيم جبل لبنان لمؤلف مجهول ، ودائرة معارف القرن العشرين / لمحمد فريد وجدي مجلد ١٠ ، ومخطوط ١٤٥٠ عربي في المكتبة الأهلية بباريس ابتداء من ورقة ١٥٥ ب ، والجذور التاريخية للنصيرية العلوية للحسيني عبدالله ص ٦١ .

٤ ــ العلويون أو النصيرية / السيد عبد الحسين مهدي العسكري ص ٦٣ .

والنصيرية مختلفة فيما بينها في مكان حلول علي بعد أن ترك ثوبه الآدمي ، فمنهم من يتجه الى القمر في عبادته لاعتقادهم أنه حال فيه وهؤلاء يسمون بالشمالية ، والآخرون يتجهون الى الشمس لاعتقادهم أنه حال فيها ويسمون بالكلازية[1] .

وتسكن النصيرية في الجبال المسماة باسمهم من جبال اللاذقية في سوريا ، ومنهم من يسكن جنوب تركيا ، وأطراف لبنان الشمالي ، وفارس وتركستان الروسية ، وكردستان ، ولهم أسماء محلية أخرى يعرفون بها في أماكن سكناهم مثل « التختجية » و « الحطابون » في غربي الأناضول بتركيا ،«والعلي الهية» في فارس ، وتركستان ، وكردستان[2] .

أما ابن نصير مؤسس هذه الفرقة فكما ذكرت فان اسمه (محمد بن نصير النميري) ويكنى بـ (أبي شعيب) ، عاش في القرن الثالث الهجري ، وتوفي حوالي عام ٢٧٠ هـ ، وعاصر ثلاثة من أئمة الشيعة الاثنى عشر وهم : علي الهادي (٢١٤ هـ ـــ ٢٥٤ هـ) ، والحسن العسكري (٢٣٠ هـ ـــ ٢٦٠ هـ) ، ومحمد المهدي (٢٥٥ هـ ـــ ...) .

وقد زعم ابن نصير أنه « الباب » الى الامام الحسن العسكري ، فتبعه طائفة من الشيعة سموا « النصيرية » . ولكن الشيعة الاثنى عشرية تنكر مزاعم ابن نصير في أنه الباب للحسن العسكري ـــ أي الممثل الوحيد له والمرجع للناس من بعده ـــ ، وتقول بأن المرجعية الدينية قد عهدت الى أربعة أشخاص وهم : عثمان بن سعيد العمري ، ومحمد بن عثمان بن سعيد ، والحسين بن روح النوبختي ، وعلي بن محمد السمري[3] .

---

١ ـــ دائرة معارف القرن العشرين مجلد ١٠ ، والعلويون أو النصيرية / السيد عبد الحسين العسكري ص ٦٣ .

٢ ـــ المصدر السابق ص ٣١ ، ٣٢ .

٣ ـــ كتاب الغيبة / للطوسي ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

ولو رجعنا الى المصادر الشيعية الاثني عشرية وتتبعنا رأيها في ادعاءات واعتقادات ابن نصير لوجدنا اجماعا على بطلان هذه الادعاءات والاعتقادات ، وهذا سعد بن عبدالله القمي ــ المتوفى عام ٣٠١ هـ يقول : وقد شذت فرقة من القائلين بامامة علي بن محمد في حياته ، فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري كان يدعي أنه نبي رسول ، وأن علي بن محمد العسكري أرسله ، وكان يقول بالتناسخ ، ويغلو في أبي الحسن (علي بن أبي طالب) ويقول فيه بالربوبية ، ويقول بالاباحة للمحارم ، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا في أدبارهم ، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل في المفعول به ، وأنه من الفاعل والمفعول به إحدى الشهوات والطيبات ، وأن الله لم يحرم شيئا من ذلك ، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات[١] يقوى أسبابه ويعضده . أخبرني بذلك عن محمد بن نصير أبو زكريا يحيى إبن عبد الرحمن بن خاقان أنه رآه عيانا وغلام له على ظهره ، قال فلقيته فعاتبته بذلك ، فقال : ان هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر[٢] . وهذا الرأي نجده أيضا في كتاب فرق الشيعة للنوبختي المتوفى عام ٣١٠ هـ ، فيوافق القمي على قوله في ابن نصير[٣] . ويصف الفقيه الشيعي أبو جعفر الطوسي ابن نصير بالالحاد والجهل[٤] .

والحقيقة أن محمد بن نصير لم يكن أول من زعم هذه المعتقدات ، فلو تتبعنا تاريخ الغلاة والباطنيين ، لوجدنا السبأية ــ أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي ــ أول من ادعى أن عليا اله في الحقيقة ، ثم تبعهم في ذلك (بيان) الذي زعم أن جزءا الهيا حل في علي ، واتحد بجسده وبه كان يعلم الغيب[٥] . وجاء بعد البيان أبو الخطاب ، والذي يعتبر من الأصول التي اعتمد عليها ابن نصير ، فادعى أن الأئمة آلهة ، فلما بلغ ذلك جعفر الصادق لعنه وطرده ، فادعى الألوهية لنفسه بعد ذلك[٦] .

---

١ ــ من المحتمل أن المقصود هنا الوزير ابن الفرات الذي سيأتي ذكره بعد قليل ، فقد كان بالفعل من المتعاطفين مع الغلاة ، ولذلك سجن ثلاث مرات وقتل بعد ذلك .

٢ ــ كتاب المقالات والفرق / سعد بن عبدالله القمي ص ١٠٠ ، ١٠١ .

٣ ــ فرق الشيعة / الحسن النوبختي ص ٧٨ .

٤ ــ كتاب الغيبة / للطوسي ص ٢٤٤ .

٥ ــ الملل والنحل / الشهرستاني جـ ٢ ص ١١ على الهامش ، والفرق بين الفرق / البغدادي ص ٢٥٥ .

٦ ــ كتاب المقالات والفرق / سعد القمي ص ٦٣ .

والخطابية هم أتباع محمد بن أبي زينب الكاهلي ، وتزعم النصيرية أنه باب الامام السابع من أئمة الشيعة (موسى الكاظم)[1] . وهو أول من أخذت عنه النصيرية معتقداتها ، ومن ذلك قوله : « أن المعنى وهو الذات الالهية كان أول فيض منه هو الاسم ، وأن المعنى قد مرّ بالطور المحمدي عبر الاسم بخمسة أسماء مختارة هي محمد وعلي وفاطم[2] والحسن والحسين ، وهذه المجموعة الخماسية المتساوية هي خمسة المباهلة[3] ، أما علي فيفوقهم جميعا لأنه متوحد مع المعنى ، وقد تبنى النصيريون هذا الترتيب ، وبذلك يكون علي الههم الأزلي »[4] .

وينبغي أن نلاحظ أن المفضل بن عمر الجعفي تلميذ أبي الخطاب المخلص تعتبر كتبه من الكتب المقدسة عند النصيرية ، ويعتبرونه أيضا الباب للامام الثامن من أئمة الشيعة[5] . فكتابه (الهفت والأظلة) من الكتب المقدسة عندهم ، يصفه عارف تامر ــ الكاتب الاسماعيلي المعاصر ــ بأنه أحد الكتب الباطنية النادرة السرية المهمة ، ويمثل عقائد فرقة المفضل الجعفي ، ويضيف قائلا : وعندما أقول المفضلية لا أجزم بأن هذه الفرقة هي نفسها الفرقة العلوية الجعفرية الاثني عشرية التي عرفت في غابر العصور (بالنصيرية) أو فرعا منها ، ولكن الذي أجزم فيه أن للمفضلية بعض أراء تتقارب بأصولها وفروعها بالآراء العلوية ، وربما الاسماعيلية ، وقد تتباين هذه الأراء ، وقد تندمج لتشكل أصلا واحدا كشأن معتقدات باقي الفرق الاسلامية الباطنية المتعددة »[6] .

وهكذا يمكننا القول أن محمد بن نصير كان امتدادا في أفكاره ومعتقداته لسابقيه ، فأخذ عنهم وعن غيرهم تلك المعتقدات الغريبة ، وطورها فكانت فرقة النصيرية . لذا فان تأثير الأفكار الغنوصية والعرفانية الأفلاطونية على معتقدات هذه الفرقة وخاصة في قضية الحلول (أي حلول الذات الالهية في جسم شخص)

---

١ ــ تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٥٤ .
٢ ــ وتكشف هذه التسمية المذكرة لفاطمة عن اعتقاد النصيرية في أن النساء ليست لهن أرواح خاصة ، ولا يسلمن سر الديانة .
٣ ــ أي الخمسة الذين تباهل بهم الرسول ﷺ مع نصارى نجران .
٤ ــ أنظر دائرة المعارف الاسلامية / مادة النصيري .
٥ ــ تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٥٤ .
٦ ــ مقدمة عارف تامر لكتاب (الهفت والأظلة) للمفضل بن عمر الجعفي ص ٢٤ .

واضحة جلية[1] . مما جعل تعاليم هذه الفرقة ستارا لحفظ البقايا الدينية للوثنية القديمة ممتزجة بالنصرانية ، تتستر وراء الاسلام .

فاذا عدنا الى تتبع تاريخ هذه الطائفة بعد ابن نصير ، « فقد خلفه في رئاسة النصيرية محمد بن جندب ، ثم أبو محمد عبدالله بن محمد الجنان الجنبلاني (٢٣٥ — ٢٨٧ هـ) ، وكان يقيم في فارس في بلدة جنبلا فلذلك اشتهر بـ (الفارسي) ، وقد أحدث بين النصيرية طريقة صوفية تعرف بـ (الطريقة الجنبلانية) ، وقد سافر الجنبلاني الى مصر ، وهناك أدخل الحسين بن حمدان الخصيبي في طريقته ، وبعد رجوعه الى بلده تبعه الخصيبي الى هناك ، ثم خلفه بعد وفاته وأصبح رئيسا دينيا للنصيريين[2] » . ومما يذكر في هذا المقام أن هذه الفرقة قد لاقت عطفا وتأييدا من قبل الوزير ابن الفرات[3] ، الذي كان على اتصال بالأفكار الشيعية ، مما حمل المقتدر والمعتضد على سجنه ثلاث مرات وقتله بعد ذلك[4] .

بعد وفاة الجنبلاني وترؤس الخصيبي لهذا المذهب ، ترك الخصيبي مدينة جنبلا وقصد العراق ، ويبدو أن ذهابه للعراق كان من أجل أن يكون تحت حماية (بني بويه) الشيعة الغلاة والذين استولوا على السلطة في الدولة العباسية ، وكانوا عونا للغلاة ومنهم الاسماعيلية . لذا فالنصيرية تعتبر بني بويه أمثال : عضد الدولة ، ومعز الدولة ، وغيرهم من الذين اعتمد عليهم الخصيبي في الدعوة لمعتقدات النصيرية ، أشخاصا مقدسين لديهم[5] .

ويذكر بروكلمان : « أن الخصيبي حبس في بغداد عندما جهر بدعوته ، ولذا لجأ الى سيف الدولة الحمداني في حلب لما استولى عليها ، وكان يمت اليه بصلة القرابة ، وعاش في كنفه ، وقدم الى سيف الدولة كتابيه : الهداية ، والمائدة »[6] .

---

١ — أنظر بتفصيل عن أثر الغنوصية في الحركات الباطنية في الباب الأول من هذه الرسالة (التمهيد) .

٢ — تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٥٦ — ٢٥٨ .

٣ — هو علي بن محمد بن موسى ، أبو الحسن ، ابن الفرات عاش في الفترة ما بين عام (٢٤١ — ٣١٢ هـ) حتى قتل في أيام المقتدر ، وهذا يعني أنه عاصر أربعة من زعماء النصيرية وهم ابن نصير ، وابن جندب ، والجنبلاني ، والخصيبي .

٤ — أنظر دائرة المعارف الاسلامية / مادة النصيري .

٥ — تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

٦ — تاريخ الادب العربي / كارل بروكلمان — ترجمة د. عبد الحليم النجار جـ ٣ ص ٣٥٧ / دار المعارف — ط ٢ / ١٩٦٩ م .

ولكننا نتساءل هل أخفى الخصيبي حقيقة معتقداته عند لجوئه إلى سيف الدولة ؟ في الواقع أن الجواب على هذا السؤال يحتاج لشيء من التحقيق والتمحيص ، فكتاب (الهداية الكبرى) الذي ألفه الخصيبي وأهداه لسيف الدولة ، والذي نشر حديثاً ضمن كتاب (العلويون بين الأسطورة والحقيقة [1]) ينفي هذا الشيء ، لأن الكثير من معتقدات النصيرية وخاصة في التناسخ وتعظيم الخمر واضحة جلية في هذا الكتاب ، مما يجعلنا نتساءل : هل كان الخصيبي يخفي معتقداته عند سيف الدولة ؟ أم أنه وجد هناك من يؤازره ويعاضده ؟ لا يمكننا أن نجيب سريعا على هذا السؤال ، ولكن لا يمكننا أيضا أن نتجاهل أن النصيرية عندما يذكرون في كتبهم سيف الدولة وغيره من الحمدانيين ، يذكرونهم بشيء من التقديس والتعظيم ، ويعتبرونهم وكلاء الخصيبي في السياسة [2] .

وهذا يؤكد ما نقله هاشم عثمان في كتابه (العلويون بين الأسطورة والحقيقة) عن مقالات للشيخ عيسى سعود قاضي العلويين في اللاذقية في مجلة الأماني[3] والذي أوضح قائلا : « أما نعتها بالنصيرية فيعود إلى عهد السيد أبي شعيب محمد بن نصير النمير العلوي بواب الامام الحسن العسكري الذي جمع شتاتها بمساعدة الامام الموما إليه بعد أن كادت تمزقها الحروب والأيام . وفي أيام امارة بيت الدولة في حلب سنة ٢٨٣ هـ ، نبغ من العلويين شيخهم المعروف بالحسين بن حمدان الخصيبي ، أحد أقارب سيف الدولة علي بن حمدان ، وصاحب كتاب (الهداية الكبرى) فساعده هذا الأمير على بث دعوته وجمع كلمة هذه الطائفة ، والتف حوله من الأمراء والشعراء والمؤلفين العدد الكثير ، فأخذوا عنه ونشروا دعوته في سوريا والعراق ومصر وبلاد العجم وغيرها من البلدان ...[4] . وفي مقال آخر في العدد الثاني ــ تشرين ثاني ١٩٣٠ م ــ كتب ما يلي :

« ... إلى أن ضعف سلطان العباسيين في زمن المستكفي بالله حوالي سنة ٣٣٣ هـ حيث استبد بملكهم بنو حمدان ، وهناك تنفس العلويون الصعداء وأمن

---

١ ــ انظر كتاب العلويون بين الاسطورة والحقيقة / هاشم عثمان .

٢ ــ تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ومخطوط باسم (مسائل عن المراتب) في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي ورقة ١٤١ أ ، ب .

٣ ــ نقلا عن مجلة الأماني الصادرة في اللاذقية ــ العدد الأول / تشرين أول ١٩٣٠ م .

٤ ــ العلويون بين الأسطورة والحقيقة / هاشم عثمان ص ١٥٧ .

جانبهم واذ ذاك قام بالدعوة شيخهم الكبير السيد أبي عبدالله الحسين بن حمدان الذي اتخذ الشهباء موطنا له وانتشرت في المدن والأمصار بسرعة مدهشة بمعاونة امراء بني بويه في العراق والأهواز وفارس ...»[1] .

ومن هنا كان الخصيبي هو ألمع رؤساء النصيرية وأكثرهم أثرا في مذهبهم ، « ساعده على ذلك عمر طويل (٢٦٠ هـ ـــ ٣٥٨ هـ) وذكاء وقدرة على التأليف في المذهب وتطويره اياه حتى كان يلقب بشيخ الدين [2] ، وقبره الآن في شمالي حلب وهو معروف باسم (الشيخ يابراق) [3] . وبعد الخصيبي تناوب على رئاسة النصيريين عدد من الرؤساء مثل محمد بن علي الجلي في حلب ، تبعه أبو سعيد الميمون الطبراني [4] ، والذي ألف عدة مؤلفات في المذهب النصيري ، وقد توفي عام ٤٢٦ هـ ، ودفن في اللاذقية ويعرف قبره باسم الشيخ محمد الطبراني ويقع داخل المسجد المعروف بمسجد الشعراني باللاذقية ، وقد أجبرت الحروب المتوالية ضد النصيرية أبا سعيد على مغادرة حلب واللجوء إلى اللاذقية وجبالها والسكن فيها وذلك في سنة ٤٢٣ هـ [5] .

وخلال وجود أبي سعيد في اللاذقية ، تعرضت النصيرية للقتال من قبل أعدائهم (الاسحاقية) ، والذين كانوا منافسين أقوياء للنصيريين ، « ولكن مجيء بني هلال النصيريين أنقذ هؤلاء من حروب كادت أن تقضي عليهم »[6] .

ومما يذكر أن الاسحاقية ، كان أول ظهورهم في بداية ظهور ابن نصير ، عندما نافسه على ادعاء البابية شخص اخر هو (اسحاق الأحمر) ـــ والذي ذكره

---

١ ـــ العلويون بين الاسطورة والحقيقة / هاشم عثمان ص ١٦٠ .
٢ ـــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .
٣ ـــ تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٥٩ .
٤ ـــ ولد أبو سعيد في بلدة طبرية بفلسطين عام ٣٥٨ هـ وهو معروف باسم الطبراني ، ثم سافر إلى حلب ، وسكن فيها عند الجلي وصنف هناك كتباً عديدة .
انظر تاريخ العلويين ص ٢٦٣ .
٥ ـــ المصدر السابق ص ٢٦٣ .
٦ ـــ المصدر السابق ص ٢٦٣ ـــ ٢٦٥ .

الشهرستاني في الملل والنحل عند حديثه عن النصيرية ــ ، وكانت مبادئه تشابه إلى حد كبير مبادىء ابن نصَير ولكن الاسحاقية كانت أميل إلى تقرير أن عليا كان شريكاً في النبوة مع محمد ﷺ (١) . وقد خلف اسحق الأحمر أتباعا كان رئيسهم (همام الأعسر) تبعه في الرئاسة (اللقيني) ثم (أبو ذهيبة) وهو اسماعيل بن خلاد البعلبكي المعاصر لأبي سعيد الطبراني ، وكان يسكن أيضا في حلب ، ثم انتقل إلى جبلة ــ القريبة من اللاذقية ــ، ثم اللاذقية نفسها حيث استطاع الاستيلاء عليها وجعل يقاتل النصيرية في هذه المناطق ، وكاد أن يقضي عليهم لولا مجيء بني هلال ــ كما مر ذكره ــ الذين ألجأوه إلى انطاكية فظلوا يطاردونه حتى قتل (٢) .

وفي نهاية القرن السادس وبداية السابع الهجري لم يجد النصيرية بدا من طلب العون من الأمير المكزون السنجارى (٣) (النصيري) ، بسبب مهاجمة الأكراد المسلمين لهم بسبب معتقداتهم الالحادية ، حيث جاء لنجدتهم سنة ٦١٧ هـ في خمس وعشرين ألف فارس ، ولكنه فشل فعاد أدراجه مهزوماً ، فعاود الكرة عام ٦٢٠ هـ في خمسين ألف مقاتل فانتصر على الأكراد هذه المرة ، بعد أن كادوا يقضون على النصيريين (٤) .

ومما يذكر أن المكزون السنجارى بقي في جبال النصيرية بعد ذلك ، وألف كتباً وأشعاراً في المذهب النصيري ، « ولذا يعتبرونه من أعاظم مشايخهم (٥) .

وكما يقول المستشرق (ماسينون) في دائرة المعارف الاسلامية ، فانه منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، كان تاريخ النصيريين في هذه المنطقة سلسلة من المصادمات والحروب وخاصة الحروب التي وقعت بينهم وبين الاسماعيلية بسبب التنافس الشديد بينهم ، فقد استطاع النصيريون أن يحتلوا مدينة (قدموس) في شمال سوريا من

---

١ ــ انظر الملل والنحل / للشهرستاني جـ ٢ ص ٢٤ ، ٢٥ على الهامش .
٢ ــ انظر بتفصيل تاريخ العلويين ص ٢٦٢ .
٣ ــ نسبة إلى سنجار ، بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة (سوريا) بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٦٢ .
٤ ــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٢٣ .
٥ ــ تاريخ العلويين ص ٣٦٢ .

الاسماعيلية ، ولكن الاسماعيلية استعادوها ، وما لبث أن احتلها النصيريون مرة أخرى ، وهكذا دواليك نجد في تاريخ هذه المنطقة سلسلة من الحروب بين هاتين الطائفتين (١) .

والملاحظ في تاريخ النصيريين ، أنهم نزلوا إلى السواحل من جبالهم أثناء الحروب الصليبية وحروب التتار ، وبعد اندحار هؤلاء نجدهم يرجعون إلى جبالهم ، وهذا يؤكد لنا الروايات التاريخية التي تتحدث عن التعاون الوطيد بين النصيرية والصليبيين والتتار ضد المسلمين .

أما تعاونهم مع الصليبيين وتأثرهم بهم فهذا واضح في معتقداتهم وأعيادهم فهم يؤمنون بالثالوث (ع . م. س .) ونجد الكثير من مخطوطاتهم وكتبهم تحاول أن توفق بين ثالوثهم هذا والثالوث النصراني (الأب ، والابن ، والروح القدس) ، وهم بالاضافة إلى ذلك يقدسون الخمر والنبيذ ويحتفلون بعيد الميلاد والغطاس والبربارة وغيره من الأعياد النصرانية ، حتى أن أدعيتهم وصلواتهم يسمونها (قداسات) .

وهذا كله يدل دلالة واضحة على اندماجهم الكلي في المجتمع الصليبي أثناء الحروب الصليبية ، يقول الكاتب النصيري المعاصر محمد أمين غالب الطويل : « حتى أصبح الشعب العلوي يملك سجايا وميزات بنيوية تقارب جميع بقية الطوائف العربية والتركية ، من مسيحية ويهودية ورومية وغير ذلك »(٢) .

وهذا الاندماج مع الأمم المعادية للاسلام يوضحه لنا كاتب نصيري أخر وبطريقة أخرى بقوله : « ومن أظهر ما يعرف به العلويون عنايتهم بالفلسفة الروحية العالمية ومقابلتها بالأديان الالهية ، وتوفيق ما يمكن توفيقه ... ويستنتجون من كل ذلك وحدة الأديان ووحدة غايتها ... هذه الظاهرة الفكرية التي يمتاز بها العلويون ، هي ما جعلت بعض الجهلاء وذوى الغايات الدنيوية يلصقون بهذه الطائفة تهمات الوثنية والكفر وينسبونهم إلى أديان أخرى غير الاسلام »(٣) .

---

١ ــ انظر دائرة المعارف الاسلامية (مادة نصيري) .
وتاريخ العلويين ٣٦١ ، ٣٦٢ .
٣ ــ تاريخ العلويين ص ٢٦١ .
٣ ــ نقلا عن مقال للكاتب النصيري (عبد الرحمن الخير) نشره هاشم عثمان في كتابه العلويون بين الاسطورة والحقيقة ص ١٧٥ .

وفي كتاب تعليم ديانة النصيرية ، الذي يتكون من أسئلة وأجوبة ، نجد كثيراً من المصطلحات الخاصة بالنصارى منها سؤال يسأل : ما هو القداس ، وسؤال أخر عن القربان ، حيث كان الجواب أنه الخبز الذي يقدمه المؤمنون عن أرواح إخوانهم (١) .

هذا عن تعاونهم وتأثرهم بالنصارى ، أما التتار فقد كان تعاوناً أشد وأمتن ، وذلك لأن تيمور لنك زعيم التتار كان قد اتخذ التشيع مذهباً له ، لذا نجد أن النصيريين كانوا من أقوى المتعاونين معه ، وخاصة في تحريضه على غزو دمشق وبغداد ، والتاريخ يحدثنا عن الفتاة النصيرية (درة الصدف) التي جاءت إلى تيمور لنك في حلب ومعها أربعون بنتا بكرا من النصيرية ؟! وهو تنوح وتبكي وتطلب الانتقام لأهل البيت وبناتهم اللاتي جيء بهن سبايا للشام ، فوعدها تيمور لنك بأخذ الثأر ومشت معه حتى الشام والبنات النصيريات معها ينحن ويبكين وينشدن الأناشيد المتضمنة التحريض لأخذ الثأر ، فكان ذلك سببا للشام بمصائب لم يسمع بمثلها ، ولم ينج من قتل تيمور في الشام إلا عائلة واحدة من المسيحيين ، حيث كان يقتل السنيين ويستثني العلويين ، ومن بعد الشام ذهب تيمور لبغداد وقتل بها تسعين ألفا (٢) .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : « وقد كانت النصيرية أثناء الهجمة الصليبية على العالم الاسلامي والوطن العربي عونا للصليبيين على المسلمين ، ولما استولى الصليبيون على بعض البلاد الاسلامية قربوهم وأدنوهم ، وجعلوا لهم مكانا مرموقا ، وعندما تمكن المسلمون من طرد الصليبيين ، اعتصم النصيريون بجبلهم ، واقتصر عملهم على تدبير المكائد والفتن ، ولما أغار التتار بعد ذلك على الشام مالأهم أولئك كما مالأوا الصليبيين من قبل ، فمكنوا للتتار من الرقاب ، حتى اذا انحسرت غارات التتار ، قبعوا في جبالهم قبوع القواقع في أصدافها لينتهزوا فرصة أخرى» (٣) .

---

١ ــ مخطوط كتاب تعليم ديانة النصيرية في المكتبة الأهلية بباريس رقم ٦١٨٢ عربي ورقة ١٦ ب .
٢ ــ تاريخ العلويين ص ٣٩٠ ــ ٣٩٢ .
٣ ــ المذاهب الاسلامية / محمد أبو زهرة ص ٦٣ ــ ٦٤ جـ ١ دار الفكر العربي .

وفي هذا الصدد يقول الاستاذ أمين الريحاني أيضا : « والغريب العجيب أن يجمع الغرض بين هاتين الأقليتين : المارونية والعلوية ، وكلتاهما متمسكة بعقيدتها وبأوليائها أشد التمسك ، فتسلكان مسلكاً واحدا في الماضي والحاضر وتكونان مع السائدين من الأجانب على أهل البلاد الوطنيين» (١) .

وقد قامت محاولات كثيرة من زعماء المسلمين لاصلاح هذه الطائفة وارجاعها إلى طريق الاسلام الصحيح ، وأول من قام بالمحاولة ، صلاح الدين الأيوبي بعد دحره للصليبيين حيث حاول اصلاحهم ببناء المساجد واقامة الصلاة والصيام وغيرها من الفروض الاسلامية ، فأطاعوه ولكنهم بعد وفاته عادوا الى ما كانوا عليه من معتعدات وخربوا المساجد وجعلوها زرائب للحيوانات . وكرر المحاولة الظاهر بيبرس بعد هزيمته للتتار ، والذي ألزمهم ببناء المساجد بقراهم ، فبنوا بكل قرية مسجدا ، ولكن ابن بطوطة الرحالة المسلم المشهور مرّ بالساحل السورى بعد هذه الفترة في القرن التاسع الهجري فروى ما رآه بقوله : « وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية ، الذين يعتقدون أن علي بن أبي طالب اله ، وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون ، وكان الملك الظاهر ألزمهم ببناء المساجد بقراهم ، فبنوا بكل قرية مسجدا بعيداً عن العمارة ، ولا يدخلونه ولا يعمرونه ، وربما أوت إليه مواشيهم ودوابهم ، وربما وصل الغريب اليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له : لا تنهق علفك يأتيك بعد قليل... » (٢) .

ولما جاء السلطان العثماني سليم إلى بلاد الشام ، قاتل النصيرية ودحرهم حتى أوصلهم إلى جبالهم ، بعد أن أفتى علماء المسلمين بانهم كفرة ويجب قتالهم ، وقد حاول السلطان العثماني اصلاحهم ببناء المساجد وغيرها من الاصلاحات ، ولكنهم بعد مدة رجعوا إلى ما كانوا عليه .

---

١ ـــ النكبات / خلاصة تاريخ سوريا منذ العهد الأول للطوفان إلى عهد الجمهورية بلبنان ص ١٤٢ ـــ مطابع صادر وريحاني ـــ بيروت ، أمين الريحاني ط ٢ .

٢ ـــ مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . ص ٦٥ / تحقيق أحمد العوامري ومحمد أحمد جاد المولى / طبعة القاهرة .

وهذا أيضا ما فعله ابراهيم باشا ابن والي مصر محمد علي باشا « عندما سيطر على مناطق النصيريين ، فحاول جهده اصلاح المنطقة وتثبيت الأمن فيها وحمل أبنائها على ترك المعتقدات الفاسدة ، فاستعمل الشدة أول الأمر ، ثم لان لهم وبنى المدارس والمساجد غير أن النصيرية قاموا بثورة كبيرة عام ١٨٣٤ م وهاجموا مدينة اللاذقية ونهبوا وفتكوا بأهلها ، فجرد لهم ابراهيم باشا حملة كبيرة وعاقبتهم بشدة وأحرق عددا من قراهم ، فاستسلموا وأظهروا الطاعة التامة ، فلما دالت دولته رجعوا إلى ما كانوا عليه . وفي عهد السلطان العثماني عبد الحميد كرر المحاولة بارساله رجلا من خاصته اسمه ضيا باشا جعله متصرفا على لواء اللاذقية في بداية هذا القرن ، فأنشأ لهم المساجد والمدارس ، فأخذوا يتعلمون ويصلون ويصومون ، وأقنع الدولة بانهم مسلمون ، فلم يعصوا له أمرا ، وبعد أن ترك هذا المتصرف منصبه خربت المدارس وحرقت الجوامع أو دنست »(١) .

هذا عن تاريخ هذه الطائفة مع محاولات الاصلاح ، أما عن تاريخها مع الفتن والثورات ضد المسلمين فهي كثيرة جدا في الماضي والحاضر ، منها ما رواه ابن كثير :

« انه في سنة ٧١٧ هـ خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله ، وتارة يدعي علي بن أبي طالب فاطر السموات والأرض ، وتارة يدعي أنه محمد بن عبدالله صاحب البلاد ، وخرج يكفر المسلمين ، وأن النصيرية على الحق ، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية ... وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها ، وخرجوا منها يقولون : لا إله إلا علي ، ولا حجاب إلا محمد ، ولا باب إلا سلمان . وسبوا الشيخين ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين : قل لا إله إلا علي ، واسجد لالهك المهدي الذي يحيي ويميت حتى يحقن دمك ... فجردت إليهم العساكر فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيراً ... »(٢) .

---

١ ــ خطط الشام / محمد كرد علي جـ ١ ص ٢٦٠ ــ ٢٦٣ ، جـ ٣ ص ١٠٥ ، وابراهيم باشا في سوريا / سليمان عز الدين ص ١٨٤ ــ بيروت ١٩٤٩ م .
٢ ــ البداية والنهاية / ابن كثير جـ ١٤ ص ٨٣ ، ٨٤ .

وعندما احتل الفرنسيون سوريا عام ١٩٢٠ م ، اجتمع الكابتن الفرنسي (بلونديل) رئيس مصلحة الاستخبارات في اللاذقية بزعماء العلويين ، فأوضح لهم الفوائد التي يجنونها من انفصال المنطقة عن سوريا واعلان استقلالها ، وبالفعل فقد أعلنت هذه الدولة برئاسة سليمان مرشد الذي ادعى الالوهية بايعاز من الفرنسيين ، فكان يلبس ثيابا فيها أزرار كهربائية ، ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار ، فاذا وصل التيار أضاءت الأنوار من الأزرار فيخر له أنصاره ساجدين ، ومعهم المستشار الفرنسي الذي كان يسجد مع الساجدين ويخاطب سلمان بقوله : يا الهي . وقد غذى الفرنسيون هذه الحركة وراحوا يستغلونها على أوسع مدى لاثارة القلاقل والفتن . وفي عام ١٩٣٨ م عين سليمان مرشد في دولته قضاة ودرب فدائيين ، وفرض الضرائب ، وأصدر قرارا جاء فيه : « نظرا للتعديات من الحكومة الوطنية ، والشعب السني على أفراد شعبي ، فقد شكلت لدفع هذا الاعتداء جيشا يقوم به الفدائيون والقواد ». ولما استقلت سوريا ، وجلا الفرنسيون عنها ، جردت الحكومة حملة استطاعت القضاء على هذه الفتنة واعتقلت سليمان مرشد حيث حوكم وشنق عام ١٩٤٦ م ــ ١٣٦٦ هـ . وبعد أن قتل سليمان مرشد قام بعض أتباعه بتأليه ابنه (مجيب المرشد) ولكنه قتل بعد فترة بسيطة ، وبقي أتباعه على تأليهه ، وعندما يذبحون يقولون : باسم المجيب أكبر ، من يدي لرقبه أبي بكر وعمر[1] .

واذا كنا قد أتينا على العلاقة القوية بين النصيريين وفرنسا ، وخاصة في تأسيس دولتهم في بداية هذا القرن ، فاننا نورد بشيء من التعجب وثيقة كشف عنها حديثا وهي من سجلات وزارة الخارجية الفرنسية وتحمل رقم ٣٥٤٧ وتاريخها ١٩٣٦/٦/١٥ ، وقد أوردها الدكتور مجاهد الأمين في كتابه العلويون أو النصيرية ، وتتضمن هذه الوثيقة عريضة رفعها زعماء الطائفة النصيرية في سوريا الى رئيس وزراء فرنسا ، يلتمسون فيها عدم جلاء فرنسا عن سورية ، ويشيدون باليهود الذين جاءوا الى فلسطين ، ويؤلبون فرنسا ضد المسلمين ، ووقع الوثيقة : سليمان الأسد ، ومحمد

١ ــ أنظر كتاب مدعي الألوهية في القرن العشرين أو سليمان مرشد / جورج بطرس دكر ص ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، وكتاب اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

سليمان الأحمد ، ومحمود أغا حديد ، وعزيز آغا هواش ، وسليمان مرشد ، ومحمد بك جنيد ، وفيما يلي نص هذه الوثيقة نورده لأهميته :

« دولة ليون بلوم ، رئيس الحكومة الفرنسية ،

إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس ، هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم (السني) ، ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل .

إننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على عدم ارسال المواد الغذائية لاخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين ، وان هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام ، ونثروا على أرض فلسطين الذهب والرخاء ، ولم يوقعوا الأذى بأحد ، ولم يأخذوا شيئاً بالقوة ، ومع ذلك أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة بالرغم من وجود انكلترا في فلسطين وفرنسا في سوريا .

إننا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري ورغبته في تحقيق استقلاله ، ولكن سوريا لا تزال بعيدة عن الهدف الشريف ، خاضعة لروح الاقطاعية الدينية للمسلمين .

ونحن الشعب العلوي الذي مثله الموقعون على هذه المذكرة ، نستصرخ حكومة فرنسا ضمانا لحريته واستقلاله ، ويضع بين يديها مصيره ومستقبله ، وهو واثق أنه لا بد واجد لديهم سنداً قوياً لشعب علوي صديق ، قدم لفرنسا خدمات عظيمة »[1] .

وفي حرب عام ١٩٦٧ م ظهر عطف الطائفة النصيرية على اليهود عملياً ، وذلك بتسليمهم مرتفعات الجولان السورية بلا حرب بعد أن استولوا على السلطة في

---

١ ـــ العلويون أو النصيرية / د. مجاهد الامين ص ٥٥ ، ٥٦ .

سوريا ، ويوضح ذلك الأستاذ سعد جمعة رئيس وزراء الاردن عام ١٩٦٧ م في كتابه (مجتمع الكراهية) فقد أورد بيانا سريا أصدره أحد مشايخ النصيرية المعاصرين تكلم فيه على ما حدث في حرب ١٩٦٧ م مع اسرائيل وبين كيف سلم النصيريون الجولان لاسرائيل لاعتقادات خاصة اعتقدوها .

ومما جاء في هذا البيان قول كاتبه : « ان أصل الغلو والزندقة والتطرف أربعة هم : ميمون القداح ، والمفضل الجعفي ، وأبو الخطاب المجوسي ، ومحمد بن سنان .... ثم يذكر أنه بعد اختفاء الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري عام ٢٦٠ هـ ظهر من أحفاد هؤلاء شيخ آخر وحيد العين يتمتع بذكاء خارق ودهاء منقطع النظير هو أبو شعيب بن نصير البصري النميري الذي عكف على دراسة المبادىء والأسس بكافة الفرق الشيعية المتطرفة فصهرها جميعا في بوتقة واحدة وصاغ منها المعتقدات النصيرية السرية التي لا يزال حتى يومنا هذا القسم الأكبر من المشايخ السذج يطبقونها وينطلقون منها في وعظهم وارشادهم ولقد جعل أبو شعيب أو سيدنا وحيد العين قدس الله سره المحور الرئيسي الذي تدور عليه العقيدة اطلاق صفة الألوهية على الامام علي بن أبي طالب وتسميته بأمير النحل كما منح نفسه لقب الباب الذي يحل محل أمير النحل ويمثله ، ثم جاء بعده الشيخ الجنبلاني والجلي والزاهري وجبين المذهب الشيخ علي الصوري والخصيبي فأوجدوا المراتب والحجب والأظلة والقباب والنقباء والنجباء .... الخ ودعوا الى عبادة الشمس والقمر والحلول أي حلول الألوهية في أمير النحل ، وبابه سلمان الفارسي ، وسلمان خلق المقداد ، والمقداد خلق الناس لذلك فهو رب الناس ...... ثم يورد كاتب البيان مقتطفات من بعض صلوات النصيرية مثل صلاة التربية ، وصلاة الفتح وفيها تأليه صريح لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مثل قولهم في صلاة التربية : مولاي أمير النحل علي حيدر أبي تراب منه أستفتح وأنجي وفيه أفوز وأستغني وفيه أختم وهو ربي ورب أبائي الأولين ورب الآخرين ورب الخلائق أجمعين ...... الخ ثم يذكر كاتب البيان النبوءة التي يؤمن بها النصيرية وبسببها سلمت الجولان ونصها ما يلي : عندما يبلغ المريخ الى مرتبة الأوتاد الأربعة ويكون بهرام في الطالع يظهر من الجنوب وحيد العين الذي يكون مجتمعا به حدث الميم وقدم الدال ، عندما يصبح بهرام في الوتد بمقدار عشر درجات يكون وارد الوقت وحيد العين قد ظهرت أعلامه الخضراء من الشرق راكبا الميمون وبيمينه

ذو الفقار المسنون فيطهر البلاد ويقضي على الفساد وينصب الخيام على العاصي وينهى الناس عن المعاصي ويطعم الجائع ، وعندما يصل بهرام الى الغارب في تلك السنة يكون صاحب حدث الميم وقدم الدال قد وصلت راياته الى دمشق واتجهت جيوشه نحو الشمال لتلتقي مع جيوش وارد الوقت وحيد العين فتلألأ الأنوار القدسية وتظهر الأظلة والأشباح والأيتام من خلف القباب لتؤدي الطاعة الى وارد الوقت سيدنا وحيد العين ويدوم العز في رؤوس العوالي وترفرف الأعلام فوق الجبال مدة سبعين عاما بالتقريب تكون كلمة وارد الوقت واحد العين هي السائدة يخدمه وحيد العين صاحب حدث الميم وقدم الدال ....[1] ويعلق كاتب البيان على هذه النبوءة بقوله : ان مشايخ النصيرية يفسرون ما جاء في هذه النبوءة تفسيرا يخدم الصهيونية فهم يقولون : ان السيد أبا شعيب الذي كان وحيد العين أي أعور سيحتجب عن طريق التناسخ ويظهر من الجنوب فيحتل دمشق ويتجه نحو الشمال ليؤدي الطاعة الى وارد الوقت وحيد العين أعور ، وعندما يلتقي الأعوران سيدوم حكمهما مدة سبعين عاما ، وان أبا شعيب هذا يفسره مشايخهم على أنه هو (موشي دايان) حدث الميم وقدم الدال ..... ويضيف قائلا : انه لهذا السبب تنازل المقدم جديد عن جنوب سوريا لوحيد العين حدث الميم وقدم الدال تسهيلا لالتقاء الأعورين على نهر العاصي حيث سيدوم ملكهما سبعين سنة لأن النصوص المتعلقة بقيام دولة العلويين مرهون بقيامها سيطرة وحيد العين على دمشق وحتى نهر العاصي وبعد هذه السيطرة يكون الوقت لاقامة الدولة العلوية »[2] .

هذا عن تاريخ النصيرية ، أما اسمهم فالنصيرية هو الاسم الديني والتاريخي لهذه الفرقة ، ولكن بعد الاحتلال الفرنسي لسوريا ، اطلق الفرنسيون عليهم اسم (العلويين) لذر الرماد في العيون عن أصلهم ومعتقدهم ، وقد ارتاحوا لهذه التسمية ، لأنهم كانوا ضائقي الصدور بتسميتهم (بالنصيرية)[3] ، ولأن التسمية الجديدة ـــ على الأقل ـــ تخلصهم مما علق تاريخيا باسم النصيرية من ذم وتشنيع وتكفير ، ولأنها ربما تفتح لهم آفاقا أرحب للتقارب مع الشيعة[4] .

---

١ ـــ هذه النبوءة موجودة في أحد كتب النصيرية المقدسة واسمه (كتاب الأسوس) وهو مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٤٩ عربي .

٢ ـــ مجتمع الكراهية / سعد جمعة ص ٦٢ ـــ ٧٥ .

٣ ـــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٢٠

٤ ـــ العلويون أو النصيرية / السيد عبد الحسين مهدى العسكري ص ٨ .

لذا عمد بعض الكتاب النصيريين المعاصرين الى نفي هذا الاسم كلية عن هذه الطائفة ، أمثال محمد أمين غالب الطويل صاحب كتاب تاريخ العلويين ، وهاشم عثمان صاحب كتاب العلويون بين الأسطورة والحقيقة ، الذي يحاول جاهدا قلب الحقائق التاريخية ، فيتهم المؤرخ المسلم عبد الكريم الشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨ هـ ، بوضع هذه التسمية ، لأنه عاش ــ أي الشهر ستاني ــ في وسط وجو البغض للشيعة ، وهو بالاضافة الى ذلك موضع شك متهم في عقيدته ، وفي أمانته ونزاهته العلمية . وما كتبه كان لغاية مرسومة الأهداف[١] .

ولو رجعنا الى صحة هذه المزاعم ، لوجدنا بطلانها لأن عدم ذكر اسم النصيرية بالتحديد قبل الشهر ستاني لا يعني مطلقا عدم وجودها ، فكما علمنا مما سبق أن مؤسس هذه الفرقة يدعى (محمد بن نصير النميري) ، لذا فهناك ممن سبق الشهر ستاني من ذكر فرقة النميرية نسبة الى الاسم الأخير من اسمه أمثال الأشعري وعبد القاهر البغدادي[٢] ، وهناك أيضا من ذكر محمد بن نصير دون ذكر اسم فرقته مثل المؤرخين الشيعيين المعاصرين لابن نصير سعد القمي المتوفى عام ٣٠١ هـ ، والنوبختي المتوفى عام ٣١٠ هـ[٣] .

وكذلك هناك ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل والذي سبق الشهرستاني في ذكر اسم النصيرية وبعض معتقداتهم[٤] .

والواقع أن الأمور التي ذكرناها عن النصيرية ، لم يستطع حتى من كتب عنهم مدافعا أن ينكرها ، لأنها حقائق تاريخية دامغة في الماضي والحاضر ، فهذا الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه اسلام بلا مذاهب ، يحاول جاهدا أن يدافع عنهم ، الا أنه يعترف أن هناك غلاة ملحدين يؤلهون عليا موجودون في طائفة النصيرية

---

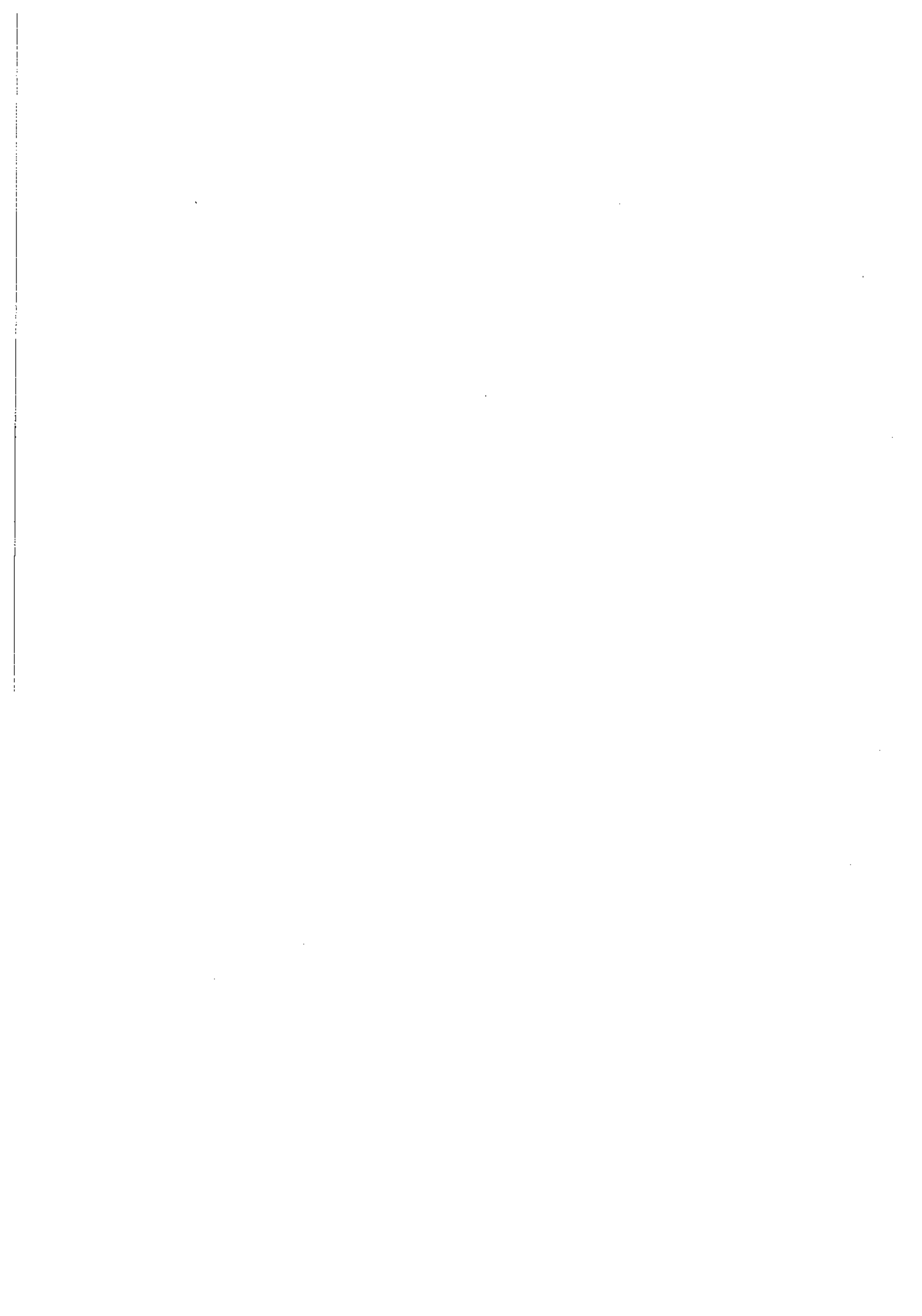
١ ــ العلويون بين الأسطورة والحقيقة / هاشم عثمان ص ٣٨ ، ٦٢ ، ١٤١ ، ١٤٢ .
٢ ــ أنظر مقالات الاسلاميين / للأشعري جـ ١ ص ٨٦ ، والفرق بين الفرق / عبد القاهر البغدادي ص ٢٥٢ .
٣ ــ أنظر كتاب المقالات والفرق للقمي ص ١٠٠ ، ١٠١ ، وكتاب فرق الشيعة للنوبختي ص ٧٨ .
٤ ــ الفصل في الملل والاهواء والنحل / ابن حزم جـ ٤ ص ١٨٨ .

لذا يقسمهم الى : علوية غلاة وعلوية صحيحة[1] . وان كنا لسنا مع الدكتور الشكعة في هذا التقسيم ، نود من صميم قلوبنا أن يكون من هذه الطائفة من رجع الى الطريق الصحيح للاسلام كما يذكر ذلك ، الا أننا مع الأسف نشك في ذلك لما نراه في الوقت الحاضر في هذه الطائفة من تصرفات وأعمال ان دلت على شيء فانما تدل على الحقد التاريخي الذي يكنه هؤلاء للاسلام والمسلمين ، وهذا كله يؤكد جميع الحقائق التاريخية والعقائدية التي تحدثت عنهم .

وحتى نستطيع أن نحيط بشكل أوسع بهذه العقائد والتي تجعل هؤلاء بعيدين عن الاسلام بل وحاقدين عليه ، كان علينا أن نبدأ بالفصل الثاني والذي يتحدث بشكل تفصيلي عن الجانب الباطني المستور من عقائد النصيريين .

---

١ ـــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة الصفحات من ٣٣٢ ـــ ٣٥٩ .



الفصل الثاني

الجانب الباطني في عقائد النصيريين

١ ـــ دعوى ألوهية علي عند النصيريين

العقيدة الأساسية عند النصيريين هي تأليه علي رضي الله عنه ، فيزعمون أن عليا اله أو حلت فيه الألوهية ، وهم كذلك يؤلفون ثالوثا من علي ومحمد ﷺ وسلمان الفارسي ، ويتخذون من ذلك شعارا يتكون من الحروف الثلاثة (ع.م.س) وهذا الثالوث يفسر عندهم بـ (المعنى والاسم والباب) ، « فالمعنى هو الغيب المطلق ، أي الله الذي يرمز اليه بحرف (ع) . والاسم هو صورة المعنى الظاهر ويرمز اليه بحرف (م) . والباب هو طريق الوصول للمعنى ويرمز اليه بحرف (س) »[1] .

لذلك فهم يعتقدون بحلول الألوهية في البشر منذ أول الخليقة ، فهناك سبعة أدوار للظهورات الالهية ، اتخذت في كل دور وظهور رسولا ناطقا ، « فالظهور الأول كان في هابيل ثم في شيت وكان آدم هو الرسول الناطق ، ثم انتقلت الألوهية الى سام والنبوة الى نوح ، وبعدها انتقلت الالوهية الى اسماعيل والنبوة الى ابراهيم ، ثم انتقلت الالوهية الى هارون والنبوة الى موسى ، ثم انتقلت الألوهية الى شمعون الصفا المعروف عند النصارى ببطرس والنبوة الى عيسى ، وظهر للمرة الأخيرة في علي بن أبي طالب والنبوة في محمد ﷺ »[2] .

---

١ ـــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٣٣ .

٢ ـــ مخطوط في تقسيم جبل لبنان / مخطوط في الجامعة الامريكية ببيروت رقم ٣١ ، ويوجد شريط عنه في الجامعة الأردنية رقم ٦٩٩ . ومخطوطة تعليم الديانة النصيرية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٦١٨٢ عربي ورقة ٤ أ .

فعلي في نظرهم « اله في الباطن امام في الظاهر ، لم يلد ولم يولد ولم يمت ولم يقتل ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الذي اتخذ محمدا ناطقا ، لذا فهو متصل به ليلا منفصل عنه نهارا »[١] . لأنه فاض من نوره المشع فهو الدال عليه ، يروي أحد كتاب النصيريين عن محمد بن سنان : « أنه لا يـدل على الله الا من كان منه أو من نوره الخاص ... ثم يضيف قائلا : ألستم تعلمون أن محمدا دلّ على علي اذا كان منه أو من نوره »[٢] .

ويفسرون قوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي[٣] » بأن الكلمات هي الظهورات التي ظهر فيها الله بالبشرية[٤] .

وظهور الله ــ جل شأنه ــ في البشرية كما يزعمون كان « عدلا منه وانصافا لئلا يكون على الله حجة بعد الرسول ، فنطق من البشر وظهر بالمعجزات والقدرة ليدلهم على ذاته ..... فكان ظهوره قدرة ، ونطقه حكمة ، ودلالته على ذاته رحمة ، وغيبته عظمة .... ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : « وهو الله الذي في السماء اله وفي الأرض اله[٥] »[٦] .

والمعنى ــ أي الله ــ كما يتصورونه : « أحد فرد صمد جوهر قائم بذاته بالعلم والقدرة والفعل ... وهو أمير النحل بذاته[٧] » ، وهو أيضا « لا اله الا هو أحد لا ينثني في عدد ولا يتجسد في جسد[٨] » ، أما الجسد الذي ظهر فيه فلم

---

١ ــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٣٥ .
٢ ــ كتاب الأصيفر / أبو عبدالله بن شعبة الحراني ــ مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي ورقة ٥ ب .
٣ ــ آية ١٠٩ سورة الكهف .
٤ ــ المصدر السابق ورقة ٣٥ أ .
٥ ــ سورة الزخرف آية ٨٤ .
٦ ــ المصدر السابق ورقة ٢٩ ب .
٧ ــ مناظرة الشيخ يوسف الحلبي / مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي ورقة ١٠٩ أ .
٨ ــ مسائل أبو عبدالله بن هارون الصايغ المروية عن الخصيبي ــ مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي ورقة ٥٤ أ .

يكن له حقيقة « فهو بصفته مقلب القلوب والابصار رآه الناس كهيئة البشر ، فحقيقته في الربوبية ، والصورة هي لحاجة المخلوقين إليها ، فالبشرية التي أظهرها لم يكن لها حقيقة ، وانما الحقيقة في الربوبية لاظهار القدرة ... اذ لم ير الخلق إلا صورة بشر ، وهذه الصورة لم يكن لها حقيقة »(١) .

ومن القصص الغريبة والساذجة التي يستدلون بها على ألوهية علي ، ما روى عن الخصيبي قال : « لما أراد مولانا اظهار قدرته عقد ذاتيته ، وقام سلمان جل وعز ، مثلما قام إسمه وقال : يا سلمان تعرفني وقد ظهر له بالصورة الهاشمية العلوية ، قال : نعم أنت الله لا إله إلا أنت الأزل القديم ربي ورب الخلائق أجمعين ، ثم ظهر له بصورة الحسن وسائر الصور الامامية التي ظهر بها الميم ، فكان كلما ظهر المولى لسلمان بصورة من الصور يقول : يا سلمان تعرفني ، يقول : نعم يا مولاي أنت أنت يا مولاي لا إله إلا أنت ، أنت الأزل ، ويسجد عند كل ظهور سجدة حتى سجد اثني عشر سجدة ، وكان كلما سجد سجدة أنحله حرف فتمت اثنى عشر حرف لاثنتا عشر سجدة وهي حروف لا إله إلا الله ، وهي واقعة على عليّ ومحمد وسلمان ... »(٢) .

والمعنى عندهم لا ينقسم ولا يتبعض ، ولا يظهر إلا بشخص واحد ، فاذا شاء أن يحجب خلقه عنه ترك الصفة التي كانوا يرونه بها في أيديهم موجودة عند الغيبة في الموت أو بالقتل ، فيروا تلك الصفة التي كانت في أعينهم على المغتسل ، وصاحبها ناطق من مقام جديد ، والناس يقولون : مات فلان وقتل فلان ، فيبقى في أيديهم الصفة والاسم الذي لها ، وهم محجوبون عن المعنى الناطق ، وهو ظاهر باسم غير ذلك الاسم ، وصفة غير تلك الصفة ...(٣) » . ولذلك فهم يتصورون أن من عرف الا له في ظهوره الأخير فقد عرفه في كل الظهورات الماضية ويزعمون : « أن

---

١ ــ مناظرة الشيخ يوسف الحلبي / مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي ورقة ١٠٤ ، ١٠٥ أ .

٢ ــ المصدر السابق ورقة ١٣٠ أ و ب .

٣ ــ المصدر السابق ورقة ١٠٩ أ .

من عرف أمير المؤمنين وشهد له بالربوبية فقد أثبته في جميع الظهورات ، ومن أقر بظهور واحد ونطق واحد أقر بجميع الظهورات »[١] .

أما من حيث اللاهوت والناسوت عند النصيرية ، « فاسم الله وقع على اللاهوت ، واسم علّي وقع على الناسوت ، وعلّي هو الله ، والله هو علي ، لأن ذلك الناسوت عرف باسم، كما عرف بالناسوت كل مخلوق باسم »[٢] .

فاذا قلت — كما يزعمون — : « (اله) كان يعني ذلك المعنى ، واذا قلت (الله) إن أردت المعنى أصبت ، وإن أردت الاسم أصبت ، واله ثلاثة أحرف ، وعلي ثلاثة وهو المعنى »[٣] .

وحتى تكون الفكرة عن تأليه علي عند هذه الطائفة واضحة ، فلا بأس من أن نأتي ببعض النصوص من كتبهم وصلواتهم وتعاليمهم ، ليستيقن القارىء أن هذه الاعتقادات ليست تلفيقا على هذه الفرقة ، ولكنها من صميم وجودها ، ونبدأ بنص عبارة عن أسئلة وأجوبة من كتاب تعليم الديانة النصيرية نورد منه بعض الأسئلة الواضحة عن ألوهية علي ، يقول النص :

« س : من هو ربنا الذي خلقنا ؟

ج : هو مولانا أمير المؤمنين ، أمير النحل علي بن أبي طالب ، وهو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم .

س : من أين نعلم أن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو الله ؟

ج : من شهادته ووصفه لنفسه في خطبة مشهورة نطق بها على المنبر أمام كافة من حضر ، وعلمها أهل العقل والنظر ، فقال : أنا عندي علم الساعة ، وعلّي دلت الرسل ، وبتوحيدي نطقت ، والى معرفتي دعت ، أنا سميت أسمائها ، وأسطحت أرضها ، وأرسيت جبالها ، وأجريت أنهارها ، وأخرجت ثمارها ،

---

١ — المصدر السابق ورقة ١١١ ب .

٢ — كتاب الأصيفر / لأبي عبدالله محمد بن شعبة الحراني / مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي ورقة ٦ أ .

٣ — مناظرة الشيخ يوسف الحلبي / مخطوط ورقة ١٣٢ أ .

أنا غسقت الغسق ، أنا أطلعت شمسها ، وأنرت قمرها ، أنا خلقت الخلق وبسطت الرزق ، أنا رب الأرباب ومالك الأركان ، أنا العلي العلام ....[1] .

س : من دعانا الى معرفة مولانا أمير المؤمنين ؟

ج : رسوله محمد ﷺ ، كما قال في خطبة بيعة الدار : اسمعوا الآن ما أقول لكم .... اعلموا أني أدعوكم الى علي بن أبي طالب ، كما أدعوكم الى الله عز وجل ، ألا إن عليا مولاي ومولاكم »[2] .

وفي كتاب الباكورة السليمانية[3] يصف علي بهذه الأوصاف : « اعلم يا ولدي أن السماء هي ذات علي بن أبي طالب ، هي الجنة الباطنة .... واعلم أيضا أن الشمس هي السيد محمد ، وهو كل نبي ظهر في العالم من قبة الجن الى آدم والى محمد ، كما أخبر بذلك شيخنا وسيدنا أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي .... واعلم أيضا أن القمر هو سلمان الفارسي ، وهذه الكواكب هم الملائكة الذين كانوا قبل العالم ، وهم سبع مراتب احداها تعلو الأخرى ، وكبيرهم السيد المقداد الذي هو كوكب زحل واسمه ميكائيل ، وأما كوكب المشتري فهو الدر واسمه اسرافيل ، وأما عبدالله بن رواحة الأنصاري فهو كوكب المريخ وهو عزرائيل الملاك الذي يقبض أرواح العالم ... وأما عثمان بن مظعون فهو كوكب الزهرة واسمه بالملائكة در ديائيل ، وأما كوكب عطارد فهو قنبر بن كادان الدوسي واسمه بالملائكة صلصائيل »[4] .

وقد سبق أن أشرنا الى أن النصيريين قد أنزلوا محمدا ﷺ الى مرتبة أدنى من مرتبة علي في الثالوث المقدس عندهم ، وجعلوه يقوم بدور حاجب لعلي ، باعتبار أن علي هو الذات الالهية التي فاض عن نوره محمد وسلمان ، وباعتبار أن محمد هو الحجاب فهو اذن (العقل) ، فاض عنه سلمان والذي هو (النفس) ، يقول

---

١ ــ كل هذه الأقوال المنسوبة الى علي رضي الله عنه غير صحيحة ، ولم تدون في أي كتاب ، الا في كتب النصيرية .

٢ ــ كتاب تعليم الديانة النصيرية / مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٦١٨٢ عربي ورقة ٢و٣ .

٣ ــ نسبة الى مؤلفه سليمان الأذني ، والذي ولد في عائلة نصيرية في أوائل هذا القرن ، وتلقى التعاليم النصيرية وهو في الثامنة عشرة من عمره ، لكنه لم يستسغها ، فتأثر بأحد المبشرين النصارى فاعتنق النصرانية ، ورحل الى بيروت حيث أصدر كتابه هذا يفضح به العقيدة النصيرية ، فنقم عليه النصيريون وقتلوه لكشفه الأسرار التي لا يجوز اباحتها ؟!

٤ ــ الباكورة السليمانية / سليمان الأذني ص ٨٤ ــ ٨٦ نقلا عن كتاب اسلام بلا مذاهب للدكتور الشكعة ص ٣٣٥ .

الحراني أحد مشايخهم : « ان الاله أبدع من نور ذاته نورا لا يحد ولا يعد ولا ينحصر ولا يبلغ الى نهايته ولا ينتهي .... وهو العقل الذي هو حجابه ونبيه وصفيه وكلمته المتصلة بموجوده ومبديه ، الذي هو الاله منذ ظهرت القدرة والمشيئة والارادة وهو المشار اليه بالميم اليه التسليم ، ثم ظهر عن العقل الذي هو حجاب الله وصفته .... النفس الكلية .... وان الباب العظيم والسبب القديم هو النفس الكلية المخترعة من العقل الأول الذي هو حجاب الله حقا ..... وهو في رتبة القمر ... واعلم أن الباب لا يُظهر الا بظهور الحجاب ، والحجاب لا يظهر الا بظهور الباب ، لأن الباب مادته وكونه وذاتيته وفعله .... »[١] .

لهذا فانهم يزعمون أن الاسم هو الذي خلق الباب ، والباب هو الذي خلق السموات والأرض ، يقول الجسري في رسالة التوحيد : « ان الله اسم المعنى وهو الاسم الذي ظهر للعالم ليعرفوا به المعنى ، وينادى به ويوجد فيه ، فالمعنى لا ينفصل من اسمه ، واسمه لا ينفصل عن معناه ، والاسم خالق كل شيء .... وأول ما خلق الباب ، وهو الشيء الأول مبدئ الأشياء وموجدها[٢] » « فالاسم هو الرب ، والباب هو الخالق والرازق ، والمعنى هو الاله والمولى ورب الآباء الأولين المقداد وسلمان ومحمد[٣] » وهم يقولون أن « كل النعوت الواقعة والأوصاف كلها محمد ، وكلما دعوت الله دعوة ، وسميته باسم فالى السيد محمد رجعته واليه عولته »[٤] . « والركوع والسجود موجه ــ أيضا ــ الى محمد ﷺ »[٥] .

ويؤولون (بسم الله الرحمن الرحيم) : على أن لفظ الجلالة اشارة الى المعنى ، والميم من (بسم) اشارة الى الاسم ، والسين من (بسم) اشارة الى الباب ، والباء اشارة الى اليتيم الأكبر وهو المقداد ، والرحمن الرحيم اشارة الى الحسن والحسين وهم شخصين من أشخاص السيد محمد[٦] .

---

١ ــ كتاب الأصيفر / أبو عبدالله محمد بن شعبة الحراني ورقة ٩ ب و ١٦أ، و٣٢ أ ، ب .
٢ ــ رسالة التوحيد / أبو محمد علي الجسري ورقة ٤٣ ب .
٣ ــ مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ورقة ٩٣ أ .
٤ ــ رسالة التوحيد / الجسري ورقة ٤٧ أ .
٥ ــ كتاب الأصيفر / الحراني ورقة ٢ ب .
٦ ــ مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ورقة ٩٤ أ ، مع أن كتاب تعليم الديانة النصيرية يؤولها تأويلا آخر فيقول : أن لفظ (الله) تدل على المعنى ، ولفظ (الرحمن الرحيم) تدل على الاسم والباب .
انظر كتاب تعليم الديانة النصيرية ــ مخطوط ورقة ٤ ب .

مع أن بعض النصيرية مثل (الكلازية) لا تقول بربوبية محمد ﷺ ، لأنه في نظرهم لا يجوز أن ننسب الربوبية تارة لعلي وتارة لمحمد ، ولكن الفريق الآخر وهم الشمالية يجيب : أن محمد وعلي متصلان بعضهما ببعض وليسا منفصلين ، وان الغاية الكبرى هي علي ، ومحمد أيضا خالق . ولو اعتقدنا بربوبيته فلا نخطيء ، لأن اعتقادنا واعتقادكم بالثالوث واحد[1] .

ومن اعتقاداتهم كذلك في علي ، أن صوت الرعد هو صوت علي ينادي قائلا : يا عبادي اعرفوني ولا تشكوا بي ، وعلي في اعتقادهم أيضا يسكن القمر أو بالأحرى ان القمر هو (علي ذاته) ، وان ما في القمر من سواد ليس الا أعضاء جسم علي ، ومن ثم كان القمر معبودا لهم .... وكلمة قمر توحي بالضياء وهي مكونة من ثلاثة أحرف ، ولما كانت كلمة (شمس) وكلمة (نجم) كل منها مكونة من ثلاثة أحرف وتعطي ضياء فان الصلة وثيقة القداسة بينها ، ولذلك فان بعضهم يذهبون الى أن القمر هو علي ، والسماء هي علي ، والشمس هي محمد .... ومن حيث العبادة فان فرقهم كما تقدم تنقسم الى طوائف هم عباد السماء ، وعباد الشمس ، وعباد القمر ، وعباد الهواء . وليس كل من السماء والشمس والقمر والهواء الا عليا[2] .

وقد ذكرنا أن محمدا ﷺ ـــ في اعتقادهم ـــ هو الذي خلق سلمان الفارسي ، وسلمان هو الذي خلق الأيتام الخمسة بعد ذلك ، والذين « بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم :

١ ـــ **المقداد** : ويعتبرونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود .

٢ ـــ **أبو ذر الغفاري** : الموكل بدوران الكواكب والنجوم .

٣ ـــ **عبدالله بن رواحة الأنصاري** : الموكل بالرياح وفيض أرواح البشر .

٤ ـــ **عثمان بن مظعون** : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الانسان .

---

١ ـــ انظر الجذور التاريخية للنصيرية العلوية / الحسيني عبدالله ص ١٦١ نقلا عن الباكورة السليمانية / سليمان الأذني ـــ شرح سورة السلام .

٢ ـــ انظر اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

٥ ـــ قنبر بن كادان : الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام »[٣] .

وفي مخطوطة عن المراتب ومسائلها نجد هذا التفصيل : « ان أول المراتب بعد رتبة البابية رتبة الأيتام ، وأول الأيتام المقداد ، وهو أول ما رتب الباب له ومده بالنور ، فالباب مستمد نوره من نور الاسم ، والمقداد يستمد نوره من نور الباب ، وأبو الدر يستمد نوره من نور المقداد ، وعبدالله بن رواحة يستمد نوره من نور أبو الدر ، وعثمان يستمد نوره من نور عبدالله بن رواحه ، وقنبر يستمد نوره من نور عثمان ، وتولى المقداد مرتبة النقباء ، وتولى أبو الدر مرتبة النجباء ، وتولى عبدالله مرتبة المختصين ، وتولى عثمان مرتبة المخلصين ، وتولى قنبر مرتبة الممتحنين »[٢] .

وقد ذكر المنتجب العاني[٣] هذه المراتب في قصيدة أطلق عليها اسم (جذوة التوحيد) ومما قاله :

« فتلك الأبواب والأيتام تتبعهم
وخلفهـم نقبـاء سادة نجـب
واثرهم نجبـاء كلهـم سلكـوا
نهج الهدى والى نيل العلا وثبوا
وبعـد ذلك مختصـون ترفعهـم
ومخلصون الـى مولاهـم قربوا »[٤] .

يقول الدكتور مصطفى الشكعة عن هذه المراتب : « لقد بدأت هذه الرتب على زمن الخصيبي معتمدة على درجات المعرفة في نطاق المذهب ، ولكنها في الأزمنة الأخيرة افتقدت هذه المؤهلات ، ولعل المؤهل الغالب هو قوة شخصية صاحب الرتبة بغض النظر عن تأهيله العلمي والديني »[٥] .

---

١ ـــ العلويون أو النصيرية / د. مجاهد الأمين ص ١٤ ، وهؤلاء الأيتام كما نرى ـــ ما عدا قنبر ـــ هم من صحابة رسول الله ﷺ ، وكانوا ممن ناصروا عليا قولا أو عملا ، ولذلك كان لهم هذا التقديس ، أما قنبر فكان غلاما لعلي بن أبي طالب ، وقد ورد ذكره في شعر علي عندما جاؤوه بعض الغلاة وقالوا له : أنت الاله ، فدعا قنبرا وأمره بتأجيج النار لحرقهم .
٢ ـــ مسائل عن المراتب/ مخطوط ورقة ٥٦ ب ، ٥٧ أ، ب .
٣ ـــ هو محمد بن الحسن العاني الخديجي ، أحد أعلام النصيريين وشعرائها ، له ديوان صدر حديثا باسم فن المنتجب العاني وعرفانه تحقيق أحد النصيريين المعاصرين الدكتور أسعد علي ، والعاني توفي في سنة ٤٠٠ هـ .
٤ ـــ فن المنتجب العاني وعرفانه / ص ٥٣ .
٥ ـــ اسلام بلا مذاهب ص ٣٥٢ .

وفي اعتقاد النصيرية أن معرفة المراتب ظاهرا وباطنا هو ذروة العبادة . وتغنيهم عن الفروض والعبادات ، لأنها في نظرهم أغلال للجاهلين والمقصرين ، يروى المفضل الجعفي عن جعفر الصادق قوله : « قلت يا مولاي هل علينا نحن معرفة هذه الدرجات ؟ قال الصادق : نعم من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر ، وما دام لا يعرفها ، يعني هذه الدرجات ولا يبلغها بمعرفته ، فهو في عالم الظاهر ، ولكن اذا بلغها وعرفها منزلة منزلة ، ودرجة درجة ، فهو حينئذ حر قد سقطت عنه العبودية وخرج من حد المملوكية الى حد الحرية بانتهائه ومعرفته ..... فاذا عرف الرجل ربه ، فقد انتهى للمطلوب ، ولا شيء أبلغ الى الله من الوحدانية والمعرفة ، وانما وضعت الأغلال على المقصرين ، وأما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها لك ، فقد أعتق من الرق ، ورفعت عنه الأغلال والقيود ، واقامة الظاهر ... »[1] .

وفي كتاب الصراط للجعفي أيضا ، والذي يرويه الجلي عن الخصيبي يقول : « قال السائل : أخبرني كيف يجوز أن يكون المؤمن بلا عمل ولا فرض ولا يطالب بشيء ويستمر في منزلة الأجر فلا يحرم عليه شيء ، قال العالم : اذا أكمل المؤمن وبلغ المعرفة وعرف ربه وحجبه ومقاماته وأبوابه وأيتامه ونقبائه وأنجبائه ومختصيه ومخلصيه وممتحنيه فقد خرج من العبودية وصار الى منزلة الأحرار ورفع عنه الآصار وأبيح له ما كان محظور لأن قليل العلم خير من كثير العلم ، وان موسى كان بيتا من بيوت الله التي ينزل بها الرب ويرتحل ، وقد كلمه الله وأخذ التوراة منه واهتز له كل شيء ، وأمره بالطهارة من البول وترك أكل لحم الحمر والأرنب والخنزير وما أشبه ذلك ، وأمره بالغسل من الجنابة ، فلما جاء المسيح الابن[2] .... فحلل في المريمية غير سنة موسى ورحمهم ، فقال : كلوا ما شئتم واطعموا كل شيء يطيب في أنفسكم ، ورفع عنه الغسل من الجنابة والوضوء ، أفلا ترى أيها السائل أنه قد أعتقهم من كثير مما فرض عليهم موسى ، وهون عليهم كثيرا مما شدد عليه من الأغلال والآصار وقال : ان الله مستغن عن أعمالكم أن شئتم اعلموا ، وان شئتم فلا تعملوا »[3] .

---

١ ــ كتاب الهفت والأظلة / المفضل بن عمر الجعفي ص ٥٣ ، ٥٤ .

٢ ــ وهذا يبين تأثرهم بالنصارى وبأقوالهم كما سيأتي .

٣ ــ كتاب الصراط / المفضل بن عمر الجعفي مخطوط ورقة ٥٦ أ و ب .

وهذا الاعتقاد يفسر لنا سبب تخريبهم للمساجد وعدم قيامهم بجميع الفرائض ، لأنها باعتبارهم هي للجهلة والمقصرين ، أما هم فقد عرفوا الله ظاهرا وباطنا وعرفوا مراتبه فخرجوا من هذه الدائرة ، وسقطت عنهم الفرائض ، فأصبحوا هم أهل التوحيد الحقيقيين ؟!

أما نظرتهم الى مؤسس فرقتهم (أبي شعيب محمد بن نصير النميري) ، فيزعمون « أنه في المقام الذي ظهر فيه ، كان الحسن العسكري هو (المعنى) ، ومحمد بن الحسن العسكري هو (الاسم) ، والباب أبو شعيب »[١] . وذلك لأن « الله عز وجل لما خلق خلقه ظهر فيما بينهم وانتقل كما ينتقلون ، فخلق لنفسه سبع حجب[٢] ، واثنى عشر مقاما[٣] ، ينتقل ويظهر ويعرف بأمير المؤمنين ظاهره الامامة والوصية ، وباطنه الربوبية ، وأخر أشخاصه القائم بالقسط لا اله الا هو »[٤] . وعلى هذا الاعتبار فانهم يرون أن : « الأسماء المتعلقة بالمعنى والاسم والباب تنقسم الى مثليه وذاتية وصفاتية ، فالمثلية هي المعنى ، والذاتية الاسم ، والأسماء الصفاتية هي التي تسمى بها الاسم وهي للمعنى خاصة ، ومن أسماء الاسم المثالية وهي للمعنى أئمة الشيعة الاثنى عشر ، فهي مثلية في المعنى ، ذاتية في الاسم ، وهي التي قامت بها النبوة والرسالة »[٥] .

لذلك فهم يقولون : « ان محمد بن نصير هو باب الله الذي لا يتخذ بابا غيره ، وهو بعد غيبة الاسم (محمد بن الحسن العسكري) أصبح هو الاسم — أي النبي — ، فالاسم شخصين هما المهدي صاحب الزمان ، والسيد أبو شعيب محمد بن نصير »[٦] .

---

١ — رسالة التوحيد / الجسري ورقة ٤٤ ب .

٢ — التي مر ذكرها وهي الظهورات السبع .

٣ — المقصود بالمقامات ، هي مقامات الائمة الاثنى عشرية ، فهؤلاء الائمة جميعهم كانوا من المقامات التي ظهر الله فيها متحدا مع الاسم ، فكلهم أسماء أي أنبياء ورسل اتحدوا مع المعنى .

٤ — مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ورقة ١٢٣ أ ، ب .

٥ — كتاب تعليم الديانة النصيرية ورقة ٥ أ .

والنبوة في نظرهم لم تنته بمحمد ﷺ وانما استمرت بالائمة الاثنى عشر الشيعة وكانوا خلالها متحدين أو متصلين بالاله .

٦ — مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ورقة ١٢٠ أ ، ١٢١ ب .

« والمعنى في ظهوره الأخير ــ أي في شخص علي ــ أخفى شخصه بسبب ما سلف من الذنوب ، لذا ستظهر دعوة الباطل حين طويل مثلما كانت دعوة الحق في الأول ظاهرة »[1] . « وسيظهر (علي) من جديد في يوم الرجعة البيضا »[2] ، لأنهم يعتقدون « أن القتل وقع على الناسوت وأن اللاهوت رفع الى السماء وعاد الى ما منه بدأ ، ولم يزل ذلك الى ظهور القائم المهدي لاشهار سيفه العظيم ..... ويكون ظهوره بين الشمال والصبي ومغارب الجنوب والدبور »[3] . وهذا الظهور سيكون « الظهور المطلق للخاص والعام لأنه يوم الكشف وساعة النداء ، عندما ينادي السيد محمد هذا ربكم فاعرفوه ، هذا باريكم فاعبدوه ... »[4] .

والنصيرية تعظم عبد الرحمن بن ملجم ، قاتل علي رضي الله عنه ، ويعتبرونه أفضل أهل الأرض ، لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره[5] .

والخلاصة أن النصيرية « يدعون ــ أنهم أهل التوحيد ــ وأنهم المترجمون الصادقون عن الفكــر الشيعي القويم ، ويعدون الشيعة العادين من الظاهرية ومن أنصار التعاليم الدينية السطحية الذين لم يتغلغلوا في أعماق الوحدانية الحقة ، ويحكمون عليهم بالتقصير ويسمونهم بـ (المقصرة) ، لأنهم تخلفوا عن غيرهم في عبادة علي ، وقصروا فيها عن القدر المطلوب »[6] .

من كل ما تقدم ، نستطيع أن نقول أن مذهب النصيرية يتكون من مزيج عناصر غير متجانسة منها : الوثنية كتقديس الكواكب والنجوم ، ومنها النصرانية كالاعتقاد بالثالوث : (ع.م.س) ، ومنها شيعية اثنا عشرية كالاعتقاد بسلسلة

---

١ ــ كتاب الصراط / المفضل الجعفي ورقة ١٨٠ أ .

٢ ــ مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ورقة ١٢٧ أ .

٣ ــ المرجع السابق ورقة ١٤٠ ب .

٤ ــ المصدر السابق ورقة ٩٥ أ ، ب .

٥ ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم جـ ٤ ص ١٨٨ .

٦ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام / جولد تسيهر ص ٢٤٩ .

الائمة الاثنى عشر ... ومنها مجوسية مزدكية كاباحة المحرمات ، واسقاط الواجبات والاحتفال بعيد النوروز (١)والواقع أن الوثنية كانت شائعة في المنطقة قبل مجيء النصرانية ، وكان يدين بها صابئة حران ، ولم تستطع النصرانية مزاحمتها ومحوها ، ولكنها تركت بصماتها عليها ، وبقيت إلى ما بعد الفتح الاسلامي بمدة طويلة ، ولما تعرض أهلها إلى ضغوط من المسلمين تظاهروا بالاسلام وبممارسة شعائره وآداء فرائضه ، ولكنه ظل اسلاماً شكلياً (٢) .

أما عن أثر النصرانية في النصيرية ، فنجده في مظاهر وصور شتى ، منها احتفالهم بالأعياد النصرانية ، وكذلك بتسمية صلواتهم قداسات ، وتعظيمهم للخمر ، والأهم من ذلك هو محاولتهم في كثير من كتبهم ومخطوطاتهم أن يبرهنوا أن الثالوث النصراني (الأب ، والابن ، والروح القدس) لا يختلف عن ثالوثهم (ع . م . س.) بل يتفق معه ، وهذا أحد مشايخهم يقول : « والنصارى يعتقدون بأربع مراتب (بسم الأب ، والابن والروح القدس إله واحد) ، لأن الأب بمنزلة المعنى ، والابن وروح القدس بمعنى النور والضياء والظل ، اذا القدس هو الميم ، والروح السين ، والابن الألف المقداد (٣) » . ويضيف مبرهنا على صحة الايمان بالثلاثة : « ثم أن الواحد صدر عنه واحد ، والواحد لا يصدر إلا واحد فصار اثنين ، والاثنين زوج ... فآدم زوج لحواء ، وحواء زوج لآدم ، ثم صدر عن الواحد أيضا واحد ، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، صارت الجملة ثلاث ، والثلاثة فرد ، والثالث زوج الثاني ، والثاني زوج الأول ، والثلاثة هي الزوج والفرد ... فالثلاثة هي جملة العدد وغايته ، فثبت أن الثلاثة غاية كل غاية ونهاية كل نهاية (٤) .

وفي كتاب تعليم الديانة النصيرية نجد هذه الأسئلة والأجوبة ، التي تبين أثر المصطلحات النصرانية في مذهبهم ، ومما جاء فيه :

« س : ما هو القداس ؟

ج : هو تقديس الشراب وشربه بسر النقبا والنجبا .

---

١ ، ٢ ــ العلويون أو النصيرية / السيد عبد الحسين العسكري ص ٥٩ ، ٦٩ .
٣ ــ مخطوط مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ورقة ٨٧-أ .
٤ ــ المصدر السابق ٩٠ ب ، ٩١ أ .

س : ما هو القربان ؟ .

ج : هو الخبز الذي يقربوه المؤمنين عن أرواح إخوانهم وبه يقال القداس .

س : ما هو سر الله الأكبر ؟

ج : هو سر اللحم والدم الذي قال المسيح عنه لتلاميذه : هذا لحمي ودمي فكلوا واشربوا منه لأنه حياة الأبدية [1] .

ولكن احتفال النصيرية بعيد النوروز ، وهو العيد الديني والقومي للفرس ، يدل على الأثر الفارسي أيضا في النصيرية ، ويشير كذلك إلى تمجيدهم للفرس ، بدعوى حلول الاله وشخوصه في ملوكهم ، حيث زعموا أن ثلاثة منهم توارثوا الحكمة ، وتجلى الاله فيهم وهم : شروين ، وكروين ، وكسرى ، وهذا من غير شك ينبىء عن الأصل المجوسي للنصيرية ، كما يفضح تعصب النصيرية للفرس ، ويشير إلى الخط الشعوبي في الحركة النصيرية [2] . تروي أحد مخطوطاتهم عن المفضل الجعفي قوله : « ان المعنى كان في زمن الفرس يظهر في كل عام مرتين : في انقضاء الحر من البرد ، وفي انقضاء البرد من الحر ، فسمي إنقضاء البرد من الحر ، النيروز ، وسمي انقضاء الحر من البرد المهرجان ، واتخذوهما عيدين لهما »[3] .

واعتقد أن الحكم على النصيرية بعد هذا التفصيل في نظرتهم للألوهية لم يعد صعباً ، وأن الاسلام الذي يدعونه ، ما هو إلا مظلة يختفون تحتها بكل أفكارهم الوثنية يحاولون من خلالها أن يهدموا الاسلام في أصل هام من أصوله وهو التوحيد .

والاسلام ــ كما نعلم ــ ما جاء إلا لهدم الوثنية بكل صورها وأشكالها ، لذلك كان القرآن في آياته الكريمة دعوة للانسان والبشرية جمعاء في توحيد الخالق ، والبعد عن الشرك والوثنية المهينان للعقل الانساني . « وان أهم الأهداف الأساسية لارسال الرسل تحرير البشر من عبادة الطبيعة كالشمس أو القمر أو الحيوانات أو

---

١ ــ مخطوط (كتاب تعليم الديانة النصيرية) ورقة ١٦ ب .

٢ ــ العلويون أو النصيرية / السيد عبد الحسين العسكري ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

٣ ــ مخطوطة أعيادنا العربية والفارسية رقم ٦١٨٢ ورقة ٣٩ أ ، ب .

غيرها أو الانسان وتوجيههم لعبادة الله الخالق (١) » . وهذا الهدف كان دعوة كل رسول ونبي ، قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢) » ويقول جل وعلا : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (٣) » .

حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أمرنا الله أن نعاملهم معاملة البشر ونندد بمن يعبدهم من دونه ، لأن ذلك يبعدنا عن رسالة الأنبياء وهي التوحيد قال تعالى : « ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً » (٤) .

والرسول ﷺ كانت دعوته ، دعوة توحيد ونسف للوثنية بشتى صورها ، ومن ذلك تحرير الانسان من عبودية العباد والاتجاه به إلى عبادة الله وحده ، ولو كان الاسلام كما تصوره النصيرية لما كان هناك اختلاف وقتال بين المسلمين من جهة ، وكفار قريش والروم والفرس من جهة أخرى .

لهذا إن كل ادعاءات النصيرية في تصورهم للألوهية ، ليس من الاسلام في شيء ، بل هو صورة مشوهة أريد بها هدمه ومحوه من الوجود ، بإرجاع عقائد الشرك والالحاد إلى الوجود .

وصدق الله العظيم : « لقد كفر الذين قالو ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٥) » .

---

١ ــ نظام الاسلام / العقيدة والعبادة / محمد المبارك ص ٩٠ .
٢ ــ سورة الأنبياء آية ٢٥ .
٣ ــ سورة النحل آية ٣٦ .
٤ ــ سورة آل عمران آية ٨٠ .
٥ ــ سورة المائدة آية ٧٣ .

٢ ـــ عقيدتهم في الثواب والعقاب :

تؤمن النصيرية بتناسخ الأرواح ، وأن الروح عندما تفارق الجسم بالموت تتقمص ثوباً آخر ، وهذا الثوب يكون على حسب إيمان هذا الشخص بديانتهم أو كفره بها . وعلى هذا فهم يرون أن الثواب والعقاب ليسا في الجنة والنار وإنما في هذه الدنيا على حسب التراكيب والتقمصات الناسوتية والمسوخية التي تصيب الروح .

وهم اضافة إلى ذلك يؤمنون بعالم روحاني تسكنه المخلوقات العليا أو النجوم ، وهذه المخلوقات تفيض بالنور بشكل متسلسل وفق ترتيب السموات السبع ، وهؤلاء يشكلون العالم النوراني الكبير ، وتتكون السموات السبع من أهل المراتب والكواكب ، ويعتقد النصيريون أن عدد العالم البشري (١١٩) ألفا ويتكون من المقربين والكروبيين والروحانيين والمقدمين والسائحين والمستمعين واللاحقين ، وجميع هذه المراتب من العالم النوراني الذي هبط من السماء النورانية على سبع مراحل . أما عالم الظلمة فيضم الأرواح التي لبست قمصان المسوخية في كل أدوار مسخها ، ومنها المسخ بصورة امرأة (١) .

وذلك لأنهم يعتقدون أن المرأة لا تستحق أن تكون مؤمنة ، فاذا قدر لها ذلك ، فانها بعد موتها ترد بصورة رجل مؤمن ، لأن صورة المرأة هي هبوط من الدرجة التي سما لها المؤمن ، أما الرجل الكافر بدينهم فيعتقدون أنه عندما يموت ترد روحه في صورة امرأة كافرة ، لأن الشياطين كما يقولون من المرأة ، والانسان اذا ارتقى في كفره صار ابليسا وورد في صورة امرأة (٢) .

---

١ ـــ انظر دائرة المعارف الاسلامية / مادة نصيري / ومخطوط تعليم الديانة النصيرية ورقة ١٤ أ .
وكتاب الهفت والأظلة للمفضل الجعفي ص ٣٢ .

٢ ـــ كتاب الهفت والأظلة / المفضل الجعفي ص ١٤٢ ، ١٤٤ .

ويجري على هذا الاعتقاد قولهم أنه كان قبلنا سبعة أدوار وسبعة أوادم ، وفي كل دور كان يبعث فيهم آدم ، ونحن في الدور الثامن ، وسيبقى الكون والوجود هكذا وإلا يبطل سلطان الله وقدرته (١) .

وتقمص الأرواح بالنسبة للمؤمن في نظرهم هو ارتقاؤه في الدرجات والمراتب حتى يخرج من هذه القمصان اللحمية ويلبس قمصان الأنواع وهي النجوم (٢) . فالنجوم هم المؤمنون والصالحون .

أما الكافر فيحل عليه المسخ والنسخ (٣) ، فيبقى كذلك على مر الأكوار والأدوار ، يأتي بقمصان رديئة دنيئة كالحيوانات التي تذبح والتي لا تذبح ، أو أن يأتي بصورة جامدة من معدن أو حجر فيذاق بذلك حر الحديد وبرده (٤) .

ويرى المفضل الجعفي أحد مشايخ ابن نصير أن الحجر والشجر والماء والملح وغير ذلك مما لا يدب ولا يمشي ولا يطير ، هو مما يتحلل من أبدان المؤمن والكافر ، فكل من هذه الأشياء من كانت له طعم طيبة ورائحة لذيدة أو ملامسة لينة أو مشرب صافي ، فانه يكون مما يتحلل من أبدان المؤمنين ، وأما الأشياء التي لها رائحة نتنة وطعمها مر وغير ذلك ، فانه مما يتحلل من أبدان الكافرين (٥) .

والكافر في اعتقادهم يمسخ في كل شيء ما عدا الصورة البشرية ، وذلك لما سبقه من الكفر والجحود والانكار لأهل الحق ــ وهم النصيرية ــ ، فيعاقب ويعذب بتركيبه بكل شيء ما عدا الصورة البشرية الانسانية من بقر وغنم وابل وطير وهوام ، وكل ذي روح من قردة وخنازير مما يؤكل ولا يؤكل ، وهذا في نظرهم هو المسخ والنسخ ، فالذي يؤكل منه هو نسخ ، والذي لا يؤكل هو مسخ ، وهذا

---

١ ــ المصدر السابق ص ٨٠ .

٢ ــ كتاب تعليم الديانة النصيرية ــ مخطوط ــ ورقة ١٦ ب / وكتاب الصراط / للمفضل الجعفي ــ مخطوط ــ ورقة ٩٥ ب ــ ٩٨ أ .

٣ ــ هو انتقال الروح بعد موتها إلى جسد حيوان ليتعذب ، فهو شكل من أشكال العقاب التي تحل بالكافر أي ــ غير النصيري ــ .

٤ ــ كتاب تعليم الديانة النصيرية ــ مخطوط ــ ورقة ١٧ أ .

٥ ــ كتاب الهفت والأظلة ص ٧٦ .

كله — كما يزعمون — عدل من الله عز وجل لهؤلاء الجاحدين لأهل الحق لقول تعالى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك . كلا بل تكذبون بالدين . وان عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون [1] » . فمسخهم الله لتكذيبهم بالدين ، لأن (الدين)[2] المذكور في الآية الكريمة — كما يزعمون — هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [3] .

والتناسخ الذي يقع على الكافر بديانتهم يجري عليه ألف موتة وألف ذبحة ، وذلك عن طريق المسخ والنسخ ويستدلون على ذلك بآيات منها قوله تعالى : « وننشئكم [4] في مالا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون [5] » ، وقوله تعالى « في أي صورة ما شاء ركبك [6] ، وقوله جل وعلا « كونوا حجارة أو حديداً . أو خلقاً آخر مما يكبر في صدوركم [7] » ، ويعتبرون (الخلق الذي يكبر في الصدور) الذهب والفضة باعتبارهما من معادن الجبال لقوله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود [8] » ، فالجبال في نظرهم هم الجبابرة والطواغيت الذين ظلموا أهل الحق — النصيرية — فمسخوا على هذه الحالة ، حتى ينتهي هذا الدور ، فيمسخوا مرة أخرى حيوانات تؤكل وتشرب [9] .

---

١ — سورة الانفطار آية ٦ — ١٢ .

٢ — والصحيح أن المقصود بالدين في الآية الكريمة هو يوم الحشر يوم يجازى الناس على أعمالهم .

٣ — كتاب الهفت والأظلة ص ٧٤ ، ٧٥ .

٤ — مع الأسف فقد اقتطع من الآية ليستدلوا على ما يزعمون وبداية الآية كانت قوله تعالى « على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ... » .

٥ — سورة الواقعة آية ٦١ ، ٦٢ .

٦ — سورة الانفطار آية ٨ .

٧ — سورة الاسراء آية ٥٠ ، ٥١ . والآية التي قبلها كانت قوله تعالى « وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً » فأجابهم الله بالآيات الكريمة بانه قادر على بعثهم حتى ولو كانوا حجارة أو حديداً ، وأما الخلق الذي يكبر في الصدور فهو الموت نفسه .

٨ — سورة فاطر آية ٢٧ .

٩ — كتاب الصراط / المفضل الجعفي — مخطوط — ورقة ٥٣ أ ، ب .

ويبقى عذاب المسخ والنسخ على الكافر بدينهم في جميع الأدوار إلى أن يظهر القائم الغائب ــ وهو محمد بن الحسن العسكري ــ فيرد هؤلاء في صورة الانسانية ، ثم يقتلهم من جديد فتجري الأودية بدمائهم كما يجري الماء (١) .

والكافر قبل ظهور القائم ينادي ويصرخ أن يخرجه الله من العذاب الواقع عليه بالمسخ والنسخ وأن يعيده إلى الصورة الانسانية ليؤمن بدينهم ويعمل صالحاً ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى « وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (٢) » . فالكافرون يقولون لربهم أخرجنا من الأبدان المسوخية ومن هذا العذاب إلى الأبدان الناسوتية لكي نعمل صالحاً (٣)» .

والنصيرية في الوقت الحاضر لا تنكر هذا الاعتقاد مطلقاً ، بل لا تزال تؤمن به وتبرره بكل ما يعنيه هذا الاعتقاد من كفر وانكار ، يقول هاشم عثمان النصيري : «. إن انكار وجود البعث شيء طبيعي وهو كان ذائعاً في العصر العباسي قبل ظهور اصطلاح النصيرية (٤) » . وكأن وجود هذا الاعتقاد يبرر انكار النصيرية للبعث والنشور .

والواقع أن اعتقاد التناسخ بكل صوره وأشكاله ، يهدم ركنا هاما من أركان الايمان في الاسلام وهو الايمان باليوم الآخر بما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار ، وعدم الايمان بالاخرة يخرج الانسان من طريق الاسلام ، وهذا واضح في كثير من آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من أمن بالله واليوم الآخر (٥) ... » وقوله تعالى « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا(٦)» . ووصف الله هذا اليوم بوصف

---

١ ــ المصدر السابق ورقة ٥٣ أ ، ب .
٢ ــ سورة فاطر آية ٣٧ .
٣ ــ كتاب الهفت والاظلة / الجعفي ص ٦٦ .
٤ ــ العلويون بين الاسطورة والحقيقة / هاشم عثمان ص ٧٧ .
٥ ــ سورة البقرة آية ١٧٧ .
٦ ــ سورة النساء آية ١٣٦ .

دقيق في كثير من الآيات والسور كقوله تعالى « يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره [١] » .

فكيف بنا فيمن يعتقد بالتناسخ ، والذي جاء الاسلام لازالته ، كما أزال باقي الاعتقادات الوثنية والالحادية . أما الآيات التي يستدلوا بها على هذا الاعتقاد الفاسد فهو نوع من المغالطة والتأويل بالرموز والألغاز ، والاسلام بريء من هذا لأنه دين الوضوح بلا لبس ولا غموض .

ونستطيع أن نقول بكل تأكيد ان التناسخ مرتبط باعتقادات كثيرة كانت سائدة قبل الاسلام في فارس والهند واليونان ، وكما يقول الدكتور محمد كامل حسين : « فان لهذه العقيدة علاقة بمذهب التناسخ في الديانة البوذية ، والديانة الهندوكية » ، ففي الديانة البوذية ظهر بوذا على هيئة حيوانات وطيور وشجر وصور أنسية حوالي ألف مرة ، وفي الديانة الهندوكية ظهر شيفا على صور انسانية عديدة . كذلك ظهر مذهب التناسخ عند فلاسفة اليونان وكانوا يعتقدون بظهور آلهتهم بصورة مختلفة ، وكان فيثاغورس أحد فلاسفتهم يدرس هذه الفكرة لأتباعه ، بل انه كان يؤمن بقرابة الانسان والحيوان [٢] » .

١ ــ سورة الزلزلة آية ٧ ، ٨ .

٢ ــ انظر البوذية وتأثيرها في الفكر والفرق الاسلامية المتطرفة / محمد علي الزعبي وعلي زيعور ص ١٤٧ ــ ١٤٩ . وكتاب طائفة الدروز ــ محمد كامل حسين ص ١٠٩ . وكتاب هيراقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي ــ د. علي النشار ورفاقه ص ٢٤٩ .

٣ ـــ تعظيمهم لسلمان الفارسي والأيتام الخمسة وحبهم لابن ملجم قاتل علي ، وموقفهم من الصحابة الأخرين :

ذكرنا في بحثنا عن ألوهية علي عند النصيرية ، أن لهم ثالوثا يؤمنون به وهو : (ع . م . س) ، فالعين هو علي بن أبي طالب وهو المعني أي الذات الالهية ، والميم هو محمد ﷺ وهو الاسم والحجاب والنبي الناطق ، أما السين فهو سلمان الفارسي وهو الباب الذي خلقه ـــ كما يزعمون ـــ محمد ﷺ ، وبالتالي هو الذي خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض .

ومما يذكر في هذا المقام ، أن سلمان فارسي الأصل من صحابة رسول الله ﷺ ، ولكنه يحتل مكانا عظيمـاً وجليلاً عند جميع الطوائف الشيعية على اختلاف عقائدها وأسمائها ، لأنهم يزعمون أن من الصحابة القلائل الذين ناصروا وشايعوا علياً ووقفوا إلى جانبه في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك في عهد أبي بكر وعمر وعثمان . وهذا الأمر واضح في كتب الشيعة جميعهم التي تأتي بقصص مختلقة ليس لها أي أساس تاريخي ، بطلها الحقيقي سلمان في موقف الدفاع عن علي ضد أعدائه من صحابة رسول الله ﷺ ، كما تصور هذه القصص .

أما الأيتام الخمسة الذين ورد ذكرهم فيما سبق ، فهم أيضا من الصحابة المعظمين عند كل الشيعة ، وهؤلاء هم : المقداد ، وأبو ذر الغفارى ، وعبدالله بن رواحة ، وعثمان بن مظعون ، وقنبر بن كادان ، وجميعهم من الصحابة ما عدا قنبر فانه خادم علي بن أبي طالب .

وقد أخذت النصيرية عن الشيعة هذا التعظيم لهؤلاء ، ولكن بوجه أخر : وهو اعتبار سلمان والأيتام الخمسة هم الذين خلقوا العالم والموكلون بأموره .

فسلمان في نظرهم هو النفس الكلية التي انبثقت من العقل — محمد ﷺ — ، ويعتقدون أن سلمان أو النفس الكلية هي التي خلقت السموات والأرض ، وخلقت كذلك الأيتام الخمسة ، والمقداد باعتباره أول الأيتام الخمسة فقد خلق الناس ولذلك فهو رب الناس ، — تعالى الله عما يقولون — .

وهذا الاعتقاد في الواقع ، دخيل من عدة مذاهب واعتقادات ، لذا يجب أن نربطه بصورة طبيعية بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة : التي تقوم على أن الموجودات فاضت عن الواحد ولها مراتب مختلفة ، أعلاها مرتبة العقول المفارقة (١) .

ونربطه كذلك بمذهب الصابئة الذي يقول : أن للعالم صانعاً فاطرا نتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون لديهم ، وهم أيضا الأرباب والآلهة والشفعاء عند الله رب الأرباب ويوجهون المخلوقات (٢) .

وينبغي أيضا كما يقول المستشرق ماسينيون : أن نقارن بين قائمة الأيتام عند النصيرية ، وقائمة الحدود الهندية أو العذارى الحكيمات لسليمان (٣) .

ومن أقوالهم حول هذا الاعتقاد ، ما نجده في كتاب تعليم الديانة النصيرية فيقول على طريقة السؤال والجواب :

« س : كيف المعنى اخترع الاسم ، وكيف الاسم اخترع الباب ؟

ج : اعلم أن عنصر العناصر وجوهر الجواهر اخترع الاسم من نور وحدانيته ، وجعله نورا منجبلا من جوهر معنويته ، وحركة من سكونه ، واصطفاه وسماه

---

١ — المعجم الفلسفي / د. جميل صليبا جـ ٢ ص ٧٢ .

٢ — دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٤ ص ٨٩ — ٩١ .

٣ — المصدر السابق — مادة نصيري .

باسمه ، واجتباه . ولم يكن له ربا سواه ، وجعله حده الخالق ولسانه الناطق ، وأقامه بالأمر العظيم ، والسبب القديم ، وجعله دائرة الوجود ، ومحراب السجود بأمر العلي المعبود ، وقال له : كن سبب الأسباب ومبوب الأبواب ، فعندها الحجاب خلق الباب بأمر مولاه ، وأمره أن يخلق العوالم العلوية والسفلية (١) ».

فسلمان اذن ــ حسب زعمهم : خالق السموات والأرض ، وهو أيضا « الباب الناطق والشبح اللاصق الذي لا يوصل إليه ــ أي إلى الله ــ إلا به ولا يدخل إليه ــ أي الى الله ــ إلا منه ، متصل غير منفصل (٢) » .

ويزعمون أيضا أن « محمد ﷺ بمنزلة الأب لهذه الأمة ، وسلمان بمنزلة الأم (٣) » ، « والذي علم القرآن لمحمد هو المعنى أي علي ، على لسان الباب وهو سلمان (٤) » بصفته جبرائيل .

وللباب أسماء وصفات كثيرة ، فهو « روح القدس جبرائيل ، وهو أيضا العزيز الأعلى سلمان (٥) » ، « وهو نور الله ، وسر وجود الوجود ، ونور العقل وصفته وكلمته ، وإليه البعث والنشور (٦) » .

وبطريق التناسخ الذي يؤمنون به ، فان الباب أو سلمان كانت له أسماء مختلفة على مر العصور والأدوار ، وهذه الأسماء هي : « جبرائيل ، ويابيل، وحام ، ودان ، وعبدالله ، وروزن ، وسلمان الفارسي ، وقيس بن ورقة ، ورشيد الهجرى ، وعبدالله بن غالب الكابلي ، ويحيى بن معمر ،

---

١ ــ مخطوط كتاب تعليم الديانة النصيرية ورقة ٤ ب ، ٥ أ .
٢ ــ مسائل عن المراتب ــ مخطوط ــ ورقة ٥٥ ب .
٣ ــ مخطوط مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ورقة ٩٢ ب .
٤ ــ كتاب تعليم الديانة النصيرية ــ مخطوط ــ ورقة ١٦ أ .
٥ ــ المصدر السابق ورقة ٨ أ .
٦ ــ كتاب الاصيفر ــ للحراني ــ مخطوط ، ورقة ٣٢ ب .

وجابر بن زيد الجعفي ، ومحمد بن أبي زينب الكاهلي ــ المعروف بأبي الخطاب ــ ، والمفضل بن عمر الجعفي ، ومحمد بن المفضل ، وعمر بن الفرات ، ومحمد بن نصير النميري (١) » .

وابتداء من قيس بن ورقة ، فان جميع هذه الأسماء كانت بنظرهم أبواب الأئمة الشيعة الاثنى عشر ، فهؤلاء الأئمة في اعتقادهم كانوا الحجاب الناطق عن المعنى الذي غاب ، فعند غيابه أصبحوا هم أسماءه الصفاتية ، أي متصلون به غير منفصلين ، والباب لا يظهر إلا بظهور الحجاب ، والحجاب لا يظهر إلا بظهور الباب ، لأن الباب مادته وكونه وذاتيته وفعله (٢) .

أما الظهور الأخير للباب ، وهو ظهوره بشخص محمد بن نصير ، « فانه الظهور الذي ليس بعده ظهور ، لأن محمد بن نصير هو باب الله الذي لا يتخذ بعده بابا ، ولكن بعد غياب الاسم (محمد بن الحسن العسكري) أصبح ابن نصير بصفته الباب هو الحجاب والاسم والنبي الناطق المتصل بالمعنى (أي الذات الالهية) ، ولم يزل ولا يزال هذا الأمر حتى ظهور القائم (٣) » .

ويطلقون على ابن نصير لقب سلسل ، لأنه ليث الدين ويوم الدين ، وينقلون عن الخصيبي قوله : « والباب الذي أشرع من دار النهايات ، فالباب الذي أشرع هو سلمان ، ودار النهايات هو ــ محمد ﷺ ــ كما قال ــ أي عليه الصلاة والسلام : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، ولسلمان من محمد ــ ﷺ ــ كما لمحمد من معناه (٤) » . وهذا طبعا ينطبق على الظهور الأخير ــ ابن نصير ــ لأنه أصبح بذلك هو الباب ودار النهايات .

والنصيريون في الوقت الحاضر ، يحاولون أن يؤلوا أمام الناس ايمانهم بسلمان والأيتام الخمسة بتبريرات سطحية ليس لها أساس من الصحة التاريخية ولا المنطقية ،

---

١ ــ المصدر السابق ورقة ٧ أ .
وكتاب تاريخ العلويين / لمحمد الطويل ص ٢٥٤ .
٢ ــ كتاب الأصيفر / الحراني ورقة ٣٤ ب .
٣ ــ مناظرة الشيخ يوسف الحلبي ــ مخطوط ــ ورقة ١١٩ أ ــ ١٢١ ب .
٤ ــ المصدر السابق ورقة ١٢٨ أ ، ب .

فيقولون : « ان الأيتام الخمسة ، وهذا اللقب لا يرمز إلى مذهب روحاني ، ولكنه أطلق عليهم لاتخاذهم سلمان الفارسي أبا صادقاً يغمرهم بعطفه وحنانه ، فكان هؤلاء الخمسة يتململون متى غاب سلمان عنهم ، وقد عرفوا لفرط اذعانهم لأقواله بأيتام سلمان ليس الا ؟!! [١] » .

وهذا في الواقع تبرير سخيف تزداد به حقيقة هؤلاء ، واستخفافهم بالعقل والمنطق ، فلم يكن لهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم مرشداً ولا معلماً إلا رسول الله ﷺ ، وهذا ما ذكره التاريخ ، وما نطقت به سيرة هؤلاء الصحابة .

أما موقف النصيرية من باقي الصحابة رضوان الله عليهم ، فهو موقف العداء والحقد ، باعتبارهم أبالسة ظالمين لعلي ، وخاصة أبو بكر وعمر وعثمان ، فيصبون اللعنات والشتائم عليهم مما لا يمكن ذكره .

وعندما يأتون بقصة من قصصهم المختلقة حول هؤلاء الصحابة ، يسمونهم بأسماء وألقاب بذيئة منها : ساكن لعنه الله ، والشيطان ، وأدلم[٢] . ومن القصص المختلقة والسخيفة التي يذكرونها ويستدلون بها على ألوهية علي قصة تقول : « ان أحد حكماء الفرس جاء إلى المدينة وسأل عن أمير المؤمنين ، فأتوا به إلى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ، فلم يكلمه ذلك الحكيم وخرج من عنده ، وعندما سألوه لماذا لم يكلمه قال : هذا ظلمة بلا نور ، هذا أصل كل ظلمة ، ومضل كل أمة ومغير كل ملة فلا تركنوا إليه ... ثم سأل عن أمير المؤمنين علي ، فلما أتوا به إلى علي ، جعل علي يكلمه بكلام غير معروف ، فلما خرج من عنده سألوه عنه فقال : هذا أصل كل نور ، ومدبر الأمور ، والرب الكريم والعلي العظيم [٣] » .

لذلك فهم يصبون غضبهم وحقدهم على عمر رضي الله عنه ، وكتبهم مليئة بهذه السخافات الدنيئة ، وعمر في رأيهم كان عدوا لعلي في جميع ظهوراته من قبل

---

١ — العلويون بين الاسطورة والحقيقة / هاشم عثمان ص ١٦٤ ، ١٦٦ ، نقلا عن مجلة الأماني الصادرة في اللاذقية العدد السادس آذار ١٩٣١ م .

٢ — هذه الاسماء يطلقونها على عمر رضي الله عنه .

٣ — مناظرة الشيخ يوسف الحلبي — مخطوط — ورقة ٧٤ ب ، ٧٥ أ .

عن طريق التناسخ ، فهو مثلا قابيل عندما ظهر علي في صورة هابيل [١] ويبررون زواج عمر من أم كلثوم بنت علي ، على أن هذا توهم من عمر — كما يزعمون — ، لأنه في الحقيقة قد تزوج بابنته جريرة التي أوهمه علي أنها أم كلثوم ، فلما دخل بها عمر أعلمه سلمان بذلك ، فخاف أن ينفضح أمره فلم يخبر أحداً [٢] .

وبسبب هذا الحقد ضد عمر ، فانهم يحتفلون بعيد مقتله ويسمونه (يوم مقتل دلام لعنه الله) ، وهو اليوم التاسع من ربيع الأول من كل سنة [٣] .

لذا فالجهاد عند النصيرية هو ذكر الشتائم على أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة [٤] وكذلك على الفقهاء والعلماء أمثال أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك ، لأنهم يأكلون من خيرات علي ولا يعبدونه [٥] ، فهم أنجاس لأنهم نصبوا أنفسهم لضلالة من اتبعهم فصدوا الناس عن آل البيت [٦] .

هذا هو مع الأسف موقفهم من صحابة رسول الله ﷺ ، موقف الحقد والضغينة الذي يدور في صدور أعداء الاسلام ضد هؤلاء ، لأنهم رفعوا راية الاسلام خفاقة في كل أرجاء الأرض ، وحطموا كل طواغيت الشرك والوثنية التي تختفي النصيرية وراءها .

وفي المقابل فان النصيرية تقدر وتحب عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه ، وتعتبره أفضل الناس ، لأنه خلص اللاهوت من الناسوت بقتله ، وبذلك تخلص اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره [٧] .

---

١ — انظر كتاب الهفت والأظلة / للجعفي ص ٦٩ .
٢ — المصدر السابق ص ٦٩ — ٧٣ .
٣ — مخطوطة (أعيادنا) ورقة ٣٩ أ .
٤ — الجذور التاريخية للنصيرية العلوية / للحسيني عبدالله ص ١٦٤ — نقلا عن الباكورة السليمانية لسليمان الأذني .
٥ — العلويون أو النصيرية / د. مجاهد الأمين ص ١٥ .
٦ — كتاب الصراط / للجعفي ورقة ١٧٨ ب .
٧ — انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم جـ ٤ ص ١٨٨ .

٤ ـ المراتب والدرجات عند النصيرية :

العالم عند النصيرية ينقسم الى قسمين : العالم العلوي ، والعالم السفلي ، ولكل واحد منهما رتبه ودرجاته .

والعالم العلوي هو العالم النوراني الذي تعيش فيه الرتب النورانية التي تنتهي برتبة البابية ، وتفيض بالنور على العالم السفلي ، الذي لا يزال ينتقل في الصور البشرية ، ولم يصل الى مستوى الايمان الكامل[١] .

والعالمان العلوي والسفلي في نظرهم ، هم النصيريون عاقلهم وجاهلهم[٢] ، فغير النصيري لا يكون في الصورة البشرية لأنه ممسوخ بالصور الأخرى ، مثل صورة المرأة والحيوان والجماد .

أما درجات العالم العلوي ، فهي للمؤمن ، وتتكون من سبع درجات ، لا يرتقي الشخص من درجة الى درجة الا بمقدار علمه وعمله ، فهي ترتبط ارتباطا مباشرا بالباب والأيتام الخمسة ، لأن من جملة هذه الرتب : اليتيم والباب .

وأول درجة يرتقي اليها المؤمن من العالم السفلي الى العلوي هي درجة الممتحن ، تليها درجة المخلص ، فدرجة المختص ، ثم النجيب ، ثم النقيب ، فاليتيم ، وأخيرا الباب ، وهذه الدرجات في نظرهم عقبات ، فكلما تجاوز المؤمن درجة كأنه بذلك تجاوز عقبة من العقبات[٣] .

---

١ ـ العالم السفلي في نظرهم يتكون من (١١٩) ألف نسمة ... أنظر مخطوطة كتاب تعليم الديانة النصيرية ورقة ١٤ أ / وكذلك موضوع تناسخ الأرواح عند النصيرية من هذه الرسالة .

٢ ـ العقلاء هم العالم العلوي ، وهم مشايخ النصيرية ، والجهال هم العوام من النصيريين الذين لا يزالون يترقون في درجات العالم السفلي ولم يعرفوا عن دينهم الشيء الكثير .

٣ ـ أنظر كتاب الصراط / للمفضل الجعفي ـ مخطوطة ـ ورقة ٩٥ أ ، ب .

فاذا أصبح الشخص أو المؤمن في الرتبة السابعة وهي رتبة البابية ، فعند ذلك يدخل : « المحل الأعلى ، ويتخلص من هذه الصور ، ليصبح نورانيا فيظهر له الاسم ــ أي الحجاب ــ فيعاينه ويشاهده ويطلعه على علم تكوينه »[1] .

ويستدلون على تقسيم هذه الدرجات بقوله تعالى ــ على لسان ابراهيم عليه السلام ــ : « رب أرني كيف تحيي الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي »[2] ، ويؤول الخصيبي هذه الآية بقوله : « أن الباب هو الذي قال : ليطمئن قلبي ، وكانت ارادته في ذلك استئذان مولاه أن يرتب أربعة يكونوا مع المقداد في الرتبة[3] ، فقال له الله (وهو الاسم) : ــ « فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم »[4] ، فالطيور الأربعة هم الأيتام ، والجبال هم الخمس مراتب : النقباء ، والمختصين ، والمخلصين ، والممتحنين ...... فتولى المقداد مرتبة النقباء ، وتولى أبو الذر مرتبة النجباء ، وتولى عبدالله مرتبة المختصين ، وتولى عثمان مرتبة المخلصين ، وتولى قنبر مرتبة الممتحنين .... فالنقباء تمد النجباء بالنور ، وهكذا تمد كل مرتبة الأخرى بالنور ... أما الرتبة الاخيرة أي ــ الممتحنين ــ فانها تمد مراتب العالم السفلي السبعة البشرية ، فتمد المقربين ، والمقربين تمد الكروبيين ، والكروبيين تمد الروحانيين ، والروحانيين تمد المقدسين ، والمقدسين تمد السائحين ، والسائحين تمد المستمعين ، والمستمعين تمد اللاحقين »[5] .

والمراتب السبعة السفلية لا ترتفع الى العالم العلوي ومراتبة السبع الا بارتقاء الدرجات السابقة الذكر من درجات العالم السفلي ، حتى تصل الى درجة (الكروبيين) ، وهي الدرجة التي يرفع فيها عن الشخص كرب البشرية لأنه عرف باريه واسمه وبابه[6] ، فيكون بذلك قريب من درجة المقربين التي تستمد نورها من العالم العلوي .

---

١ ــ المصدر السابق ورقة ٩٨ أ .
٢ ــ سورة البقرة آية ٢٦٠ .
٣ ــ أي رتبة اليتيم .
٤ ــ سورة البقرة آية ٢٦٠ .
٥ ــ مخطوطة مسائل عن المراتب ورقة ٥٧ أ ، ب .
٦ ــ المصدر السابق ورقة ٥٨ أ .

والشعراء النصيريون ، أنشدوا هذه المراتب في قصائد ، منهم المنتجب العاني الذي وصفهم بقوله :

فتلك الأبواب والأيتام تتبعهم
وخلفهم نقباء سادة نجب
واثرهم نجباء كلهم سلكوا
نهج الهدى والى نيل العلا وثبوا
وبعد ذلك مختصون ترفعهم
ومخلصون الى مولاهم قربوا
فهذه سبعة علوية ظهرت
دون الأوائل منها السبعة الشهب
وبعدهم سبعة سفلية نسبوا
الى التراب ما وارتهم الترب »[1]

والدرجة النهائية للمؤمن — كما مر — هي درجة الباب ، وفيها يصبح المؤمن ملاكا ، ويرفع عنه الأكل والشرب ، ويستطيع أن يصعد للسماء وينزل للأرض ، مثلما يريد ، وكيفما شاء ، لأنه يتصور بالصورة التي يريدها[2] .

ولكن الدكتور مصطفى الشكعة ينقل عن كتاب (الباكورة السليمانية) أن رتب المشيخة في الوقت الحالي ثلاثة هي : الامام ، ثم النقيب ، وتليها رتبة النجيب ، ولكل واحد من هؤلاء سلطانه وحدوده وحقوقه .... ويضيف : أن هذه الرتب افتقدت في الوقت الحاضر المؤهلات ، ولعل المؤهل الغالب هو قوة شخصية صاحب الرتبة بغض النظر عن تأهيله العلمي والديني[3] . وهذا يؤكده لنا البيان الذي أصدره أحد مشايخ النصيرية بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ م ، والذي فضح فيه بعض أعمالهم ، ومنها اعطاء الرتب الى بعض ضباط الجيش السوري النصيريين تعبيراً عن جهودهم في خدمة الطائفة أمثال صلاح جديد ، ومحمد عمران وغيرهم[4] .

---

١ — فن المنتجب العاني وعرفانه ص ٥٢ ، ٥٣ .
٢ — كتاب الهفت والأظلة / للمفضل الجعفي ص ٦١ ، ٦٢ .
٣ — اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٥٢ .
٤ — أنظر كتاب مجتمع الكراهية لسعد جمعة ص ٦٢ — ٧٥ .

٥ ــ تعظيمهم للخمر ، ونظرتهم الى الأنثى :

الخمر في نظر النصيريين مقدسة أيما تقديس ، لأنها تقدم بسر النقباء والنجباء خلال دخول الجاهل في أسرار عقيدتهم ، لذلك يطلقون عليها اسم (عبد النور) ، باعتبار أن الخمر خلق من شجرة النور وهي (العنب) .

والحقيقة أنه لا يمكن للباحث أن يفصل موضوع الخمر والمرأة عن موضوع دخول الجاهل في أسرار العقيدة النصيرية ، لأن الخمر والمرأة أمران مهمان ومتلازمان يقدمان للشاب الداخل في أسرار الدين باعتبارهما جزءا من الضيافة للدخول في الفردوس .

وفي نظري أن تلقين أسرار النصيرية في جو الخمر والمرأة ، يوضح لنا عملية التخدير النفسي والجسدي والعقلي التي تقع على الشاب وهو يلقن أسرار دينه ، فكؤوس الخمر تدار بين وقت وأخر فتلعب دورها في تخدير عقل الشاب ، وتأتي الأنثى لتكمل الدور الذي بدأته الخمرة ، فيكون الشاب حينذاك في وضع لا يمكنه أن يرفض أي شيء من أسرار الدين ، وخاصة أنه أصبح في الفردوس المنشود (الخمر والمرأة) .

ومع أن موضوع دخول الجاهل في دينهم ، سيأتي تفصيله بعد هذا الموضوع مباشرة ، الا أنني أوضحت هذا الأمر بشكل موجز لارتباطهما معا ، وليتبين للقارىء العملية الرهيبة التي يتعرض لها الشاب النصيري وهو يدخل في أسرار دينه ، والدور الذي تلعبه الخمر والمرأة في ذلك .

والخمر ــ كما يزعمون ــ حللها الله لهم بصفتهم أولياء الله الذين آمنوا به وعرفوه بشخص (علي) ، وحرمه على الجاحدين لله المنكرين له ــ أي الذين لم يؤمنوا بعلي ــ فهي نوع من الأغلال والآصار وضعت عليهم لعدم ايمانهم بعلي .

يروى عن الخصيبي : « أنه اذا حضر بين يديه (عبد النور) ـــ أي الخمر ـــ يأخذ القدح في يمينه ، وينهل منه ثلاث نهلات ، ويترنم عليه في هذا القداس المبارك ويقول : الحمد لله العلي وحده الذي أنجز وعده ، ونصر عبيده ، وأعز جنده ، وأهلك ضده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا اله مثله ولا اله بعده ، مفزع الطالبين ، وغاية العارفين ، اله الأولين واله الآخرين ، له الدين الخالص وانما تدعون من دونه الباطل ، وان الله هو العلي الكبير أمير المؤمنين الملك الحق المبين .... اللهم ان هذا عبدك عبد النور شخص النار[١] حللته وكرمته وفضلته لأوليائك العارفين بك حلالا طلقا ، وحرمته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك ، حراما نصا ، اللهم مولاي كما حللته لنا ارزقنا به الأمن والأمان ، والصحة من الأسقام، وانف عنا به الهم والأحزان .... ثم يقرأ عدد من الآيات ، ويقول أخيرا : تذكروا بسر (العين) الله يرزقكم بركتها ورضاها »[٢] .

وتسمية بعض صلواتهم بـ (القداس) ، انما يعود الى تقديسهم للخمر ، لأن القداس في اعتقادهم هو : تقديس الشراب وشربه بسر النقباء والنجباء[٣] .

أما المرأة فهي في نظرهم نوع من أنواع المسخ الذي يصيب غير المؤمن ، فهي كالحيوان لأنها مجردة عن وجود النفس الناطقة ، لذلك فهم يعتقدون أن نفوس النساء تموت بموت أجسادهن[٤] ، لعدم وجود أرواح خاصة بهن[٥] . « لهذا السبب فهم يستبيحون الزنا بنساء بعضهم بعضا ، لأن المرأة لا يكمل ايمانها الا باباحة فرجها الى أخيها المؤمن ، وفي ذلك اشترطوا أن لا يباح ذلك للأجنبي ولا لمن هو ليس داخلا في دينهم »[٦] .

---

١ ـــ يعرفون شخص النار بأنه عبد النور (الخمر) الذي جعله الله قربانه الأعظم وشخصه المكرم وحكم على نفسه بالمغفرة فيه (من تعليق على مخطوطة كتاب تعليم الديانة النصيرية ورقة ١٨ ب) .

٢ ـــ قسم (التوجيه لتعليم الديانة النصيرية) ـــ القداس الثاني ـــ مخطوطة ورقة ٢٥ أ ، ب / وكذلك مخطوطة كتاب تعليم الديانة النصيرية ورقة ١٨ أ ، ب .

٣ ـــ مخطوطة كتاب تعليم الديانة النصيرية ورقة ١٦ ب) .

٤ ـــ مخطوطة في تقسيم جبل لبنان ـــ قسم ـــ في مذهب النصيرية ـــ .

٥ ـــ دائرة المعارف الاسلامية ـــ مادة نصيري ـــ .

٦ ـــ مخطوطة في تقسيم جبل لبنان ـــ قسم في مذهب النصيرية ـــ .

وهذا يفسر لنا ظاهرة كون المرأة جزءا من الضيافة المقدمة عند الدخول في أسرار العقيدة[1] . وكذلك الاباحية المطلقة التي تظهر خلال أعيادهم الكثيرة ، كالنوروز والميلاد وغيرهما ، حيث تدار كؤوس الخمرة ويختلط الحابل بالنابل من نساء ورجال . ولعل هذه الاباحية تعيدنا الى الحشاشين تلامذة الحسن بن الصباح الذي كان يخدر تابعيه ويدخلهم الى جنات ملأى بالنساء ليفرض عليهم ما يريد ، وكذلك الى القرامطة الذين كان لهم يوم يجتمعون فيه في مكان مظلم رجالا ونساء ، فينكح الرجل أخته أو أمه أو أي امرأة تقع في يده .

ومن الطبيعي أيضا أن ترجعنا هذه العقائد لأقوال المؤرخين عن اباحة المحارم والنساء التي نادى بها ابن نصير في بداية دعوته ، وكذلك في اباحته لنكاح الرجال بعضهم بعضا لأن هذا من التواضع والتذلل[2] .

والنصيرية لا يصرحون في كتبهم ومخطوطاتهم بموضوع اباحة النساء بشكل واضح ، ولكن من يدقق النظر في الطقوس والقداسات التي تتبع في تلقين الجاهل ، يجد هذا الشيء مدسوسا بين السطور والكلمات . ولكن التوضيح الساطع جاء من بعض أشعار النصيرية المخطوطة — المكسرة في الوزن واللفظ ، التي تعطي القارىء وصفا حيا لقداساتهم وصلواتهم برفقة المرأة والخمرة ، ومنها قول أحد شعرائهم (علي بن منصور) :

ونحن مع السادات على طيب مشرب — نقتضي فروض الله مع كل واجب
ولم نختش من قول واش وكاذب — ونحن وربات الخدور سواحيا
تناولني كأس الهنا من يمينها — موردة الوجنات سودا عيونها
معدلة تسبي الورى في فتونها — بكل رداح كالهلال جبينها
فكم عالم قد تاه فيها موقفا — وكم جاهل قد ضل عنها محرفا
أكون عبدا خادما لجلالها — وبعت حياتي واشتريت وصالها
دخلت بملة لا أريد بدالها — فاسقوني السادات كأس زلالها[3]

---

١ — دائرة المعارف الاسلامية — مادة نصيري — .
٢ — أنظر المقالات والفرق للقمي ص ١٠٠ — ١٠١ ، وفرق الشيعة للنوبختي ص ٧٨ — وموضوع نكاح الرجال بعضهم بعضا سيأتي توضيحه في الموضوع السادس من عقائدهم وهو (الدخول في العقيدة النصيرية) .
٣ — مخطوط رقم ١٤٥٠ عربي ورقة ١٦٨ أ ، ب — ١٦٩ ب .

ويضيف شاعر أخر هو (محمد الكلازي) قوله :

بدرا أضاء متجليا لما جاء بالنور كالمشكاة والمصباحا
بوجوده ولى الظلام وأشرقت كاساته مملية الأقداحا
واذا بدا متمنطق بلثامه أهل الغرام لقربة ترتاحا
طلبوا جميع العارفين وصاله وفي هواه راحت الأرواحا[1]

ويتضح من شعرهم هذا أن المرأة هي التي تقدم كؤوس الخمر لمشايخهم ، وأن صلواتهم وقداساتهم لا يمكن أن تخلو من هذين الاثنين .

ولكن النصيريين في الوقت الحاضر ، وبعد ان كشفت هذه الحقائق عن دينهم ومعتقدهم ، يحاولون أن يوجدوا مخرجا لتقديسهم الخمر ، حيث يقول أحدهم : أن الخمر قد استحلت عند المسلمين قبل ظهور النصيرية[2] ، ولذلك فهم لم يأتوا بجديد وساروا على نفس الطريق ، بل أن نفس الكاتب يروي عن الخصيبي في كتابه الهداية الكبرى قوله : أن الخمر حلال ، ولم ينزل تحريمها في كتاب الله ، لأن نوح عليه السلام ـــ كما يزعمون ـــ شرب الخمر وسكر حتى رقد ، وكذلك فان الناس تقدم لها القرابين منذ زمن قابيل وهابيل[3] .

والعاقل وهو يقرأ هذا التبرير السخيف ، يتساءل بمرارة عن وقت وكيفية استحلال المسلمين للخمر ، وكأن تصرف فرد أو أفراد معدودين في تاريخ المسلمين الطويل بشربهم الخمر ، يعد ويعني تحليل الخمر ، فالخمر كانت في نظر الاسلام والمسلمين في الماضي والحاضر حرام لا يجوز تناولها تنفيذا لقوله تعالى : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه »[4] ، فكيف بنا فيمن يعتبرها مخلوقاً نورانياً .

---

١ ـــ المصدر السابق ورقة ١٧٥ أ .
٢ ـــ العلويون بين الأسطورة والحقيقة / هاشم عثمان ص ٦٩ ـــ ٧٢ .
٣ ـــ الهداية الكبرى ـــ للخصيبي ـــ نشر في كتاب (العلويون بين الأسطورة والحقيقة) ص ٢٣٩ .
٤ ـــ سورة المائدة آية ٩٠ .

٦ ـــ مراسيم وطقوس الدخول في عقيدة النصيرية :

طريقة دخول الجهال في سلك عقالهم ، يمر بعدة مراحل حتى يتيقنوا خلالها من اخلاصه وصدقه ، فلا يلقنون الداخل جميع الأسرار دفعة واحدة ، بل يطلعونه على القليل ، وبالتدريج ، وذلك لأن التلقين يمر من خلال ثلاث جلسات .

وتبدأ عملية الدخول ، بأن يتخذ الشاب الذي يريد ذلك ، أستاذا من مشايخهم يلقبونه (والدا روحيا أو دينيا) ، فيخضع له غاية الخضوع ، ويكون الواسطة بينه وبين مجلس مشايخهم ـــ وهذا الوالد الروحي ـــ في نظرهم ـــ الأحق بالتكريم من الوالد الحقيقـــي ، لأن الوالدين الحقيقيين لا فضل لهما على أولادهما ، فقد أنجبا الأولاد بالعرض ، وكان قصدهما ليس هو خير الأولاد ، بل خير أنفسهما وهو لذة الجماع ، وبذلك فقد تسببوا في خروج أولادهم لدار الشقاء . وأما الوالد الروحي فهو ذو الفضل العظيم على التلميذ ، لأنه يقوده الى معرفة الحق ودار السعادة . يقول الشيخ يوسف الحلبي في مناظرته : « فأما الذي أولدك فليس له عليك حقا ولو رباك ، لأنه لم يأت زوجته طالباً لوجودك ، ولا راغباً في ظهورك ، وانما كان طالباً تحصيل شهوة (١) » .

والخضوع التام ، والتذلل ، مطلوب من التلميذ ومفروض عليه أمام شيخه ، والا لا يمكن أن يلقن أسرار الدين ، لأنها لا تلقن إلا للمتواضع الذليل لأخيه المؤمن ، والتواضع كما يتصورنه واضح من مراسيم وطقوس الداخل في العقيدة ، حيث يمر في مرحلتين : الأولى هي وضع أحذية المشايخ على رأس الشاب الراغب في دخول العقيدة يتبعها تقبيل أقدام هؤلاء المشايخ ، والمرحلة الثانية والمكملة للأولى ، فتتم في الجلسة

---

١ ـــ مناظرة الشيخ يوسف الحلبي مخطوطة ورقة ١٥٣ ب .

الثانية من جلسات التلقين ، وهي قبوله مناكحة الرجال له . لأن هذا عندهم يدل على عدم التكبر والتذلل للأخ المؤمن (١) ـــ كما يزعمون ـــ .

واذا رجعنا إلى مبادىء ابن نصير مؤسس فرقتهم ، والتي دعا إليها وطبقها عملياً ، نجد هذا التواضع من جملة المبادىء التي حملها ، ففي رواية سعد القمي « أن يحيى بن عبد الرحن بن خاقان رأى ابن نصير وغلام له ـــ أي لابن نصير ـــ على ظهره ـــ أي على ظهر ابن نصير ـــ ، قال ـــ أي ابن خاقان ـــ فلقيت ابن نصير ، فعاتبته بذلك ، فقال : ان هذا من اللذات ، وهو من التواضع لله وترك التجبر (٢)» .

وهذا الشيء يطبق عملياً في الجلسة الثانية من التلقين (السمّاع) ، فبعد أن تدور الخمرة في الرؤوس ، وتكمل المرأة عملها الشيطاني (٣) ، ينام الحاضرون بجانب بعضهم بعضا حتى وقت (السحر) ؟! حيث يحين (وفي ذلك الوقت بالذات) عملية التلقين الثانية ، بعد أي يصبح التلميذ ذليلا قولا وفعلا .

ويصف ماسينيون في دائرة المعارف الاسلامية هذه الطقوس بانها تتشابه وتتصل بطقوس السبأيين ، والأسرار القديمة لآسيا الوسطى (٤) . وكذلك يمكننا أن نربط هذه الطقوس بعملية التكريس لدى الماسونية في الوقت الحاضر .

والطقوس النصيرية تبدأ بجلسة تعرف باسم (التعليق) ، حيث يتم فيها عقد (الزواج الروحي) بين الأستاذ والتلميذ ، وفيه عقد وطلاق وعهد غليظ بعدم كشف أي شيء عن هذا الزواج الروحي ، والمسمى (نكاح السماع) ، لأن كلمات الوالد الروحي أو الأستاذ بمثابة تلقيح لروح التلميذ .

---

١ ـــ مخطوط ١٤٥٠ عربي ورقة ١٦٤ ب .

٢ ـــ المقالات والفرق / سعد القمي ص ١٠١/١٠٠ .

٣ ـــ راجع البحث السابق من عقائدهم في هذه الرسالة وهو (تعظيمهم للخمر ونظرتهم للأنثى) والذي وردت فيه بعض الأمور المتعلقة بهذا الموضوع .

٤ ـــ دائرة المعارف الاسلامية ـــ مادة نصيري ـــ .

لذلك فهم يشبهون طريقة دخول الجاهل في دينهم بعملية الجماع بين الرجل والمرأة ، فالتعليق الذي هو الجلسة الأولى ، يعتبرونها البداية وهي وقوع النطفة في رحم المرأة وبداية خلق الجنين ، فالنطفة في نظرهم هي وقوع نور المعرفة وقدسها في نفس الداخل بالعقيدة وبعد تسعة أشهر أو سبعة أشهر[1] وهي مده الحمل تكون الجلسة الثانية وتسمى (السمّاع) وهي بمثابة الولادة لهذا الطفل وخروجه من بطن أمه ، لذا هذه الجلسة بالنسبة للتلميذ هي بداية العمر الحقيقي له ، والولادة الحقيقية له ، لأنه بذلك خرج من العدم الى الوجود ، وبعد ذلك بسنة أو سنتين ـــ وهذا يعتمد على الشخص أيضا ـــ وهي مدة الرضاع ، أي رضاع المعرفة من الأستاذ ، تأتي المرحلة الثالثة وهي النهائية حيث تؤخذ منه المواثيق والأيمان الغليظة ، ويشهد على ذلك الشهود بأن لا يفشي سرا من أسرارهم التي يبيحونها له .

فالشاب الذي يريد الدخول في دينه ، يتخذ له والدا روحيا من مشايخهم ، فيدخله هذا الى جمعية مشايخهم ، فيقدمه لهم في اجتماع سري ، وهذا هو التعليق والذي يتم كما سيأتي : « يقف النقيب ، والولد عن يمينه ، مكشوف الرأس ، ويأمره أن يرفع على رأسه (مداسي) ـــ أي حذاء ـــ سيده (أستاذه) ، ثم يأمره أن يسأل الجماعة ويقول : أسألكم يا جماعة بالوجه الذي تسألون الله به لأنه وجه الكمال ، أن تسألوا شيخي وسيدي فلان .... أن يقبلني ولدا ومملوكا ويطهرني من نجس الشرك ، وينقذني من ظلمة الضلال ، ويهديني الى الصراط ، وفقكم الله وجعلكم أهلا لكل خير .

ثم ينهض جميع الحاضرين ويقولون يا فلان هذا التلميذ سألنا بوجه الكمال أن نسألك حتى ترضاه وتقبله ، فاذا قبل منهم يرفع النقيب ما على رأسه ويجلسه بين يدي الامام ، ويجتمعون حوله ليشهدوا عليه ، فيقول له الامام : اعلم وفقك الله ، « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى »[2] ، قال النبي ﷺ : تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الأمم الى يوم القيامة[3] ..... ولم يرد نكاح

---

١ ـــ وهذا يعتمد على شخص الداخل ، فاذا وجدوه مخلصا أدخلوه بعد سبعة أشهر ، لأن الحمل يكون في سبعة وفي تسعة .

٢ ـــ سورة النجم آية ٣ ، ٤ ، ٥ .

٣ ـــ مع أن الحديث الصحيح (فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة) (بدون ـــ الى) ، وذلك لانهم يعتقدون أن الثواب والعقاب يكون بالصور الناسوتية أو المسوخية التي تحل على الانسان بكفره أو ايمانه ، أما يوم القيامة عندهم فهو ظهور القائم (محمد بن الحسن العسكري) الذي يقتل جميع أعدائهم .

الجماع ، وانما هو نكاح السماع . واعلم أن هذه الجماعة انما اجتمعوا بسبب عقد نكاحك ، وقد قال النبي ﷺ : من عرف ما يطلب هان عليه ما يبدل ، ومن بدل نفسا ملك نفسا ، ولك نفس أنفس من نفسك ، وما تشتمل عليه صورتك ، فان بذلت ذلك زوجتك بكريمة مولاى هذا فلان الذي أعني السيد ، وان أبيت فهذا اليك .... فان طاع فيلزم (أي يمسك) يده اليمنى ويقول : زوجتك بأمر الله ومشيئته متبع لسنة رسوله كريمة مولاي فلان الى ما استودعه الله لك عنده ، وهي أمانة مبلغة أمر الله بها أبدا الى أهلها ، وان الله أثبت لك أمرا لا شك فيه وهو نور المعرفة وحقيقة الايمان ، ولم يزل ذلك النور ينمو ويترعرع في نفسه الى أن حصل الاستعداد ــ وهو وقوع النطفة وتربية الجنين ــ لقوله تعالى : « حملته أمه كرها ووضعته كرها »[1] ، وهي ادخال نور قدس المعرفة في داخله ، وهي تربية نفسه كذلك .... فيقول له الامام : أقبلت هذا النكاح ورضيت به ، فاذا قال نعم ، فيقبل ما بين عينيه ويقول له : بارك الله فيك ، وفيما أنت طالبه ، وسير لك الاستعداد لقبوله ، ثم يتلو عليه « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »[2] .

ثم ينهض النقيب الى سيده (أستاذه) ، فيقبل يده ورجله والأرض بين يديه ، فاذا فعل ذلك يقول له السيد : قم وفقك الله ، ويأمره بشرب سر الامام ، فيعتزل ويقف بطرف المجلس ويشرب سر الامام ، وسر سيده ، وسر الجماعة ، ثم يقول : سارکم أحسن الله معادكم ، وسار دينكم ، وسار اعتقادكم ، وأنا عبدكم تحت طاعتكم ، وبعد ما يشرب يقبل أيدي وأقدام الجميع[3] ويبدأ بالامام ثم جميع الحاضرين .

وبعد ذلك يشرب الحاضرون سر القبول لسيده ، ويقولون : سارك يا فلان ، وسارك سر قبولك أيها التلميذ ، هنئت بالوصول ، ثم يجلسون حيثما كانوا ،

---

١ ــ سورة الأحقاف آية ١٥ .

٢ ــ سورة التوبة آية ١١١ .

٣ ــ وهذا يدل على الاذلال النفسي الذي يتعرض له الداخل في عقيدتهم ، بحيث يجعلونه في اخر الامر يصيح باعلى صوته : بانه عبد من عبيدهم وتحت طاعتهم .

ويحضر ما يتيسر من الطيب والبخور والشراب ، ثم يكتب النقيب التاريخ والوقت الذي هم فيه واسم الشهر لئلا يقع خلق في المدة والشهور[1] الى ليلة السماع ، وهذا هو التعليق .

وأما السماع ، فيحسب أول عمره من التعليق ، ومثاله مدة الحمل والولادة وما بينهما من التعليق الى السماع ، فلذلك يحسب أول عمر الانسان الطبيعي لساعة ولادته عند خروجه من الرحم ، وعمره الحقيقي لساعة ظهوره بالسماع من العدم الى الوجود ، ومدة الرضاع في الظاهر وفي الباطن حولان .... ولا يجوز للولد أن يتخلى عن السيد الا باذنه ، فان منزلته من سيده بمنزلة الزوجة من البعل والتلاقي للرجال لا للنساء[2] .

ولا يجوز لمؤمن أن يتعرض على من هو متعلق على بعض اخوانه ، فقد قال مولانا جعفر الصادق : المؤمن لا ينزل على سمة أخيه ، وقد يحمل له التزويج بأم أخيه المؤمن وأخته وزوجته اذا طلقها ، فلم يبق الا ولد السماع ، فمن أخذه وعمل ذلك فقد زنا ولو كان بألف شاهد ،وفســـق الشهود ، فيجب على الجميع المقاطعة حولا كاملا[3] .

والسماع يجب أن يؤخر الى وقت السحر على ما جرت به عادة المتقدمين والسادة الفضلاء من المؤمنين ، وهو أن ينهض النقيب وينبه كل من هو نائم ويجلس الامام والجماعة ويحضر النقيب الولد الطالب بين يدي الامام ، ويضع يده في يد الامام فيتلو عليه قول الله تعالى : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما »[4] . اعلم وفقك الله أنك قد أهلت نفسك لطلب أمر عظيم وخطب جسيم لا يحمله الا كل ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالعلم

---

١ ــ كما مر سابقا فان عملية التكريس في ثلاثة جلسات تتم مشابهتها بعملية حمل المرأة .

٢ ــ وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقا في هذا البحث عن موضوع التواضع والتذلل الذي لا يتم الا بملاقاة الرجال بعضهم بعضا .

٣ ــ وهذا يعني أن الوالد الروحي يتكفل التلميذ في كل شيء حتى نكاحه (لأنه بمنزلة البعل له) ، ولا يجوز للاخرين من المشايخ أن يأخذه اليه لان هذا في عرفهم جريمة .....

٤ ــ سورة الفتح آية ١٠ .

والايمان ، فأخبرني ما الذي قد ثبت عندك وتصور في ذهنك ونفسك ، وما أنت طالب من هذا الرجل ، وذلك بعد أن يفهمه النقيب ما يجب أن يجيب به الامام عند سؤاله اياه ، فاذا سأله الامام وحسن جوابه ، فيتلو عليه قول الله تعالى : « انا سنلقي عليك قولا ثقيلا »(١) ، فاذا قال : ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، فيقول الامام : اعلم وفقك الله أنك طالب أمر عظيم تحتاج معه الى شيء ينفعك فعله ..... واعلم وفقك الله أن جميع ما أوردته عليك انما هو من جهة معاملة الاخوان خيرا بخير وشرا بشر .... ويجب أن لا تتكبر على أحد من المؤمنين ، لأن الاستكبار هو ترك الطاعة لمن أمرت بطاعته ، فان قبلت ما قصصت عليك وما سمعته مني بقبول ، فاني آمر سيدك أن يجيب دعوتك ويرد اليك ضالتك ، بعد أن يأخذ عليه العهد والميثاق ويقال له : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وعقده وذمته وذمة رسول الله ﷺ ، ثم يقول : والله والله والله ، الذي كان قبل كل أحد ، ما يدي الا بيد الله الباقي ، والا برئت من الله وحوله وقوته ، وأنبياء الله وملائكته وكتبه ورسله ، وعدت الى حولي وقوتي ونفسي ، وكل مرة تزوجت بها وأتزوج بها فلانة بنت فلان تكون طالقة مني ثلاث على سائر المذاهب والاعتقادات ، ومتى وصل الي هذا الأمر وصلح لي فاني حافظه ، قائل به ، مجتهد في التقية به(٢) .

والله والله ويا من الله وبالله ، وبما أخذ على النبيين من عهد وميثاق أن أستر جميع ما سمعته وعلمته ولقنته من أمر داعيتي وامام زماني الذي أخرجني من العدم الى الوجود ، ومن النحوس الى السعود ، والذي عرفني الاقرار واقرار المؤمنين له من عقد ذمته وأمور اخوانه .... ثم يقال له قل : والله والله وبالله انك وكيل على هذا العقد أن لا تهدمه ولا تذيعه ظاهرا ولا باطنا على الشرائط المبينة ، وبهذا العهد والميثاق وضعت على نفسك الوفاء بذلك ، قل نعم على أنك لا تذيع علينا شيئا من هذه العقد لا في حياتنا ولا بعد وفاتنا ، ولا على حال غضب ، ولا حال رضى ، ولا حال مناوأة ، ولا حال رهبة ، ولا حال رغبة ، ولا حال شدة ، ولا حال طمع ، ولا حال حرمان ، وان لم يصلح لي فاني والله والله وبالله أني لا أذيعه الى مخلوق بلسان ولا أكتبه في صحيفة بيدي ، ولا أسعى في حق هذه الطائفة بسوء ، ولا أكشف

---

١ ـــ سورة المزمل آية ٥ .
٢ ـــ مما يؤكد مقدار التستر والكتمان في دينهم وضرورته ؟!

ما أوعزتموه الي واستكتمتوني اياه الى مخلوق ، فان خالفت على ما امرناك به،وأنت على ماذكرته فانك بريء من الله خالق السموات والأرض الذي خلقك وألف تركيبك ، وأحسن اليك في دينك ودنياك ، وتبرأ من الله ورسوله وملائكته المقربين متى ما خالفت هذا العهد وهذا العقد ، قل : معاذ الله ان خالفت ما سمعت منك يا فلان ، والله والله والله وبالله الذي أحسن اليك في حال دينك ودنياك ، قل : اليمين يميني ، والنية نية مستحلفي ، ثم تقول : وفقك الله لقد أديت ما عليك فافهم ما يجب لسيدك عليك ، ثم يوعظه بعد اليمين ... ويقول : واعلم وفقك الله أن سيدك هو ربك ونبيك ورسولك ، ليس هو الهك وخالقك ورازقك، «واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول »[1] ...... فخمس مالك لهذه الجماعة حلال مطلق في رأس كل سنة تأتي اليك ، وأن تكون داعيا لسيدك شاكرا متوددا ، وأن تغفر زلته وترحم عبرته ..... وأن لا تهتك له سترات ولا تكشف له سرا .

ثم ينهض النقيب الى مابين يدي سيده ويقول : ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها[2] » ثم ان سيده يفتح عليه الفتح[3] ، ثم يقبل سماعي ، وما توفيقي الا بالله وسيدي المنعم ... وبعد ذلك يقبل الأرض بين يدي سيده ، ويقبل رأس الامام ويده والأرض بين يديه ، ويفعل سيده كذلك ، ثم يقف السيد ويقف التلميذ ، الى أن يأمر الامام السيد بالجلوس فيجلس ، ثم يأمر الامام الولد أن يتقدم الى سيده ويقبل يده ورأسه والأرض بين يديه ، ويتأخر ويتوقف في ذيل المجلس الى أن يأمر الامام النقيب أن يناوله قدحا يشربه سر الامام ، ثم يقبل الولد الأرض بين يدي الامام بعد أن يشرب سره ويعود الى ذيل المجلس ، فيناوله النقيب قدحا أخر فيشربه سار سيده ويقبل رأسه ويديه والأرض بين رجليه ويرجع الى حيث كان ، ويناوله النقيب قدحا ثالث يشربه سار الجماعة ويقبل أيديهم والأرض تطوعا بين أرجلهم ، فاذا فعل ذلك ينهض كل واحد من الجماعة ويشرب سر القبول ويقبلوا يد الامام ويعود التلميذ الى مكانه الى أن ينتهي الجميع .... »[4] .

١ ــ سورة الأنفال آية ٤١ .

٢ ــ سورة النساء آية ٥٨ .

٣ ــ وهي سورة من السور التي يقرأها النصيرية في صلواتهم وقداساتهم ، وهي لا تمت للقرآن بصله الا بآية (اذا جاء نصر الله والفتح) .

٤ ــ مخطوط رقم ١٤٥٠ عربي عن الامام وما يجب عليه ورقة ١٥٨ ب ــ ١٦٧ ب .

ولكن طريقة الدخول هذه ــ والمأخوذة عن مخطوطة نصيرية ــ نجدها في صورة أخرى يرويها لنا أحد النصيريين المارقين والمعاصرين لنا (سليمان الأذني) ، والذي دفع حياته ثمنا لاذاعته الأسرار ، ومع أن فيما يرويه الأذني بعض الاختلافات البسيطة ، عما جاء بالمخطوطة ، الا أنه في الامكان أن نأخذ الخطوط العريضة التي يسير عليها النصيريون من كلتا الطريقتين . أما السبب في تكرار ما جاء به الأذني من جديد ، فحتى يكون لدى القارىء انطباع واضح أن النصيرية لا تزال الى الأن على الطريق القديم نفسه وأنه لم يحدث بها أي جديد ، وكذلك حتى نلم بأسرار الجلسة الثالثة والهامة ، التي يخضع فيها الشاب لأساليب نفسية رهيبة ، وفيما يلي ما يقوله الأذني :

« .... ولما بلغت السنة الثامنة عشرة من العمر ، أخذ بنو طائفتي يطلعونني على أسرارهم الباطنة التي لا يكشفونها الا لمن بلغ السن أو سن التشريف . وفي ذات يوم ، اجتمع جمهور من الخاصة والعامة ، واستدعوني اليهم ، وناولوني قدح خمر ، ثم وقف النقيب بجانبي وقال لي : قل : بسر احسانك يا عمي وسيدي وتاج رأسي ، أنا لك تلميذ ، وحذاؤك على رأسي » . ولما شربت الكأس التفت الى الامام قائلا : هل ترضى أن ترفع أحذية هؤلاء الحاضرين على رأسك اكراما لسيدك ؟ فقلت : كلا بل حذاء سيدي فقط . فضحك الحاضرون لعدم قبولي القانون ، ثم أمروا الخادم ، فأتى بحذاء السيد المذكور ، فكشفوا رأسي ووضعوه عليه ، وجعلوا على الحذاء خرقة بيضاء ثم أخذ النقيب يصلي عليّ لكي أقبل السر ، ولما فرغ من الصلاة رفعوا الحذاء عن رأسي ، وأوصوني بالكتمان وانصرفوا .

فهذه الجمعية يسمونها **المشورة** .

ثم بعد أربعين يوما ، اجتمع جمهور آخر ، واستدعوني اليهم ووقف السيد بجانبي وبيده كأس خمر فسقاني الكأس ، وأمرني بأن أقول : سر (ع.م.س) أما العين فهي علي ــ ويسمونه المعنى ــ وأما الميم فهي محمد ــ ويسمونه الاسم والحجاب ــ وأما السين فهي سلمان الفارسي ــ ويسمونه الباب ــ . ثم بعد ذلك قال لي الامام : انه فرض عليك أن تتلو هذه اللفظة ، وهي : سر ع م س كل يوم خمسمائة مـــرة . ثم أوصوني بالكتمان وانصرفوا .

وهذه الجمعية الثانية يسمونها جمعية **المليك** .

ثم بعد سبعة أشهر (والمدة للعامة تسعة أشهر) اجتمع جمهور أخر أيضا ، واستدعوني حسب عادتهم ، وأوقفوني بعيدا عنهم ، ونهض وكيل من بين الجماعة ، والنقيب عن يمينه ، والنجيب عن شماله ، وبيد كل منهم كأس خمر ، واستقبلوا نحو الامام ، مترنمين الترنيمة الثالثة[1] ، التي هي للحسين بن حمدان الخصيبي ، وسيأتي ذكرها بعد انتهاء صلوات أعيادهم ، وبعد ذلك توجهوا نحو المرشد الثاني مترنمين هذه الترنيمة :

سألــت عــن المكارم أين حلوا   وبعـض النـاس دلوني عليكـا
بحـق محمـد مـع آل بيتـه   ارحـم من أتـى يقبـل يديكا
قصدتـك لا تخيـب فيـك ظني   نحـن اليـوم محسوبين عليكـا[2]

ثم وضعوا أياديهم على رأسه وجلسوا ، وأما هو فنهض قائما ، وأخذ القدح من الوكيل وخرّ ساجدا ، وقرأ سورة السجود ــ وهي الفصل السادس ــ ورفع رأسه ، وقرأ سورة العين ــ وهي الفصل التاسع ــ ثم شرب الكأس ، وقرأ سورة السلام ــ وهي الفصل السابع ــ ثم قام متوجها نحو الامام قائلا : نعم نعم نعم يا سيدي الامام ، فقال له الامام : ينعم عليك وعلى من حواليك ، لقد عملت ما لم تعمله هذه الجماعة ، لأنك أخذت القدح بيدك ، وشربت وسجدت وسلمت ، ولله السجود ، فما هي حاجتك ؟ وماذا تريد ؟ فقال : « أريد أن أتمسى بوجه مولاي ثم أنصرف » . ونظر نحو السماء ورجع اليهم وقال : نعم نعم نعم يا سيدي . فأجابه الامام كالأول : ما حاجتك ؟ وماذا تريد ؟. فقال : « لي حاجة أريد قضاءها » . فقال : اذهب اقضيها . ثم انصرف عنهم ، ودنا مني لكي أقبل يديه ورجليه ، فقبلتهما ، ورجع اليهم أيضا وقال : نعم نعم نعم يا سيدي الامام . فقال له الامام : ما مرادك ؟ وماذا تريد ؟ فأجابه : انه تراءى لي شخص بالطريق ، فقال : ألم تسمع ما قال سيدنا المنتجب الدين العاني : الليل يجزع من كل صنديد . فأجاب : لي قلب قوي ولا خوف علي . ثم نظر اليّ أيضا ، والتفت اليهم وقال : هذا الشخص اسمه فلان ، وهو قد أتى ليتأدب أمامكم . فقال : من دله علينا ؟

---

١ ــ وهو قداس الأذان ، أورده المؤلف في صفحة ٤٠ من كتابه هذا .

٢ ــ يبدو أن هذا الشعر موضوع للغناء ، فوزنه غير سليم لا يمكن تداركه الا بالتلاعب بالأصوات كما يتم في الغناء الفردي والجماعي .

فأجاب : المعنى القديم ، والاسم العظيم ، والباب الكريم ، وهي لفظة ع.م.س. فقال الامام : ايت به لنراه . فأخذ المرشد بيدي وذهب بي الى الامام ، فلما دنوت منه ، مدّ لي رجليه فقبلتهما ويديه أيضا ، وقال لي : ما حاجتك ؟ وماذا تريد أيها الغلام ؟ ثم نهض النقيب ، ووقف بجانبي ، وعلمني أن أقول : « بسر الذي أنتم فيه يا معاشر المؤمنين » . ثم نظر اليّ بعبوسة وقال : ما الذي حملك على أن تطلب منا السر المكلل باللؤلؤ والدر ، ولم يحمله إلا كل ملاك مقرب ، أو نبي مرسل ؟ اعلم يا ولدي أن الملائكة كثيرون ، ولا يحمل هذا السر الا المقربون ، والأنبياء كثيرون ، وليس منهم من يحمل هذا السر الا الممتحنون ، أتقبل قطع الرأس واليدين والرجلين ولا تبيح بهذا السر العظيم ؟ فقلت له : نعم . فقال لي : أريد منك مائة كفيل . فقال الحاضرون : القانون يا سيدنا الامام . فقال : اكراما لكم ليكن اثنا عشر كفيلا . ثم قام المرشد الثاني ، وقبل أيدي الاثنى عشر كفيلا ، وأنا أيضا قبلت أيديهم ، ثم نهض الكفلاء وقالوا : نعم نعم نعم يا سيدي الامام ، فقال الامام : ما حاجتكم أيها الشرفاء ؟ قالوا أتينا لنكفل فلانا ، فقال : اذا باح بهذا السر أتأتوني به نقطعه تقطيعا ونشرب من دمه ؟ فقالوا نعم . فأجاب وقال : لست أكتفي بكفالتكم فقط ، بل أريد اثنين معتبرين يكفلانكم . فجرى واحد من الكفلاء ، وأنا وراءه ، وقبل أيدي الكفيلين المطلوبين ، وقبلتهما أنا أيضا . ثم نهضا قائمين وأيديهما موضوعة على صدريهما ، فالتفت اليهما الامام وقال : الله يمسيكما بالخير أيها الكفيلان المعتبران الطاهران أهل البرش والكرش . فماذا تريدان ؟ فأجابا : اننا قد أتينا لنكفل الاثنى عشر كفيلا وهذا الشخص أيضا . قال : فاذا هرب قبل أن يكمل حفظ الصلوات ، أو باح بهذا السر ، هل تأتياني به لتعدم حياته ؟ فقال : نعم . قال الامام : ان الكفلاء يفنون وكفلاء الكفلاء يفنون ، وأنا أريد منه شيئا لا يفنى . فقالا له : افعل ما شئت . فالتفت إلي وقال : أدن مني يا غلام ، فدنوت منه ، وحينئذ استحلفني بجميع الأجرام السماوية بأني لا أبيح بهذا السر ، ثم ناولني كتاب المجموع في يدي اليمنى ، وعلمني النقيب الواقف بجانبي أن أقول : تفضل حلفني يا سيدي الامام على هذا السر العظيم ، وأنت بريء من خطيئتي . فأخذ الكتاب مني وقال : يا ولدي أحلفك ليس لأجل مال ولا جوار ، بل لأجل سر الله

فقط ، كما حلفنا مشايخنا وساداتنا . وهكذا تكرر العمل والقول ثلاث مرات . ثم وضعت يدي على المجموع ثلاث مرات حالفا به له أن لا أبيح بهذا السر ما دمت حيا . وأما العامة فيستحلفونهم أكثر من ذلك ، ولا سيما نصيرية منطقة اللاذقية ، ثم قال الامام : اعلم يا ولدي أن الأرض لا تقبلك فيها مدفونا ان أبحت بهذا السر ، ولا تعود تدخل القمصان البشرية ، بل حين وفاتك تدخل قمصان المسوخية وليس لك منها نجاة أبدا . ثم أجلسوني بينهم ، وكشفوا رأسي ووضعوا عليه غطاء ، ثم ان الكفلاء وضعوا أيديهم على رأسي ، وأخذوا يصلون ، فقرأوا أولا سورة الفتح والسجود والعين ، ثم شربوا خمرا ، وقرأوا سورة السلام ، ورفعوا أيديهم عن رأسي ، وأخذني عم الدخول وسلمني الى مرشدي الأول ، ثم أخذ بيده كأس خمر وسقاني وعلمني أن أقول : باسم الله وبالله وسر السيد أبي عبدالله ، العارف بمعرفة الله ، سر تذكار الصالح سره وأسعده الله .

ثم انصرفت الجماعة ، وأخذني السيد الى بيته ، واسمه أحمد أفندي بن رضوان آغا ، من أعيان مدينة أدنة ، والمرشد الثاني اسمه الشيخ صالح الجبلي شيخ الرمالين ، ثم ابتدأ السيد يعلمني أولا التبري وهو سورة الشتائم ... وحينئذ أطلعني على صلاتهم المشهورة وفيها عبادة علي ابن أبي طالب ، وهي ستة عشر سورة »[1] .

ليستميحنا القارىء الكريم عذرا في ذكر هذه الأوهام والخرافات والأساطير ، ولكن ذكر هذه الصفحات من عملية التلقين جاءت ليلاحظ القارىء أن فرض الأفكار الخرافية والملتوية يتم وسط مؤثرات وأجواء تساعد على ذلك ، « فالشاب يقف في هذا الحشد وحيدا ليس لديه أية معلومات مسبقة عن العقيدة ، يملؤه شعور بالهيبة من هذا الحشد »[2] لذا يعطى كأس الخمر مرارا لتخدير أعصابه ليلقن أثناء ذلك تلك « الطلاسم والمعلومات الدينية التي تؤخذ رغما عن المنطق والعقل »[3] ، ويحدث خلال ذلك الجو التحدي الكبير لكبرياء الشاب وهو وضع أحذية

---

١ ــ من كتاب الباكورة السليمانية ص ١ ــ ٧ / سليمان الأذني (نقلا عن كتاب الجذور التاريخية للنصرية العلوية / الحسيني عبدالله ص ٥٣ ــ ٦١) .

٢ ــ الجذور التاريخية للعلوية النصيرية / الحسيني عبدالله ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ .

٣ ــ الجذور التاريخية للعلوية النصيرية / الحسيني عبدالله ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ .

الحاضرين على رأسه وتقبيل أرجلهم بعد ذلك ، ليبتعد عن كل معاني الكرامة ، وليصبح عبدا مطيعا لهم ، لا يحكم عقله ومنطقه في أي أمر من الأمور .

ولعل هذا لا ينسينا أبداً دور المرأة (الابليسية — كما يزعمون) والتي تقدم كضيافة لهذا الشاب للدخول في الفردوس الموهوم الذي يصورونه له ، فيكون دورها مكملا لاذلال كرامة الشاب وعنفوانه .

والحقيقة وكما يقول الأستاذ الحسيني عبدالله : « ان العقيدة التي لا تبلغ نفوس أتباعها الا وسط مؤثرات تعطل الارادة الحرة ، وتعطل المحاكمة العقلية ، وتنذر وتتوعد بالويل والثبور لمن يبوح بها ... ان هذه العقيدة بعيدة كل البعد عن فطرة الانسان ، وبعيدة كل البعد عن عقله ، وهي عقيدة عنصرية تختص بفئة معينة من دون الناس ، وهي بلا شك غريبة عن الاسلام الذي جعله الله للناس كافة »[1] .

---

١ — المصدر السابق ص ٦٥ .

٧ ـــ تسترهم على عقائدهم :

يمكننا القول بعد تتبع مراسيم وطقوس الدخول في العقيدة النصيرية ، أنهم طائفة سرية كتومة ، لا تجيز البوح بأسرار ديانتها ومعتقداتها ، لأن الحقيقة الالهية وأسرارها لا توضع وتبذل بين أيدي العامة الذين يجهلون هذه الحقيقة وأسرارها .

حتى ظهور (الاله) في الظهورات البشرية المختلفة لم يكن معروفا لكل الناس ، لأنه سر الأسرار ، فلم يعرف هذه الحقيقة وهذه الظهورات الا الذين اصطفاهم الله لمعرفته ، « لأن المعنى ـــ أي الله ـــ أسر ذاته عن العالم المنكوس ، وأوجب أن يعبد سرا ، ويعرف سرا في كيفيته وظهوره بالبشرية »[١] . فهناك صعب ومستصعب ، « فالصعب هو الاقرار بالصورة المرئية ، والمستصعب الاذعان لها بالعبودية ، وكلا الأمرين سر مستتر ، فمن عرفه وأذاعه على الجهال هتك سر الله »[٢] .

فالتستر هي صفة أهل الباطن ، أي أهل النور والقدرة ، أما أهل الظاهر فهم أهل الظلام والظلمة[٣] .

لذا فان التستر والكتمان أصل هام من أصول عقيدتهم ، ولا يدل على ذلك الا طريقة تحليفهم الشاب عند الدخول في دينه ، حيث يكون التكتم أول الشروط التي تشترط على الشاب ، ليأتي بعد ذلك التهديد الشديد والوعيد المخيف لمن باح بالسر ، فالأرض لن تقبل جثته ، وصورته سوف تمسخ الى صورة حيوان ، وهناك أيضا رجال شهدوا وأقسموا بأن يحضروه ليقطع ان هو فعل ذلك ، وهذا يبين لنا مدى السرية عند هذه الطائفة ، وكذلك سر تكتم النصيريين .

١ ـــ كتاب الصراط / للجعفي ـــ مخطوط ورقة ١٥٩ ب .
٢ ـــ كتاب الأصيفر / للحراني ـــ مخطوط ورقة ٧ أ .
٣ ـــ المصدر السابق ورقة ١٧٩ أ .

ولهذا فانهم يعتبرون الكتمان من الميثاق الذي أخذه الله على النبيين ، ويروى المفضل الجعفي عن جعفر الصادق ، أن قوله تعالى : « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا »[1] ، فالله تعالى — عما يزعمون — قد أدخل الكتمان في الميثاق الذي أخذه على الأنبياء والأوصياء ، وقال لهم : استروا ذلك واكتموه ، لما علم ما في قلوب الأعداء »[2] .

حتى ان اليهود والنصارى — كما يزعمون — لما أقروا بالمعنوية — أي الألوهية — لعلي ، قالوا : يا مولانا نقيم على أدياننا ، فقال : اعبدوا الله في خوالص ضمائركم لأنكم في خفية واستتار ، أخفى الله فيها نفسه وستر علمه[3] .

وهذا السر — في نظرهم — لا تستطيع الجبال حمله لعظمته وشرفه ، فهو الترياق الشافي لمن حفظه — أي حفظ وصان السر — ودان به واتقاه ، والسم القاتل لمن كشفه الى غير أهله وفشاه ، لأنه سر احتجاب علي في النور أي الشمس[4] .

والذي يفشي السر الى الجهلة ، أودع المعرفة عند غير أهلها ، فكأنه علق الدر في أرقاب الخنازير[5] .

والمنتجب العاني يعرض هذه السرية في بعض أبياته فيقول :

« وسر يقلقل صم الجبا ... ل ويفجر من صخرها أعينا
عجائبه كثرة لا تعد ... فطوبى لطرف اليها رنا
وفيه جواهر للمبصرين ... بألباب أهل الوفا تجتبى
وفي طي أسرار أهل الحفا ... ظ تصان ومن عندهم تقتنى

---

١ — سورة الأحزاب آية ٧ .

٢ — كتاب الهفت والأظلة / للجعفي ص ٤٦ .

٣ — كتاب الأصيفر / للحراني ورقة ١٢٦ ب — مخطوط — وهذه الحادثة ليس لها أصل تاريخي .

٤ — كتاب تعليم الديانة النصيرية / مخطوط ورقة ١٧ أ / ومخطوط ١٤٥٠ عربي ورقة ٣٢ أ .

٥ — مخطوط رقم ١٤٥٠ عربي ورقة ٣٤ أ .

وفي قعره درر لا وصو ل اليهن الا بطول العنا
ونمسك من بعد هذا المقال حذارا ونقطعــه من هنـا
لكي لا تلوح معاني الكلام فيظهر ضد على سرنا »[1]

والنصيرية المعاصرون ، وبعد أن ظهرت بعض هذه العقائد السرية تحاول أن تبرر السرية هذه بقولها : « ان علوم أهل البيت كانت غير معلومة عن عوام المسلمين ، وأن بعض الأحكام لم يعلمها الا الخواص »[2] .

أما عن تلك العقائد الوثنية والغريبة عن الاسلام ، والتي ظهرت من بعد تسترهم ، فانهم يتبجحون بأن سببها هو : جور الحكام الظالمين في عصور التاريخ الاسلامي ضد النصيريين ، مما جعلهم يلجأون الى جبالهم ، ويتكتمون على شعائرهم ، ويتساهلون في ترك الفرائض الاسلامية حفاظا لكيانهم الطائفي[3] .

وللأسف فان تفاهة وسخافة هذه التبريرات ، جعلت بعضهم يلجأون الى أساليب أخرى هو النفي الكامل لكل ما كشف عن النصيرية ، مما يعني أن الكتمان لا يزال طريقا مهما من طرق الخداع عن حقيقتهم ، فهذا هاشم عثمان (الكاتب النصيري المعاصر) يهاجم وبشدة كل من كتبوا عن النصيرية في الماضي والحاضر ، ابتداء من الشهر ستاني ومرورا بابن تيمية وانتهاء بالدكتور مصطفى الشكعة والدكتور عبد الرحمن بدوي ، ومع أن الدكتور الشكعة يحاول في كتابه أن يقرب بين هذه المذاهب ، بل ويعتبرها اسلامية ، الا أنه في نظر هاشم عثمان ، لم يكن منصفا ، ولم يعتمد على الأسانيد العلمية الصحيحة ، لذا فلا قيمة لكلامه[4] .

أما الدكتور عبد الرحمن بدوي ، فلا يجد ما يرد عليه ، الا أنه ــ أي الدكتور بدوي ــ نقل عن القلقشندي في كتابه صبح الأعشى بعض العبارات والفقرات[5] ،

---

١ ــ فن المنتجب العاني وعرفانه / ص ٥١ ، ٥٢ .
٢ ــ تاريخ العلويين / محمد أمين غالب الطويل ص ٢٤٩ .
٣ ــ مجلة النهضة الصادرة في اللاذقية ــ مقال لعبد الرحمن الخير عدد ٣ كانون ثاني ١٩٣٧ م ــ نقلا عن كتاب (العلويون بين الأسطورة والحقيقة) ص ١٧٣ ، ١٧٤ .
٤ ــ العلويون بين الأسطورة والحقيقة / هاشم عثمان ص ١١٦ .
٥ ــ المصدر السابق ص ١٠٢ ، ١٠٤ .

ولكن هاشم عثمان مع الأسف يتجاهل ، بل لم يحاول أن يشير من قريب أو بعيد للمخطوطات الدامغة التي اعتمد عليها الدكتور بدوي . فكان دور هاشم عثمان في هذا الأسلوب السري المخادع هو تسقط الهفوات والأخطاء أو يتوهم ذلك ، أما الحقائق فكان يبتعد عنها ويدفن رأسه بالرمال كالنعامة .

حتى ابن تيمية رحمه الله لم ينج من هذه الأباطيل والاتهامات ، فهو في نظره رجل متهم ، لا يعتد بأقواله لعدم الثقة به[1] .

ومن الطبيعي أن نضع هذا النفي ، وهذه الاتهامات الموجهة من هاشم عثمان في دائرة التكتم والسرية والمخادعة الموجودة عند هذه الطائفة لأن النصيري مطالب دوما بالتستر والكتمان ولو قطع اربا ، وواجب عليه أيضا أن يشهد دوما لصالح اخوته المؤمنين ولو كان بالزور والبهتان ، لأنه بذلك يتستر ويتكتم عليهم من أعدائهم[2] ، وهذا ما فعله هاشم عثمان في كتابه .

وفي هذا المجال أيضا ، ينبغي أن نذكر قصة سليمان الأذني ، صاحب كتاب (الباكورة السليمانية) ، والذي ولد في عائلة نصيرية ، وتلقى الطقوس والتعاليم النصيرية في الثامنة عشرة من عمره ، ولكنه لم يقتنع بها ، حتى اتصل به أحد المبشرين النصارى ، فترك عقيدته واعتنق النصرانية ، وهرب الى بيروت حيث أصدر هناك كتابه (الباكورة السليمانية) الذي كشف فيه أسرار المذهب النصيري ، فنقمت عليه طائفته لكشفه الأسرار ، فجعلوا يتوددون اليه حتى عاد الى اللاذقية فقتلوه خنقا ، وأحرقوا جثته في أحد ساحات اللاذقية .

والحقيقة أن هذا يبين لنا سر تكتم النصيريين البالغ ، لأن النصيري حسب ما يلقن : « محاط بالعقوبة في الدنيا والأخرة ان حرك شفتيه لغريب »[3] عن أسرار الدين .

---

١ ــ المصدر السابق ص ٨٤ .

٢ ــ كتاب الهفت والأظلة / للجعفي ص ٤٧ ، ٤٨ .

٣ ــ الجذور التاريخية للنصيرية العلوية / الحسيني عبدالله ص ٦٥ .

ومع أن التقية والتستر من المبادىء التي تسير عليها الشيعة على اختلاف فرقها الغالية والمعتدلة ، الا أن الشيعة الاثنى عشرية يزعمون : « أنه ليس معنى التقية عندهم أن تصبح جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب ، كما أنه ليس معناها أن تجعل الدين وأحكامه سرا من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به »[1] . الا أن النصيرية تخالف هذا التفسير الشيعي الظاهري كليا ، وتجعل عقيدتها سر من الأسرار ، وهذا في الحقيقة نابع من المزيج الذي أخذت عنه النصيرية ، فالسرية والكتمان أخذت عن الفلسفة اليونانية ، وبالأخص عن الأفلاطونية الحديثة التي جعلت الوصول الى كنه الأسرار الربانية هدفا رئيسيا من أهدافها ، لا يجوز أن يبذل للجاهلين والمقصرين ، بل يجب أن يصان عنهم ، ولا يعطى الا لأصحاب الفطنة والدراية ، وقد تأثر بهذه الفلسفة كثير من النصارى واليهود ، وبالتالي أخذت عنهم هذه الفرق ومنها النصيرية .

وكل عاقل يعلم أن العقيدة التي تحترم نفسها ، ولا تخاف من صحة عقائدها ومبادئها هي التي تظهره وتذيعه بين الناس ، ولا تتذرع بأسباب الكتمان الواهية التي تنطلق من خوف هذه الفرق من مبادئها الخرافية والأسطورية المنافية للعقل الانساني . والاسلام على كل الأحوال هو دين الوضوح ، فلا رموز فيه ولا ألغاز ، كالمحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا ضال ابتعد عن طريق الهدى والصلاح .

---

١ ــ عقائد الامامية / محمد رضا المظفر ص ٨٤ ، ٨٥ .

٨ ـــ نظرتهم للفرائض والعبادات الاسلامية :

النصيرية شأنها شأن الفرق الباطنية الأخرى ، ترى أن الفرائض والعبادات ما هي الا أغلال وقيود وضعت على الجهلة المقصرين وهم (أهل الظاهر) ، لعدم اعتقادهم بأسرار الحقيقة الالهية وظهوراتها ، لذلك فقد وضع الله عليهم هذه الفرائض والعبادات كقيود وأغلال لتقصيرهم في ذلك .

والحقيقة الالهية ـــ كما علمنا ـــ عند النصيرية هو عبادة علي بن أبي طالب ، فالذي عرف سر وباطن هذه الحقيقة وآمن بها فقد سقط عنه عمل الظاهر وأصبح حرا وسقطت عنه العبودية والرق التي كان مقيدا بها وهو تائه عن هذه الحقيقة . ويقولون : ان قول الله تعالى « وأن الى ربك المنتهى »[١] أن الرجل اذا عرف ربه ، فقد انتهى للمطلوب ، ورفعت عنه الأغلال والقيود[٢] .

فالصيام مثلا في اليوم الطويل والحار هو ـــ كما يزعمون ـــ من الأغلال والآصار التي وضعت على أهل الظاهر نتيجة لتقصيرهم[٣] . لهذا فهم لا يمتنعون عن الطعام والشراب في رمضان[٤] . ويعتبرون جميع الفرائض والعبادات الاسلامية بالنسبة اليهم هي ذكر أسماء أشخاص معينين ، وليست كما يعملها أهل الظاهر .

وأشخاص الفرائض الاسلامية بالنسبة اليهم مرتبة من جملة مراتبهم الدينية ، وهي مرتبة النقباء ، التي يندرج تحتها سبع درجات وهي : الصلاة والزكاة والحج والصيام والهجرة والجهاد والدعاء[٥] .

---

١ ـــ سورة النجم آية ٤٢ .
٢ ـــ كتاب الهفت والاظلة / الجعفي ص ٥٣ ، ٥٤ .
٣ ـــ كتاب الصراط / الجعفي ـــ مخطوط ورقة ١٨٠ ب .
٤ ـــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة طبعة دار القلم / القاهرة ص ٢٣١ .
٥ ـــ كتاب تعليم الديانة النصيرية ـــ مخطوط ورقة ١٣ ب .

فالصلاة عندهم بالجملة هي (السيد محمد) ﷺ ، وأما بالتفصيل فلها واحد وخمسون ركعة لواحد وخمسين شخصا ، فالوقت الأول ـــ كما يزعمون ـــ صلاة الظهر ، ثمانية ركعات[١] وهم : القاسم والطاهر وعبدالله وزينب ورقية وأم كلثوم (واسمها آمنة) وفاطمة الزهراء ، وهؤلاء بزعمهم أولاد رسول الله ﷺ من خديجة بنت خويلد[٢] .

وفي كتاب المجموع المقدس عندهم ، هناك سورة اسمها (البيت المعمور[٣]) والمقصود بها فريضة الحج ، ويقول سليمان الأذني عن هذه السورة في كتابه الباكورة السليمانية ما يلي : « اعلم أن هذه السورة قد رتبها سلفاؤهم باقامة الحج ، وهو أن البيت المأمور في القرآن زيارته (الكعبة ، وأركان البيت ، وسقفه وحيطانه) ، هو كناية عن معرفة أولئك الأشخاص ، كقول الشيخ ابراهيم الطوسي في عينيته :

أيا قلب بيت الله وهو حجابه ... وأما الصفي المقداد للضد قامع

ومروة مذكور أبا الدر شخصها ... شعايره مسلسل الى الذات خاضع

وعتباته الحاءات يا قلب شخصها ... وحلقة باب البيت جعفر طالع

فالبيت هو الحجاب والسيد الميم (محمد ﷺ) والصفي هو المقداد ، والعتبتان هما الحسن والحسين ، وحلقة الباب هي معرفة جعفر الصادق ، والمروة معرفة أبي الدر (أبي ذر الغفاري) ، والمشعر الحرام معرفة سلمان الفارسي ، ومعرفة هؤلاء الأشخاص هو نهاية حجهم . وأما سعي المسلمين الى مكة فهو باطل عندهم ومذموم ، كما قال بعض شيوخهم في هذا المعنى :

وقد لعنت لمن يحرم شربها ... وجميع أهل الشام والحجاج »[٤]

---

١ ـــ مع أن صلاة الظهر أربعة ركعات فقط .

٢ ـــ كتاب تعليم الديانة النصيرية ورقة ١٩ أ .

٣ ـــ سيأتي ذكرها بعد ذلك في موضوع (نماذج من كتبهم وقد اساتهم وأعيادهم) .

٤ ـــ نقلا عن كتاب الجذور التاريخية للنصيرية العلوية / الحسيني عبدالله ص ١٧١ ، ١٧٢ .

أما الجهاد عندهم فهو نوعان : « أولهما الشتائم على أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ، وعلى جميع الطوائف المعتقدين بأن علي بن أبي طالب أو الأنبياء أكلوا وشربوا أو تزوجوا أو ولدوا من نساء . لأن النصيرية يعتقدون بأنهم نزلوا من السماء بدون أجسام ، وأن الأجسام التي كانوا فيها انما هي أشباه ، وليست هي بالحقيقة أجسام .

والنوع الثاني (من الجهاد) اخفاء مذهبهم عن غيرهم ، ولا يظهرونه ولو أصبحوا في أعظم الخطر وهو خطر الموت »(١) .

وسورة الاشارة(٢) (الموجودة في كتاب المجموع) هي سورة الجهاد عندهم ، وكما يقول الأذني فان من هذه السورة تميز أربع طوائف نصيرية : فعابدوا السماء والشفق(٣) حين تلاوتها يضعون اليد اليمنى على الصدر ، ويجعلون باطن الابهام على باطن الوسطى . وأما عابدوا القمر فيبسطون الكف ناجين الابهام ، لتكون اليد على صورة الهلال عند ابتدائه . والبعض يضعون اليدين على الصدر منبسطتين ، وأطراف الكف الواحد فوق أطراف الأخر ويرفعون الابهمين الى فوق بدون التصاقهما ببعضهما فيكون على هيئة الهلال . وعابدوا الهواء يضعون الكف الواحد على الصدر ، رافعين السبابة الى خارج ، وواضعين باطن أنملة الابهام على باطن الوسطى ، وجميعهم حين فراغهم من تلاوتها يقبلون أناملهم ثلاث مرات ويرفعونها على رؤوسهم »(٤) .

وهكذا نتبين أن جميع الفرائض والعبادات الاسلامية ، لا اعتبار لها عند هذه الطائفة بأفعالها وأعمالها الظاهرة ، وانما ذكر بعض الأشخاص يغني عن كل هذه الأعمال التي يقوم بها الجهلة المقصرين من أهل الظاهر . وهذا يفسر لنا عدم وجود

---

١ — المصدر السابق نقلا عن الباكورة السليمانية ص ١٦٤ .

٢ — سيأتي ذكرها فيما بعد .

٣ — يرجع اختلاف هذه الطوائف في عبادة الظواهر الكونية المختلفة الى اعتقادهم أن كلا من هذه الظواهر تحمل آثار علي ، وأن عليا بهيئته الربوبية قد حلّ فيها .

٤ — الجذور التاريخية للنصيرية العلوية / الحسيني عبدالله — نقلا عن الباكورة السليمانية — ص ١٦٤ .

المساجد في قراهم ومدنهم ، حيث يقيمون الصلاة في أماكن خاصة وسرية ، لأن الصلاة كما ذكرنا من قبل لا تؤدى وفق الاسلوب المعروف عند المسلمين ، ولكنها مجموعة رموز تدل على أشخاص معينين يرددها النصيري في مواقف العبادة والابتهال .

لهذا فهم لا يشترطون الطهارة في صلاتهم هذه ، فالجماع والاحتلام لا يفسدا الطهارة ، وانما الذي يفسدها موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني ، فتكون الطهارة اذن معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني[1] .

---

١ ـــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ـــ طبعة دار القلم / القاهرة ص ٢٣٠ .

٩ ـــ نماذج من كتبهم وقداساتهم وأعيادهم وأثر النصرانية في ذلك :

في البحث السابق ذكرنا أن الصلاة عند النصيرية هي ذكر بعض الأشخاص المقدسين لديهم ، في قداسات وأذكار تؤدى في مواقف معينة ، وفي هذه القداسات والأذكار يتضح لنا تأليه علي بن أبي طالب ، وكذلك تقديس الحروف الثلاثة : العين والميم والسين .

والحقيقة أن مفهوم كلمة (القداس) يدل على تأثر النصيرية بالنصرانية ، فهذه الكلمة مألوفة تماما عند النصارى ، لأنها من جملة الطقوس التي يعتقدون بها ، والنصيرية تقدم أثناء هذه القداسات كؤوس النبيذ والخمر ، وهذا أيضا يوضح مدى تطبع العقيدة النصيرية بعادات النصارى وطقوسهم .

وهذه القداسات والأذكار لها صفة مقدسة لدى النصيرية ، لأنها بمثابة الكتب المقدسة عندهم ، وقراءتها في الواقع ضرورية لأي باحث منصف حيث يتبين له بشكل واضح وكامل الهيكل العام لهذه العقيدة ، وحقيقتها من خلال كتبهم ومخطوطاتهم التي لم تستطيع النصيرية أن تنكرها ، ونبدأ بكتاب التوجيه المخطوط في المكتبة الأهلية بباريس ، وهو قسم من كتاب المشيخة[١] ، ويتكون من قداسين ، حيث يبدأ بقوله[٢] : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وجهت وجهي الى القدرة الظاهرة ، والعظمة الباهرة ، والكلمة الناشرة ، والمشيئة القاهرة ، والنفس الآمرة ، والعين الناظرة ، والآذان السامعة ، واليد المانعة ، والحجة القاطعة ، والنعمة السابغة ، وجه الحق وغاية الخلق وعرش الاستعلاء ، وقبلة أهل الولاء وصلاة الأبرار ونسك أهل الاقرار .

١ ـــ عرف به المستشرق (كتافاجو) في المجلة الاسيوية عدد شباط ١٨٤٨ ص ١٤٩ ـــ ١٦٨ ، وأورد الدكتور عبد الرحمن بدوي عناوين هذا الكتاب في كتابه مذاهب الاسلاميين جـ ٢ ص ٤٢٧ ـــ ٤٤٧ .

٢ ـــ نقلا عن مخطوط المكتبة الأهلية بباريس رقم ٦١٨٢ عربي من ورقة ٢٠ ب ـــ ٣٠ ب .

وجهت وجهي لفاطر الفطر ، ومظهر الصور ، الباطن في ظهوره ، السافر في ستوره ، مشرق شموس الجلال المنعصر في ظهوره من ذات الكمال وجهت وجهي الى الستر الجميل ، ومحل التفضيل ، ومقام التهليل ، وعين السلسبيل الأزلي الدائم الأبدي القائم القادر العالم الولي الحاكم .

وجهت وجهي الى ثاني حاته وحقيقة ذاته سر الأسرار ونور الأنوار الرفيع عن الجهات المنظور بأنواع الصفات ، وجهت وجهي الى خاتمة حمده وواسطة عقده ، غاية الغايات ومسبب الأسباب باطن البواطن سبيل الحجاب ، بديع الصفة ، فاتح الأبواب ، اله الآلهة رب الأرباب أبي الأبا تراب[1] ، ونسكي طاعة الأزل في الكره ومحياي روح الحياة ، ومماتي الاقرار بالرجعات بثبات المختصين وثبات المخلصين لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المؤمنين وهو العلي العظيم .

ثم تقرأ القداس الأول[2] ، ويتلوه توجيه الصلاة وتفصيلها : فاذا قرأت أسماء أمير المؤمنين بالتمام ، وكانت الصلاة قداس تترك الخطبة والتوجيه والخير ، وتقول الخمسة الأشباح ، وتقرأ القداس الأول والاشارات والقداس الثاني والعين (العلوة) ، هذه صلاة القداس ركعتين من جلوس .... وأما صلاة التمام فتقرأ اسماء أمير المؤمنين والخطبة والتوجيه والخير ، وتقرأ الأول وتنقف الشراب ، وتتلو قوله تعالى « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »[3] ، .... ثم تقرأ عدد من الأيات الأخرى .... ثم تأمر بالدعاء من كان على يمينك وأن يدعو بما تيسر ، ثم تتلو الآية قوله تعالى « أزفت الآزفة ، ليس لوقعتها كاذبة ، أفمن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ، وأنتم سامدون ،فاسجدوالله واعبدوا »[4] .

ثم تأمر الذي على يمينك بالدعاء والسجود ، والذي على يمينه في دعاء المراتب ، وتقبلوا أيدي بعضكم بعضا ، وتقول عند (بوس) اليد : عليك السلام يأأخي وأحسن التسليم بحق الخفر وابراهيم ، ثم تأخذ الكأس وتقرأ عليه القداس الأول

---

١ ــ اسم من أسماء علي بن أبي طالب .

٢ ــ سيأتي ذكره بعد هذه الفقرة (توجيه الصلاة) مباشرة .

٣ ــ سورة الأعراف آية ٢٠٤ .

٤ ــ سورة النجم آية ٥٧ ــ ٦٢ والأيات فيها تحريف والصحيح : أزفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة .... الخ الأيات .

وهو هذا : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله على التمام ، على نور الأنام ، على رب العزة ، على فالق الحبة ، على امام الأمة ، على باري النسمة ، على امام المحراب ، على قالع الباب[1] ، على مفرج الكربات ، على صاحب المعجزات ، على رافع السماء ، على مجري الماء ، على داحي الأرض ، على (من) بيديه القبض ، على نزهة الشيب ، على عالم ما في الغيب ، على رب الأرباب ، على مالك الأقارب ، على سر السرائر ، على موفي النذر ، على مطلع على السر ، على صاحب الدنيا ، على رب الآخرة والأولى ، على بديع الزمان ، على رفيع الشان ، على كثير من العجائب ، على رب المشارق والمغارب ، على فارس الفوارس ، على محيي العظام الدوارس ، على نور البصر ، على شق القمر[2] ، على الامام المغوار ، على الضارب ، على حيدرة[3] الكرار ، خالق الليل والنهار ، على قادر قاهر ، على أول آخر ، على باطن ظاهر ، على موجود حاضر ، على صامت ناطق ، على فاتق راتق ، على نبأ العظيم ، على الصراط المستقيم ، على حيدرة الأصلع ..... على أحد على هابيل على شيت على يوسف على يوشع على آصف ، على شمعون الصفا على أمير المؤمنين لذكره الجلال والتعظيم[4] ، ولا مثل هذا يا اخوان نعني ونقصد ونشير كما أشارت اليه الأولون ، ودلت على أقدم ذاته الموحدين من أول البدا الى هذا الحين ، نشير اليه كما أشار شيخنا وسيدنا وتاج رؤوسنا وفقيه عصرنا شيخ الأوان ، وقدوة الزمان أبي عبدالله الحسين بن حمدان ، نشير الى ما أشار اليه شيخه وسيده أبو محمد عبدالله الزاهد الجنان ، نشير الى ما أشار اليه يتيم الوقت محمد بن جندب ، نشير الى ما أشار اليه الباب ودلت عليه معنويته ، الحجاب في السبع قباب ، اشارتي واشارتهم بكل اليقين الى مولانا علي أمير المؤمنين الأنزع البطين ، الجزء الأصم الذي لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتفرق ولا ينقسم ، الذي لعظم جلاله وهيبته تخضع له الأقارب ، وهانت له أمور الصعاب ... ثم ينهضوا قيام ، ويأخذ في يده الجام (أي الامام) ويقرأ

---

١ ـــ المقصود بذلك علي بن أبي طالب عندما خلع باب حصن خيبر .
٢ ـــ كاتب هذا القداس ممن يعتقدون بحلول علي بالقمر .
٣ ـــ اسم من أسماء علي .
٤ ـــ كل الأسماء السابقة هي ظهورات (الله) قبل ظهوره (بأمير المؤمنين علي) .

النوروز(١) الى أخره ، ثم يقول الاشارة(٢) الى آخرها ، ويقرأ القداس الثاني وهو هذا : يروى الخبر عن شيخنا وسيدنا أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي(٣) صاحب الرأي المصيب رضوان الله عليه عن كل اشراق ومغيب ، قال انه كان اذا حضر بين يديه عبد النور يأخذ القدح في يمينه وينهل منه ثلاث نهلات ويترنم عليه في هذا القداس المبارك ، ويقول الحمد لله العلي وحده الذي أنجز وعده ، ونصره عبده ، وأعز جنده ، وأهلك ضده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا اله مثله ولا اله بعده ، مفزع الطالبين وغاية العارفين ، اله الأولين واله الآخرين . له الدين الخالص ، وانما تدعون من دونه الباطل ، وان الله هو العلي الكبير أمير المؤمنين الحق المبين .... اللهم ان هذا عبدك عبد النور(٤) شخص حللته وكرمته وفضلته لأوليائك العارفين بك ، حلالا طلقا ، وحرمته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك ، حرام نصا ، اللهم مولاي كما حللته لنا ارزقنا به الأمن والأمان والصحة من الأسقام ، وانف عنا به الهم والأحزان .

ثم يقرأ الامام عدد من الآيات ويقول أخيرا : تذكروا بسر العين ، الله يرزقكم بركتها ورضاها ، فاذا انتهى من ذلك تنقف الشراب وتسقي من باليمين والشمال وتقول : يا أخي اشرب من قدحي الله يجعل لك من الشفاء والعافية ، وتقول : يا أخي اسقيني من قدحك أسقاك الله شربة من كف سلسل لا ضماء بعدها يوم العطش الأكبر ..... ثم تتلو عدد من الآيات ، وتأمر الذي على اليسار في دعاء السجود ، والذي على يساره في دعاء السلام(٥) ، ثم يدعو الامام بالاثنى عشر امام ، ويقول : اللهم أقمنا على طاعتك بأحسن قيام ....

ثم تقبل الأرض وتقول : هذا لله وللامام ، ثم تأخذ الجام وتقول : سر الامام الطالب للغالب الضارب الهامات بحد القواضب علي بن أبي طالب ، وهذا سره ، ثم تنقف الشراب وتقول سر امام كل امام ، سر سيدي علي صاحب كل عصر وكل زمان ، سر حجابه السيد محمد ، سر بابه السيد سلمان ، سر الأيتام ومراتب

---

١ ــ سيأتي ذكره فيما بعد عند الحديث عن أعيادهم .

٢ ــ المقصود سورة الاشارة والتي سيأتي ذكرها في كتاب المجموع فيما بعد .

٣ ــ الخصيبي وغيره من الأسماء السابقة هم من مؤسسي طائفة النصيرية بعد ابن نصير .

٤ ــ يقصد بذلك الخمر .

٥ ــ وهي سورة السلام ، وسيأتي ذكرها هي والسجود في ذكرنا لكتاب المجموع فيما بعد .

السلام ، سر شيخنا وسيدنا أبي عبدالله الحسين ابن حمدان ، الذي أشرع لنا الأديان في سائر البلدان عليه وعلى تلاميذه من الله أفضل الصلاة والسلام ، سر الجلي وأبو سعيد ومشايخ العلم والتوحيد ، سر المؤمن في سائر البلدان ، ومن ذلك سرك أيها الشيخ الجليل والندب الفضيل والجسام الصقيل .... سرك وسر الشخص القايم .... سرك وسر يمينك وشمالك ... سركم أيها الجمع المحمدي ، وسر جامع شملكم الى هذه الديار ، الله لا يقطع لكم سر ولا أسرار في سائر الأزمنة والأعصار ، بجاه الأئمة الأطهار والسبعة عشر ... ثم تنقف الشراب وتبايع اليمين والشمال ، وتقول : شربنا سر الامام ، وشربت سرنا وشربت سرك ، الله يسر قلبك في معرفة ربك ، أدام الله مشروبك ، بلغك الله مطلوبك ، خلصك الله من كربك وكروبك ، وحاسبك الله حسابا يسيرا .... ثم تشرب سر النقباء والنجباء ، وتقول : سر سيدي النقيب ، وسر سيدي نجيب النجبا ، سر الاثنى عشر نقيب ، سر الثمانية وعشرون نجيب ، سر الأربعين قطب ، سر محمد بن سنان الزاهري ، سر عبدالله بن سبأ ، سرك يا نقيب ، وسر نقابتك ، سرك يا نجيب وسر نجابتك ، ثم تبايع اليمين والشمال ، وتقول : شربنا سر النقباء والنجباء ، وشربت سرنا ، وشربنا سرك ، سر الله ما في قلبك في معرفة ربك .... ثم تقول يا اخوان الذي معه دعاء يدعي ، والذي ليس معه يؤمن ، ومن أمن دعا وعلى الله القبول والاجابة ، وقال مولانا أمير المؤمنين : اذا فرغ أحدكم من صلاته فليرفع يده الى السماء .... » .

هذه هي طريقة صلاتهم اذن ، ذكر أسماء على رأسها علي بن أبي طالب ، يتخللها كؤوس الشراب التي تخدر كل العقول والقلوب ، لتبقى الأوهام والخرافات والأساطير هي المسيطرة على ألبابهم .

وهنالك قداسات ثلاثة ذكرت في احدى المخطوطات الموجودة في الجامعة الأمريكية ببيروت[1] ، ومحورها كما سيأتي يدور حول ألوهية علي بن أبي طالب ، والاقرار بالحجاب والباب ، وهذا نصها :

---

١ — مخطوطة في تقسيم جبل لبنان / مؤلف مجهول رقم ٣١ ، ويوجد شريطة عنه في الجامعة الأردنية رقم ٦٩٩ ، وقد ذكرها الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الاسلاميين جـ ٢ ص ٤٩٠ — ٤٩٤ ، نقلا عن القداسات التي نشرها المستشرق كتافاجو ، ولكن هناك بعض الاختلافات بين النصين .

القداس الأول : قداس البخور بيننا يدور في البيت المعمور : كان السيد محمد بن سنان الزاهرى يبخر بأقداح المؤمنين ، ويجزيها عبد النور ، وكان معه يا قوته حمراء وقيل صفراء يبخر بأقداح المؤمنين ويجزيها عبد النور ، فبخروا قداحكم أيها المؤمنين لعلكم تنالون السعادة والهنا ، والفوز والمنا ، وأشهد أن مولاي مولاك علي بن أبي طالب لا حال ولا زل ، ولا انتقل من حال ، بل هو الكريم المقيم على كل حال .

أما الثاني فهو : قداس الأذان ... وبالله المستعان ، وجهت وجهي الى محمد المحمود ، وطالب سره المقصود ، وظله الممدود اياكم يا مؤمنين ، اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم الخليل حنيفا مسلما وما أنا من المشركين[1] . دينا سلسل ، وطاعتي الى قديم الأزل . وروحي بدت من روح الأحياء ، وأقرت به كما أقرّ به سيدنا سلمان الفارسي لما بلغ أوان المؤذن في أذانه وهو يقول : لا اله الا مولاي علي المعبود ، ولا باب الا باب السيد سلمان الفارسي المقصود ، ولا حجاب الا السيد محمد المحمود ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا الى يوم الملأ والدين ، وقيل الحمد لله رب العالمين .

والثالث هو : قداس الطيب لكل أخ حبيب .... أيها المؤمنون اسمعوا وادعوا وانظروا الى مقامكم الذي أنتم به مجتمعون ، وانزعوا الغل والحقد من قلوبكم ، والحسد من صدروكم ، يكمل لكم دينكم في معرفة معينكم ، واعلموا أن الله حاضر معنا يسمع ويرى ، عليم بذات الصدور[2] العزيز الغفور ، اياكم يا مؤمنين من الضحك والقهقهة في أوقات الصلاة مع الجهال فانهاتهبط الأعمال وتغير الأحوال ، لأنها من طريق ابليس لعنه الله . الله أكبر ، الله أكبر ، قد قامت الصلاة لأربابها وثبتت الحجة على أصحابها ، قيّمها يا ربي وديّنها ، واجعل السيد محمد أختامها ، والسيد سلمان زكاتها ، والمؤمنين دليلها ، والعالمين سبيلها ، والمقداد يمينها ، وأبو الدر شمالها ، والشيخ الصويري[3] جبينها .

---

١ ـــ في هذا الموضوع خلط بين عدد من الآيات : « اتبعوا ملة ابراهيم حنيفا » ـــ آل عمران آية ٩٥ . و « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم مسلمين » ـــ الحج آية ٧٨ ـــ ، و (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) ـــ آل عمران آية ٦٧ ـــ.

٢ ـــ المقصود قوله تعالى (انه عليم بذات الصدور) ، وقد وردت في كثير من الايات منها سورة الأنفال آية ٤٣ ، وسورة هود آية ٥ ، وسورة فاطر آية ٣٨ .

٣ ـــ أحد مشايخ النصيرية بعد الخصيبي .

وفي نهاية هذه المقتطفات من كتبهم وقداساتهم ، نأتي أخيرا الى (كتاب المجموع) ، الذي يتكون من ست عشرة سورة ، تتركز فيها المعتقدات النصيرية الأساسية ، وقد نشره المستشرق رينيه دوسو ، ولهذا الكتاب صفة مقدسة عندهم ، فهم — كما ذكرنا سابقا — يقسمون عليه أول دخولهم في العقيدة ، وفيما يلي محتوياته[١] :

السورة الأولى واسمها (الأول)

قد أفلح ، من أصبح ، بولاية الأجلح[٢] ، أستفتح بأبي عبد استفتحت بأول اجابتي بحب قدس معنوية أمير النحل علي بن أبي طالب ، المكنى بحيدرة أبي تراب[٣] ، فيه استفتحت ، وفيه استنجحت ، وبذكره أفوز ، وفيه أنجو واليه ألجأ ، وفيه تباركت وفيه استعنت وفيه بدأت وفيه ختمت ، بصحة الدين واثبات اليقين .

قال السيد أبو شعيب محمد بن نصير ليحيى بن معين السامري: يا يحيى اذا نزلت بك نزلة بالحياة، ودهت بك داهية بالممات، فادع دعوة عالية خالصة مخلصة تقية نقية بيضاء علوية ، طاهرة زكية مشعشعة نورانية تخلصك من هذه القمصان البشرية اللحمية الدموية ، وتلحقك بالهياكل النورانية فقل : فيك تباركت يا دليلا بدلته ، يا ظاهرا بقدرته ، يا باطنا بحكمته ، يا مجيبا ذاته بذاته ، يا مخاطبا اسمه بصفاته ، يا هو يا كل قديم يا أزلي لم تزل يا معلل العلل ، يا مفني حركات الدول ، يا غاية الغايات ، يا منهي النهايات ، يا عالما بأسرار الخفيات ، يا حاضر يا موجود ، يا ظاهر يا مقصود ، يا باطنا بغير عمود ، يا من أنوارك منك تشرق وفيك تغرب ومنك بدت واليك تعود ، يا من جعل لكل نور ظهورا ولكل ظهورا اسما ولكل اسم مكانا ولكل مكان مقاما ولكل مقام بابا . يرشد الباب منه اليه ويدخل الباب منه اليه ، وأنت يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب الدليل عليه ، والكل أنت ، هو يا هو يا هو يا من لا يعلم من هو الا هو ، وأسألك بمسائل السين سلكون سلكا سلك سالك سلك[٤] بما سألك به السائلون وبمرشد المرشدين ، وبعلي زين الدين

---

١ — نقلا عن كتاب الجذور التاريخية للنصيرية العلوية / الحسيني عبدالله ص ١٤٧ — ١٧٤ .

٢ — من الاسماء التي تطلق على علي .

٣ — من الأسماء التي تطلق على علي .

٤ — رموز سرية لها معاني خاصة عندهم .

والعابدين ، أن تؤلف ما بين قلوبنا وقلوب اخواننا المؤمنين[1] ، على البر والتقوى والتقويم والعلم والدين ، نذكر حضرتك الطاهرة ، وقدرتك الباهرة ، ورحمتك الشاملة والفرض اللازم والحق الواجب هي أسرار وتذكار ، وجلال وافتخار ، وعز وانتصار ، وطلعتك الزاهرة ، وقبابك الفاخرة ، وقبة العلي ، وتاج الهدى ، والدين القيم ، والصراط المستقيم ، ومن عرف باطنه وظاهره فاز ونجا والذي قد عرفنا به سيدنا سلسل سلمان يتلى وقد دلنا اليه وأرشدنا اليه شيخنا وسيدنا وتاج رؤوسنا وقدوة ديننا ، وقرة أعيننا ، السيد أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي قدس العلي روحه ، لأن مقامه مقام الصفا ، ومحله الصدق والوفا ، بسم الله وبالله وسر السيد أبي عبدالله العارف معرفة الله سر تذكاره الصالح سره أسعده الله (انتهت) .

السورة الثانية واسمها (تقديسة ابن الولي)

أحسن ما يرى النائم في منامه وهو يسمع الحسن ولم ير الشخص وهو ينادي ويقول : لبيك يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب ، يا رغبة كل راغب ، يا قديم باللاهوت ، يا معدن الملكوت ، أنت الهنا باطنا ، وامامنا ظاهرا ، يا من ظهرت فيما أبطنت ، وأبطنت فيما ظهرت ، وظهرت بالاستتار ، واستترت بالظهور ، وظهرت بالذاتية ، وتعاليت بالعلوية ، واحتجبت بالمحمدية ، ودعوت من نفسك الى نفسك بنفسك ، أنت يا أمير النحل يا علي أشرق نورك ، وأبزغ[2] سفورك ، وسطع ضياؤك ، وتعظمت آلاؤك ، وجل ثناؤك ، بأن تأمنني من شر مسوخياتك[3] لنا ولجميع اخواننا المؤمنين من شر الفسخ والنسخ والمسخ والوسخ والرسخ والقش والقشاش انك على ذلك قدير . سر الولي ابن الولي أبي الحسين محمد بن علي الجلي[4] علينا من ذكره السلام سره الله (انتهت) .

---

١ ـــ أي المؤمنين بالنصيرية .

٢ ـــ الأصح (بزغ) .

٣ ـــ من اشكال العقاب الذي يقع على الكفار بعد موته فتنتقل روحه الى جسد حيوان أو نبات أو جماد ، أنظر مبحث تناسخ الأرواح عند النصيرية في هذا البحث .

٤ ـــ أحد مشايخ النصيرية المتقدمين .

السورة الثالثة واسمها (تقديسة أبي سعيد)

أسألك يا مالك الملك يا أمير النحل يا علي يا وهاب ، يا أزلي يا تواب ، يا داحي الباب[١] ، أسألك بالخمسة المصطفية[٢] ، والستة التجلية[٣] ، وبالسبعة الكواكب الدرية[٤] ، وبالثمانية حمالة العرش القوية[٥] ، وبالتسعة المحمدية[٦] ، وبالعشرة الدجاجات الذكية[٧] ، وبالأحد عشر مطالع البابية[٨] ، وبالاثنى عشر سطر الامامية[٩] ، بحقهم عندك يا غاية الكلية ، يا أمير النحل يا صاحب الدولة العالية ، يا من أنت الأحد واسمك الواحد وبابك الوحدانية ، يا من ظهرت في السبع القباب الذاتية ، بأن تجعل قلوبنا وجوارحنا ثابتة على معرفتك الزكية ، وخلصنا من هذه الهياكل الناسوتية ، ولبسنا القمصان النورانية ، بين الكواكب السماوية ، نذكر حضرة شيخنا وسيدنا الأجل الأكبر الشاب التقي أبي سعيد الميمون بن قاسم الطبراني العارف معرفة الله المكثف عما حرم الذي أخذ حقه بيده من قفا أبي دهيبة ، وعلى أبي دهيبة لعنة الله ، وعلى أبي سعيد السلام ورحمة الله سر أبي سعيد الشاب التقي الحر الميمون بن قاسم الطبراني[١٠] سره أسعده الله .

السورة الرابعة واسمها (النسبة)

أحسن توفيقي بالله وطريقي لله ، وأحسن سمعي وأسماعي من شيخي وسيدي ومرشدي المنعم الله علي كما أنعم عليه بمعرفة ع. م. س وهي بشهادة أن لا اله الا

---

١ ــ اشارة الى علي بن أبي طالب حين خلع باب حصن خيبر .

٢ ــ وهم : محمد ﷺ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، ومحسن (سر الخفي) . ويزعم النصيرية أن الصلوات الخمس لهم .

٣ ــ وهم : سلمان الفارسي ، والمقداد بن الاسود ، وأبو ذر ، وعبدالله ابن رواحة ، وعثمان بن مظعون ، وقنبر بن كادان الدوسي .

٤ ــ وهي النجوم السبعة السيارة كزحل والمريخ والمشتري ... الخ لان النصيرية يعظمونها .

٥ ــ وهم الايتام الخمسة الذين مر ذكرهم في فقرة (٣) من الحاشية يضاف اليهم طالب وعقيل وجعفر الطيار .

٦ ــ وهم الأئمة عندهم .

٧ ــ وهم الأيتام الخمسة يضاف اليهم نوفل وأبو الحارث ومحمد بن الحنفية وابو برزة وعبدالله بن نضله ، ويمثلون مجموعة من الكواكب في عقيدتهم وهم أعظم الكواكب ويلقبون صيصان السماء .

٨ ــ وهم أبواب الأئمة ابتداء من علي الى محمد بن الحسن العسكري وقد مرّ ذكرهم .

٩ ــ وهم الأئمة المعتبرون عندهم الاثنى عشر .

١٠ ــ ميمون بن قاسم الطبراني : رئيس النصيرية بعد الجلي .

علي بن أبي طالب الأصلع الأنزع المعبود ، ولا حجاب الا السيد محمد المحمود ، ولا باب الا السيد سلمان الفارسي المقصود ، وهذا ما سمعته من شيخي وسيدي ، وغايتي ومعتمدي ، ومهديني الى طريق النجاة ، ومورد ني الى ينبوع الحياة ، ومعتق رقبتي من رق العبودية ، بمعرفة كنه الذات العلية ، السيد الفاضل والطود العظيم عمي وشيخي وسيدي وتاج رأسي ووالدي الحقيقيي أحمد ، وقد ألقى الي هذا السر العظيم في سنة كذا وكذا من شهر كذا ويوم كذا منه[١] ، وسمع أحمد من ابراهيم وسمع ابراهيم من قاسم وسمع قاسم من علي وسمع علي من أحمد وسمع أحمد من خضر وسمع خضر من سلمان وسمع سلمان من صبح وسمع صبح من يوسف وسمع يوسف من جبرائيل وسمع جبرائيل من معلى وسمع معلى من ياسين وسمع ياسين من عيسى وسمع عيسى من محمد وسمع محمد من هدا محمد وسمع هدا محمد من رضى أحمد وسمع رضى أحمد من صفندى وسمع صفندى من بلاذري أسد وسمع بلاذري أسد من حسان الرشيقي وسمع حسان الرشيقي من محمد وسمع محمد من مرهف مصر وسمع مرهف مصر من عقد جبرائيل وسمع عقد جبرائيل من عبدالله الجوغلي وسمع عبدالله الجوغلي من اسماعيل اللفاف وسمع اسماعيل اللفاف من جعفر الوراق وسمع جعفر الوراق من أحمد الطراز وسمع أحمد الطراز من أبي الحسين محمد بن علي الجلي وسمع أبو الحسين محمد بن علي الجلي من السيد أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي وسمع السيد أبو عبدالله من شيخه وسيده أبي محمد عبدالله بن محمد الجنان الجنبلان العابد الزاهد الذي هو من بلد فارس وسمع عبدالله الجنان الجنبلان من محمد بن جندب وسمع محمد بن جندب من السيد أبي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري[٢] ، الذي هو باب الحسن الآخر العسكري منه السلام واليه التسليم ومن محمد بن نصير أقام النسب والدين ، وتعالى مولانا الحسن العسكري عما يقول الضالون ونطق الظالمون علوا كبيرا سر الدين وسر اخوتنا الجليين أين ما كان منهم مكين بسرهم أسعدهم الله أجمعين وأشهد بأن الحسن الآخر العسكري هو الأول وهو الآخر وهو الباطن والظاهر وهو على كل شيء قدير .

---

١ ـــ ويذكر المتعبد بهذا الدعاء (من النصيرية) تاريخ دخوله بالعقيدة ، ويطلب منه حفظ هذا التاريخ لأنه يمثل ولادته في العقيدة .

٢ ـــ تمثل هذه السلسلة مجموعة شيوخ النصيرية الذين توالوا على رئاسة الطائفة ـــ أو الشعبة من الطائفة ـــ التي ينتمي اليها واضع هذا الدعاء .

السورة الخامسة واسمها (الفتح)

« اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا »[1] ، أشهد بأن مولاي أمير النحل علي اخترع السيد محمد من نور ذاته ، وسماه ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته ، متصل به غير منفصل عنه ولا متصل به بحقيقة الاتصال ، ولا منفصل عنه في مباعدة الانفصال ، متصل به النور ، منفصل عنه بمشاهدة الظهور . فهو منه كحس النفس من النفس ، أو كشعاع الشمس من القرص ، أو كدوي الماء من الماء ، أو كالفتق من الرتق ، أو كلمع البرق من البرق ، أو كالنظرة من الناظر ، أو كالحركة من السكوت ، فان شاء علي بن أبي طالب بالظهور أظهره ، وان شاء بالمغيب غيبه تحت تلألؤ نوره ، وأشهد بأن السيد محمد خلق السيد سلمان من نوره ، وجعله بابه وحامل كتابه ، فهو سلسل وسلسبيل ، وهو جابر وجبرائيل ، وهو الهدى واليقين وهو بالحقيقة رب العالمين ، وأشهد بأن السيد سلمان خلق الخمسة الأيتام ، الكرام ، فأولهم اليتيم الأكبر ، والكوكب الأزهر ، والمسك الأدفر ، والياقوت الأحمر ، والزمرد الأخضر ، المقداد بن أسود الكندي وأبو الذر الغفاري وعبدالله بن رواحة الأنصاري وعثمان بن مظعون النجاشي وقنبر بن كادان الدوسي هم عبيد مولانا أمير المؤمنين لذكره الجلال والتعظيم ، وهم خلقوا هذا العالم من مشرق الشمس الى مغربها وقبلتها وشمالها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ما حاطت الخضرا ، وحوت الغبرا ، من جابلقا ، الى جابرصا ، الى مراصد الأحقاف ، الى جبل قاف ، الى ما حاطت به قبة الفلك الأدوار الى مدينة السيد محمد السامرة[2] ، التي اجتمع فيها المؤمنون واتفقوا على رأي السيد أبي عبدالله ولا يشكون ، ولا يشركون ، ولا في سر علي بن أبي طالب يبيحون ، ولا يخرقون له حجابا ، ولا يدخلون اليه الا من باب . اجعل المؤمنين مؤمنين ومطمئنين ومؤيدين ، مجبورين على أعدائهم وأعدائنا منصورين ، واجعلنا بجملتهم مؤمنين ومطمئنين ، مستورين مجبورين على أعدائنا وأعدائهم منصورين ، بسر الفتح ومن فتح الفتح ومن كان الفتح على يده اليمين بسر سيدنا محمد وفاطر والحسن والحسين ومحسن سر الخفي وأشخاص الصلاة وعدة العارفين علينا من ذكرهم السلام صلاة الله عليهم أجمعين .

---

١ ــ سورة النصر آية ١ ــ ٣ .

٢ ــ وهي سامراء وكان الحسن العسكري فيها ، ولذلك لقب بالعسكري ، وهي المكان الذي ادعى به محمد بن نصير أولا أنه باب العسكري ثم ادعى ما ادعى بعد ذلك .

السورة السادسة واسمها السجود

الله أكبر الله أكبر لله السجود ، للرب العلي الأنزع[1] المعبود ، يا سيدي يا محمد يا فاطر ، يا قاهر ، يا نور المعنى العظيم ، وحجابه الكريم ، بك استعنت ، أعني بهذا الدار وبك استجرت ، أجرني عذاب النار ، يا عزيز يا جبار ، يا قادر ، يا قاهر ، يا خالق الليل والنهار ، الله نور السموات والأرض وهو العلي الكبير ، اليه نقصد ونشير ، عز وجل للباب قصدت ، وللاسم سجدت ، وللمعنى عبدت وسجدت ، وسجد وجهي القاني البالي لوجه علي الحي الدائم الباقي ، يا علي يا كبير ، يا علي يا كبير ، يا علي يا كبير ، يا أكبر من كل كبير ، يا مخترع شمس الضحى وخالق البدر المنير ، يا علي لك العزة ، يا علي لك الوحدة ، يا علي لك الملك ، يا علي لك الكبرياء ، يا علي لك الاشارة ، يا علي لك الطاعة ، يا علي لك الشفاعة ، يا علي لك الفطرة ، يا علي لك القدرة ، يا علي أنت صورة البقرة ، أمانك يا علي ، أمانك يا علي أمانك من سخطك وعذابك من بعد رضوانك ، آمنت بعجزك[2] ومعجزك وجللت يا أمير النحل عن العجز أن يقع بك ، آمنت وصدقت بباطنك وظاهرك ، وظاهرك امامي ووصيه[3] ، وباطنك معنوي لاهوت ، يا هو يا هو يا معز من أعزك وذكرك وأفردك ، يا هو يا هو يا مذل من أذلك وأنكرك وجحدك ، يا حاضر يا موجود يا غيبا لا يدرك يا أمير النحل يا علي يا عظيم .

السورة السابعة واسمها السلام

سجدت وسلمت ووجهت وجهي لفاطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ، بدء السلام من المعنى القديم ، على الاسم العظيم ، وسلم الاسم العظيم ، على الباب الكريم ، وسلم الباب الكريم ، على الخمسة الأيتام أركان الدنيا والدين ، السلام على الأبواب ، السلام على الأيتام ، السلام على النقبا ، السلام على النجباء ، السلام على المختصين ، السلام على المخلصين ، السلام على الممتحنين ، السلام على المقربين ، السلام على الكروبيين ، السلام على الروحانيين ،

١ ـــ الأنزع : صفة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .
٢ ـــ أي اعجازك .
٣ ـــ أي أئمة النصيرية ورؤساؤهم .

السلام على المقدسين ، السلام على السائحين ، السلام على المستمعين ، السلام على اللاحقين ، فهم أهل المراتب يتقدس عالم الصفاء أجمعين ، السلام على من اتبع الهدى ، واهتدى وخشي من عواقب الردا ، وأطاع الملك العلي الأعلى ، وأقر بربوبية محمد المصطفى ، السلام على المائة ألف نبي ، وأربعة وعشرين ألف نبي ، أولهم باب وآخرهم لاحق ، السلام عليكم يا عباد الله الصالحين جمع الله شملنا وشملكم في جنة النعيم بين الكواكب السمائيين[1] .

السورة الثامنة واسمها (الاشارة)

سبحان اله خضعت له الرقاب ، وذلت له الأمور الشداد والصعاب ، فقد ارتفع القصد والاشارة من السيد محمد المصطفى في يوم عيد الغدير خم للذي شرفه وفضله عند الله مقام عظيم ، أنا عبد المشيرين اليك يا أمير النحل يا علي يا عظيم بالتوحيد والتفريد والتنزيه والتجريد لك ، يا علي يا عظيم يا أزلي يا قديم يا بارىء يا حكيم أسألك بحق الدعوة التي دعاك بها السيد محمد وهو خارج من باب مكة ، وراكب المطية البيضاء ، وهو ينادي ويقول : الجهاد الجهاد ، الحراب الحراب في سبيل الله . وهذه اشارتي اليك يا نور النور ، يا فالق الصخور ، وزاجر البحور ، ومدبر الأمور ، بأن تسكن المؤمنين في جنتك العلياء التي رضوان خازنها ، ويا فوز عبد رجاها ، فاذا بالنداء من قبل من العلا من جانب الطور الأيمن من الشجرة المباركة ينادي ويقول : يا حبيبي يا محمد أي عبد دعاني بهذه الدعوة بصفو قلبه وخالص يقينه نهار الخميس النصف من نيسان ، أو عشية الجمعة ، أو ليلة النصف من شعبان ، أو في خمس ليال من شهر رمضان أو يوم القداس ، أو ليلة الميلاد ، أو يوم عيد الغدير ، الا وجعلته من أمتي ، وسكنته جنتي ، وأسقيه بكأس رحمتي واجعله مع المؤمنين . الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، رفعت اشارتي بسر العين العلوية ، بسر الميم المحمدية ، بسر السين السلسلية ، بسر ع م س أول دعائنا نشير لمعنانا ونقول بسم الله الرحمن الرحيم وآخر دعائنا نشكر من هدانا ونقول الحق الحمد لله رب العالمين .

---

١ — يتقل صاحب كتاب الجذور التاريخية عن سليمان الأذني في كتابه الباكورة السليمانية عند شرحه لسورة السلام ما يلي : من هذه السورة يقع الجدال بين الشمالية والكلازية — وهم فرقتان من فرق النصيرية — لأن الشمالية تقول : وأقر بربوبية محمد المصطفى ، والكلازية تقول بربوبية علي المرتضى ، وتقول الكلازية للشمالية : أخطأتم باعتقادكم بالربوبية تارة لمحمد وتارة لعلي ، فتجيب الشمالية ان محمدا وعليا متصلان بعضهما ببعض ليسا منفصلين ، وان الغاية الكبرى هي علي ، محمد أيضا خالق ، ولو اعتقدنا بربوبيته فلا نخطىء ، لان اعتقادنا واعتقادكم بالثالوث واحد . الجذور ص ١٦١ .

السورة التاسعة واسمها (العين العلوية)

بسر العين العلوية الذاتية الظاهرة الأنزعية ، بسر الميم المحمدية ، الهاشمية الملكوتية الحجابية القرصية النورانية ، بسر السين السلسلية الجبرائيلية السلمانية البابية البكرية النميرية النصيرية ، بسر ع م س .

السورة العاشرة واسمها (العقد)

أشهد أن الله حق وقوله حق ، وأن الحق المبين ، علي بن أبي طالب الأنزع البطين ، والنار مثوى للكافرين ، والجنة روضة للمؤمنين ، والماء من تحت العرش يطوف وفوق العرش رب العالمين ، وحمالة العرش الثمانية الكرام [١] ، الذين هم إليه مقربون ، عدتي في شدتي وعدة كافة المؤمنين ، سر عقد ع م س .

السورة الحادية عشرة واسمها (الشهادة) والعامة تسميها (الجبل)

شهد الله أنه لا إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، شهادة ع م س ، أشهد علي أيها الحجاب العظيم ، أشهد علي أيها الباب الكريم ، أشهد علي يا سيدي المقداد اليمين ، أشهد علي يا سيدي أبو الذر الشمال ، أشهد علي يا عبدالله [٢] ، أشهد علي يا عثمان [٣] ، أشهد علي يا قنبر بن كادان ، اشهد علي يا نقيب ، أشهد علي يا نجيب ، أشهد علي يا مختص ، أشهد علي يا مخلص ، أشهد علي يا ممتحن ، ويا مقرب ، ويا كروبي ، ويا روحاني ، ويا مقدس ، ويا سائح ، ويا مستمع ، ويا لاحق ، إشهدوا علي يا أهل المراتب ، ويا عالم الصفاء أجمعين ، أني أشهد بان ليس إلهاً إلا علي بن أبي طالب الأصلع المعبود ، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود ، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي المقصود ، وأكبر الملائكة الخمسة الأيتام ، ولا رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي الذي شرع الأديان ، في سائر البلدان ، أشهد بان الصورة المرئية ، التي

---

١ ـ مر شرحهم في هوامش السورة الثالثة .

٢ ـ هو عبدالله بن رواحة أحد الأيتام الخمسة عندهم .

٣ ـ هو عثمان بن مظعون أحد الأيتام الخمسة عندهم .

ظهرت في البشرية ، هي الغاية الكلية ، وهي الظاهرة بالنورانية ، وليس إله سواها وهي علي بن أبي طالب وانه لم يحط ولم يحصر ، ولم يدرك ولم يبصر ، أشهد باني نصيري الدين جندبي الرأي (١) ، جنبلاني الطريقة ، خصيبي المذهب (٢) ، جلي المقال (٣) ميموني الفقه (٤) ، وأقر في الرجعة البيضا (٥) ، والكرة الزهرا ، وفي كشف الغطا ، وجلاء العما ، واظهار ماكتم ، واعلان ما خفي ، وظهور علي بن أبي طالب من عين الشمس ، قابض على كل نفس ، الأسد من تحته ، وذو الفقار بيده ، والملائكة خلفه ، والسيد سلمان بين يديه ، والماء ينبع من بين قدميه ، والسيد محمد ينادي ويقول : هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه ، هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه ، أشهدوا علي يا أسيادي ، أن هذا ديني واعتقادي ، وعليه اعتمادي ، وبه أحيا وعليه أموت ، وعلي بن أبي طالب حي لا يموت ، بيده القدرة والجبروت ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، علينا من ذكرهم السلام .

السورة الثانية عشر واسمها (الامامية)

أشهدن علي ايها النجوم الزاهرة ، والكواكب النائرة ، والأفلاك الدائرة ، بان هذه الصورة المرئية المعاينة الظاهرة ، هي علي بن أبي طالب القديم الأحد الفرد الصمد ، الذي لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم ولا يدخل في عدد ، فهو إلهي والهكم ، والهكم والهي ، إمامي وإمامكم ، وإمامكم وإمامي إمام الأئمة ، وسراج الظلمة ، حيدرة أبو تراب الظاهر بالاصلع (٥) ، الباطن بالأنزع ، الظاهر من عين الشمس ، القابض على كل نفس ، الذي له ولعظم جلال هيبته ، ولكبرياء سني برق لاهوته ، تخضعت له الأرقاب ، وذلت له الأمور الصعاب ، سر إله في السماء وهو إمام في الأرض ، سر امام كل امام ، سر علي بن أبي طالب قديم الزمان ، سر حجابه السيد محمد وبابه السيد سلمان ، باب الهدى والايمان ، علينا من ذكرهم الرضى والسلام .

---

١ — نسبة إلى محمد بن جندب ، تلميذ ابن نصير وخليفته الأول في رئاسة النصيرية وهو استاذ الجنبلاني .
٢ — نسبة الى الحسين بن حمدان الخصيبي .
٣ — نسبة الى محمد بن علي الجلي .
٤ — نسبة إلى أبي سعيد ميمون بن سعيد الطبراني .
٥ — أي رجعة علي إلى الأرض لينصر النصيرية .
٦ — كان علي رضي الله عنه أصلع .

السورة الثالثة عشرة واسمها (المسافرة) [١]

سبح الله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم [٢] ، وسر السيد أبي عبدالله ، سر الشيخ وأولاده المختصين ، الشاربين من بحر ع . م . س . فهم واحد وخمسون ، منهم سبعة عشر عراقي ، وسبعة عشر شامي ، وسبعة عشر مخفي ، وهم واقفون على باب مدينة حران يأخذون بالحق ، ويعطون بالحق ، ومن يتدين بديانتهم ويعبد عبادتهم وفقه الله إلى معرفته ، ومن لا يتدين بديانتهم ولا يعبد عبادتهم فعليه لعنة الله ، بسر الشيخ وأولاده المختصين ، بسرهم أسعدهم الله أجمعين .

السورة الرابعة عشرة واسمها (البيت المعمور)

والطور ، وكتاب مسطور ، في رق منشور ، والبيت المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحر المسجور ، بسر طالب وعقيل وجعفر الطيار ، هم أخوة علي بن أبي طالب ، نور من نور ، وجوهر من جوهر ، وعلي بن أبي طالب منزه عن الاخوة والأخوات ، والآباء ، والأمهات ، أحدا أبدا موجود ، باطن بغير عمود ، سر البيت وسقف البيت وأرض البيت وأربع أركان البيت ، أما البيت فهو السيد محمد ، وسقف البيت أبو طالب ، وأرض البيت هم محمد وفاطر والحسن والحسين سر الزاوية الغامضة الخفية التي هي في نصف البيت هي محسن سر الخفي ، سر صاحب البيت العلوي الشريف الهاشمي ، الذي هشم القرون وكسر الأصنام ، علينا من ذكره الرضا والسلام .[٣] .

---

١ ــ ينقل مؤلف الجذور التاريخية عن سليمان الأذني في شرح هذه السورة ما يلي : ان النصيرية عندما يروون ذكر مدينة في كتبهم الباطنية فيؤولونها على السماء ، ويزعمون أن سكانها هم الكواكب . وأما الشيخ المذكور في هذه السورة فهو سيدهم الخصيبي ، والواحد والخمسون هم تلاميذه بعضهم في العراق والشام وبعضهم في الفرس والعجم . ومدينة حران كناية عن السماء ، والواحد والخمسون الواقفون على أبوابها هم الكواكب ، ومعنى أخذهم بالحق واعطائهم هو من استشفع بهم وقرب الذبائح باسمهم .
الجذور ص ١٦٩ .

٢ ــ سورة الصف آية ١ .

٣ ــ ينقل مؤلف الجذور التاريخية عن سليمان الأذني في شرح هذه السورة ما يلي : اعلم أن هذه السورة قد رتبها سلفاؤهم باقامة الحج ، وهو أن البيت المأمور في القرآن زيارته (الكعبة) وأركان البيت وسقفه وحيطانه ، هو كناية عن معرفة أولئك الأشخاص ... ومعرفة هؤلاء هو نهاية حجهم ... وأما سعي المسلمين إلى مكة فهو باطل مذموم عندهم ، وسيدهم ابن نصير ذم الحج ، وفي كتاب الشيخ محمد الكلازى (التأييد) يزعم أن المفضل سأل جعفر الصادق عن هذه البناية التي يسعى إليها المسلمون ظانين أنها بيت الله ، فأجابه الصادق : إن هذا رأس الكفر ، وهي اله الاصنام ، لانها حجارة كالاصنام ، ويسعون إليها بالقرابين من ضعف عقلهم وقلة فهمهم ، فأجيبهم عن ذلك أنهم ينهون عن هذا العمل .
الجذور ص ١٧٣ .

السورة الخامسة عشرة واسمها (الحجابية)

سر الحجاب العظيم ، سر الباب الكريم ، سر سيدي المقداد اليمين ، سر سيدي أبي الذر الشمال ، سر الملكين الكريمين الطاهرين ، هما الحسن والحسين ، سر الوليين هما نوفل بن حارثة وأبو برزة ، سر الصفى وعالم الصفى ، سر كل كوكب في السماء ، سر قدس العلى وسكانه ، علينا من ذكرهم الرضى والسلام .

السورة السادسة عشرة واسمها (النقيبة)

فنقبوا في البلاد هل من محيص ، نذكر أسامي السادة النقباء الذين اختارهم السيد محمد من السبعين رجلا في ليلة العقبة في وادى منى ، أولهم أبو الهيثم مالك بن التيهان الأشهلي ، والبراء بن معرور الأنصاري ، والمنذر بن لوذان بن كناس الساعدي ، ورافع بن مالك العجلاني ، والأسد بن الحصين الأشهلي ، وعباس بن عبادة الأنصارى ، وعبادة بن صامت النوفلي ، وعبدالله بن عمر بن حزام الأنصاري ، وسالم بن عمير الخزرجي ، وأبي بن كعب ، ورافع بن ورقة ، وبلال بن رباح السنوى سر نقيب النقبا ، ونجيب النجبا ، سيدنا محمد بن سنان الزاهري ، علينا من ذكرهم الرضى والسلام (١) .

وبعد هذه النصوص الصريحة والدامغة ، لا يسع أي قارىء أو باحث إلا أن يجزم بانحراف هؤلاء عن جادة الحق والصواب ، ودخولهم في متاهات الكفر والنفاق ، التي أدت بهم الى الوثنية وعبادة الأشخاص وغير ذلك من الاعتقادات الواهية التي جاء الاسلام لمحوها .

أما أعيادهم ، فيمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام : اسلامية ، وشيعية اثنى عشرية ، ونصرانية ، وفارسية .

وهذا يبين أن النصيرية تتكون من عناصر غير متجانسة ، وهياكل اعتقادية مختلفة ، استقت منها ومن غيرها عقائدها وتقاليدها ، فبينما نرى هذه الطائفة تحتفل بعيدي الفطر والأضحى ، نراها تذهب بعيداً بعد ذلك وتحتفل بعيدي الميلاد والبربارة النصرانيين .

---

١ ــ الجذور التاريخية للنصيرية العلوية /الحسيني عبدالله ص ١٤٧ ــ ١٧٤ .

وهم يعترفون بذلك ، وبعض كتابهم يقسمون هذه الأعياد إلى قسمين : عربي ، وفارسي ، وفي أحد مخطوطاتهم نرى مؤلفها يقسم هذه الأعياد إلى قسمين ويقول : « **أعيادنا العربية عشرة : منها يوم غدير خم** ، وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، وهو اليوم الذي أظهر السيد محمد فيه معنوية مولانا أمير النحل منه السلام للخاص والعام ، فأقر من أقر وأنكر من أنكر .

ومنها يوم الجمعة ، وهو محمد الذي إجتمع له أهل الأديان من المسلمين بنبوته ، وهو القائم منه السلام .

ومنها يوم الفطر ، وهو اليوم الذي يؤذن فيه للمؤمنين بالنطق واظهار أمر الله عز وجل .

ومنها يوم الأضحى ، وهو يوم خروج القايم منه السلام بالسيف واهراقه الدماء .

ومنها يوم الأحد ، وهو اليوم الذي أمر أمير المؤمنين منه الرحمة سلمان أن يدخل المسجد ويخطب بالناس ويظهر الله الطاغوتين [1] وأهل الردة ، وهو اليوم الذي قال له سلمان : سل أعطيك البيان ، وأمنحك البرهان ، وأقامه للناس علماً ، وقال للمؤمنين : سلمان شجرة وأنتم أعضاؤها ، وكان ذلك يوم الأحد لليليتين خلت من ذي الحجة .

ومنها اليوم الذي نصب السيد جعفر منه السلام (محمد الزيني [2]) وأقامه للناس علماً ، وقال : من كنت له ربا فمحمد وليه ، ومن كان عدوه فأنا عدوه ، وكان ذلك يوم الثلاثاء لأحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

ومنها اليوم الذي أمر السيد محمد بن علي الرضا منه السلام لعمر بن الفرات مقامه فيكم مقام رسول الله ﷺ وعلى آله ، فدعا عمر بن الفرات الشيعة بأمره ، وكان ذلك يوم الخميس لست ليال خلون من ذي الحجة .

---

١ ــ المقصود بهذا اللفظ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٢ ــ أحد الذين طردهم جعفر الصادق وتبرأ منهم ومن ادعاءاتهم واعتقاداتهم .

ومنها اليوم الذي أمر الباقر بالبيان لجابر [١] بالدعاء الى الله جهراً ، فدعا فأخذ وترك السندان المحمى على يده حتى حالت جمراً ، ثم قتل وكان ذلك يوم السبت لتسع خلون من ذي الحجة .

فهذه الأعياد العربية التي أمر الله العباد بمعرفتها ، وأما الأعياد الفارسية : وهو **النوروز** ، وهو اليوم الرابع من نيسان من كل سنة ، وله شرف عظيم وفضل كبير .

ويوم المهرجان ، وهو اليوم السادس عشر من تشرين الأول في كل سنة .

ومن خواص الأعياد المفروح فيها ، وهو اليوم التاسع من شهر ربيع الأول في كل سنة وهو مقتل دلام [٢] .

وروينا من وجه آخر : أن يوم الواحد والعشرين من ذي الحجة هو يوم المباهلة [٣] ، ويوم تسع وعشرين من ذى الحجة يوم الفراش [٤]؛[٥] .

وقد قام أحد رؤسائهم (أبو سعيد الطبراني) بتأليف كتاب حول هذا الموضوع أسماه (مجموع الأعياد) ، وهو كتاب مشهور عندهم وقد أورد الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الاسلاميين عناوين فصول هذا الكتاب ونموذجاً من مواضيعه . أما عناوين فصوله فهي [٦] .

١ ــ أخبار شهر رمضان ، وما ورد فيه عن الموالي ، منهم السلام .
٢ ــ دعاء شهر رمضان .
٣ ــ ذكر عيد الفطر .
٤ ــ خطبة عيد الفطر .

---

١ ــ هو جابر الجعفي أحد مشايخ ابن نصير ، ومن الشيعة الذين تولوا منصب الوزارة ، وقد قتل لاعتقاداته المنحرفة .
٢ ــ اسم تطلقه النصيرية على عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
٣ ــ هو اليوم الذي دعا به النبي ﷺ النصارى إلى الجاهلية مع أهل بيته .
٤ ــ وهو اليوم الذي هاجر به النبي ﷺ إلى المدينة وترك علي بن أبي طالب في فراشه .
٥ ــ مخطوطة رقم ٦١٨٢ ورقة ٣٨ أ ــ ٣٩ أ .
٦ ــ مذاهب الاسلاميين/ الدكتور عبد الرحمن بدوى جـ ٢ ص ٤٦٣ ــ ٤٦٦ .

٥ ــ دعاء عيد الفطر .

٦ ــ ذكر عيد الأضحى .

٧ ــ دعاء عيد الأضحى .

٨ ــ شرح الأسماء السبعين الذين لا ينجون ، ونعت نعوتهم وأجناسهم وضائعهم وما كشفه العالم ، منه السلام من آياته ، حديث أبو علي البصري بشيراز في منزله ٧٢٣ للهجرة .

٩ ــ خطبة عيد الأضحى .

١٠ ــ أخبار يوم الغدير وشرفه .

١١ ــ القصيدة الغديرية لسيدنا أبي عبدالله الخصيبي .

١٢ ــ دعاء .

١٣ ــ خطبة يوم الغدير .

١٤ ــ خطبة ثانية ليوم الغدير .

١٥ ــ ومن أخبار الغدير ، خطبة خطبها أمير المؤمنين ، منه الرحمة .

١٦ ــ خطبة يوم الغدير التي خطبها مولانا أمير المؤمنين .

١٧ ــ خبر القهرى .

١٨ ــ ذكرى عيد المباهلة .

١٩ ــ باب التجليات .

٢٠ ــ ذكرى حرف اللام ، أعني التجلي .

٢١ ــ دعاء عيد المباهلة .

٢٢ ــ ويتلوه دعاء ثاني .

٢٣ ــ ذكر عيد الفراش .

٢٤ ــ قصيدة عيد الفراش .

٢٥ ــ دعاء عيد الفراش .

٤٥ ــ يوم السابع عشر من أذار ، مما استخرج من كتاب الأكوار والأدوار النورانية .

٤٦ ــ دعاء يوم السابع عشر من أذار .

٤٧ ــ ذكر يوم النوروز ، وهو رابع نيسان ، وأول السنة الفارسية .

٤٨ ــ خبر الاكليل .

٤٩ ــ خبر في باطن النوروز .

٥٠ ــ خبر في باطن النوروز .

٥١ ــ خبر النوروز وما يعمل به من البر والصدقة .

٥٢ ــ خبر المهرجان والنوروز .

٥٣ ــ دعاء الشمس .

٥٤ ــ دعاء النوروز .

٥٥ ــ خطبة يوم النوروز .

٥٦ ــ دعاء المهرجان .

٥٧ ــ دعاء ثان للمهرجان .

ومما يذكر أن النصيريين في هذه الأعياد ، يقدمون الخمور والنبيذ ، ويخرجون مع نسائهم وأطفالهم الى خارج مدنهم وقراهم بين الأشجار والبساتين ، حيث تتحول هذه الأعياد بعد ذلك الى مهرجان للفسق والدعارة .

والنصيرية تبرر احتفالها بعيد النوروز ، بما يروونه عن المفضل الجعفي أنه قال : « قال سيد السادات !؟ : أنه كان المعنى[١] عزّ عزه في زمن الفرس يظهر في كل عام مرتين : في انقضاء الحر من البرد ، وفي انقضاء البرد من الحر ، فسمى انقضاء البرد من الحر النيروز ، وسمي انقضاء الحر من البرد المهرجان ، واتخذوهما عيدين لهما ، وكان ذلك الوقت اذا ظهر المعنى الأكبر في الأكوار ظهر بالأكل والشرب في هذين اليومين »[٢] .

---

١ ــ اسم يطلقونه على الذات الالهية ، ولذلك يطلقونه على علي بن أبي طالب .

٢ ــ مخطوطة رقم ٦١٨٢ ورقة ٣٩ ب .

« واحتفال النصيرية بعيد النوروز وعيد المهرجان ، وهما عيدان دينيان للفرس يدل على الأثر الفارسي في النصيرية ، ويشير الى تمجيدهم للفرس . وهذا من غير شك ينبىء عن الأصل المجوسي للنصيرية ، ويشير الى الخط الشعوبي في الحركة النصيرية »[1] .

وهناك أعياد نصرانية أخرى لم تذكر ، ولكنهم يحتفلون بها وهذا ظاهر لمن يخالطهم ومنها : « عيد البربارة ، والغطاس ، والشعانين ، والعنصرة ، ومريم المجدلانية »[2] .

---

١ ــ العلويون أو النصيرية / عبد الحسين العسكري ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
٢ ــ اسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة ص ٣٣٤ .

١٠ ـــ حكم الاسلام في النصيرية :

يمكننا بعد دراسة وتحليل العقائد التي مرت بنا والتي آمنت بها النصيرية ، أن نقول ان هذه الطائفة لا علاقة لها بالاسلام والمسلمين . فهي تقول بالحلول ، بمعنى أن الله قد حلّ في علي بن أبي طالب وفي أشخاص آخرين ، وتقول أيضا أن للشريعة ظاهرا وباطنا ، وأن المراد باطنها دون ظاهرها ، وترتب على هذا الاعتقاد تركهم جميع الفرائض الاسلامية وتأويلها ، وظهوره أيضا على سلوكهم وأعمالهم ، فهم يظهرون خلاف ما يبطنون ، ويقولون مالا يعتقدون .

وهم بالاضافة الى ذلك قد اعتقدوا بالتناسخ وكفروا بالبعث والحساب ، فهدموا بذلك ركنا هاما من أركان الايمان ، وأباحوا المحرمات بشرب الخمر والزنا .

وهذا كله ، بل واحد منه ، مخالف للاسلام وخروج عنه ، بل هو كفر به واستهانه بما فرض .

وكل من له بصيرة يعلم أن الاسلام ما جاء إلا لمحو هذه الاعتقادات الضالة الكافرة . فالتوحيد وترك عبادة الأوثان والأشخاص هو أول اعتقاد في هذا الدين ، أما اليوم الأخر فهو الركن المهم لعقيدة التوحيد ، لأن الايمان بالله يتبعه الايمان باليوم الآخر ، وقول النصيرية بالتناسخ هدم لهذا الركن الهام من أركان الايمان .

أما قولهم بان للشريعة ظاهراً وباطناً ،وتأويل الفرائض الاسلامية على هذا الأساس ، فهو هدف الباطنية والغلاة عموماً ابتداء من الاسماعيلية ومروراً بالدروز وانتهاء بالنصيرية ، لمسخ الشريعة وهدم الدين ، وصد الله العظيم في فضح أمثال هؤلاء فيقول عزّ من قائل «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وإبتغاء

تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد . إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار (١) » .

بهذا يتبين أن لا علاقة للاسلام بالنصيرية ، فالاسلام شيء والنصيرية شيء آخر . وعلى هذا الأساس عاملهم جميع أمراء المسلمين ابتداء من صلاح الدين وانتهاء بالسلطان العثماني عبد الحميد ، فقد حاولوا الكثير معهم في الرجوع إلى اصول الاسلام ، ولكنهم لا يلبثون أن يرجعوا في كل مرة إلى ضلالاتهم وكفرهم (٢) .

ومع ذلك يحاول الكثير منهم في الوقت الحاضر أن يبرهن أمام الرأي العام أنهم مسلمون موحدون ، فظهرت كتب وبيانات تقول بذلك ، ولكن كل ذلك لا يجدي شيئا أمام الحقائق والأعمال التي يقومون بها والتي تدحض كل هذه الادعاءات الباطنية المزيفة .

ولعل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، كان من أوائل الذين عرفوا حقيقة هذه الطائفة ، فحاربها قولا وعملا ، كما حارب بقية الطوائف الباطنية فنجده في رده على سؤال حول حكم هذه الطائفة ، يفند كل ضلالاتهم ، ويرد عليهم بجرأة العالم الواعي لحقائق الأمور ، والواقع أن فتوى ابن تيمية فيهم تعتبر جزءاً هاما من الحقائق التاريخية الدامغة للنصيرية ، علاوة على قيمتها في اظهار عقائدها الباطنية .

لهذا آثرنا أن ننقل نص هذه الفتوى ، حتى يتبين لكل مسلم حكم الاسلام في هذه الطائفة ، وهذا هو السؤال الموجه والرد عليه :

« **ما تقول السادة العلماء** أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين ، وأعانهم على اظهار الحق المبين واخماد شغب المبطلين في النصيرية القائلين باستحلال الخمر ،

---

١ ــ سورة آل عمران آية ٧ ــ ١٠ .

٢ ــ يراجع في هذا الموضوع : فصل التمهيد من هذا الباب .

وتناسخ الأرواح ، وقدم العالم وانكار البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا ، وبأن الصلوات عبارة عن خمسة أسماء ، وهي علي وحسن حسين ومحسن وفاطمة ، فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزئهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها ، وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلا واسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم ، ويضيق هذا الموضع عن ابرازهم ، وبان الههم الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه — فهو عندهم الامام في السماء والامام في الأرض فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت — على رأيهم — أن يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه . وبان النصيري عندهم لا يصير نصيرياً يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يخاطبه معلمه .

وحقيقة الخطاب عندهم أن يحلفوه على كتمان دينه ومعرفة مشايخه وأكابر أهل مذهبه ، وعلى ألا ينصح مسلماً ولا غيره ، إلا من كان من أهل دينه ، وعلى أن يعرف ربه وامامه بظهوره في أنواره وأدواره فيعرف انتقال الاسم والمعنى في كل حين وزمان .

فالاسم عندهم في أول الناس آدم ، والمعني هو شيت ، والاسم يعقوب ، والمعنى هو يوسف ، ويستدلون على هذه الصورة كما يزعمون بما في القرآن العظيم حكاية عن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام فيقولون : أما يعقوب فانه كان الاسم فما قدر أن يتعدى منزلته فقال : « سوف أستغفر لكم ربي (١) »،وأما يوسف فكان المعنى المطلوب فقال : « لا تثريب عليكم اليوم (٢) »، فلم يعلق الأمر بغيره لأنه علم أنه هو الامام المتصرف ، ويجعلون موسى هو الاسم ويوشع هو المعنى ، ويقولون يوشع ردت له الشمس لما أمرها فأطاعت أمره وهل ترد الشمس الا لربها ، ويجعلون سليمان هو الاسم وآصف هو المعنى ، ويقولون : سليمان عجز عن احضار عرش

---

١ — سورة يوسف آية ٩٨ .
٢ — سورة يوسف آية ٩٢ .

بلقيس وقدر عليه آصف لأن سليمان كان الصورة وآصف كان المعنى القادر المتقدر ، وقد قال قائلهم :

هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون الصفا حيدر

ويعدون الأنبياء والمرسلين واحداً واحداً على هذا النمط إلى زمن رسول الله ﷺ فيقولون : محمد هو الاسم وعلي هو المعنى ، ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان إلى وقتنا هذا ، فمن حقيقة الخطاب في الدين عندهم أن عليا هو الرب ، وأن محمداً هو الحجاب ، وأن سلمان هو الباب ، وأنشد بعض أكابر رؤسائهم وفضلائهم لنفسه في شهور سنة سبعمائة فقال :

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه إلا سلمان ذو القوة المتين

ويقولون : إن ذلك على هذا الترتيب لم يزل ولا يزال ، وكذلك الخمسة الأيتام ، والاثنا عشر نقيبا وأسماؤهم مشهورة عندهم ، ومعلومة من كتبهم الخبيثة ، وانهم لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور أبدا سرمدا على الدوام والاستمرار .

ويقولون أن ابليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويليه في رتبة الابليسية أبو بكر رضي الله عنه ، ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين ، وشرفهم ، وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال أنواع الضالين والمفسدين ، فلا يزالون موجودين في كل وقت دائماً حسبما ذكر من الترتيب .

وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام وهم معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب ، وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم ومن عامة الناس ايضا في هذا الزمان ، لأن أحوالهم كانت

مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الافرنج المخذولين على البلاد الساحلية ، فلما جاءت أيام الاسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم ، والابتلاء بهم كثير جداً .

فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم ، وهل يحل أكل ذبائحهم والحالة هذه أم لا ؟ وما حكم الجبن المعمول من أنفحة ذبيحتهم ؟ وما حكم أوانيهم وملابسهم ؟ وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا ؟ وهل يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين وتسليمها إليهم ؟ أم يجب على ولي الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من المسلمين الكفأة ؟ واذا استخدمهم وأقطعهم أو لم يقطعهم ، هل له صرف أموال بيت المال عليهم ؟ وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة ، وأموالهم حلال أم لا ؟ وإذا جاهدهم ولي الأمر أيده الله تعالى باخماد باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين ، وحذر أهل الاسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم ، وألزمهم بالصوم والصلاة ومنعهم من اظهار دينهم الباطل ، وهم الذين يلونه من الكفار ، هل ذلك أفضل وأكثر أجراً من المتصدي والمترصد لقتال التتار في بلادهم وهدم بلاد السيس وديار الافرنج على أهلها أم هذا أفضل من كونه يجاهد النصيرية المذكورين مرابطاً ، ويكون أجر من رابط في الثغور على ساحل البحر خشية قصد الفرنج أكبر أم هذا أكبر أجراً ؟ .

وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم ، أن يشهر أمرهم ، ويساعد على ابطال باطلهم واظهار الاسلام بينهم ، فلعل الله تعالى أن يهدي بعضهم إلى الاسلام ، وأن يجعل من ذريتهم وأولادهم أناسا مسلمين بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم ؟ أم يجوز التغافل عنهم والاهمال ؟ وما قدر أجر المجاهد على ذلك والمجاهد فيه والمرابط له والملازم عليه ؟ ولتبسطوا القول في ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى ، انه على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أجاب شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية وقال : الحمد لله رب العالمين ، هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ، بل أكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد

ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم ، فان هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت .

وهم في الحقيقة لا يؤمنـــون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ولا بملة من الملل ولا بدين من الأديان السالفة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكره السائل .

فانهم ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الالحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه ، اذ مقصودهم انكار الايمان وشرائع الاسلام بكل طريق من التظاهر بان لهذه الأمور حقائق يعرفونها من جنس قولهم أن (الصلوات الخمس) معرفة أسرارهم ، (والصيام المفروض) كتمان أسرارهم ، (وحج البيت العتيق) زيارة شيخهم . وان يدي أبي لهب هما أبو بكر وعمر ، (وان البناء العظيم والامام المتين) هو علي بن أبي طالب .

ولهم في معاداة الاسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة ، فاذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحجاج ، وألقوهم في بئر زمزم ، وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي عندهم مدة وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وامرائهم وجندهم ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ، وصنفوا كتباً كثيرة مما ذكره السائل وغيره .

وصنف علماء المسلمين كتباً في كشف أسرارهم وهتك أستارهم ، وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والالحاد الذي هم فيه أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام .

وما ذكره السائل من وصفهم قليل من الكثير الذي يعرفه العلماء من وصفهم . ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية انما استولى عليها النصارى ومن

جهتهم وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى على المسلمين . ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ومن أعظم أعيادهم اذا استولى والعياذ بالله تعالى النصارى على ثغور المسلمين .

وما زالت بأيدي المسلمين حتى جزيرة قبرص يسر الله فتحها عن قريب ، وفتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فتحها معاوية بن أبي سفيان إلى أثناء المائة الرابعة .

فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره ، فان أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك . ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد وصلاح الدين وأتباعهم ، وفتحوا السواحل من النصارى فمن كان بها منهم ، وفتحوا أيضا أرض مصر ، فانهم كانوا مسئولين عليها نحو مائتي سَنة ، واتفقوا هم والنصارى ، فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ، ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الاسلام بالديار المصرية والشامية .

ثم أن التتار ما دخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم ، فان مرجع هؤلاء الذي كان وزيرهم وهو (النصير الطوسي) كان وزيرا لهم ، وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء .

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين : تارة يسمون الملاحدة ، وتارة يسمون القرامطة ، وتارة يسمون الباطنية ، وتارة يسمون الاسماعيلية ، وتارة يسمون النصيرية ، وتارة يسمون الخربوية ، وتارة يسمون المحمرة .

وهذه الأسماء منها ما يعمهم ، ومنها ما يخص بعض أصنافهم ، كما أن الاسلام والايمان يعم المسلمين ، ولبعضهم اسم يخصه أما النسب ، وأما المذهب ، وأما البلد ، وأما لغير ذلك وشرح مقاصدهم يطول .

وهم كما قال العلماء فيهم : ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض . وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين لا بنوح ولا ابراهيم ولا موسى

ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا بشيء من كتب الله المنزلة : لا التوراة ولا الانجيل ولا القرآن ، ولا يقرون بان للعالم خالقاً خلقه ، ولا بان له دينا أمر به ، ولا أن له دارا يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار .

وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطاغين ، والالهيين ، وتارة يبنونه على قول الفلاسفة وقول المجوس الذين يعبدون النور ، ويضمون إلى ذلك الرفض ويحتجون لذلك من كلام النبوات . إما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي ﷺ أنه قال : « أول ما خلق الله العقل » ، والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ، ولفظه : « ان الله لما خلق العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، فقال له : أدبر فأدبر » . فيحرفون لفظه ويقولون : « أول ما خلق الله العقل » ليوافقوا قول المتفلسفة أتباع أرسطو في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل .

واما بلفظ ثابت عن النبي ﷺ فيحرفونه عن مواضعه ، كما يصنع أصحاب رسائل (اخوان الصفا) ونحوهم فانهم من أئمتهم .

وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين ، وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين ، وان كانوا لا يوافقون على أصول الدعوة النهائية ، وهي درجات متعددة ويسمون النهاية البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم (١) .

ومضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق تعالى ، والاستهزاء به وبمن يقر به ، حتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله ، وفيه أيضا جحد شرائعه ودينه وما جاء به الأنبياء ودعوى أنهم من جنسهم طالبين للرئاسة ، فمنهم من أحسن في طلبها ، ومنهم من أساء في طلبها حتى قتل ، ويجعلون محمداً وموسى من القسم الأول ، ويجعلون المسيح من القسم الثاني ، وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش ما يطول وصفه .

---

١ ـ يقصد ابن تيمية رحمه الله طائفة الحشاشين التي انبثقت عن الاسماعيلية فهذا من مبادئها .

ولهم اشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضاً [1] ، وهم اذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الايمان فقد يخفون على من لا يعرفهم ، وأما اذا كثروا فانه يعرفهم عامة الناس فضلا عن خاصتهم .

وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ، ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ولا يتزوج منهم امرأة ، ولا تباح ذبائحهم . وأما الجبن المعمول بأنفحتهم ففيه قولان مشهوران للعلماء كسائر أنفحة الميتة ، وكأنفحة ذبيحة المجوس وذبيحة الفرنج الذين يقال عنهم : أنهم لا يذكون الذبائح .

فمذهب أبي حنيفة وأحمد في الروايتين أنه يحل هذا الجبن لأن أنفحة الميت طاهرة على هذا القول ، لأن الأنفحة لا تموت بموت البهيمة ، وملاقاة الوعاء النجس في الباطن لا تنجس ، ومذهب مالك والشافعي وأحمد في الرواية الأخرى أن هذا الجبن نجس لأن أنفحة هؤلاء نجسة ، لأن لبن أنفحتها عندهم نجس .

ومن لا تؤكل ذبيحته فذبيحته كالميتة ، وكل من أصحاب القولين يحتج بآثار ينقلها عن الصحابة ، فأصحاب القول الأول نقلوا : أنهم أكلوا جبن المجوس ، وأصحاب القول الثاني نقلوا : أنهم أكلوا ما يظنون أنه من جبن النصارى ، فهذه مسألة اجتهاد للمقلد أن يقلد من يفتي بأحد القولين .

وأما أوانيهم وملابسهم ، فكأواني المجوس وملابس المجوس على ما عرف من مذاهب الأئمة ، والصحيح في ذلك أن أوانيهم لا تستعمل إلا بعد غسلها ، فان ذبائحهم ميتة ، فلا بد أن تصيب أوانيهم المستعملة ما يطبخونه في ذبائحهم فتنجس بذلك . فأما الآنية التي لا يغلب على الظن وصول النجاسة إليها فتستعمل من غير غسل كآنية اللبن التي لا يضعون فيها طبيخهم أو لا يغسلونها قبل وضع اللبن فيها ، وقد توضأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جرة نصرانية ، فما شك في نجاسته لم يحكم بنجاسته بالشك .

---

١ — وهذه الاشارات تختلف من طائفة إلى طائفة ، فالاسماعيلية تختلف عن الدروز ، والنصيرية كذلك تختلف اشارتها عن هاتين الطائفتين .

ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ، ولا يصلى على من مات منهم ، فان الله سبحانه وتعالى نهى نبيه ﷺ عن الصلاة على المنافقين كعبدالله بن أبي ونحوه ، وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والجهاد مع المسلمين ، ولا يظهرون مقالة تخالف دين الاسلام ، ولكن يسرون ذلك فقال الله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (١) » ، فكيف بهؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والالحاد .

وأما إستخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإن من الكبائر ، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم ، فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم ، وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة ، وهم شر من المخامر الذي يكون في العسكر ، فإن المخامر قد يكون له غرض إما مع أمير العسكر وإما مع العدو ، وهؤلاء مع الملة ونبيها ودينها وملوكها وعلمائها وعامتها وخاصتها .

وهم أحرص الناس إلى تسليم الحصون إلى عدو المسلمين ، وعلى افساد الجند علي ولي الأمر ، واخراجهم عن طاعته ، ويحل لولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة ، فلا يتركون في ثغر ولا في غير ثغر ، فان ضررهم في الثغر أشد . وأن يستخدم بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الاسلام ، وعلى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، بل اذا كان ولي الأمر لا يستخدم من يغشه ــ وان كان مسلماً ــ فكيف بمن يغش المسلمين كلهم ؟ ولا يجوز تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه ، بل أي وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك .

وأما اذا استخدموا وعملوا العمل المشروط فلهم اما المسمى واما الأجرة المثل لأنهم عوقدوا على ذلك ، فان كان العقد صحيحاً وجب المسمى ، وان كان فاسداً وجبت أجرة المثل ، وان لم يكن استخدامهم من جنس الاجارة اللازمة فهي من جنس الجعالة الجائزة ، لكن هؤلاء لا يجوز استخدامهم فالعقد عقد فاسد ، فلا يستحقون إلا قيمة عملهم ، فان لم يكونوا عملوا عملا له قيمته فلا شيء لهم .

لكن دماءهم وأموالهم مباحة . واذا أظهروا التوبة ، ففي قبولها منهم نزاع بين المسلمين ، فمن قبل توبتهم اذا التزموا شريعة الاسلام أقروهم عليها ، ومن لا يقبلها

---

١ ــ سورة التوبة آية ٨٤ .

وورثتهم من جنسهم فإن مالهم يكون فيأه لبيت مال المسلمين ، لكن هؤلاء إذا أخذوا فانهم يظهرون التوبة لأن أصل مذهبهم التقية والكتمان لأمرهم ، وفيهم من يعرف ، وفيهم من قد لا يعرف ، فالطريق في ذلك يحتاط في أمرهم .

فلا يتركون مجتمعين ، ولا يمكنون من حمل السلاح وأن يكونوا من المقاتلة ، ويلزمون شرائع الاسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ، ويترك بينهم من يعلمهم دين الاسلام ، ويحال بينهم وبين معلمهم ، فان أبا بكر الصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردة وجاؤوا اليه ، قال لهم الصديق : اختاروا اما الحربَ المجلية ، واما السلم المخزية . قالوا : يا خليفة رسول الله ، هذه الحرب المجلية قد عرفناها ، فما السلم المخزية ، قال : تدون قتلانا ولا ندي قتلاكم[1] ، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، ونقسم ما أصبنا من أموالكم ، وتردون ما أصبتم من أموالنا ، وتنزع منكم الحلقة والسلاح ، وتمنعون من ركوب الخيل ، وتتركون تتبعون أذناب الابل حتى يرى خليفة رسول الله والمؤمنون أمراً بعد ردتكم . فوافقه الصحابة على ذلك الا تضمين قتلى المسلمين ، فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : هؤلاء قتلوا في سبيل الله فأجورهم على الله ، يعني هم شهداء فلا دية لهم ، فاتفقوا على قول عمر في ذلك .

وهذا الذي اتفق الصحابة عليه هو مذهب أئمة العلماء ، والذي تنازعوا فيه تنازع فيه العلماء ، فمذهب أكثرهم على أن من قتله المرتدون المجتمعون المحاربون لا يضمن ، كما اتفقوا عليه آخرا ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في احدى الروايتين ، ومذهب الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى ، وهو القول الأول . فهذا الذي فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودتهم الى الاسلام ، يفعل بمن أظهر الاسلام والتهمة ظاهرة فيه ، فيمنع من أن يكون من أهل الخيل والسلاح والدروع التي تلبسها المقاتلة ، ولا يترك في الجند من يكون يهوديا ولا نصرانيا ، ويلزمون شرائع الاسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير أو شر . ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أخرج عنهم ، وسير الى بلاد المسلمين التي ليس لهم بها ظهور ، فاما أن يهديه الله تعالى ، واما أن يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين .

---

١ ــ أي تؤدون الدية ، ولا نؤديها .

ولا ريب أن جهاد هؤلاء واقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب ، فان جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين ، والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب ، فان جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين ، وان يدخل فيه من أراد الخروج عنه ، وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة اظهار الدين ، وحفظ رأس المال مقدم على الربح . وأيضا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك . بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب ، وضررهم في الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب .

ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب ، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ، ولا يحل لأحد أن ينهي عن القيام بما أمر الله به ورسوله ، فان هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين »[1] .

والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان له من الأجر والثواب مالا يعلمه الا الله تعالى ، فان المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم كما قال الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس »[2] ، قال أبو هريرة : كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الاسلام ، فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الامكان ، فمن هداه الله منهم سعد في الدنيا والأخرة ، ومن لم يهتد كف الله ضرره من غيره .

ومعلوم أن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أفضل الأعمال ، كما قال ﷺ : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله تعالى » ، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «ان في الجنة مائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الأرض أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيل الله » ،

---

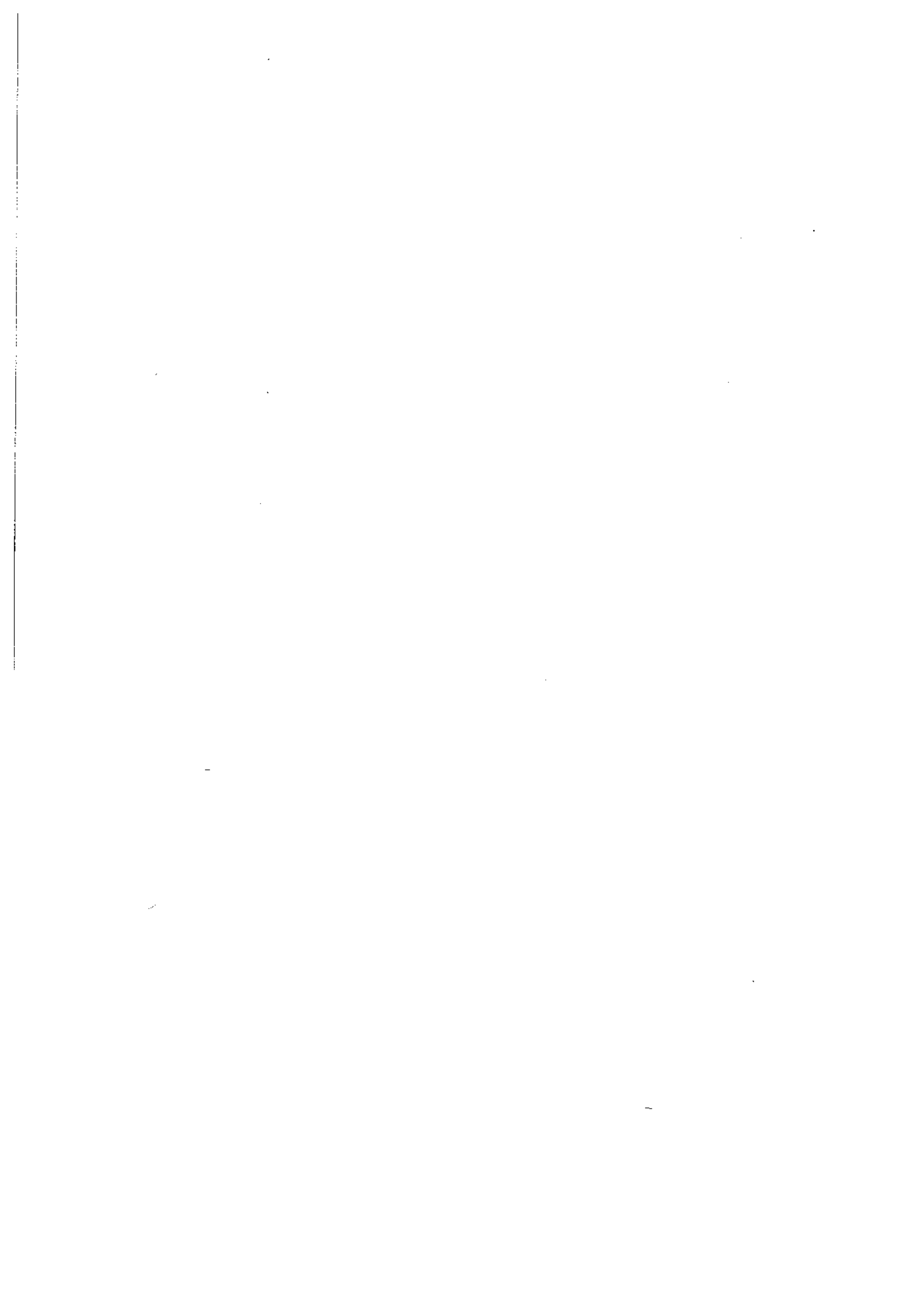
١ ــ سورة التوبة آية ٧٣ .
٢ ــ سورة آل عمران آية ١١٠ .

وقال ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه » ، ومن مات مرابطا مات مجاهدا وجرى عليه عمله ، وأجرى عليه رزقه من الجنة ، وأمن الفتنة ، والجهاد أفضل من الحج والعمرة كما قال تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم »[١] .

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين »[٢] .

١ ــ سورة التوبة آية ١٩ ــ ٢٢ .

٢ ــ مجموعة فتاوى ابن تيمية / مجلد ٣٥ ص ١٤٥ ــ ١٦٠ .



الفصل الثالث

مقارنـــــة

بين عقائد الاسماعيليين والدروز والنصيرية

من خلال الاستعراض السابق الذي استكملنا فيه دراسة عقائد وأفكار الحركات الباطنية المتواجدة في العالم الاسلامي ، يمكننا أن نرى كثيرا من أوجه الشبه أو الاختلافات بين عقائد هذه الحركات .

الا أنه في الوقت نفسه ، يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن الحركة الاسماعيلية كانت المغذي الرئيسي لكثير من هذه الحركات ، ولن نتعدى الصواب اذا قلنا : ان الأفكار الرئيسية الموجودة في عقائد الاسماعيلية ، لا تختلف الا في بعض التفاصيل عن عقائد الفرق الأخرى .

فكافة هذه الفرق اتخذت من الفلسفات الوثنية من إغريقية واسكندرانية أداة لها في اثبات صحة مزاعمها ، وبالتالي في تشكيك الناس بدينهم وعقيدتهم .

وينبغي أن نلاحظ أن أتباع كل فرقة من هذه الفرق يعتبرون أنفسهم هم (الموحدون) ، أما غيرهم ــ على حسب زعمهم ــ فالمسافة شاسعة بينهم وبين التوحيد ، لذلك فالدروز يطلقون على مذهبهم (مسلك التوحيد) باعتبار أنهم وحدهم سلكوا هذا المسلك ؟!

ومن الأمثلة الواضحة على أن الاسماعيلية كانت الرائدة في فلسفة كافة الفرق ، نظرية الفيض الأفلاطونية ، فقد كانت الاسماعيلية أول من حاول فرض هذه النظرية على العقائد الاسلامية ، لذا أصبحت علما في هذا الاتجاه .

واذا تتبعنا أوجه الاتفاق بين الفرق الباطنية ، فاننا نرى أن نظرتهم للألوهية والتوحيد متشابهة رغم بعض الاختلافات في الأسماء والمسميات ، وذلك لانبثاقها عن نظرية الفيض فالاسماعيلية ـــ حسب زعمها ـــ ترى أن الخالق الحقيقي للكون هما (العقل الكلي والنفس الكلية) ، وأنهما من جملة الحدود في العالم العلوي ، وهذان الحدان يقابلهما ـــ على حسب قاعدة المثل والممثول ـــ في العالم السفلي حد النبي وحد الامام أو الوصي ، لذا فان كل الألقاب التي تطلق على الله تطلق أيضا على الوصي والامام بصفتهما ممثلا العقل الكلي[١] . وهذه القاعدة تقول بها جميع الفرق الاسماعيلية الأخرى على اختلاف أسمائها .

ولكن الدروز رغم انشقاقهم عن الاسماعيلية ، وأخذهم الكثير من عقائدها ، الا أنهم رفضوا نظرية المثل والممثول التي تقول بها الاسماعيلية ، وقرروا أن الحدود العلوية الموجودة في العالم العلوي هي ذاتها الموجودة في العالم السفلي ولا اختلاف بينها . وبما أن الدروز انشقوا عن الاسماعيلية لاظهارهم ـــ الزعم ـــ بألوهية الامام الاسماعيلي (وهي العقيدة التي حاولت الاسماعيلية اخفاءها خوفا وتقية) ، فقد أعلنوا جوهر هذه العقيدة وهي : أن الله يتخذ على مر العصور والأزمان حجابا أو صورة ناسوتية يتجلى فيها لخلقه ـــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـــ ، وأن الحجاب الأخير الذي ظهر فيه كان بصورة الحاكم بأمر الله العبيدي ، وبذلك أظهروا عقيدة كانت الاسماعيلية تخفيها ولا تعلنها .

وفي الوقت نفسه أخذوا عن الاسماعيلية نظرية العقول السبعة وطبقوها على ظهورات الله بالصورة الناسوتية ، وزعموا أن عدد هذه الظهورات كانت سبعا ، آخرها الحاكم .

أما النصيرية ، فتعتبر أن الذات الالهية متشخصة بالمعنى وهو (علي بن أبي طالب) ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ ، ولكنها في الوقت نفسه لم تتجاهل نظرية الفيض التي قالت بها الاسماعيلية والدروز ، فزعمت أن العقل الكلي هو (الميم) أي محمد ﷺ ، وأن النفس الكلية هو (السين) أي سلمان الفارسي ، وهو حسب زعمهم الذي خلق السموات والأرض والأيتام الخمسة كذلك[٢] .

---

١ ـــ أنظر الفصل الثاني من الباب الأول عن عقائد الاسماعيليين .

٢ ـــ أنظر الفصل الثاني من الباب الثالث عن عقائد النصيرية .

وجميع الصفات الالهية التي وصف الله بها نفسه في القرآن الكريم لا تعترف بها كافة الفرق الباطنية ، فهم ينفون نفيا مطلقا هذه الصفات ، ايجابية كانت أم سلبية ، لأنه تعالى — على حسب زعمهم — فوق متناول العقل ، والعقل عاجز عن ادراك كنهه ، فاثبات هذه الصفات — حسب زعمهم — يعني عدم التوحيد . ولذلك فهم يزعمون أن هذه الصفات تليق فقط بحدوده وخاصة العقل والنفس ، باعتبارهما من فيضه ومبدعاته .

وثمة وجه آخر من أوجه الشبه بين هذه الفرق ، وهي عقيدة التناسخ ، ورغم أن الاسماعيلية لا تجاهر أو تصارح بالقول بها ، الا أن المتتبع لآراء الاسماعيلية يجزم أنها تؤمن بها شأنها شأن الفرق الأخرى ، ولكن هناك بعض الاختلافات بين هذه الفرق ، فالاسماعيلية والنصيرية تؤمنان بوجود عالم روحاني تسكنه الملائكة ، وعالم سفلي هو عالم الكون والفساد . وهم اضافة الى ذلك يعتقدون بأن الأجساد مصدر الشقاء والألام ، وأن المؤمن حين موته تذهب نفسه الى العالم العلوي ، وأما الكافر فيتقلب في الأجساد البشرية وغير البشرية عقابا له على ما قدم ، وعلى هذا فالاسماعيلية والنصيرية تؤمنان بالمسخ ، أي أن تأتي نفس الكافر عقابا لها — على حسب زعمهم — بقمصان رديئة كالحيوانات ، أو أن تأتي بصورة جامدة من معدن أو حجر فتذوق بذلك عذاب جهنم ؟!

وهذا الاعتقاد بالنسخ والمسخ ، يخالف اعتقاد الدروز ، الذين ينحصر التناسخ عندهم في الصور البشرية فقط ، ولا يكون في البهائم أو الجمادات ، ولذلك فقد عبروا عن التناسخ بكلمة التقمص ، لأن في انتقال النفس الى جسم حيوان ظلم لها ، فالثواب والعقاب بني — حسب زعمهم — على قاعدة العدل الالهي في محاسبة الأرواح بعد مرورها في القمصان البشرية .

وهناك عقيدة أخرى لا يختلفون فيها أبدا ، وهي عقيدة التقية ، فالتستر والكتمان عند جميع هذه الفرق فرض لا يجوز التهاون فيه ، لأن البوح بأسرار اعتقاداتها الى غير أهلها تدنيس لها ، لذا فقد طالبت الاسماعيلية والدرزية والنصيرية أتباعها بالاستتار وعدم التظاهر بما يبطنون ، وهكذا فقد أصبحت هذه العقيدة عادة

مستحكمة عند جميع أتباع هذه الفرق ، لأنها تعني التظاهر بشيء والايمان بشيء آخر ، وبالتالي فقد جعلت هذه العقيدة من أتباعها بؤرة للنفاق والخداع يتصفوا به جميعهم ، وهذا واضح في تاريخهم .

ويمكن أن يضاف الى عقيدة التقية أمراً اخر مرتبط بها ، وهو أن جميع هذه الحركات تطلب من المستجيبين لها عهودا وأيمانا غليظة يجب أن يؤديها حتى يوثق به ، ومع ذلك فانهم لا يسلموه كل الأسرار دفعة واحدة ، بل على التدريج وكما هو واضح عند الدروز والنصيرية .

وهناك أيضا عقائد متشابهة بين الدروز والنصيرية أهمها :

« قضية العاقل والجاهل ، فالعقال يسترون دينهم عن الجهال منهم ، واذا أراد أحد الجهال أن يدخل في أمور دينهم ، فلا يسلمون الديانة له الا بالتدريج بعد أن يتتلمذ على أحد مشايخ دينهم ويتخذه والدا دينيا ، ويتفقون معهم أيضا بقدمية العالم ، وأن العالم قد خلق على ما هو عليه الان ، وأن عدد البشر كان كما هو الآن لا يزيد ولا ينقص »(1) . وهم يتفقون كذلك بالاضافة الى الاسماعيلية في تأويل آيات القرآن حسب معتقداتهم ، وأن له ظاهراً وباطناً حتى يثبتوا صحة معتقداتهم المناقضة للقرآن الكريم .

ونستنتج مما سبق ، أن نقطة الخلاف والالتقاء الرئيسية بين الاسماعيلية والدروز والنصيرية هي عقيدة الألوهية ، فجميعهم يقرون بامكانية تجسد الألوهية في صورة انسان ، ولكن الاسماعيلية تراها في الأئمة الاسماعيليين جميعا ، بينما الدروز والنصيرية جعلتا لتجسد الألوهية ظهورا أخيرا ، فكان عند الدروز بشخص الحاكم ، وعند النصيرية بشخص علي بن أبي طالب ـــ تعالى الله عن ذلك ـــ أما بقية العقائد فقد يلتقون في شيء منها ، ويختلفون في شيء أخر ، ولكنهم متفقون في جوهرها .

---

١ ـــ مخطوط (في تقسيم جبل لبنان) / الجامعة الامريكية ببيروت رقم ٣١ .

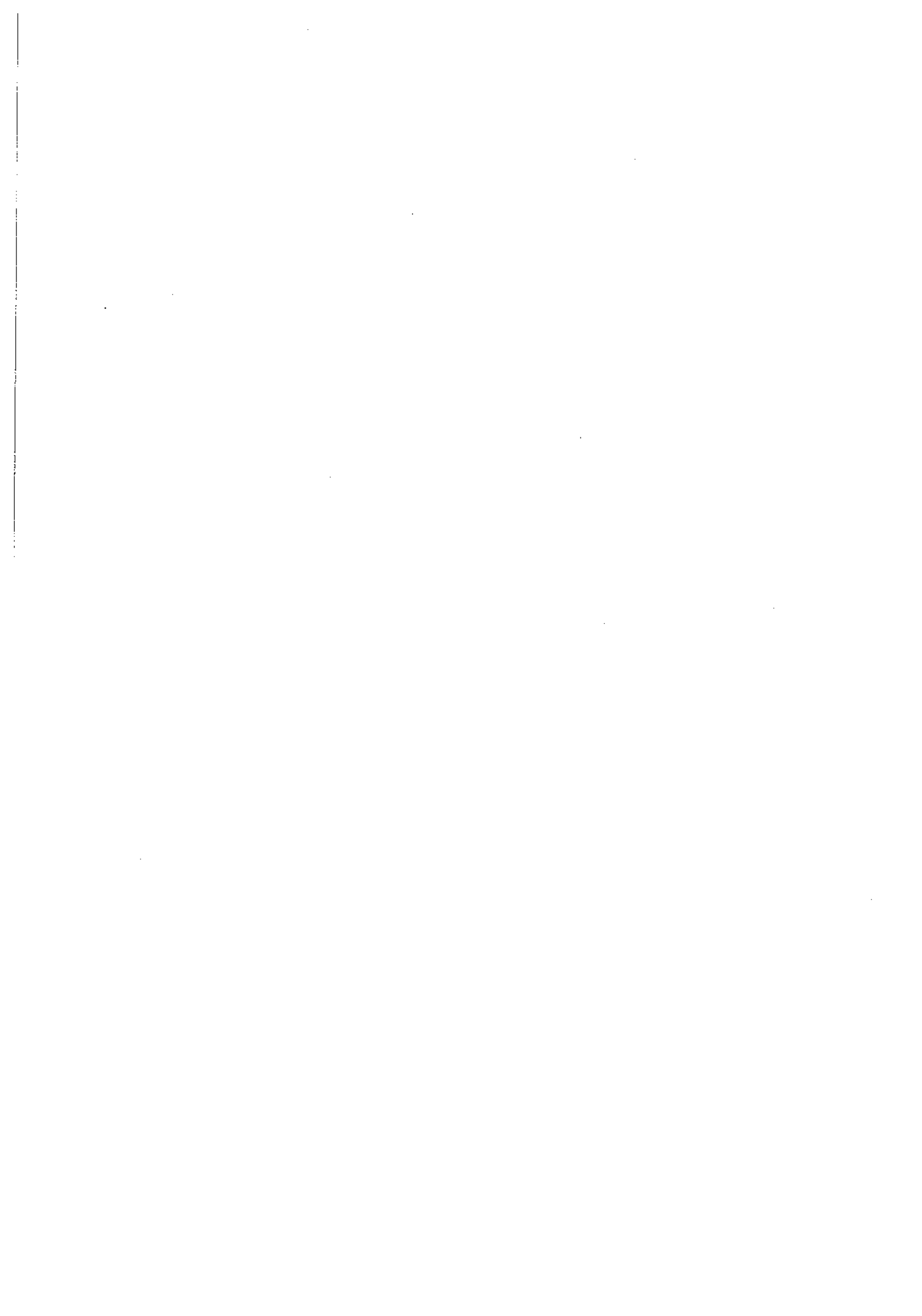
الباب الرابع

أثر الحركات الباطنية في واقع العالم الاسلامي

الفصل الأول : أثرها في الناحية الفكرية

الفصل الثاني : أثرها في الناحية الاجتماعية

الفصل الثالث : أثرها في الناحية السياسية



الفصل الأول

أثرها في الناحية الفكرية

ان الهدف السياسي للحركات الباطنية ، وهو اسقاط الخلافة الاسلامية ، واعلان الامامة الشيعية ، أمر لا يختلف فيه اثنان . ولكن اتجاه هذه الحركات بعد فترة طويلة من ظهورها اتجاها دينيا وفكريا ، تستر به اتجاهها السياسي ، يثير الشك والانتباه ، ويبدو أن هذه الحركات ـــ وعلى رأسها الاسماعيلية ـــ قد تنبهت الى نقطة مهمة وخطيرة ، وهي أن غالبية الحركات والثورات التي اشتعلت ضد الخلافة الاسلامية قد آلت الى الفشل الذريع ، لعدم استنادها على مفهوم ديني وفكري تدعم به حركتها .

وقد سارعت الحركة الباطنية الشيعية لاستغلال هذه النقطة أبشع استغلال ، فجعلت لأئمتهم من نسل علي بن أبي طالب صفات أوصلتهم الى رتبة الاجلال والتقديس ، بل في بعض الأحيان الى درجة الألوهية ، فهم بفضل الصفات التي أودعهـــا الشيعة فيهم ، أئمة المسلمين ، وفقهاؤهم ، ووارثوا رسالة النبي ﷺ فيأمرون ويعلمون باسم الله كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام ، حتى أنهم أضافوا الى (أركان الاسلام الخمسة) ركنا سادسا ، وهو الولاية ، أي الانضواء الى الأئمة ، وعدم مخالفتهم وموالاة أعدائهم ، وبهذا الركن الذي أدخلوه على الاسلام استطاعوا أن يروجوا ما يريدون على أنه من الأئمة الذين لا تجوز مخالفتهم ، بحيث أصبحت حركة التشيع تعني اتجاها مغايرا للاسلام الصحيح ، بأفكارها الدينية ، وعقائدها الجديدة الغريبة على الاسلام والمسلمين .

وهكذا نشأت أنظمة سرية تعمل على نشر الآراء الدينية والفكرية الجديدة بين الناس ، فكانت الحركة الباطنية الشيعية ، « عبارة عن دعاية خفية مستترة أكثر مما هي مقاومة مكشوفة ، وهذا ما جعلها مخالفة لغيرها من الفرق ، وهي دعاية يحيط بها جو من الأسرار ، وتغشاها أساليب من المكر والمراوغة »[1] .

فكان من أكبر ما تمتاز به الحركة الفكرية في القرن الرابع الهجري ظهور مذهب الشيعة يحمل بين ثناياه الكثير من الأفكار الشرقية القديمة ، ويجعلها مكان بعض الأفكار الاسلامية ، وقد كان للاسماعيلية دور كبير وخطير في حمل هذه الأفكار ومزجها بالعقائد الاسلامية ، « فالضلال لم يتفشى في العالم الاسلامي بقدر ومثل ما تفشى بسبب الفرق الشيعية ، وما غير السنن الا المتشيعون الذين دخلوا الاسلام لهدمه وتقويض أركانه »[2] .

ومن البديهي أن يكون لأتباع الحركة الباطنية أهدافا مرسومة ، وغايات بعيدة من وراء زرع هذه الأفكار في العالم الاسلامي ، من أهمها ازالة هالة الخوف والقداسة عن العقائد الاسلامية ومناقشتها ووضعها تحت مجهر العقل والحس ، من قبل أصحاب النفوس المريضة التي نافقت الاسلام ، ودخلت به رياء ونفاقا أو خوفا . وبذلك شجعت الحركة الباطنية أصحاب تلك النفوس في اظهار مذاهبهم وعقائدهم الوثنية علنا وبدون خوف أو وجل ، ومهدوا السبيل للزنادقة والمجوس والفلاسفة والصابئة وغيرهم من الذين كانوا يتربصون الفرص للنيل من الاسلام والمسلمين .

وهكذا نلاحظ وبعد فترة من ظهور هذه الحركة ، أنها مهدت الطريق لأمثال الفارابي وابن سينا والكندي والمعري وغيرهم ، ليتجرأوا ويجاهروا بكفرهم وفلسفتهم الأفلاطونية الوثنية .

ولم يقف الأثر الفكري للحركة الباطنية عند هذا الحد ، بل أوجدت لها أثرا واضحا على الصوفية والصوفيين ، بأفكارها وعقائدها الفلسفية ، ويبدو أن عملية المطاردة لأتباع الفرق الباطنية جعلت الكثير منهم يختفون في حلقات الصوفيين ،

---

١ ـــ العقيدة والشريعة في الاسلام/ جولد تسيهر ص ١٨٠ .

٢ ـــ الصراع المذهبي في أفريقيا / عبد العزيز المجذوب ص ١٨٣ .

وهذا كان له أثر خطير على أفكار الصوفية ، فظهر منهم الغلاة ، المتأثرون بأفكار الاسماعيلية وفلسفتها ، الذين زعموا وحدة الوجود والاتحاد بالمعبود ، ولم يكن لهم أي اهتمام بالأديان ولا بالاسلام ، أمثال الحلاج وابن العربي والسهرودى والبسطامي وغيرهم .

وان الطابع الفلسفي للحركة الباطنية قد جعل نظرية الامام وولايته محورا تدور حوله الأفكار الباطنية ، وترتب على ذلك رفع منزلة علي ابن أبي طالب وذريته الى مرتبة الألوهية ، وتجسد الجوهر الالهي في أشخاصهم ، « مما أفسح المجال لظهور عقائد وتصورات للألوهية مغرقة في التشبيه والتجسيم والمادية ، والى آراء أسطورية محضة ، تسلب أصحابها أدنى حق في معارضة الوثنية ، أو المقابلة بين عقائدهم وعقائد الوثنيين »[1] .

ولعبيد الله المهدي (مؤسس الدولة العبيدية في المغرب) مواقف من الزيغ والضلال ، تدل على مدى المغالاة الذي وصل اليهاالباطنيون ، « فقد حكى أحدهم أنه سمع الكفر بأذنيه ، وذلك أنه حضر شهادة وكان فيه جمع كثير من أهل سنة ومشارقة . وكان بالقرب مني ــ يحكي عن نفسه ــ أبو قضاعة الداعي ، فأتى رجل مشرقي من أهل الشرق ومن أعظم المشارقة فقام اليه رجل مشرقي وقال : الى هاهنا يا سيدي الى جانب رسول الله يعني أبا قضاعة الداعي ويشير بيده اليه ، فالخليفة العبيدي الاله ، وداعيه أبو قضاعة رسوله »[2] .

بالاضافة الى ذلك ، فان من أقوى المؤثرات الفكرية التي ساعدت الفكر الباطني على الانتشار ، دعوى الاسماعيلية وأتباعها بوحدة الأديان ، فهم في سبيل الوصول الى غايتهم المريبة ، كانوا يظهرون للناس في أثواب مختلفة ، ويكلمون كل شخص بلغة خاصة ، مما صادف هوى في نفوس بعض أفراد وجماعات تبغض الاسلام والمسلمين ، فوجد هؤلاء في الباطنية الاسماعيلية كل ما يهدفون اليه من هدم للاسلام وتقويض لأركانه .

---

١ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام / جولد تسيهر ص ١٨٥ .

٢ ــ الصراع المذهبي في افريقيا / عبد العزيز المجذوب ص ١٧٢ .

ويؤيد هذا أيضا ، أن جماعة اخوان الصفاء الاسماعيلية كانت تضم في صفوفها : « أبا اسحاق الصابي الحراني ، وهو من عبدة النجوم (الصابئة) ، ويحيى بن عدي النصراني ، رئيس أساقفة الكنيسة اليعقوبية ، وماني المجوسي ، وأبو سليمان المنطقي السجستاني الاسماعيلي ، فما الذي يجمع هؤلاء ، ويدعوهم الى تأليف مجمع سري ؟! »[1] الا الهدف الواحد ، وهو هدم التوحيد الاسلامي بالأفكار الوثنية المستترة ببرقع التحرر .

وينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا النشاط الفكري الواسع للحركات الباطنية في العصر الحالي ، وكل مطلع على النشاط الثقافي وخاصة في مجال النشر يرى كثيرا من دور النشر المتسترة بأسماء لامعة تنشر من كتب الباطنية والباطنيين المسمومة الشيء الكثير ، على اعتبار انها كتب التراث الذي يجب أن يحفظ ، أو التاريخ الذي يجب أن يدون ولا يضيع[2] ، مستغلين جهل القارىء المسلم بحقيقتها وأصلها ، وبذلك يضللون الكثير من العقول .

ويمكن أن نضيف الى ذلك النشاط الباطني المخيف للاسماعيلية في كثير من الولايات الأمريكية والبلدان الأفريقية ، حيث مهد لها أعداء الاسلام الطريق هناك ، بعد أن خافوا من امتداد الاسلام الى تلك البلاد ، فافتتحت الاسماعيلية المراكز الضخمة ، في ظاهرها دعوة للاسلام ، وفي باطنها هدم للاسلام وتقويض له .

---

١ ـــ اخوان الصفاء / عمر الدسوقي ص ٥٠ .
٢ ـــ أمثال الكتب التي يخرجها مصطفى غالب وعارف تامر .

الفصل الثاني

أثرها في الناحية الاجتماعية

لقد كان للفوضى الاجتماعية التي أوجدتها الباطنية في جسم المجتمع الاسلامي ، من أهم الأخطار العظيمة الذي هدد المسلمين في القرون الماضية ، وأخص بالذكر الثورات المتلاحقة على الخلافة العباسية التي أوجدت هذه الفوضى .

ومن أخطر الآفات الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع الاسلامي في ذلك الوقت ، انعدام الثقة بين أفراد المجتمع ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة ، بسبب الغزو الفكري الباطني لعقول الناس ، وخاصة الشباب منهم ، مما أحدث ارتباكا فكريا خلف من ورائه انحلالا اجتماعيا خطيرا ، ترك أثاره على تعامل الناس مع بعضهم البعض ، وعلى تعامل أفراد الأسرة الواحدة أيضا .

وقد ظهر هذا واضحا في أيام ظهور القرامطة والحشاشين ، الذين سلبوا بأفكارهم الهدامة بعض عقول الشباب المراهق غير الواعية بما يدور حولها ، بحيث اصبح هؤلاء أداة بلا عقل ولا ارادة في يد زعماء الباطنية يحققون بها غاياتهم المريبة .

وتعطينا القصة التالية التي رواها ابن الأثير صورة واضحة للوضع الاجتماعي الخطير الذي خلفته الباطنية على أفراد المجتمع الاسلامي ، فيقول : « ذكر عن متطبب يدعى أبا الحسين قال : جاءتني امرأة بعدما أدخل القرمطي صاحب الشامة بغداد ، وقالت : أريد أن تعالج جرحا في كتفي ، فقلت : ها هنا امرأة تعالج النساء ، فانتظرتها ، فقعدت وهي باكية مكروبة ، فسألتها عن قصتها قالت : كان لي ولد طالت غيبته عني ، فخرجت أطوف عليه البلاد فلم أره ، فخرجت من الرقة في طلبه ، فوقعت في عسكر القرمطي أطلبه ، فرأيته ، فشكوت اليه حالي

وحال أخواته ، فقال : دعيني من هذا ، أخبريني ما دينك ؟ فقلت : أما تعرف ديني ؟ فقال : ماكنا فيه باطل ، والدين ما نحن فيه اليوم ، فعجبت من ذلك ، وخرج وتركني ، ووجه بخبز ولحم ، فلم أمسه حتى عاد فأصلحه .

وأتاه رجل من أصحابه فسأله عني هل أحسن من أمر النساء شيئا ، فقلت : نعم ، فأدخلني دارا ، فاذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلمها ولا تكلمني ، حتى ولدت غلاما ، فأصلحت من شأنه ، وتلطفت بها حتى كلمتني ، فسألتها عن حالها ، فقالت : أنا امرأة هاشمية ، أخذنا هؤلاء الأقوام ، فذبحوا أبي وأهلي جميعا ، وأخذني صاحبهم ، فأقمت عنده خمسة أيام ، ثم أمر بقتلي ، فطلبني منه أربعة أنفس من قواده ، فوهبني لهم ، وكنت معهم ، فوالله ما أدري ممن هذا الولد منهم .

قالت : فجاء رجل فقالت لي : هنيه ، فهنيته ، فأعطاني سبيكة فضة ، وجاء آخر ، وآخر ، أهني كل واحد منهم ، ويعطيني سبيكة فضة ، ثم جاء الرابع ومعه جماعة ، فهنيته ، فأعطاني ألف درهم ، وبتنا ، فلما أصبحنا قلت للمرأة : قد وجب حقي عليك فالله الله خلصيني ! قالت : ممن أخلصك ؟ فأخبرتها خبر ابني ، فقالت : عليك بالرجل الذي جاء آخر القوم . فأقمت يومي ، فلما أمسيت وجاء الرجل قمت له ، وقبلت يده ورجله ، ووعدته أنني أعود بعد أن أوصل ما معي الى بناتي ، فدعا قوما من غلمانه وأمرهم بحملي الى مكان ذكره ، وقال : أتركوها فيه وارجعوا ، فساروا بي عشرة فراسخ ، فلحقنا ابني ، فضربني بالسيف فجرحني ، ومنعه القوم ، وساروا بي إلى المكان الذي سماه صاحبهم ، وتركوني وجئت إلى هاهنا . قالت : ولما قدم الأمير بالقرامطة وبالأسارى رأيت ابني فيهم على جمل عليه برنس ، وهو يبكي ، فقلت : لا خفف الله عنك ولا خلصك !؟ (١) .

وهكذا فقد أصبح الابن جاحداً لأمه ، والأب لا يعترف بابنه ، والصديق عدوا لصديقه ، بعد الغزو الباطني الخطير لأفكار المسلمين .

ويمكن أن يضاف الى البلبلة الفكرية التي سببت الانحلال الاجتماعي ، سبب آخر وهو أن الحركة الباطنية استغلت حالة الفقر التي كان يعيشها بعض أفراد المجتمع

---

١ ـــ الكامل في التاريخ / ابن الأثير جـ ٧ ص ٥٢٤ ـــ ٥٢٦ .

الاسلامي ، فعملت على اشباع شهواتهم الجنسية والمالية وخاصة لذوي النفوس المريضة منهم ، مما سهل الأمر على الحركة الباطنية أن تستغلهم أبشع استغلال ، وهذا ما هو واضح عند القرامطة والحشاسين على وجه الخصوص .

وعند ظهور الدولة العبيدية في المغرب وامتدادها بعد ذلك إلى مصر ، « بلغ التعفن الاجتماعي أقصى مداه حيث عمد الشيعة إلى إنـزال الويلات بالناس ، فجاروا عليهم جـوراً شديداً ، وتعللوا على أموال الناس من كل جهة ، وقد أصاب الناس على ذلك طاعون شمال افريقيا ، وما والاها إلى مصر سنة ٣٠٧ هـ ، نشأ قطعا عما يعاني الناس من انهيار اجتماعي زاده الفقر استفحالا والمجاعة تعفناً [١] » .

أما الباطنية من الحشاشين ، فقد أحدثوا إنهياراً اجتماعياً لا مثيل له ، تدل خطورته على الوضع الذي وصل إليه الناس في ذلك الوقت ، حيث صار هؤلاء مصدراً للخوف والقلق بين جميع طبقات الناس ، فصار الأخ لا يثق بأخيه ، والأب يخاف من ابنه ، والأمير لا يعلم المخلص من أتباعه وحراسه ، لخوفهم أن يكون واحدا منهم ممن سلب الباطنية عقولهم بأفكارها المريبة البراقة ؟! .

ومن البديهي أن تحدث هذه الأمور مجتمعة شرخا اجتماعيا كانت له انعكاساته على الوضع السياسي للعالم الاسلامي وهو يقاوم الأعداء الخارجيين من الصليبيين والتتار ، فكانت الباطنية عدوا داخليا يوالي الطعنات المخيفة من الخلف ، مما أضعف المسلمين وأحدث ثغرة عميقة في صفوفهم .

ومن الأمور الخطيرة أيضا ، التي عملت الباطنية على تحقيقها في المجتمع الاسلامي وهو يواجه الصليبيين والتتار ، محاولتها قتل عدد كبير من خيرة العلماء والقادة والأمراء ، في محاولة منها لابعاد هؤلاء عن طريقها ، حتى يفسح المجال لها لتنفيذ أغراضها الجهنمية في المجتمع الاسلامي ، فكان فقد أمثال هؤلاء من المجتمع عاملا خطيراً في ارتباك المجتمع الاسلامي وتخلخله .

---

١ ــ الصراع المذهبي في أفريقيا / عبد العزيز المجذوب ص ٢٣٧ .

من ذلك أنهم قتلوا في همذان قاضي القضاة زين الاسلام أبا سعد محمد بن نصر الهروي أثناء عودته من خراسان الى بغداد ، ولم يجرؤ شخص على أن يتبعهم للخوف منهم ، وفي سنة ١١٢٦ هـ قتلوا البرسقي أتابك الموصل ، وفي سنة ١١٢٧ هـ قتلوا المعين وزير السلطان سنجر بن ملكشاه صاحب خراسان ، وفي سنة ١١٣٠ هـ أرسل الباطنية من مركزهم في آلموت اثنين من الخراسانية لقتل تاج الملوك بوري أتابك دمشق ، ويطول بنا الأمر لو حاولنا تسجيل كافة الاغتيالات الباطنية ، ولكن يكفي أن نختم هذه القائمة بالاشارة إلى أنهم حاولوا أكثر من مرة قتل صلاح الدين الأيوبي ولكن الله سلمه (١) .

هذا غيض من فيض للأثر الاجتماعي الذي أوقعته الباطنية في القرون الماضية ، أما حديثا فيكفي أن نجمله بأمر خطير تعمل على تحقيقه الباطنية بجميع فرقها ، وهو امتدادهم البشري إلى كافة المدن والقرى المجاورة لمعاقلهم ، في محاولة منهم للسيطرة على أكبر قدر من أراضي المدن والقرى التي يقطنها المسلمون ، ويمكن أن نلاحظ هذا الزحف البشري بوضوح في سوريا ، فقد ترك مئات الألوف من النصيرية جبالهم واستوطنوا دمشق وحلب وحماة وحمص ، مما أحدث شرخاً عميقاً في مجتمعات هذه المدن وخاصة بعد أن أصبح هؤلاء الباطنيون المسيطرون على مقدرات هذه المدن سياسيا وماديا .

وهكذا ظلت الباطنية قديما وحديثاً مصدراً خطيراً للانحلال السياسي والاجتماعي بأفكارها المسمومة ، وأعمالها الارهابية ، ومن البديهي أن يكون لهذا الخطر الباطني في المستقبل أثر لا يجوز الاستهانة به .

---

١ ـ الحركة الصليبية / سعيد عاشور جـ ١ ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

الفصل الثالث

أثرها في الناحية السياسية

إن أسوأ الآثار التي ترتبت نتيجة لظهور الحركة الباطنية هو انقسام العالم الاسلامي إلى فئتين متناحرتين . فقد استطاعت الباطنية (المتمثلة بالاسماعيلية) استمالة قبيلة كتامة في بلاد المغرب ، مما ساعدها كثيراً على قيام أول دولة لها سميت بـ (الدولة الفاطمية) أو (العبيدية) .

ولا شك أن قيام هذه الدولة الباطنية قد أوجد انقساماً خطيراً في صفوف المسلمين هو الأول من نوعه ، لادعاء حكام هذه الدولة أنهم من ذرية آل البيت ، وبأحقيتهم أن يكونوا أئمة المسلمين ، بعد أن كان المسلمون جميعهم يتجهون في ولائهم إلى الخليفة العباسي في بغداد ، ولكن سرعان ما تكشفت حقيقة هؤلاء الأدعياء عندما عملوا مرارا على اثارة الفتن بين السنة والشيعة في العراق مقر الخلافة العباسية ، وعلى اظهار باطن ما يعتقدون في قوانينهم وتصرفات أتباعهم .

ومن المؤكد أن تفتيت العالم الاسلامي الذي عمل على تنفيذه أتباع الباطنية كان له أثر بالغ الخطورة على التطورات السياسية فيه ، وخاصة وهو يواجه الصليبيين والتتار ، فاذا به يتعرض لطعنة قوية من الخلف من جانب الباطنية ، أضعف المسلمين وأحدث ثغرة قوية في جبهتهم نفذ من خلالها الأعداء من الصليبيين وغيرهم ، فاستطاعوا بذلك أن يوطدوا قوتهم داخل بلاد المسلمين .

وينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا أن الباطنية كانت تمد يد العون والمساعدة لهؤلاء الأعداء وتتحالف معهم في سبيل القضاء على الخلافة الاسلامية ، « ولما تحرك

الصليبيون صوب الجنوب كانت سياستهم التقليدية تقوم على محالفة الفاطميين الشيعة بمصر لمناهضة الخلفاء العباسيين والترك السنيين (١) .

وكان أكثر عونا للصليبيين وأشد خطراً على كل محاولة اسلامية لقتالهم ، فرقة الحشاشين ، الذين عرفوا بالقتل والتدمير ، وأصبحوا أداة غادرة بيد الصليبيين موجهة ضد المسلمين .

فكانوا بما أقدموا عليه من اغتيالات ضد القادة المسلمين ، موضع ترحيب وتقدير من قبل الصليبيين بعد أن وجدوا فيهم ضالتهم المنشودة ، فسارعوا للتحالف الوثيق معهم ، وكان هذا التحالف واضحاً عندما زحف المسلمون على الصليبيين حتى بلغوا طبرية في فلسطين بقيادة مودود وطغتكين سنة ١١١٣ م ، فأغضب هذا الباطنية ، فعملوا على قتل مودود بينما كان يدخل المسجد الكبير لتأدية صلاة الجمعة ، فطعنه أحد الباطنية بخنجر فلقي مصرعه (٢) وهكذا تخلص الفرنج من عدو لدود لهم ، بمصرع مودود على يد الباطنية .

وزاد من نفوذ الباطنية في بلاد الشام ، اعتناق رضوان ملك حلب للمذهب الباطني وعطفه على أتباعه ، فاستغل الباطنية تلك المكانة وأخذوا يباشرون أعمالهم الاجرامية ضد زعماء المسلمين (٣) . وما اتسمت به سياسة رضوان الباطنية ، أسهمت إلى حد كبير في توطيد ملك الفرنج في الشام (٤) .

وتوطدت العلاقات الودية بين الصليبيين والباطنية في أيام نور الدين ، وصلاح الدين ، اللذين عملا جاهدين على توحيد العالم الاسلامي ضد الصليبيين ، فقد كانت كراهية الباطنية لنور الدين شديدة ، واعتبروه عدوهم اللدود ، نظرا لأن سلطانه قيد توسعهم ، فحقدوا عليه وعاونوا حلفاءهم الصليبيين ضده ، حتى أنه

---

١ ـ تاريخ الحروب الصليبية / ستيفن رنسيمان مجلد ٢ ص ٣٣ .
٢ ـ انظر تفصيل ذلك في المرجع السابق مجلد ٢ ص ٢٠٦ .
٣ ـ الحركة الصليبية / د. سعيد عاشور جـ ١ ص ٥٥٥ .
٤ ـ تاريخ الحروب الصليبية / ستيفن رنسيمان مجلد ٢ ص ٢٠٦ .

عندما استطاع نور الدين أن يلحق الهزيمة بالصليبيين ، نرى زعيم الحشاشين حينئذ (علي بن وفا الكردي) يسارع للتحالف مع الصليبيين ، ويقوم بهجوم مفاجىء على نور الدين سنة ١١٤٨ م بالقرب من انطاكية ، ولم يكتفوا بذلك ، بل حاولوا اغتيال نور الدين ، وأرسل زعيم الحشاشين الجديد رشيد الدين سنان الى الصليبيين يعرض عليهم اجراء تحالف وثيق لمناهضة نور الدين ملوحاً بأنه يفكر مع قومه في التحول إلى النصرانية (١) .

ولم يتوان هذا الحشاش عن محاولة اغتيال صلاح الدين الأيوبي نفسه ، فقد تم اكتشاف جماعة من الباطنية عند خيمة صلاح الدين في جوف عسكره (٢) ، بعد أن استطاع أن يدحر الصليبيين ، وقد تكررت هذه المحاولة عدة مرات ، وكل هذا يدل بالطبع على نوعية الحقد الدفين الذي يكنه الباطنيون لكل ما يحمل علامة النصر للاسلام والمسلمين .

ويحسن بنا أن نلاحظ أن من الآثار السياسية للحركة الباطنية الفتن السياسية التي قامت بها ، فأدخل العالم الاسلامي في بلبلة وقلاقل جعله نهباً للأعداء من كل جهة .

فالاضطرابات التي قام بها أدعياء التشيع من الباطنية أمثال الخطابية وغيرها ، كانت تمهيداً لثورات وقلاقل أكبر خطرا حاقت بالعالم الاسلامي قام بها بعد ذلك الباطنيون ، وأهم تلك القلاقل ثورة القرامطة الارهابية ، وما حملته من فتنة سياسية أحرقت الأخضر واليابس ، وأحدثت فراغاً كبيراً في صفوف المسلمين وقوتهم ، دخل من خلاله الأعداء من كل صوب إلى قلب العالم الاسلامي فوجدوا من أتباع الباطنية خير عون ومساعد لهم ضد المسلمين .

والمطلع على تاريخ الباطنية ، لا بد أن يربط القديم بالحديث في تاريخ هؤلاء ، فما نراه اليوم من أعمالهم لا يمكن أن نستغربه ، فتاريخهم السياسي القديم ، أسود حالك

---

١ ـــ انظر بتفصيل المرجع السابق مجلد ٢ ص ٦٤١ .

٢ ـــ المرجع السابق مجلد ٢ ص ٦٧٥ .

بالسواد ، مليء بالحقد والكراهية ، وتاريخهم الحديث امتداد لهذا التاريخ ، « فقد جهد الاستعمار الأوروبي ليجد أسلحة يهدم بها الاسلام ويسيطر على المسلمين ، ويبدو أن الاسماعيلية كانوا أحد هذه الأسلحة ، فاذا بامام اسماعيلي يظهر من جديد ، يساعد الانجليز ويساعده الانجليز ، يتيح له الانجليز أن ينشر مذهبه بين مسلمي مستعمراتهم ، ويضمن لهم هو أن يخضع أتباعه لهم (١) » .

والنصيرية في السنين الماضية فاقت الاسماعيلية في تحالفها الوثيق مع أعداء الاسلام والمسلمين ، فأصبحت أداة خبيثة بيد اليهودية والصليبية مزروعة في جسم العالم الاسلامي ، تتحرك وتنفذ مخططات الأعداء بكل حقد ، وخاصة بعد أن استولت على مقاليد الأمور في سورية ، فكان تسليم الجولان لاسرائيل عبارة عن صفقة خائنة عقدت بين النصيرية والدولة اليهودية لا تزال آثارها الاجرامية تتفاقم الى اليوم . ولم يكتف النصيريون بهذا ، فعملوا أيضا على تحطيم المسلمين في لبنان ، بعد أن كاد المسلمون أن يسيطروا على أكثر لبنان ، فدخلت قوات النصيريين لبنان وحطمت هذا النصر ، ودكت مخيم تل الزعتر بمعاونة قوات النصارى واليهود ، يقتلون ويشوهون وينتهكون الأعراض معاً .

وهكذا نرى أن الباطنية كانت ولا تزال مصدر الفتن والقلاقل في المجتمع الاسلامي ، وعوناً لكل عدو لهذه الأمة تساعده بكل ما أوتيت من قوة لعلها بذلك تحقق هدفها وهو هدم الاسلام وقتل المسلمين .

---

١ ـــ موسوعة التاريخ الاسلامي / د. أحمد شلبي جـ ٢ ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

الخاتمة

لعل النتيجة التي يخرج بها الباحث في عقائد الفرق الباطنية ، هو أنها جميعها مثل وجهي العملة كيفما تقلبه لا يتغير رغم اختلاف الوجه الأول عن الوجه الثاني ، وكذلك الفرق الباطنية ، فان اختلافها في الأسماء والألقاب ، لا يغير من الحقيقة شيئاً ، ولا يدل على تنافر عقائدها ، وهذا يعني أن جميع هذه الفرق تتفق في الأهداف والغايات ، فضلا عن اتفاقها في المصدر والأساس .

ولا شك أن الصفحات السابقة قد بينت أن المصدر الرئيسي التي أخذت عنه الباطنية عقائدها ، كان مناقضا للأصول والمبادىء التي بني عليها الاسلام ، لذا لن نكون مغالطين أو مفترين على هؤلاء ، اذا جزمنا أن وراء هذه الفرق آيدي خبيثة تسيرها نحو أهداف وغايات يتطلع لها أصحاب تلك الأيدي ، وأولها تشويه الاسلام في نفوس أهله ، تمهيداً لتقويضه والعودة إلى أباطيلهم وضلالاتهم التي قضى عليها الاسلام .

والمتتبع لتاريخ الاسلام والمسلمين في القديم والحديث ، يدرك أهداف الباطنية هذه ، وما الفتن والمؤامرات وسفك الدماء وهتك الأعراض ، التي قامت بها الباطنية ، الا براهين على صدق ذلك ، وتعطينا الدليل تلو الدليل على حقد هؤلاء على هذا الدين وأهله .

ولا نريد أن نرجع إلى الماضي ، بل نريد أن نعرف ما يفعله هؤلاء في الوقت الحاضر ، من خيانة وتدمير وقتل بلا حساب ولا خوف . وأعتقد أن كل منصف وهو يشاهد ما يجرى في سورية ولبنان ، وما ترتكبه النصيرية في حق أبناء هذين

البلدين المسلمين ، يدرك حقيقة هؤلاء ومقدار حقدهم الدفين ، فقد صاروا — وكما كانوا في الماضي — أداة طيعة في يد أعداء الاسلام من اليهود والصليبيين يحركوهم كيفما يريدون .

ومن يتصفح تاريخ هؤلاء وعقائدهم لا يشك مطلقاً بكفرهم وخروجهم عن الاسلام ، وما ادعاءهم بأنهم من المسلمين أو العرب إلا من جملة التضليل والنفاق الذي يتسترون به لتحقيق مآربهم .

ورحم الله شيخ الاسلام ابن تيمية ، فقد كان من العلماء القلائل الذين فضحوا هؤلاء ، وبينوا كفرهم ووجوب استئصالهم من المجتمع الاسلامي ، فكتب الكتب والرسائل في سبيل ايصال حقيقة كفرهم إلى المسلمين ، والرد على تلك الأباطيل .

لذا فكفر هؤلاء لا جدال فيه ، ولكن في حكم توبتهم اذا أظهروها خلاف بين العلماء ، وسببه أن هؤلاء من المعتقدين بالتقية والقول بالباطن ، ومن الممكن أن يظهروا التوبة وهم يكتمون الكفر ، وقد فصل أبو حامد الغزالي هذا الأمر في كتابه فضائح الباطنية فقال : « وأما توبة الباطنية وكل زنديق مستتر بالكفر يرى التقية دينا ، ويعتقد النفاق واظهار خلاف المعتقد عند استشعار الخوف حقاً ، ففي هذا خلاف بين العلماء ، ذهب ذاهبون إلى قبولها ، لقوله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فان قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها [١]) ، ولأن الشرع انما بنى الدين على الظاهر فنحن لا نحكم إلا بالظاهر والله يتولى السرائر .

وذهب ذاهبون إلى أنه لا تقبل توبته ، وزعموا أن هذا الباب لو فتح لم يكن حسم مادتهم وقمع غائلتهم ، فان من سر عقيدتهم التدين بالتقية والاستسرار بالكفر عند استشعار الخوف . فلو سلكنا هذا المسلك لم يعجزوا عن النطق بكلمة الحق

١ — رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة في السنن — انظر فضائح الباطنية — تحقيق : د. عبد الرحمن بدوي ص ١٦٠ .

واظهار التوبة عند الظفر بهم ، فيلهجون بذلك مظهرين ويستهزئون بأهل الحق مضمرين ... ويقسم (الغزالي) هؤلاء إلى ثلاثة أقسام :

الحالة الأولى : أن يتسارع إلى اظهار التوبة واحد منهم من غير قتال ولا ارهاق واضطرار ، ولكن على سبيل الايثار والاختيار متبرعا به ابتداء من غير خوف ، واستشعار هذا ينبغي أن يقطع بقبول توبته .

الحالة الثانية : الذي يسلم تحت ظلال السيوف ، ولكنه من جملة عوامهم وجهالهم ، لا من جملة دعاتهم وضلالهم ، فهذا أيضا تقبل توبته ، فمن لم يكن مترشحاً للدعوة فضرره مقصور عليه في نفسه .

الحالة الثالثة : أن نظفر بواحد من دعاتهم ممن يعرف منه أنه يعتقد بطلان مذهبه ، ولكنه ينتحله غير معتقد له ليتوصل إلى استمالة الخالق وصرف وجوههم إلى نفسه ، طلباً للرياسة وطمعاً في حطام الدنيا ــ هذا هو الذي يتقى شره ، والأمر فيه منوط برأي الامام ليلاحظ قرائن أحواله ويتفرس من ظاهره في باطنه ، ويستبين أن ما ذكره يكون اذعانا للحق واعترافاً به بعد التحقق والكشف ، أو هو نفاق وتقية ، وفي قرائن الأحوال ما يدل عليه (١) . »

أما واجب المسلمين اتجاه هؤلاء ، فأرى أنه يتمثل في أمرين مهمين :

الأول : وهو منوط بعلماء المسلمين ، بفضح كفر هؤلاء أمام المسلمين وبيان حقيقتهم ، وأسماء فرقهم وألقابها ، لأن الجهل بهؤلاء أصبح عاما عند كافة المسلمين ، فلا فرق عند بعض الناس بين الاسماعيلي والشافعي مثلا ، والاثم في ذلك يقع على بعض العلماء الذين تقاعسوا أو تكاسلوا أو خافوا من فضح الباطنية وأتباعها ، فتسللت بسبب ذلك إلى صفوف المسلمين تخرب وتهدم باسم الوطنية تارة ، والعروبة تارة أخرى .

---

١ ــ فضائح الباطنية / أبو حامد الغزالي ص ١٦٠ .

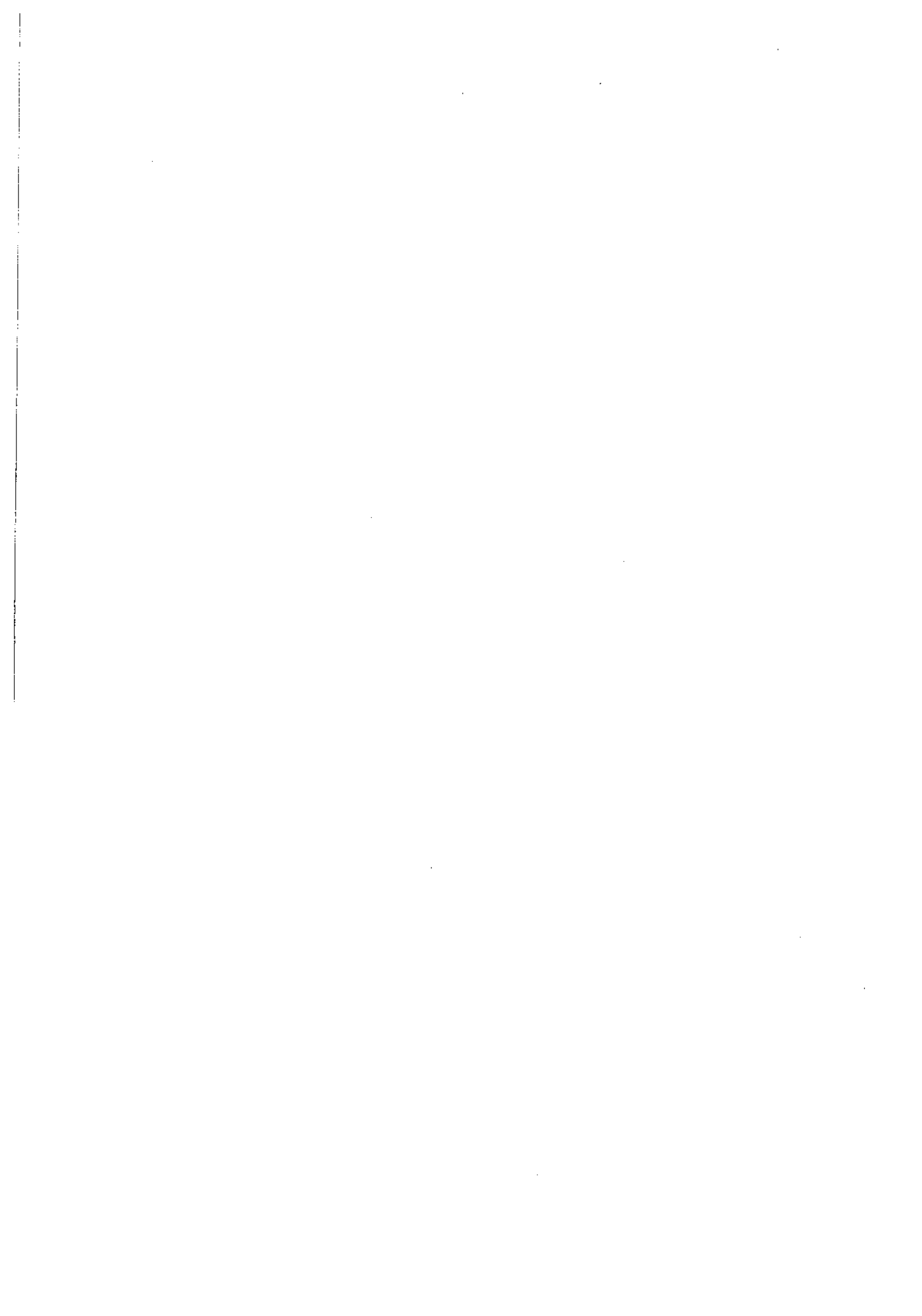
الثاني : العمل على نشر الاسلام الصحيح بين أتباع هذه الفرق ، على يد علماء واعين متخصصين في عقائدهم ، ولهم قدرة على اقناع أمثال هؤلاء ، وهذا لا يتم إلا بان يحال بين أتباع الباطنية ومشايخهم ودعاتهم .

وفي ختام هذا البحث ، أرجو الله أن أكون قد وفقت في اظهار حقيقة هذه الفرق ، لعل ذلك يزيل غشاوة الجهل من أعين المسلمين ، فيكون بذلك ــ ان شاء الله ــ طريقاً اخر في تعاملنا مع أمثال هؤلاء .

راجياً الله أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يرينا الحق حقاً ، ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهـــارس



فهرس

المصادر والمراجع

المطبوعة

القرآن الكريم .

ابن الأثير ــ علي

١ ــ الكامل في التاريخ ، دار صادر ــ بيروت ١٩٦٦ .

ابن تغري بردي ــ يوسف

٢ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة المصرية .

ابن تيمية ــ أحمد

٣ ــ مجموعة فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية ، الرياض ١٣٨١ هـ .

ابن الجوزي ــ عبد الرحمن

٤ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ــ بيروت .

ابن حزم ــ علي بن احمد

٥ ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار المعرفة بيروت .

ابن حنبل ــ أحمد

٦ ــ مسند الامام أحمد بن حنبل ، المكتب الاسلامي ودار صادر بيروت ١٩٦٥ م .

ابن خلدون ــ عبد الرحمن

٧ ــ تاريخ ابن خلدون ومقدمته ، دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨ م .

ابن خلكان

٨ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان ، دار صادر ــ بيروت ١٩٦٨ .

ابن سنان وابن العديم

٩ ــ تاريخ أخبار القرامطة ، تحقيق : د . سهيل زكار ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٩٧١ م .

ابن عابدين

١٠ ــ حاشية ابن عابدين مع التكملة ، دار احياء التراث ــ بيروت .

ابن العبري ــ غريغورس الملطي

١١ ــ تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت .

ابن العماد الحنبلي

١٢ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري ــ بيروت .

ابن كثير ــ أبو الفداء

١٣ ــ تفسير ابن كثير ، تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا ، مطابع الشعب / القاهرة .

١٤ ــ البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ــ بيروت ١٩٧٧ .

ابن النديم

١٥ ــ الفهرست ــ دار المعرفة ــ بيروت .

ابن محمد الوليد ــ علي

١٦ ــ تاج العقائد ومعدن الفوائد ، تحقيق عارف تامر ، دار المشرق ــ بيروت ١٩٦٧ .

ابن منظور ــ أبو الفضل محمد بن مكرم

١٧ ــ دار صادر ــ بيروت ١٩٥٥ م .

اخوان الصفاء

١٨ ــ رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، تحقيق خير الدين الزركلي ، المكتبة التجارية بمصر ١٩٢٨ .

الأشعري ــ أبو الحسن علي

١٩ ــ مقالات الاسلاميين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ .

الأطرش ــ فؤاد

٢٠ ــ الدروز مؤامرات وتاريخ وحقائق ــ بيروت .

الأعظمي ــ محمد حسن

٢١ ــ الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية ، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٠ م .

الأعلمي ــ محمد حسين

٢٢ ــ دائرة المعارف (المسماة بمقتبس الأثر ومجدد ما دثر) ، مطبعة قم ١٣٨٥ هـ .

أبو زهرة ــ محمد

٢٣ ــ المذاهب الاسلامية ، مكتبة الأداب ــ القاهرة .

أبو شقرا ــ يوسف خطار

٢٤ ــ الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ، مطبعة الاتحاد ــ بيروت .

أبو النصر ــ عمر

٢٥ ــ قلعة آلموت (الحسن بن الصباح) ، مكتب عمر أبو النصر بيروت ١٩٧٠ م .

الألوسي ــ محمد

٢٦ ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، المطبعة المنيرية ــ القاهرة .

أملي ــ شيخ سيد حيدر

٢٧ ــ جامع الأسرار ومنبع الأنوار ، تحقيق : هنري كربين وعثمان يحيى ، طهران ١٩٦٩ .

الأمين ــ مجاهد

٢٨ ــ العلويون أو النصيرية ، المؤسسة الاسلامية للطباعة والنشر ــ بيروت .

بدوي ــ عبد الرحمن

٢٩ ــ مذاهب الاسلاميين ، دار العلم للملايين ــ بيروت ١٩٧٣ م .

بربهييه ــ اميل

٣٠ ــ الآراء الدينية والفلسفية لـ (فيلون الأسكندري) ، ترجمة : د. محمد يوسف النجار ود . عبد الحليم النجار ، نشر مصطفى الحلبي / القاهرة ١٩٥٤ م .

بروكلمان ــ كارل

٣١ ــ تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ــ بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٦٨ م .

٣٢ ــ تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : د. عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .

البستاني ــ بطرس

٣٣ ــ دائرة المعارف ، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان / طهران .

البشبيشي ــ محمود

٣٤ ــ الفرق الاسلامية ، المكتبة التجارية بمصر ١٩٣٣ م .

البغدادي ــ عبد القاهر

٣٥ ــ الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح / القاهرة .

بوردو ـــ بول هنري

٣٦ ـــ أميرة بابلية لدى الدروز ، تعريب : ميشيل سليم كميدر ، المطبعة العصرية بمصر ١٩٣١ م .

البوطي ـــ محمد سعيد رمضان

٣٧ ـــ كبرى اليقينيات الكونية ، دار الفكر ـــ بيروت ١٣٨٨ هـ .

تامر ـــ عارف

٣٨ ـــ أربع رسائل اسماعيلية ، تحقيق : عارف تامر ، منشورات دار مكتبة الحياة ـــ بيروت ١٩٧٨ م . وتتضمن ما يلي :

١ ـــ رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس/للداعي شهاب الدين أبي فراس .

٢ ـــ رسالة أسبوع دور الستر/للداعي أحمد حميد الدين الكرماني .

٣ ـــ رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور / للداعي شمس الدين الطيبي .

٤ ـــ القصيدة التائية / للشاعر عامر المصري .

٣٩ ـــ القرامطة ـــ دار مكتبة الحياة ـــ بيروت .

التميمي ـــ القاضي النعمان بن حيون

٤٠ ـــ آداب اتباع الأئمة ، تحقيق مصطفى غالب ، دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٧٩ .

٤١ ـــ أساس التأويل ، تحقيق عارف تامر ، بيروت ١٩٦٠ .

٤٢ ـــ افتتاح الدعوة ، تحقيق : فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع .

٤٣ ـــ دعائم الاسلام ، تحقيق : أصف علي فيض ، دار المعارف بمصر .

التوحيدي ــ أبو حيان

٤٤ ــ الامتاع والمؤانسة ، تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ١٩٣٩ م .

ثابت ــ كريم

٤٥ ــ الدروز والثورة السورية وسيرة سلطان باشا الاطرش .

جاد المولى ــ محمد أحمد ، وأحمد العوامري

٤٦ ــ مهذب رحلة ابن بطوطة ، المطبعة الأميرية ١٩٣٤ م .

الجعفي ــ المفضل بن عمر

٤٧ ــ كتاب الهفت والأظلة ، تحقيق : عارف تامر والأب عبده اليسوعي ، دار المشرق / بيروت .

جمال الدين ــ محمد السعيد

٤٨ ــ دولة الاسماعيلية في ايران ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٥ م .

جمعة ــ سعد

٤٩ ــ مجتمع الكراهية ، دار الكاتب العربي ــ بيروت .

جوزى ــ بندلي

٥٠ ــ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، القدس .

جولد تسيهر ــ أجناس

٥١ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة : د. محمد يوسف موسى و د. علي حسن عبد القادر و د. عبد العزيز عبد الحق ، دار الكتب الحديثة بمصر .

الحامدي ــ ابراهيم بن الحسين

٥٢ ــ كتاب كنز الولد ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، تحقيق : مصطفى غالب ، بيروت ١٩٧١ م .

حبنكة الميداني ــ عبد الرحمن حسن
٥٣ ــ العقيدة الاسلامية واسسها ــ دار القلم ــ دمشق .

حتي ــ فيليب
٥٤ ــ لبنان في التاريخ ، ترجمة : د . أنيس فريحة ، دار الثقافة ــ بيروت ١٩٥٩ م .

حسن ــ سعد محمد
٥٥ ــ المهدية في الاسلام منذ أقدم العصور وحتى اليوم ، دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٣ م/١٣٧٣ هـ .

حسن ــ حسن إبراهيم
٥٦ ــ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار احياء التراث العربي ــ بيروت .

٥٧ ــ تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

حسين ــ محمد كامل
٥٨ ــ طائفة الاسماعيلية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

٥٩ ــ طائفة الدروز ــ تاريخها وعقائدها ــ دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .

الحموى ــ ياقوت
٦٠ ــ معجم البلدان ، دار صادر ــ بيروت ١٩٦٨ م .

الحميري ــ محمد بن عبد المنعم
٦١ ــ الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : د. احسان عباس ، مكتبة لبنان ١٩٧٥ .

حوى ــ سعيد
٦٢ ــ الاسلام ــ بيروت .

الخطيب ــ محمد أحمد

٦٣ ــ عقيدة الدروز (عرض ونقض) ، مكتبة الأقصى ــ عمان ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

خليفة ــ عبد الكريم

٦٤ ــ اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، عمان ١٩٤٩ .

دكر ــ جورج بطرس

٦٥ ــ مدعي الألوهية في القرن العشرين أو سليمان مرشد ، مطابع دار الكشاف والحداد ، اللاذقية ١٩٤٧ م .

الدهلوي ــ شاه عبد العزيز

٦٦ ــ مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ترجمة : غلام محمد الأسلمي ، دار ابن خلدون ــ بيروت ١٩٧٨ م .

دي خويه ــ ميكال ياتي

٦٧ ــ القرامطة ــ نشأتهم ، دولتهم ، علاقتهم بالفاطميين ، ترجمة وتحقيق حسني زينة/دار ابن خلدون ــ بيروت ١٩٧٨ .

الرازي ــ فخر الدين

٦٨ ــ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٨ م .

٦٩ ــ التفسير الكبير ، المطبعة البهية المصرية ١٩٣٨ م .

رضا محمد رشيد

٧٠ ــ فتاوي الامام محمد رشيد رضا ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ــ دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٠ م .

الريحاني ــ أمين

٧١ ــ النكبات خلاصة تاريخ سوريا منذ العهد الأول بعد الطوفان الى عهد الجمهورية بلبنان ــ مطابع دار صادر ــ بيروت ١٩٤٨ م ــ الطبعة الثانية .

الزعبي ــ محمد علي وعلي زيعور
٧٢ ــ البوذية وتأثيرها في الفكر والفرق الاسلامية المتطرفة ، مطبعة الانصاف ــ بيروت ١٩٦٤ م .

الزركلي ــ خير الدين
٧٣ ــ الأعلام ــ قاموس وتراجم ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة .

زكار ــ سهيل
٧٤ ــ أخبار القرامطة في الاحساء ــ الشام ــ العراق ــ اليمن ــ ، جمع وتحقيق : نشر عبد الهادي صرصوني ــ دمشق .

السجستاني ــ أبو يعقوب اسحق
٧٥ ــ الينابيع ، تحقيق : مصطفى غالب ــ بيروت ١٩٦٥ م .

السيوطي ــ جلال الدين
٧٦ ــ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، دار احياء الكتب العربية/ القاهرة ١٩٦٧ م .

شاكر ــ محمود
٧٧ ــ القرامطة/المكتب الاسلامي ــ بيروت ١٩٧٩ م .

شرف الدين ــ أحمد حسين
٧٨ ــ تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

الشكعة ــ مصطفى
٧٩ ــ إسلام بلا مذاهب ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م .

شلبي ــ أحمد .
٨٠ ــ موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

الشنتاوي ــ أحمد ورفاقه

٨١ ــ دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة ــ وزارة المعارف / القاهرة .

الشهرستاني ــ محمد

٨٢ ــ الملل والنحل (المطبوع على هامش الفصل في الملل لابن حزم) ، دار المعرفة ــ بيروت .

الشيبي ــ كامل مصطفى

٨٣ ــ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ــ ، مكتبة النهضة ــ بغداد ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م .

صبحي ــ أحمد محمود

٨٤ ــ الفلسفة الأخلاقية في الفكر الاسلامي ، دار المعارف بمصر .

الصغير ــ سعيد

٨٥ ــ بنو معروف (الدروز) في التاريخ ، مطبعة الاتقان ــ بيروت ١٣٧٤ هـ .

صليبا ــ جميل

٨٦ ــ المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٧١ م .

الطبري ــ أبو جعفر محمد بن جرير

٨٧ ــ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر .

٨٨ ــ تفسير الطبري ، تحقيق : محمود وأحمد شاكر ، دار المعارف بمصر .

طليع ــ أمين

٨٩ ــ أصل الموحدين الدروز وأصولهم ، دار الأندلس ــ بيروت ١٩٦١ م .

الطوسي ــ أبو جعفر

٩٠ ــ كتاب الغيبة ، مطبعة النعمان ــ النجف ١٣٨٥ هـ ــ الطبعة الثانية .

الطويل ــ محمد أمين غالب

٩١ ــ تاريخ العلويين ، دار الأندلس ــ بيروت ١٩٧٩ م ــ الطبعة الثالثة .

عاشور ــ سعيد عبد الفتاح

٩٢ ــ الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ م .

عبدالله ــ الحسيني

٩٣ ــ الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ، دار الاعتصام / القاهرة ١٤٠٠ هـ .

عبد العال ــ محمد جابر

٩٤ ــ حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق ابان العصر العباسي الأول ــ ، مطبعة السنة المحمدية / القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ .

عبد النور ــ جبور

٩٥ ــ اخوان الصفاء ، دار المعارف بمصر ــ الطبعة الثالثة .

عثمان ــ هاشم

٩٦ ــ العلويون بين الأسطورة والحقيقة ــ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت ١٩٨٠ م .

العزاوي ــ السيد محمد

٩٧ ــ فرقة النزارية ــ تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية ــ الهيئة العامة للكتب / جامعة عين شمس / القاهرة .

عز الدين ــ سليمان

٩٨ ــ ابراهيم باشا في سوريا ــ بيروت ١٩٤٩ م .

العسكري ــ السيد عبد الحسين مهدي

٩٩ ــ العلويون أو النصيرية ــ بيروت .

العصامي المكي ــ عبد الملك

١٠٠ ــ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ــ ، المطبعة السلفية / القاهرة ١٣٧٩ هـ .

عطية ــ أحمد

١٠١ ــ القاموس الاسلامي ــ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ م .

علي ــ أسعد أحمد

١٠٢ ــ فن المنتجب العاني وعرفانه ــ دار النعمان ــ بيروت ١٩٦٨ م .

العلوي ــ يحيى بن حمزة

١٠٣ ــ الافحام لأفئدة الباطنية الطغام ، تحقيق : فيصل عون ، منشأة المعارف بالاسكندرية .

عنان ــ محمد عبدالله

١٠٤ ــ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، دار الهلال بمصر ١٩٢٦ م .

١٠٥ ــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، دار النشر الحديث / القاهرة ١٩٣٧ م .

١٠٦ ــ مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، مطبعة مصر ١٩٥٢ م .

عوض ــ عبد العزيز

١٠٧ ــ الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ــ ١٩١٤ م ، دار المعارف بمصر .

العياش ـــ سامي
١٠٨ ـــ الاسماعيليون في المرحلة القرمطية ، دار ابن خلدون / بيروت .
غالب ـــ مصطفى
١٠٩ ـــ اخوان الصفاء ، دار مكتبة الهلال ـــ بيروت ١٩٧٩ م .
١١٠ ـــ الثائر الحميري (الحسن بن الصباح) ، دار الأندلس ـــ بيروت ١٩٧٩ م .
١١١ ـــ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دار الاندلس ـــ بيروت ١٩٧٩ م .
١١٢ ـــ الحركات الباطنية في الاسلام ، دار الكاتب العربي ـــ بيروت .
١١٣ ـــ القرامطة ، دار الاندلس ـــ بيروت ١٩٧٩ م .
الغزالي ـــ أبو حامد
١١٤ ـــ فضائح الباطنية ، تحقيق : د. عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية / الكويت .
فخري ـــ ماجد
١١٥ ـــ تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة : د. كمال اليازجي ، الدار المتحدة / بيروت ١٩٧٩ م .
فروخ ـــ عمر
١١٦ ـــ تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين / بيروت ١٣٨٢ هـ ـــ ١٩٧٢ م .
الفوزان ـــ أحمد
١١٧ ـــ أضواء على العقيدة الدرزية ، بيروت ١٩٧٩ م .
الفياض ـــ زيد بن عبد العزيز
١١٨ ـــ أبحاث بعنوان (حقيقة الدروز) بمجلتي ،
أ ـــ المنهل الصادرة بجدة جـ٣ مجلد ٢٠ شهر ربيع ثاني ١٣٧٩ هـ .

ب ــ راية الاسلام الصادرة بالرياض ــ الاعداد ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ سنة أولى ١٣٨٠ هـ ، والاعداد ١ ، ٢ سنة ثانية ١٣٨١ هـ .

قاسم ــ محمود

١١٩ ــ دراسات في الفلسفة الاسلامية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م ــ الطبعة الخامسة .

القرماني ــ أحمد

١٢٠ ــ أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، عالم الكتب / بيروت .

القمي ــ سعد

١٢١ ــ المقالات والفرق ، تحقيق : د. محمد جواد مشكور ، مؤسسة مطبوعاتي أعطالي / طهران .

القلانسي ــ أبو يعلى

١٢٢ ــ ذيل تاريخ دمشق ــ بيروت .

القلقشندي ــ أحمد

١٢٣ ــ صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة .

كاير ــ جوزيف

١٢٤ ــ حكمة الأديان الحية ، ترجمة : حسين الكيلاني ، منشورات دار مكتبة الحياة ــ بيروت ١٩٦٤ م .

كرد علي ــ محمد

١٢٥ ــ خطط الشام ، دار العلم للملايين ــ بيروت ١٩٦٩ م .

الكرماني ــ أحمد حميد الدين

١٢٦ ــ راحة العقل ، تحقيق : مصطفى غالب بيروت ١٩٦٧ م .

لقبال ـــ موسى

١٢٧ ـــ دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـــ الجزائر ١٩٧٩ م .

لويس ـــ برنارد

١٢٨ ـــ أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية ، ترجمة : د. خليل أحمد خليل ، دار الحداثة ـــ بيروت ١٩٨٠ م .

المبارك ـــ محمد

١٢٩ ـــ نظام الاسلام ـــ العقيدة والعبادة ـــ دار الفكر / بيروت .

متز ـــ آدم

١٣٠ ـــ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة : د. محمد أبو ريدة ، مكتبة الخانجي / القاهرة ١٩٦٧ م .

المجذوب ـــ عبد العزيز

١٣١ ـــ الصراع المذهبي بأفريقية الى قيام الدولة الزيرية ، الدار التونسية ١٩٧٥ م .

مجموعة مؤلفين

١٣٢ ـــ سلسلة تراث الانسانية/المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .

المظفر ـــ محمد الحسين

١٣٣ ـــ مؤمن الطاق ـــ منشورات دار الباقر ـــ النجف ١٣٨٤ هـ .

المظفر ـــ محمد رضا

١٣٤ ـــ عقائد الامامية مكتبة الأمين ـــ النجف ١٩٦٨ م .

المقدسي ـــ عبد الرحمن

١٣٥ ـــ الروضتين في أخبار الدولتين دار الجيل / بيروت .

المقريزي ـــ أحمد

١٣٦ ـــ الخطط المقريزية دار احياء العلوم / بيروت .

مكارم ـــ سامي

١٣٧ ـــ أضواء على مسلك التوحيد (الدرزية) دار صادر / بيروت ١٩٦٦ م .

١٣٨ ـــ تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي (بالاشتراك مع د. عباس أبو صالح) منشورات المجلس الدرزي للبحوث والانماء .

مؤلف مجهول

١٣٩ ـــ رسالة تعليم دين التوحيد (المعروف بدين الدرزية) .

مؤلف مجهول

١٤٠ ـــ كتاب النقط والدوائر (من كتب الدروز الدينية) طبع ريودي جانيرو / البرازيل سنة ١٩٢٠ م ـــ طبعة منير اللبابيدي .

المؤيد في الدين ـــ داعي الدعاة

١٤١ ـــ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تحقيق : محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصري ١٩٤٩ م .

١٤٢ ـــ سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تحقيق : محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصري ١٩٤٩ م .

النجار ـــ عبدالله

١٤٣ ـــ مذهب الدروز والتوحيد ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

النشار ـــ علي سامي

١٤٤ ـــ نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام/منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٦٢ م . الطبعة الثانية .

١٤٥ ــ هيراقليطس ــ فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي ــ (بالاشتراك مع د. محمد أبو ريان ود. عبده الراجحي) دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .

نسيمان ــ ستيفن

١٤٦ ــ تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : د. السيد الباز العريني ، دار الثقافة / بيروت ١٩٦٨م .

النوبختي ــ أبو محمد الحسن بن محمد بن موسى

١٤٧ ــ فرق الشيعة ، تحقيق : هـ . ريتر نشر جمعية المستشرقين الالمانية ، استنبول ١٩٣١ م .

وجدي ــ محمد فريد

١٤٨ ــ دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة / بيروت .

فهرس

المخطوطات

الجسري ــ أبو محمد علي بن عيسى

١ ــ رسالة التوحيد (من مكتب النصيرية) ــ مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي .

الجعفي ــ المفضل بن عمر

٢ ــ كتاب الصراط (من كتب النصيرية) ــ مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٩٤٩ عربي .

حسين ــ محمد

٣ ــ شرح الميثاق (من كتب الدروز) ــ مخطوط في جامعة شيكاغو رقم ٣٧٣٧ ، ويوجد فيلم عنه في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق والمخطوطات رقم ٢٩ .

الحراني ــ أبو عبدالله محمد بن شعبة

٤ ــ كتاب الأصيفر (من كتب النصيرية) ــ مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي .

الحلبي ــ رزق حسونة

٥ ــ حسر اللثام عن الاسلام ، مخطوط في الجامعة اليسوعية ببيروت رقم ٦٩٧ ، ويوجد فيلم عن في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق والمخطوطات رقم ٧٤٩ .

الحلبي ــ يوسف

٦ ــ مناظرة الشيخ يوسف الحلبي (من كتب النصيرية) ، مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي .

٧ ـــ بعض رسائل الدروز ورد شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره عليهم ، مخطوط في المكتبة السعودية بالرياض ، مكتبة دار الافتاء رقم ٢٥٢ / ٨٦ .

٨ ـــ رسائل الدروز ـــ مخطوطات في جامعة شيكاغو تحت الأرقام التالية : ٣٧٣٦ ، ٣٧٤٠ ، ٣٧٤١ ، ٣٧٤٤ ، ٣٧٤٥ ـــ وتوجد أفلام عنها في الجامعة الأردنية / مركز الوثائق والمخطوطات ، وأرقامها على التوالي : ٢٧ ، ٢٩ .

٩ ـــ رسائل الدروز ـــ مخطوطات في جامعة برنستون (مجموعة جاريت) تحت الأرقام التالية : ١٦١٨ ، ١٦١٤ ، ب ٣٩٥ ، ١٦١٢ وتوجد أفلام عنها في الجامعة الأردنية مركز الوثائق ، وارقامها على التوالي : ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ .

١٠ ـــ رسائل الدروز ـــ مخطوطات في جامعة ييل (مجموعة سالزبوري) تحت الارقام التالية : ١٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، (ومجموعة العربي) تحت رقم ٦٤ ، (ومجموعة لانديبرخ) تحت رقم ٧٣٣ ، وتوجد أفلام عنها في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق وأرقامها على التوالي : ١ ، ٢ ، ١٩ .

١١ ـــ رسائل الدروز ـــ مخطوطات في جامعة اكسفورد (مجموعة بودلي) ـــ مكتبة بودليان تحت الارقام التالية ٣٩٨ ، ٤٥٤ ، (ومجموعة مارتس) رقم ٢٢١ وتوجد أفلام عنها في الجامعة الاردنية مركز الوثائق وارقامها على التوالي : ٥٣٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ .

١٢ ـــ رسائل الدروز ـــ مخطوطة في جامعة كولومبيا (مجموعة سميث) تحت رقم ٢٠ ، ويوجد فيلم عنها في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق رقم ٤١١ .

١٣ ـــ رسائل الدروز ـــ مخطوطتان في الجامعة الامريكية ببيروت (مكتبة القديس بولس) تحت الارقام التالية : ٢٠٥ ، ١ ، ويوجد فيلمين عنهما في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق تحت الرقمين التاليين : ٧١٥ ، ٧١٨ .

١٤ ـــ بعض رسائل الدروز ـــ مخطوط في مكتبة الشيخ علي آل ثاني بالدوحة / قطر رقم ٧٥٨ .

دروز ـــ المصحف المنفرد بذاته

١٥ ـــ مصحف الدروز أو (المصحف المنفرد بذاته) مخطوط وتوجد نسخة مصورة عنه في مكتبتي الخاصة .

الشيخ الفاضل

١٦ ـــ دعاء سيدنا الشيخ الفاضل (من أدعية الدروز) ـــ مخطوط في مكتبتي الخاصة .

الصايغ ـــ أبو عبدالله بن هارون

١٧ ـــ مسائل عن المراتب ، مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربي ، وهو من كتب النصيرية .

مؤلف مجهول

١٨ ـــ كتاب الأسوس ـــ (من كتب النصيرية) ـــ مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ١٩٤٩ عربي .

مؤلف مجهول

١٩ ـــ أعيادنا (من كتب النصيرية) ـــ مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٦١٨٢ عربي .

مؤلف مجهول

٢٠ ـــ أيها الدرزي عودة الى عرينك ، مخطوط ومطبوع على الآلة الكاتبة ـــ وتوجد نسخة مصورة عنه في مكتبتي الخاصة .

مؤلف مجهول

٢١ ـــ كتاب تعليم ديانة النصيرية مخطوط في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٦١٨٢ عربي .

مؤلف مجهول

٢٢ ـــ ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به ويسلك بموجبه (وهو موجز عن كتاب الفرائض) ـــ من كتب الدروز ـــ مخطوط في الجامعة الامريكية ببيروت (مكتبة القديس بولس) رقم ٢٠٦ ، ويوجد فيلم عنه في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق رقم ٧١٥ .

مؤلف مجهول

٢٣ ـــ رسالة في معرفة سر ديانة الدروز مخطوط في جامعة ييل (مجموعة سالزبوري) رقم ٩١ ، ويوجد فيلم عنه في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق رقم ٢ .

مؤلف مجهول

٢٤ ـــ رسالة السؤال والجواب (في الدين الدرزي) ـــ مخطوط في الجامعة الامريكية ببيروت رقم ٢٠٦ ، ويوجد فيلم عنه في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق رقم ٧١٥ .

مؤلف مجهول

٢٥ ـــ في تقسيم جبل لبنان وطوائفه ـــ مخطوط في الجامعة الامريكية ببيروت رقم ٣١ ، ويوجد فيلم عنه في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق رقم ١٦٩٩ .

مؤلف مجهول

٢٦ ـــ لبعضهم قول وجيز (من كتب الدروز) ـــ مخطوط في الجامعة الامريكية ببيروت (مكتبة القديس بولس) رقم ٢٠٦ ، ويوجد فيلم عنه في الجامعة الاردنية / مركز الوثائق رقم ٧١٥ .

الفهرست

البيان		الصفحة

البيان	الصفحة

البيان	الصفحة

البيان	الصفحة

رقم الايداع لدى
مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
(٥٦٨) / ١٢ /١٩٨٣